كتاب

الإمامة والسياسة

تأليف

(الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم)

(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

﴿ طبعت على نفقة ﴾

محمود محمود شعبان

صاحب مطبعة القاهرة

مطبعة القاهرة

(بجوار سوق باب اللوق بشارع منصور بمصر لصاحبها محمود محمود شعبان)

كتاب

الإمامة والسياسة

تأليف

(الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم)

(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

﴿ الجزء الأول ﴾

﴿ طبعت على نفقة ﴾

محمود محمود شعبان

صاحب مطبعة القاهرة

مطبعة القاهرة

(بعمارة سوق باب اللوق بشارع منصور بمصر لصاحبها محمود محمود شعبان)

﴿ ترجمة المؤلف ﴾

هو ابو محمد عبد الله بن سالم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي صاحب كتاب المعارف وأدب الكاتب . كان فاضلا ثقة سكن بغداد وحدث بها عن اسحاق بن راهويه وأبي اسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي وأبي حاتم السجستاني وتلك الطبقة . وروى عنه ابنه أحمد وابن درستويه وتصانيفه كلها مفيدة منها ما تقدم ذكره ومنها تفسير القرآن الكريم. وغريب الحديث. وعيون الاخبار. ومشكل الحديث . وطبقات الشعرا . وكتاب التفقيه . وكتاب الخيل . وكتاب اعراب القرآن وكتاب الانواء . وكتاب المسائل والجوابات . وكتاب الميسر والقداح وغير ذلك . وقيل ان اباه مروزي واما هو فمولده ببغداد وقيل بالكوفة واقام بالدينور مدة قاضيا فنسب اليها وكانت ولادته سنة ثلاث عشرة ومائتين وتوفي في ذي القعدة سنة سبعين وقيل في رجب سنة ست وسبعين ومائتين وكانت وفاته فجأة صاح صيحة سمعت من بعد ثم اغمى عليه ومات رحمه الله

وقتيبة هي تصغير قتبة وهي واحدة الاقتاب والاقتاب الامعا وبها سمي الرجل . والدينوري نسبة الى دينور وهي بلدة من بلاد الجبل عند قرميسين خرج منها خلق كثير .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قال ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى ﴾

نفتتح كلامنا بحمد الله تعالى ونقدس ربنا بذكره ونثني عليه بآلائه لا إله إلا هو لا شريك له الذي اتخذ الحمد لنعمه ذكرا. ورضي به من عباده شكرا. وصلى الله على نبينا محمد الذي ارسله بالهدى. وختم به رسل الله السعداء. صلاة زاكية. وسلم تسليما كثيرا ابدا.

﴿ فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ﴾

حدثنا ابن أبي مريم قال حدثنا أسد بن موسى قال حدثنا زكريا عن يونس بن أبي اسحاق عن الشعبي عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال: كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال لي عليه السلام: هذان سيدا كهول اهل الجنة من الاولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين عليهم السلام ولا تخبرهما يا علي. حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني رضي الله عنه حدثنا محمد بن حواش الحنفي قال حدثنا ابن المبارك عن عمر بن سعيد عن ابن ابي مليكة قال سمعت ابن عباس رضي الله عنه يقول: وضع عمر رضي الله عنه على سريره فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل ان يرفع فلم يرعني الا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت فإذا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يترحم على عمر رضي الله عنه وقال: والله ما خلفت احدا أحب الي ان القى الله تعالى بمثل عمله منك يا عمر وايم الله ان كنت لأرجو ان يجعلك الله مع صاحبيك وذاك اني كنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت انا وابو بكر وعمر وكنت انا وابو بكر وعمر واني كنت لأظن ان يجعلك الله تعالى معهما.
واخبرنا ابن ابي شيبة قال حدثنا يزيد بن الحباب عن موسى بن عبيدة قال اخبرني ابو معاذ وابو الخطاب عن علي رضي الله عنه قال بينما انا جالس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ اقبل ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال يا علي هذان سيدا كهول اهل الجنة إلا ما كان من الانبياء عليهم السلام ولا تخبرهما. حدثنا الوليد بن مسلم عن عبد الله بن عبد الله العجلي عن القاسم بن ابي عبد الرحمن رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال . لقد هممت ان ابعث الى الامم رجالا يدعونهم الى الاسلام ويرغبونهم في الدين فابعث ابن ابي كعب وسالم مولى ابي حذيفة ومعاذ بن جبل كما فعل عيسى ابن مريم عليهما السلام فقالوا يا رسول الله افلا تبعث ابا بكر وعمر فقال صلى الله عليه وسلم : هما مني بمنزلة السمع والبصر من الجسد قال ابن [illegible] ابن المبارك قال اخبرنا محمد بن الزبير قال ارسلني عمر بن عبد العزيز الى الحسن البصري رحمهما الله تعالى أسأله ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف ابا بكر رضي الله عنه . فأتيته فاستوى جالسا وقال : اي والذي لا اله الا هو استخلفه ولهو كان اعلم بالله تعالى وأتقى لله تعالى من ان يتوثب عليهم لو لم يأمره .

استخلاف رسول الله ابا بكر رضي الله عنه

عن ابن ابي مريم قال حدثنا الفريابي عن ابي عون بن عمرو بن تيم الانصاري وحدثنا اسمعيل بن كثير عن كثير بن عبد الله بن عبد الرحمن قال حدثنا بصحة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وشأن السقيفة وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والانصار وبعضهم يزيد على بعض في الكلام فجمعت ذلك وألفته على معنى حديثهم . وذكروا انهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في مرضه الذي قبض فيه متوكئا على الفضل بن العباس رضي الله عنهما وغلام له يقال له ثوبان ثم رجع صلى الله عليه وسلم فدخل منزله وقال لغلامه اجلس على الباب ولا تحجب احدا من الانصار فاحتوشوا بالباب فقالوا للغلام ائذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو عنده نساؤه رضي الله تعالى عنهن فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهم في الدخول فقيل له ان الانصار يبكون فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والعباس فدخل المسجد واجتمع الناس اليه فحمد الله واثنى عليه ثم قال انه لم يمت نبي قط الا خلف تركة وان تركتي فيكم الانصار رضي الله عنهم فهم كرشي التي آوي اليها . اوصيكم بتقوى الله تعالى والاحسان اليهم فقد علمتم انهم اطعموكم وواسوكم في العسر واليسر ونصروكم في المنشط والمكره فاعرفوا لهم حقهم واقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله وهو معصوب الرأس شديد الوجع فلما كانت الصلاة اتى بلال المؤذن رضي الله عنه يدعو الى الصلاة ففتح صلى الله عليه وسلم عينيه وقال للنساء : ادعوا لي حبيبي

فعرفت عائشة رضي الله عنها انه يريد ابا بكر فقالت ارسل الى عمر فان ابا بكر رجل
رقيق وان قام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم افتضح من البكاء وعمر اقوى
منه فارسلت الى عمر رضي الله عنه فاتى فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
عينيه فرد السلام ثم اطرق عنه فعرف عمر انه لم يرده فلما خرج اقبل صلى الله عليه
وسلم عليهن وقال : ادعين لي حبيبي فقالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ان
ابا بكر رجل رقيق فان امرت عمر يصلي بالناس فقال صلى الله عليه وسلم . انكن
صواحبات يوسف عليه السلام ادعين لي حبيبي اعادها القول الاول فدعي ابو بكر
رضي الله تعالى عنه فلما جاء قال له . اذهب فمر المؤذن فصل بالناس فلم يزل ابو بكر
رضي الله عنه يصلي بالناس حتى كان اليوم الذي مات فيه رسول الله فتوفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فأتمروا فقال قائل ندفنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث كان يصلي في مقامه فقال ابو بكر رضي الله عنه . معاذ الله ان نجعله
وثنا يعبد . وقال قائل ندفنه صلى الله عليه وسلم في البقيع حيث دفن اخوانه من
المهاجرين والانصار فقال ابو بكر انا نكره ان نخرج قبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم من بين اظهرنا الى البقيع قالوا فما ترى يا ابا بكر قال سمعته صلى الله عليه وسلم
يقول . ما قبض نبي قط الا دفن حيث تقبض روحه . قالوا صدقت والله
رضينا وقنعنا وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه قد لقي عليا فقال ان
النبي صلى الله عليه وسلم يقبض فسله ان كان الامر لنا بينه وان كان لغيرنا اوصى
بنا خيرا فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس لعلي بن ابي طالب
كرم الله وجهه ابسط يدك ابايعك فيقال عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويبايعك اهل بيتك فان هذا الامر اذا كان لم يقل(*) فقال له
علي ومن يطلب هذا الامر غيرنا وقد كان العباس رضي الله عنه لقي ابا بكر فقال
هل اوصاك رسول الله بشيء قال لا ولقي العباس ايضا عمر فقال له مثل ذلك فقال
عمر . لا فقال العباس لعلي رضي الله عنه ابسط يدك ابايعك ويبايعك اهل بيتك

(*) من الاقالة لا من القول اه مصححه

﴿ ذكر السقيفة وما جرى فيها من القول ﴾

وحدثنا قال حدثنا ابن عفير عن ابي عون عن عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري
رضي الله عنه ان النبي عليه السلام لما قبض اجتمعت الانصار رضي الله عنهم الى
سعد بن عبادة فقالوا له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض فقال سعد لابنه
قيس رضي الله عنهما إني لا أستطيع ان أسمع الناس كلاماً لمرضي ولكن تلق مني
قولي فاسمعهم . فكان سعد يتكلم ويحفظ ابنه رضي الله عنهما قوله فيرفع صوته
لكي يسمع قومه . فكان مما قال رضي الله عنه بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه.
يا معشر الانصار ان لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لقبيلة من
العرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم
إلى عبادة الرحمن وخلع الاوثان فما آمن به من قومه الا قليل والله ما كانوا يقدرون
ان يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفوا دينه ولا يدفعوا عن انفسهم
حتى اراد الله تعالى لكم الفضيلة وساق اليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ورزقكم
الايمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم والمنع له ولاصحابه والاعزاز لدينه والجهاد
لاعدائه فكنتم اشد الناس على من تخلف عنه منكم واثقله على عدوكم من غيركم
حتى استقاموا لامر الله تعالى طوعاً وكرهاً واعطى البعيد المقادة صاغراً داحراً حتى
اثخن الله تعالى لنبيه بكم الارض ودانت بأسيافكم له العرب توفاه الله تعالى وهو
راض عنكم قرير العين فشدوا ايديكم بهذا الامر فانكم احق الناس واولاهم به
فاجابوه جميعاً ان قد وفقت فى الرأى واصبت فى القول وكفى بعد ذلك مارأيت
بتوليتك هذا الامر فانت مقنع ولصالح المؤمنين رضي. قال فاتى الخبر إلى أبي بكر
رضي الله عنه ففزع اشد الفزع وقام ومعه عمر رضي الله عنهما فخرجا مسرعين إلى
سقيفة بني ساعدة فلقيا ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فانطلقوا رضي الله عنهم
جميعاً حتى دخلوا سقيفة بني ساعدة وفيها رجال من الاشراف معهم سعد بن عبادة
رضي الله عنه فاراد عمر رضي الله عنه ان يبدأ بالكلام وقال . خشيت ان يقصر
ابو بكر رضي الله عنه عن بعض الكلام فلما تيسر عمر للكلام تجهز ابو بكر رضى
الله عنه وقال له على رسلك فستكفيني الكلام فتشهد ابو بكر رضي الله عنه وانتصب
له الناس وقال . ان الله جل ثناؤه بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين

الحق فدعا إلى الاسلام فاخذ الله تعالي بنواصينا وقلوبنا إلى ما دعا اليه فكنا معشر المهاجرين اول الناس اسلاماً والناس لنا فيه تبع ونحن عشيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مع ذلك اوسط العرب انساباً ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة وانتم ايضاً والله الذين آووا ونصروا وانتم وزراؤنا فى الدين ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم اخواننا فى كتاب الله تعالى وشركاؤنا في دين الله عز وجل وفيما كنا فيه من سراء وضراء والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا فيه فانتم احب الناس الينا واكرمهم علينا واحق الناس بالرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لامر الله عز وجل لما ساق لكم ولاخوانكم المهاجرين رضي الله عنهم واحق الناس فلا تحسدوهم وانتم المؤثرون على انفسهم حين الخصاصة والله ما زلتم تؤثرون اخوانكم من المهاجرين وانتم احق الناس ان لا يكون هذا الامر واختلافه على ايديكم وابعد ان لا تحسدوا اخوانكم على خير ساقه الله تعالى اليهم وانما ادعوكم الى ابي عبيدة او عمر وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الامر وكلاهما له اهل . فقال عمر وابو عبيدة رضي الله عنهما ما ينبغي لاحد من الناس ان يكون فوقك يا ابا بكر أنت صاحب الغار ثاني اثنين وامرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فانت احق الناس بهذا الامر فقال الانصار والله ما نحسدكم على خير ساقه الله اليكم وانا لكما وصفت يا ابا بكر والحمد لله ولا احد من خلق الله احب الينا منكم ولا ارضي عندنا ولا ايمن ولكننا نشفق مما بعد اليوم ونحذر ان يغلب على هذا الامر من ليس منا ولا منكم فلو جعلتم اليوم رجلا منا ورجلا منكم بايعنا ورضينا على انه اذا هلك اخترنا آخر من الانصار فاذا هلك اخترنا آخر من المهاجرين ابداً ما بقيت من هذه الامة كان ذلك اجدر ان يعدل فى امة محمد صلى الله عليه وسلم وان يكون بعضنا يتبع بعضاً فيشفق القرشي ان يزيغ فينقض عليه الانصارى ويشفق الانصارى ان يزيغ فينقض عليه القرشي فقام ابو بكر فحمد الله واثني عليه وقال . ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا الي خلقه وشهيدا على امته ليعبدوا الله ويوحدوه وهم اذ ذاك يعبدون آلهة شتى يزعمون انها لهم شافعة وعليهم بالغة نافعة . وانما كانت

حجارة منحوتة وخشباً منجورة فاقرؤا إن شئتم « إنكم وما تعبدون من دون
الله . و يعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند
الله . وقالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » فعظم على العرب أن يتركوا
دين آبائهم فخص الله تعالى المهاجرين الاولين رضى الله عنهم بتصديقه والايمان
به والمواساة والصبر معه على الشدة من قومهم واذلالهم وتكذيبهم اياهم وكل الناس
مخالف عليهم زار لهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وازدراء الناس لهم واجماع قومهم
عليهم فهم اول من عبد الله في الارض . واول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى
الله عليه وسلم وهم اولياؤه وعشيرته واحق الناس بالامر من بعده لا ينازعهم فيه
إلا ظالم وانتم يا معشر الانصار من لا ينكر فضلهم ولا نعمة العظيمة لهم في الاسلام.
رضيكم الله تعالى انصاراً لدينه ولرسوله وجعل اليكم مهاجرته فليس بعد المهاجرين
الاولين احد عندنا بمنزلتكم فنحن الامراء وانتم الوزراء لا تفتات دونكم بمشورة
ولا تنقضي دونكم الامور فقام الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام رضي الله عنه
فقال . يامعشر الانصار املكوا على ايديكم فانما الناس في فيئكم وظلالكم ولن
يجير مجير على خلافكم ولن يصدر الناس إلا عن رايكم . انتم اهل العز والثروة
واولوا العدد والنجدة وانما ينظر الناس ما تصنعون فلا تختلفوا فيفسد عليكم رايكم
وتقطعوا اموركم انتم اهل الايواء واليكم كانت الهجرة ولكم في السابقين الاولين
مثل منهم وانتم اصحاب الدار والايمان من قبلهم والله ما عبدوا الله علانية إلا
في بلادكم ولا جمعت الصلاة إلا في مساجدكم ولا دانت العرب للاسلام إلا
باسيافكم فانتم اعظم الناس نصيباً في هذا الامر وان ابى القوم فمنا امير ومنهم امير
فقام عمر رضي الله عنه فقال . هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد انه والله
لا ترضى العرب ان تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا ينبغي ان تولى هذا
الامر إلا من كانت النبوة فيهم واولى الامر منهم . لنا بذلك على من خالفنا من
العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن
اولياؤه وعشيرته الا تعدل بباطل او متجانف لاثم او متورط في هلكة . فقام
الحباب بن المنذر رضي الله عنه فقال . يامعشر الانصار املكوا على ايديكم ولا
تسمعوا مقالة هذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الامر فان ابوا عليكم ماسالتم

فاجلوهم عن بلادكم وولوا عليكم وعليهم من اردتم فانتم والله اولى بهذا الامر منهم فانه دان لهذا الامر من لم يكن يدين به (*) اما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة والله لا يرد على احد ما اقول الا حطمت انفه بالسيف قال عمر ابن الخطاب. فلما كان الحباب هو الذي يجيبني لم يكن لي معه كلام لانه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاني عنه فحلفت أن لا أكلمه كلمة تسوءه ابدا . ثم قام ابو عبيده فقال يا معشر الانصار انتم اول من نصر وآوى فلا تكونوا اول من يبدل ويغير .

(مخالفة قيس بن سعد)

قال وان قيساً لما راى ما اتفق عليه قومه من تأمير سعد بن عبادة قام حسداً لسعد وكان قيس من سادات الخزرج فقال . يا معشر الانصار اما والله لئن كنا اولى بفضيلة في جهاد المشركين والسابقة في هذا الدين ما اردنا ان شاء الله غير رضا ربنا وطاعة نبينا والاكرام لانفسنا فما ينبغي لنا ان نستطيل بذلك على الناس وما نبتغي به غرضا من الدنيا فان الله تعالى ولي المنة والنعمة علينا بذلك ثم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من قريش وقومه احق بميراثه وتولي سلطانه . وايم الله لا يراني الله انازعهم هذا الامر ابدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم .

﴿ بيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ﴾

قال ثم ان ابا بكر قام على الانصار فحمد الله واثنى عليه ثم دعاهم الى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال اني ناصح لكم في احد هذين الرجلين ابي عبيدة بن الجراح او عمر فبايعوا من شئتم منهما . فقال عمر . معاذ الله ان يكون ذلك وانت بين اظهرنا انت احقنا بهذا الامر واقدمنا صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وافضل منا في المال وانت افضل المهاجرين وثاني اثنين وخليفته على الصلاة والصلاة افضل دين الاسلام فمن ذا ينبغي ان يتقدمك او يتولى هذا الامر عليك ابسط يدك ابايعك فلما ذهبا ليبايعانه سبقهما اليه بشير بن سعد الانصاري فبايعه فناداه الحباب

(*) في رواية انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب اما والله الخ

والجذيل مصغر جذل عود ينصب للجربى لتحتك به والعذيق مصغر عذق قنو النخلة والمرجب المعظم

ابن المنذر : ياقيس بن سعد عاقك عائق ما اضطرك الى ما صنعت ؟ حسدت ابن عمك على الامارة : قال لا والله ولكني كرهت ان انازع قوماً حقاً لهم فلما رات الاوس ما صنع قيس بن سعد وهو من سادات الخزرج وما دعوا اليه المهاجرين من قريش وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض وفيهم اسيد بن خضير رضي الله عنه لئن وليتموها سعدا عليكم مرة واحدة لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة ولا جعلوا لكم نصيباً فيها ابداً فقوموا فبايعوا ابا بكر رضي الله عنه تسابقوا اليه فبايعوه فقام الحباب بن المنذر الى سيفه فاخذه فبادروا اليه فاخذوا سيفه منه فجعل يضرب بثوبه وجوههم حتي فرغوا من البيعة فقال : فعلتموها يامعشر الانصار اما والله لكاني بابنائكم على ابواب ابنائهم قد وقفوا يسالونهم باكفهم ولا يسقون الماء . قال ابو بكر : امنا تخاف ياحباب قال ليس منك اخاف ولكن ممن يجيء بعدك ، قال ابو بكر : فاذا كان ذلك كذلك فالامر اليك والى اصحابك ليس لنا عليكم طاعة . قال الحباب : هيهات يا ابا بكر اذا ذهبت انا وانت جاءنا بعدك من يسومنا الضيم .

﴿ تخلف سعد بن عبادة رضي الله عنه عن البيعة ﴾

فقال سعد بن عبادة اما والله لو ان لي ما اقدر به على النهوض لسمعتم مني في اقطارها زئيراً يخرجك انت واصحابك ولا لحقتك بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع خاملا غير عزيز فبايعه الناس جميعاً حتي كادوا يطاون سعداً فقال سعد . قتلتموني فقيل اقتلوه قتله الله فقال سعد . احملوني من هذا المكان فحملوه فادخلوه داره وترك اياماً . ثم بعث اليه ابو بكر رضي الله عنه ان اقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك فقال : اما والله حتى ارميكم بكل سهم في كنانتي من نبل واخضب منكم سناني ورمحي واضربكم بسيفي ما ملكته يدي واقاتلكم عن معي من اهلي وعشيرتي . ولا والله لو ان الجن اجتمعت لكم مع الانس ما بايعتكم حتي اعرض على ربي واعلم حسابي . فلما اتى بذلك ابو بكر من قوله قال عمر : لا تدعه حتي يبايعك . فقال لهم قيس بن سعد انه قد ابى ولج وليس يبايعك حتي يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وعشيرته ولن تقتلوهم حتي يقتل الخزرج ولن تقتل الخزرج حتى تقتل الاوس فلا تفسدوا على انفسكم

أمراً قد استقام لكم فاتركوه فليس تركه بضاركم وانما هو رجل واحد فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه . فكان سعد لا يصلي بصلاتهم ولا يجمع بجمعتهم ولا يفيض بافاضتهم.ولو يجد عليهم اعواناً لصال بهم ولو يبايعه احد على قتالهم لقاتلهم فلم يزل كذلك حتى توفى ابو بكر رحمه الله تعالى وولى عمر بن الخطاب فخرج الي الشام فمات بها ولم يبايع لاحد رحمه الله: وان بني هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى علي بن ابي طالب ومعهم الزبير بن العوام رضي الله عنه وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب وانما كان يعد نفسه من بني هاشم وكان علي كرم الله وجهه يقول مازال الزبير منا حتي نشأ بنوه فصرفوه عنا واجتمعت بنو أمية الى عثمان واجتمعت بنو زهرة الي سعد وعبد الرحمن بن عوف فكانوا في المسجد الشريف مجتمعين . فلما اقبل عليهم ابو بكر وابو عبيدة وقد بايع الناس ابا بكر قال لهم عمر . مالي أراكم مجتمعين حلقا شتي قوموا فبايعوا أبا بكر فقد بايعته وبايعه الانصار فقام عثمان بن عفان ومن معه من بني أمية فبايعوه وقام سعد وعبد الرحمن بن عوف ومن معهما من بني زهرة فبايعوا . وأما علي والعباس ابن عبد المطلب ومن معهما من بني هاشم فانصرفوا الى رحالهم ومعهم الزبير بن العوام فذهب اليهم عمر في عصابة فيهم اسيد بن حضير وسلمة بن أشيم فقالوا انطلقوا فبايعوا أبا بكر فأبوا فخرج الزبير بن العوام رضى الله عنه بالسيف فقال عمر رضي الله عنه . عليكم بالرجل فخذوه فوثب عليه سلمة بن أشيم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار وانطلقوا به فبايع وذهب بنو هاشم ايضاً فبايعوا

اباية علي كرم الله وجهه بيعة ابي بكر رضي الله عنهما

ثم ان علياً كرم الله وجهه اتي به الى ابي بكر وهو يقول انا عبد الله اخو رسول الله فقيل له بايع ابا بكر فقال أنا احق بهذا الامر منكم لا ابايعكم وانتم اولى بالبيعة لي اخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي صلى الله عليه وسلم وتاخذوه منا اهل البيت غصباً الستم زعمتم للانصار انكم اولى بهذا الامر منهم لما كان محمد منكم فاعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة فاذاً احتج عليكم بمثل ما احتججتم على الانصار نحن اولى برسول الله حياً وميتاً فانصفونا ان كنتم تؤمنون والا فبؤوا بالظلم وانتم تعلمون فقال له عمر : انك لست متروكا

حتى تبايع فقال له على احلب حلباً لك شطره وشد له اليوم يرده عليك غداً ثم قال : والله ياعمر لا اقبل قولك ولا ابايعه فقال له ابو بكر فان لم تبايع فلا اكرهك فقال ابو عبيدة بن الجراح كرم الله وجهه يا ابن عم انك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالامور ولا ارى ابا بكر الا اقوى على هذا الامر منك واشد احتمالا واستطلاعاً فسلم لابي بكر هذا الامر فانك ان تعش ويطل بك بقاء فانت لهذا الامر خليق وحقيق في فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك . فقال علي كرم الله وجهه : الله الله يامعشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد في العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم وتدفعون اهله عن مقامه في الناس وحقه فوالله يامعشر المهاجرين لنحن احق الناس به لانا اهل البيت ونحن احق بهذا الامر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه في دين الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لامر الرعية الدافع عنهم الامور السيئة القاسم بينهم بالسوية والله انه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً . فقال بشير بن سعد الانصاري . لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك ياعلي قبل بيعتها لابي بكر ما اختلفت عليك قال .

وخرج علي كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم على دابة ليلا في مجالس الانصار تسالهم النصرة فكانوا يقولون يابنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابي بكر ما عدلنا به فيقول علي كرم الله وجهه . افكنت ادع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته لم ادفنه واخرج انازع الناس سلطانه ؟ فقالت فاطمة . ما صنع ابو الحسن الاما كان ينبغي له ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم

﴿ كيف كانت بيعة على بن ابي طالب كرم الله وجهه ﴾

قال وان ابا بكر رضي الله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم في دار علي فابوا ان يخرجوا فدعا بالحطب وقال والذي نفس عمر بيده لتخرجن او لاحرقنها على من فيها فقيل له ياابا حفص ان فيها فاطمة فقال وان فخرجوا فبايعوا الا عليا فانه زعم انه قال حلفت ان لا اخرج ولا اضع ثوبي على عاتقي حتى اجمع القرآن فوقفت فاطمة رضي الله عنها على بابها

فقالت لا عهد لى بقوم حضروا أسوء محضر منكم تركتم رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة بين ايدينا وقطعتم امركم بينكم لم تستامرونا ولم تردوا لنا حقا فاتى عمر ابا بكر فقال له الا تاخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال ابو بكر لقنفذ وهو مولى له . فادع لى عليا قال فذهب الى على فقال له ما حاجتك فقال يدعوك خليفة رسول الله فقال على لسريع ما كذبتم على رسول الله فرجع فابلغ الرسالة قال فبكى ابو بكر طويلا فقال عمر الثانية ان لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة فقال ابو بكر رضى الله عنه لقنفذ . عد اليه فقل له امير المؤمنين (*) يدعوك لتبايع فجاءه قنفذ فأدى ما امر به فرفع على صوته فقال سبحان الله لقد ادعي ما ليس له فرجع قنفذ فابلغ الرسالة فبكى ابو بكر طويلا . ثم قام عمر فمشي معه جماعة حتى اتوا باب فاطمة فدقوا الباب فلما سمعت اصواتهم نادت باعلى صوتها : يا ابت يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابى قحافة فلما سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين . وكادت قلوبهم تتصدع واكبادهم تنفطر وبقى عمر ومعه قوم فأخرجوا عليا فمضوا به الى ابى بكر فقالوا له بايع فقال ان انا لم افعل فمه قالوا اذاً والله الذى لا إله إلا هو نضرب عنقك قال اذاً تقتلون عبد الله واخا رسوله قال عمر : اما عبد الله فنعم واما اخو رسوله فلا وابو بكر ساكت لا يتكلم فقال له عمر . الا تأمر فيه بامرك فقال لا اكرهه على شيء ما كانت فاطمة الى جنبه . فلحق على بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح ويبكي وينادى . يابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فقال عمر لابى بكر رضي الله عنهما. انطلق بنا الى فاطمة فانا قد اغضبناها فانطلقا جميعاً فاستأذنا على فاطمة فلم تاذن لهما فاتيا علياً فكلماه فادخلهما عليها فلما قعدا عندها حولت وجهها الى الحائط فسلما عليها فلم ترد عليهما السلام فتكلم ابو بكر فقال . ياحبيبة رسول الله والله ان قرابة رسول الله احب الي من قرابتي . وانك لاحب الى من عائشة ابنتى ولوددت يوم مات ابوك انى مت ولا ابقى بعده . أفترانى اعرفك واعرف فضلك وشرفك وامنعك حقك وميراثك من رسول الله الا انى سمعت أباك رسول الله صلى الله

(*) في متن هذه الرواية اضطرابات كثيرة منها هذا فقد ثبت من غير وجه ان اول من لقب بامير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عليه وسلم يقول : لا نورث ما تركنا فهو صدقة . فقالت أرايتكما ان حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرفانه وتفعلان به قالا نعم فقالت نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله يقول . رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي فمن احب فاطمة ابنتي فقد احبني ومن ارضى فاطمة فقد ارضاني ومن اسخط فاطمة فقد اسخطني . قالا . نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت . فاني اشهد الله وملائكته انكما اسخطتماني وما ارضيتماني ولئن لقيت النبي لاشكونكما اليه . فقال ابو بكر . انا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يافاطمة ثم انتحب ابو بكر يبكي حتى كادت نفسه ان تزهق وهي تقول . والله لادعون الله عليك في كل صلاة أصليها ثم خرج باكياً فاجتمع اليه الناس فقال لهم. يبيت كل رجل منكم معانقاً حليلته مسروراً باهله وتركتموني وما انا فيه لاحاجة لي في بيعتكم اقيلوني بيعتي قالوا ياخليفة رسول الله انهذا الامر لا يستقيم وانت اعلمنا بذلك انه ان كان هذا لم يقم لله دين فقال . والله لولا ذلك وما اخافه من رخاوة هذه العروة ما بت ليلة ولي في عنق مسلم بيعة بعد ما سمعت ورأيت من فاطمة قال فلم يبايع علي كرم الله وجهه حتى ماتت فاطمة رضي الله عنها ولم تمكث بعد ابيها الا خمساً وسبعين ليلة . قال فلما توفيت ارسل علي الى ابي بكر ان اقبل الينا فاقبل ابو بكر حتي دخل على علي وعنده بنو هاشم فحمد الله واثنى عليه ثم قال . اما بعد يا ابا بكر فانه لم يمنعنا ان نبايعك انكاراً لفضيلتك ولا نفاسة عليك ولكنا كنا نرى ان لنا في هذا الامر حقاً فاستبددت علينا ثم ذكر علي قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يذكر ذلك حتى بكي ابو بكر. فقال ابو بكر رضي الله عنه لقرابة رسول الله احب الى ان اصل من قرابتي واني والله لادع امراً رأيت رسول الله يصنعه الا صنعته ان شاء الله تعالى فقال علي. موعدك غداً في المسجد الجامع للبيعة ان شاء الله . ثم خرج فاتى المغيرة بن شعبة فقال . اترى يا ابا بكر ان تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الامر نصيباً يكون له ولعقبه وتكون لكما الحجة على علي و بني هاشم اذا كان العباس معكم قال فانطلق ابو بكر وعمر وابو عبيدة حتي دخلوا على العباس رضي الله عنه فحمد الله ابو بكر واثني عليه ثم قال . ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم نبياً وللمؤمنين ولياً

فمن الله تعالى بمقامه بين اظهرنا حتى اختار له الله ما عنده فخلى على الناس امرهم
ليختاروا لانفسهم فى مصلحتهم متفقين لا مختلفين فاختاروني عليهم والياً ولامورهم
راعياً وما اخاف بحمد الله وهناً ولا حيرة ولاجبناً وما توفيقى إلا بالله العلى العظيم
عليه توكلت واليه انيب وما زال يبلغني عن طاعن يطعن بخلاف ما اجتمعت عليه
عامة المسلمين و يتخذونكم لجاناً فاحذروا ان تكونوا جهد المنيع فاما دخلتم فيما
دخل فيه العامة او دفعتموهم عما مالوا اليه وقد جئناك ونحن نريد ان نجعل لك
فى هذا الامر نصيباً يكون لك ولعقبك من بعدك اذ كنت عم رسول الله وان
كان الناس قد راوا مكانك ومكان اصحابك فعدلوا الامر عنكم على رسلكم بني
عبد المطلب فان رسول الله منا ومنكم . ثم قال عمر اى والله واخرى انا لم نأتكم
حاجة منا اليكم ولكنا كرهنا ان يكون الطعن منكم فيما اجتمع عليه العامه فيتفاقم
الخطب بكم وبهم فانظروا لانفسكم ولعامتكم . فتكلم العباس فحمد الله واثنى عليه
ثم قال . ان الله بعث محمداً كما زعمت نبياً وللمؤمنين وليا فمن الله بمقامه بين
اظهرنا حتي اختار له ما عنده فخلى على الناس امرهم ليختاروا لانفسهم مصيبين
للحق لا مائلين عنه بزيغ الهوي فان كنت برسول الله طلبت فحقنا اخذت وان
كنت بالمؤمنين طلبت فنحن منهم متقدمون فيهم وان كان هذا الامر انما يجب لك
بالمؤمنين فما وجب اذ كنا كارهين فاما ما بذلت لنا فان يكن حقا لك فلا حاجة لنا
فيه وان يكن حقا للمؤمنين فليس لك ان تحكم عليهم وان كان حقنا لم نرض
عنك فيه ببعض دون بعض واما قولك ان رسول الله منا ومنكم فانه قد كان من
شجرة نحن اغصانها وانتم جيرانها . قال ثم خرج ابو بكر الى المسجد الشريف
فاقبل على الناس فعذر علياً بمثل ما اعتذر عنده ثم قام على فعظم حق ابى بكر وذكر
فضيلته وسابقته ثم مضى فبايعه فاقبل الناس على على فقالوا صبت يا ابا الحسن
واحسنت .قال فلما تمت البيعة لابى بكر اقام ثلاثة ايام يقيل الناس و يستقيلهم
يقول قد اقلتكم فى بيعتي هل من كاره هل من مبغض فيقوم على فى اول الناس
فيقول والله لا نقيلك ولا نستقيلك ابدا قد قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتوحيد ديننا من ذا الذى يؤخرك لتوجيه دنيانا

خطبة ابي بكر الصديق رضي الله عنه

قال ثم ان ابابكر قام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال . ايها الناس ان الله الجليل الكريم العليم الحكيم الرحيم الحليم بعث محمدا بالحق وانتم معشر العرب كما قد علمتم من الضلالة والفرقة فألف بين قلوبكم ونصركم به وايدكم ومكن لكم دينكم واورثكم سيرته الراشدة المهدية فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به الفتكم ويقيم به كلمتكم فاعينوني على ذلك بخير ولم اكن لابسط يدا ولا لسانا على من لم يستحل ذلك ان شاء الله ونعم الله ما حرصت عليها ليلا ولا نهارا ولا سألتها الله قط في سر ولا علانية ولقد قلدت امرا عظيما ما لي به طاقة ولا يد ولوددت اني وجدت اقوى الناس عليه مكاني فاطيعوني ما اطعت الله . فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم . ثم قال اعلموا ايها الناس اني لم اجعل لهذا المكان ان اكون خيركم ولوددت ان بعضكم كفانيه ولئن اخذتموني بما كان الله يقيم به رسوله من الوحي ما كان ذلك عندي وما انا الا كاحدكم فاذا رأيتموني قد استقمت فاتبعوني وان زغت فقوموني واعلموا ان لي شيطانا يعتريني احيانا فاذا رايتموني غضبت فاجتنبوني لا اوثر باشعاركم وابشاركم ثم نزل ثم دعا عمر والاعلام من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال . ما ترون لي من هذا المال فقال عمر انا والله اخبرك مالك منه اما ما كان لك من ولدك واتاك من مالك ومالك من قبله كرجل من المسلمين واما ما كان من عيالك وضيعتك واهلك فقوت منه بالمعروف وقوت اهلك فقال يا عمر . اني لاخشى ان لا يحل لي ان اطعم عيالي من فيء المسلمين فقال عمر يا خليفة رسول الله انك قد شغلت بهذا الامر عن ان تكسب لعيالك فلما تمت البيعة لابي بكر واستقام له الامر اشرأب النفاق بالمدينة وارتدت العرب فنصب لهم ابو بكر الحرب واراد قتالهم فقالوا انا لا نؤدي الزكاة فقال الناس اقبل منهم يا خليفة رسول الله فان العهد حديث والعرب كثير ونحن شرذمة قليلون لا طاقة لنا بالعرب مع انا قد سمعنا رسول الله يقول . امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فقال ابو بكر هذا من حقها لا بد من القتال فقال الناس لعمر اخل به فكلمه لعله يرجع عن رايه هذا فيقبل منهم الصلاة ويدعهم من الزكاة فخلا به عمر نهاره اجمع فقال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم عليه ولو لم اجد احدا لقاتلتهم

به آقاتلهم وحدي حتى يحكم الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . امرت ان اقاتل الناس على ثلاث شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة فوالله الذي لا اله الا هو لا اقصر دونهن فضرب منهم من ادبر عن اقبل حتى دخل الناس في الامر الا طوعا او كرها وحمدوا له عزمه وفعله . قال ابو رجا العطاردي رأيت الناس مجتمعين يقبلون رأس ابي بكر وهم يقولون انا فداؤك لولا انت لهلكنا فحمد له رأيه في قتال اهل الردة

مرض ابي بكر واستخلافه عمر رضي الله عنهما

قال ثم ان ابا بكر عمل سنتين وشهورا ثم مرض مرضه الذي مات فيه فدخل عليه اناس من اصحاب النبي عليه السلام فيهم عبد الرحمن بن عوف فقال له كيف اصبحت يا خليفة رسول الله فاني ارجو ان تكون بارئا قال اترى ذلك قال نعم قال ابو بكر : والله اني لشديد الوجع ولما القى منكم يا معشر المهاجرين اشد علي من وجعي اني وليت امركم خيركم في نفسي فكلكم ورم من ذلك انفه (١) ارادة ان يكون هذا الامر له وذلك لما رأيتم الدنيا قد اقبلت اما والله لتتخذن نضائد (٢) الديباج وستور الحرير ولتألمن النوم على الصوف الاذربي كما يألم احدكم النوم على حسك السعدان والله لأن يقدم احدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من ان يخوض غمرات الدنيا فقال عبد الرحمن بن عوف خفض عليك رحمك الله فان هذا يهيضك على ما بك انما الناس رجلان رجل رضي ما صنعت فرأيه كرأيك ورجل كره ما صنعت فاشار عليك برأيه وما نعلم من صاحبك الذي وليت الا خيرا وما زلت صالحا مصلحا ولا اراك تأسى على شيء من الدنيا فاتك قال اجل والله ما آسى الا على ثلاث فعلتهن ليتني كنت تركتهن وثلاث تركتهن ليتني فعلتهن وثلاث ليتني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فاما الثلاث اللاتي فعلتهن فليتني تركت بيت علي وان كان اعلن علي الحرب وليتني يوم سقيفة بني ساعدة كنت ضربت على يد احد الرجلين ابي عبيدة او عمر فكان هو الامير وكنت الوزير وليتني حين اتيت بالفجاءة السلمي اسيرا قتلته ذبيحا او اطلقته نجيحا ولم اكن احرقته بالنار واما اللاتي تركتهن فليتني كنت حين اتيت بالاشعث بن قيس اسيرا اني قتلته ولم استحيه

---

(١) ورم انفه اي امتلأ غضبا قال الشاعر * ولا يهاج اذا ما انفه ورما * اي لا يكلم عند الغضب (٢) نضائد الديباج واحدتها نضيدة وهي الوسادة

قالي سمعت منه واراه لا يرى غيا ولا شرا الا اعان عليه وليتني حين بعثت خالد بن الوليد
الى الشام انى كنت بعثت عمر بن الخطاب الي العراق فاكون قد بسطت يدي جميعا فى
سبيل الله واما اللاتى كنت اود انى سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن فليتني
سالته لمن هذا الامر من بعده فلا ينازعه فيه احد وليتنى كنت سالته هل للانصار
فيها من حق وليتنى كنت سالته عن ميراث بنت الاخ والعمة فان فى نفسي من
ذاك شيئا ثم دخل عليه اناس من اصحاب رسول الله فقالوا ياخليفة رسول الله الا
ندعو لك طبيبا ينظر اليك فقال قد نظر الي قالوا فماذا قال ؟ قال اني فعال لما اريد
ثم قال لهم انظروا ماذا انفقت من بيت المال فنظروا فاذا هو ثمانية آلاف درهم فاوصي اهله
ان يؤدوها الى الخليفه بعده ثم دعا عثمان بن عفان فقال اكتب عهدى فكتب عثمان واملى
عليه بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد به ابو بكر بن ابي قحافة آخر عهده في الدنيا
نازحا عنها واول عهده بالآخرة داخلا فيها اني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان
تروه عدل فيكم ظني به ورجائي فيه وان بدل وغير فالخير اردت ولا اعلم الغيب
وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون ثم ختم الكتاب ودفعه ودخل عليه
المهاجرون والانصار حين بلغهم انه استخلف عمر فقالوا نراك استخلفت علينا عمر
وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وانت بين اظهرنا فكيف اذا وليت عنا وانت لاق
الله عز وجل فسائلك فما انت قائل ؟ فقال ابو بكر لئن سالني الله لاقولن استخلفت
عليهم خيرهم في نفسي قال ثم امر ان يجتمع له الناس فاجتمعوا فقال ايها الناس قد
حضرنى من قضاء الله ماترون وانه لا بد لكم من رجل يلي امركم ويصلى بكم
ويقاتل عدوكم ويقسم فياكم فان شئتم اجتمعتم فائمرتم ثم وليتم عليكم من اردتم
وان شئتم اجتهدت لكم رايى ووالله الذي لا اله الا هو لا آلوكم فى نفسى
خيرا فبكى وبكى الناس وقالوا ياخليفة رسول الله انت خيرنا واعلمنا فاختر لنا قال
ساجتهد لكم رايى واختار لكم خيركم ان شاء الله . قال فخرجوا من عنده ثم
ارسل الى عمر فقال ياعمر احبك محب وابغضك مبغض وقديما يحب الشر ويبغض
الخير فقال عمر لا حاجة لى بها فقال ابو بكر لكن بها اليك حاجة والله ماحبوتك بها
ولكن حبوتها بك ثم قال خذ هذا الكتاب واخرج به الى الناس واخبرهم انه عهدي
وسلهم عن سمعهم وطاعتهم فخرج عمر بالكتاب واعلمهم فقالوا سمعا وطاعة فقال

له رجل مافي الكتاب يا ابا حفص قال لا ادري ولكني اول من سمع واطاع قال لكني والله ادري مافيه امرته عام اول وامرك العام

﴿ ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾

قال ولما توفى ابو بكر وولي عمر قعد في المسجد مقعد الخلافة اتاه رجل فقال يا امير المؤمنين ادنو منك فان لي حاجة قال عمر لا قال الرجل اذا اذهب فيغنيني الله عنك فولى ذاهبا فاتبعه عمر ببصره ثم قام فاخذه بثوبه فقال له ماحاجتك فقال الرجل بغضك الناس وكرهك الناس قال عمر : ولم ويحك فقال الرجل للسانك وعصاك قال فرفع عمر يديه فقال اللهم احببهم الي وحببني اليهم . قال الرجل فما وضع يديه حتى ماعلى الارض احب الي منه. وكان اهل الشام قد بلغهم مرض ابي بكر واستبطؤا الخبر فقالوا انا لنخاف ان يكون خليفة رسول الله قد مات وولى بعده عمر فان كان عمر هو الوالي فليس لنا بصاحب وانا نري خلعه قال بعضهم فابعثوا رجلا ترضون عقله قال فانتخبوا لذلك رجلا فقدم على عمر وقد كان عمر استبطأ خبر اهل الشام فلما اتاه قال له كيف الناس قال سالمون صالحون وهم كارهون لولايتك ومن شرك مشفقون فارسلوني انظر أحلو انت ام مر قال فرفع يديه الى السماء وقال اللهم حببني الي الناس وحببهم الي قال فعمل عمر عشر سنين بعد ابي بكر فوالله مافارق الدنيا حتي احب ولايته من كرهها لقد كانت امارته فتحا واسلامه عزا ونصرا اتبع في عمله سنة صاحبيه وآثارهما كما يتبع الفصيل اثر امه ثم اختار الله له ماعنده

قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال عمر بن ميمون شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فما منعني ان اكون في الصف الاول الا هيبته فكنت في الصف الذي يليه وكان عمر لا يكبر حتى يستقبل الصف المتقدم بوجهه فان رأى رجلا متقدما من الصف اومتاخرا ضربه بالدرة فذلك الذي منعني من التقدم قال فاقبل لصلاة الصبح وكان يغلس بها فعرض له ابو لؤلؤة غلام المغيره بن شعبة فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر وهو يقول دونكم الكلب فانه قد قتلني وماج الناس فخرج عشر رجلا وصاح بعضهم ببعض دونكم

الكعب فشد عليه رجل من خلفه فاحتضنه وماج الناس فقال قائل الصلاة عباد الله طلعت الشمس فدفعت عبد الرحمن بن عوف فصلى باقصر سورتين فى القرآن واحتمل عمر ومات من الذين جرحوا ستة او سبعة وجرى الناس الى عمر فقال يا ابن عباس اخرج فناد في الناس اعن ملا ورضا منهم كان هذا فخرج فنادي فقالوا معاذ الله ماعلمنا ولا اطلعنا قال فاتاه الطبيب فقال اي الشراب احب اليك قال النبيذ فسقوه نبيذ فخرج من بعض طعناته فقال الناس صديد اسقوه لبنا فخرج اللبن فقال الطبيب لا أرى ان تمسى فما كنت فاعلا فافعل فقال لابنه عبد الله ناولني الكتف فلو اراد الله ان يمضى مافيه امضاه فمحاها بيده وكان فيها فريضة الجد ثم دخل عليه كعب الاحبار فقال يا أمير المؤمنين الحق من ربك فلا تكونن من الممترين قد كنت انبأتك انك شهيد قال ومن اين لى بالشهادة وانا بجزيرة العرب ثم جعل الناس يثنون عليه ويذكرون فضله فقال ان من غررتموه لمغرور اني والله وددت ان اخرج منها كفافا كما دخلت فيها والله لو كان لى اليوم ماطلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطلع فقال يا أمير المؤمنين لا باس عليك فقال ان يكن القتل باسا فقد قتلني ابو لؤلؤه قالوا فان يكن ذلك فجزاك الله عنا خيرا فقال لا اراكم تغبطوني بها فوالذى نفس عمر بيده مادري على ماهجم ولوددت انى نجوت منها كفافا لى ولا على فيكون خيرها بشرها ويسلم لى ما كان قبلها من الخير ودخل على ابن ابي طالب فقال ياعلى اعن ملا منكم ورضى كان هذا فقال على ماكان من ملا منا ولا رضى ولوددنا ان الله زادمن اعمارنا في عمرك .قال وكان رأسه في حجر ابنه عبد الله فقال له ضع خدى بالارض فلم يفعل فلحظه وقال ضع خدى بالارض لا ام لك فوضع خده بالارض فقال الويل لعمر ولام عمر ان لم غفر الله لعمر ثم دعا عبدالله بن عباس وكان يحبه ويدنيه ويسمع منه فقال له : يابن عباس انى لا اظن ان لي ذنبا ولكن احب ان تعلم لى اعن ملا منهم ورضى كان هذا فخرج ابن عباس فجعل لا يري ملا من الناس الا وهم يبكون كانما فقدوا اليوم ابصارهم فرجع اليه فاخبره بما راى قال فمن قتلني قال ابو لؤلؤه المجوسى غلام المغيره بن شعبة قال عبد الله فرأيت البشر فى وجهه فقال الحمد لله الذى لم يقتلنى رجل يحاجنى بلا اله الا الله يوم القيامة ثم قال ياعبد الله الالو ان لى ماطلعت عليه الشمس

وما غربت لافتديت به من هول المطلع وما ذاك والحمد لله ان اكون رايت الا خيرا فقال لابن عباس فان يك ذاك يا أمير المؤمنين فجزاك الله عنا خيرا أليس قد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعز الله بك الدين والمسلمون محتسبون بمكة فلما اسلمت كان اسلامك عزاً اعز الله به الاسلام وظهر النبي واصحابه ثم هاجرت الى المدينة فكانت هجرتك فتحا ثم لم تغب عن مشهد شهده رسول الله من قتال المشركين وقال فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ثم قبض رسول الله وهو عنك راض ثم ارتد الناس بعد رسول الله عن الاسلام فوازرت الخليفة على منهاج رسول الله يضربهم من ادبر عن اقبل حتى دخل الناس فى الاسلام طوعا وكرها ثم قبض الخليفة وهو عنك راض ثم وليت بخير ما ولى احد من الناس مصر الله بك الامصار وجبى بك الاموال ونفي بك العدو وادخل الله على اهل كل بيت من المسلمين توسعة فى دينهم وتوسعة فى ارزاقهم ثم ختم الله لك بالشهادة فهنيئاً لك فصب الله الشهادة عليك صباً فقال اتشهد لي بهذا يا عبد الله عند الله يوم القيامة قال نعم فقال عمر اللهم لك الحمد

﴿ تولية عمر بن الخطاب الستة الشورى وعهده اليهم ﴾

قال ثم ان المهاجرين دخلوا على عمر رضي الله عنه وهو فى البيت من جراحته تلك فقالوا يا أمير المؤمنين استخلف علينا قال والله لا احملكم حيا وميتا ثم قال إن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني يعني ابو بكر وان ادع فقد ودع من هو خير مني يعني النبي عليه السلام فقالوا جزاك الله خيرا يا امير المؤمنين فقال ماشاء الله راغبا وددت ان انجو منها لا لى ولا على فلما احس بالموت قال لابنه اذهب الى عائشة واقرئها مني السلام واستاذنها ان اقبر فى بيتها مع رسول الله ومع ابى بكر فأتاها عبد الله بن عمر فأعلمها فقالت نعم وكرامة ثم قالت يا بنى ابلغ عمر سلامى وقل له لا تدع امة محمد بلا راع استخلف عليهم ولا تدعهم بعدك هملا فانى اخشي عليهم الفتنة فاتى عبد الله فاعلمه فقال ومن تأمرني ان استخلف لو ادركت ابا عبيده بن الجراح باقيا استخلفته ووليته فاذا قدمت على ربى فسألني وقال لى من وليت على امة محمد قلت اى ربى سمعت عبدك ونبيك يقول : لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح ولو ادركت معاذ بن جبل استخلفته فاذا قدمت على ربى فسألني

من وليت على امة محمد قلت اى ربى سمعت عبدك ونبيك يقول : ان معاذ بن جبل يأتى بين يدى العلماء يوم القيامة ولو أدركت خالد بن الوليد لوليته فاذا قدمت على ربي فسألنى من وليت على امة محمد قلت اى ربى سمعت عبدك ونبيك يقول: خالد ابن الوليد سيف من سيوف الله سله على المشركين ولكني سأستخلف النفر الذين توفى رسول الله وهو عنهم راض فارسل اليهم فجمعهم وهم على بن ابى طالب وعثمان ابن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن ابن عوف رضوان الله عليهم وكان طلحة غائبا فقال يامعشر المهاجرين الاولين اني نظرت فى امر الناس فلم اجد فيهم شقاقا ولا نفاقا فان يكن بعدي شقاق ونفاق فهو فيكم تشاوروا ثلاثة ايام فان جاءكم طلحة الى ذلك والا فأعزم عليكم بالله ان لا تتفرقوا من اليوم الثالث حتى تستخلفوا احدكم فان اشرتم بها الى طلحة فهو لها اهل وليصل بكم صهيب هذه الثلاثة ايام التي تتشاورون فيها فانه رجل من الموالى لا ينازعكم امركم واحضروا معكم من شيوخ الانصار وليس لهم من امركم شيء واحضروا معكم الحسن بن على وعبد الله بن عباس فان لهما قرابة وارجو لكم البركة فى حضورهما وليس لهما من امركم شيء ويحضر ابنى عبد الله مستشارا وليس له من الامر شيء قالوا يا امير المؤمنين ان فيه للخلافة موضعاً فاستخلفه فانا راضون به فقال : حسب آل الخطاب تحمل رجل منهم الخلافة ليس له من الامر شيء ثم قال يا عبد الله اياك ثم اياك لا تتلبس بها ثم قال ان استقام امر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه وان استقام اربعة واختلف اثنان فاضربوا اعناقهما وان استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا الى ابني عبد الله فلاى الثلاثة قضي والخليفة منهم وفيهم فان ابى الثلاثة الاخر من ذلك فاضربوا اعناقهم. فقالوا قل فينا يا أمير المؤمنين مقالة نستدل فيها برأيك ونقتدى به فقال والله ما يمنعني ان استخلفك يا سعد إلا شدتك وغلظتك مع أنك رجل حرب وما يمنعني منك يا عبد الرحمن الا أنك فرعون هذه الامة وما يمنعني منك يا زبير ألا انك مؤمن الرضا كافر الغضب وما يمنعني من طلحة الا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه فى اصبع امرأته وما يمنعنى منك يا عثمان الا عصبيتك وحبك قومك وما يمنعنى منك يا على الا حرصك عليها وانك احرى القوم ان وليتها ان تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم . اوصي الخليفة منكم بتقوى الله العظيم

واحذره مثل مضجعي هذا واخوفه يوما تبيض فيه وجوه وتسود وجوه يوم تعرضون على الله لا تخفي منكم خافية ثم غشي عليه حتى ظنوا انه تضي فجعلوا ينادونه ولا يفيق من اغمائه فقال قائل ان كان شيء ينبه فالصلاة فقالوا يا أمير المؤمنين الصلاه ففتح عينيه فقال : الصلاة ها الله اذا ولا حظ في الاسلام لمن ترك الصلاة فصلى وجرحه يثعب دما ثم التفت اليهم وقال قد قومت لكم الطريق فلا تعوجوا ثم التفت الى على ابن ابى طالب فقال : لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك وقرابتك وشرفك من رسول الله وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فليستخلفونك فان وليت هذا الامر فاتق الله ياعلى فيه ولا تحمل احدا من بني هاشم على رقاب الناس ثم التفت الى عثمان فقال ياعثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله وسنك وشرفك وسابقتك فيستخلفونك ان وليت هذا الامر فلا تحمل أحدا من بني اميه على رقاب الناس ثم دعا صهيبا فقال : ياصهيب صل بالناس ثلاثة ايام ويجتمع هؤلاء النفر ويتشاورون بينهم اخرجوا عني اللهم الفهم واجمعهم على الحق ولا تردهم على اعقابهم وول امر امة محمد خيرهم فخرجوا من عنده . وتوفي رحمة الله تعالى من يومه ذلك ودفن وصلى عليه صهيب

﴿ ذكر الشوري وبيعة عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾

ثم انه بعد موت عمر اجتمع القوم فحلوا فى بيت أحدهم واحضروا عبد الله ابن عباس والحسن بن على وعبد الله بن عمر فتشاوروا ثلاثة أيام فلم يبرموا فتيلا فلما كان في اليوم الثالث قال لهم عبد الرحمن بن عوف أتدرون أي يوم هذا ؟ هذا يوم عزم عليكم صاحبكم ان لا تتفرقوا فيه حتي تستخلفوا أحدكم قالوا أجل قال فاني عارض عليكم أمراً قالوا وما تعرض قال ان تولونى أمركم واهب لكم نصيبي فيها واختار لكم من انفسكم قالوا قد أعطيناك الذي سألت . فلما سلم القوم قال لهم عبد الرحمن اجعلوا أمركم إلى ثلاث منكم فجعل الزبير أمره إلى على وجعل طلحة امره إلي عثمان وجعل سعد امره إلى عبد الرحمن بن عوف . قال المسور بن مخرمة فقال لهم عبد الرحمن كونوا مكانكم حتي آتيكم وخرج يتلقى الناس فى أنقاب المدينة متلثما لا يعرفه أحد فما ترك أحدا من المهاجرين والانصار وغيرهم من ضعفاء الناس ورعاعهم إلا سألهم واستشارهم أما أهل الرأى فأتاهم مستشيراً

وتلقى غيرهم سائلا يقول : من ترى الخليفة بعد عمر ؟ فلم يلق أحدا يستشيره ولا يسأله إلا ويقول عثمان فلما رأى اتفاق الناس واجتماعهم على عثمان قال المسور جاءني رضي الله عنه عشاء فوجدني نائما فخرجت اليه فقال : الا أراك نائما فوالله ما اكتحلت عيني بنوم منذ هذه الثلاثة ادع لي فلانا وفلانا (نفرا من المهاجرين) فدعوتهم فناجاهم في المسجد طويلا ثم قاموا من عنده تخرجوا ثم دعا عليا فناجاه طويلا ثم قام من عنده على طمع ثم قال ادع لي عثمان فدعوته فناجاه طويلا حتى فرق بينهما الآذان صلاة الصبح فلما صلوا جميعهم فأخذ على كل واحد منهم العهد والميثاق لئن بايعتك لتقيمن كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك من قبلك فأعطاه كل واحد منهم العهد والميثاق على ذلك وأيضاً لئن بايعت غيرك لترضين والتسلمن وليكونن سيفك معي على من أبى فأعطوه ذلك من عهودهم ومواثيقهم فلما تم ذلك أخذ بيد عثمان فقال له عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمن لنا كتاب الله وسنة رسوله وسنة صاحبيك وشرط عمر ان لا تجعل أحداً من بني أمية على رقاب الناس فقال عثمان نعم ثم أخذ بيد علي فقال له : أبايعك على شرط عمر ان لا تجعل أحدا من بني هاشم على رقاب الناس. فقال علي عند ذلك مالك ولهذا اذا جعلتها في عنقي فان علي الاجتهاد لامة محمد حيث علمت القوة والامانة استعنت بها كان في بني هاشم او غيرهم . قال عبد الرحمن : لا والله حتى تعطيني هذا الشرط قال علي والله لا أعطيكه أبدا فتركه فقاموا من عنده فخرج عبد الرحمن إلى المسجد فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : انى نظرت في أمر الناس فلم أراهم يعدلون بعثمان فلا تجعل ياعلي سبيلا إلى نفسك فانه السيف لاغير ثم أخذ بيد عثمان فبايعه وبايع الناس جميعاً . قال فكان عثمان رضى الله عنه ست سنين في ولايته وهو أحب إلى الناس من عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان عمر رجلا شديداً قد ضيق على قريش انفاسها لم ينل أحدا معه من الدنيا شيئاً اعظاماً له واجلالا وتأسياً به واقتداء فلما وليهم عثمان ولي رجل لين قال حسن البصري : شهدت عثمان وهو يخطب وأنا يومئذ قد راهقت الحلم فما رأيت قط ذكرا ولا أنثى اصبح وجهاً ولا احسن نضرة منه فسمعته يقول أيها الناس اغدوا على اعطياتكم فيأخذونها وافية أيها الناس اغدوا على كسوتكم فيغدون فيجاء بالحلل فتقسم بينهم حتى والله سمعت أذناي يامعشر المسلمين اغدوا

على السمن والعسل فيغدون فيقسم بينهم السمن والعسل ثم يقول يا معشر المسلمين اغدوا على الطيب فيغدون فيقسم بينهم الطيب من المسك والعنبر وغيره والمدوان والله منفي والاعطيات دارة والخير كثير وما على الارض مؤمن يخاف مؤمناً من لقي في أي البلدان فهو أخوه وأليفه وناصره و وديه فلم يزل المال متوفراً حتى لقد بيعت الجارية بوزنها ورقا و بيع الفرس بعشرة آلاف دينار و بيع البعير بالف والنخلة الواحدة بالف ثم انكر الناس على عثمان اشياء اشراً و بطراً . قال ابن عمر لقد عيبت عليه اشياء لو فعلها عمر ما عيبت عليه

﴿ ذكر الانكار على عثمان رضي الله عنه ﴾

قال عبد الله بن مسلم حدثنا بن أبي مريم وابن عفير قالا حدثنا بن عون قال أخبرنا الخول بن ابراهيم وابو حمزة الثمالى و بعضهم يزيد على بعض والمعنى واحد فجمعته وألفته على قولهم ومعنى ما ارادوا عن على بن الحسين قال. لما انكر الناس على عثمان بن عفان صعد المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال. اما بعد فان لكل شيء آفة ولكل نعمة عاهة وان آفة هذا الدين وعاهة هذه الملة قوم عيابون طعانون يرونكم ما تحبون و يسرون ما تكرهون اما والله يامعشر المهاجرون والانصار لقد عبتم على أشياء ونقمتم امورا قد أقررتم لابن الخطاب مثلها ولكنه وقمكم وقمعكم ولم يجترىء احد يملأ بصره منه ولا يشير بطرفه اليه . اما والله لانا اكثر من ابن الخطاب عددا واقرب ناصرا واجدر . الى ان قال لهم أتفقدون من حقوقكم شيئاً فمالي لا افعل في الفضل ما اريد فلم كنت اماماً اذاً . اما والله ما عاب على من عاب منكم امرا اجهله ولا اتيت الذى اتيت الا وأنا اعرفه . قال وقدم معاوية بن ابى سفيان على اثر ذلك من الشام فاتى مجلساً فيه على بن ابى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعمار بن ياسر فقال لهم يامعشر الصحابة أوصيكم بشيخي هذا خيرا فوالله لئن قتل بين اظهركم لاملأنها عليكم خيلا ورجالا ثم اقبل على عمار بن ياسر فقال. ياعمار ان بالشام مائة الف فارس كل يأخذ العطا مع مثلهم من ابنائهم وعبدانهم لا يعرفون علياً ولا قرابته ولا عمارا ولا سابقته ولا الزبير ولا صحابته ولا طلحة ولا هجرته ولا يهابون بن عوف ولا ماله ولا يتقون سعدا ولا دعوته فاياك ياعمار ان تقع غداً

في فتنة تنجلي فيقال هذا قال عثمان وهذا قال علي . ثم قبل على ابن عباس فقال: يابن عباس انا كنا واياكم فى زمان لا نرجو فيه ثوابا ولا نخاف عقابا وكنا اكثر منكم فوالله ما طلبناكم ولا قهرناكم ولا اخرجناكم عن مقام تقدمناه حتى بعث الله رسوله منكم فسبق اليه صاحبكم فوالله ما زال يكره شركنا و يتغافل به عنا حتي ولي الأمر علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فأخذ صاحبنا على صاحبكم لسنه ثم غير فنطق ونطق على لسانه فقد اوقدتم نارا لا تطفأ بالماء فقال ابن عباس كنا كما ذكرت حتى بعث الله رسوله منا ومنكم ثم ولى الامر علينا وعليكم ثم صار الامر الينا واليكم فاخذ صاحبكم على صاحبنا لسنه ولما هو افضل من سنه فوالله ما قلنا إلا ما قال غيرنا ولا نطقنا إلا بما نطق به سوانا فتركتم الناس جانباً وصيرتمونا بين ان اقمنا متهمين او نزعنا معتبين وصاحبنا من قد علمتم والله لا يهجهج مهجهج إلا ركبه ولا يرد حوضاً إلا افرطه وقد أصبحت أحب منك ما أحببت واكره ما كرهت ولعلى لا ألقاك إلا في خير.

﴿ ذكر القول والمجادلة لعثمان ومعاوية رضي الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان ابن عباس قال خرجت الا المسجد فانى لجالس فيه مع على حين صليت العصر اذ جاء رسول عثمان يدعو علياً فقال على نعم فلما ان ولى الرسول اقبل على فقال : لم تراه دعانى قلت له دعاك ليكلمك فقال انطلق معي فاقبلت فاذا طلحة والزبير وسعد واناس من المهاجرين فجلسنا فاذا عثمان عليه ثوبان ابيضان فسكت القوم ونظر بعضهم الي بعض فحمد الله عثمان ثم قال : اما بعد فان ابن عمي معاويه هذا قد كان غائباً عنكم وعن مانلتم مني وما عاتبتكم عليه وعاتبتمونى وقد سألني ان يكلمكم وان يكلمه من اراد فقال سعد ابن ابى وقاص : وما عسي ان يقال لمعاوية او يقول الا ما قلت وقيل لك فقال على ذلكم تكلم يامعاوية فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد يامعشر المهاجرين وبقية الشورى فاياكم اعني واياكم اريد فمن اجابنى بشيء منكم واحد فانى لم أرد غيركم . توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع الناس احد المهاجرين التسعة ثم دفنوا نبيهم فأصبحوا سالماً امرهم كان نبيهم بين اظهرهم فلما ايس الرجل من نفسه بايع رجلا من بعده احد المهاجرين فلما احتضر ذلك الرجل شك في واحد ان يختاره فجعلها فى ستة

نفر بقية المهاجرين فاخذوا رجلا منهم لا يالون عن الخير فيه فبايعوه وهم ينظرون الي الذي هو كائن من بعده لا يشكون ولا يمترون . مهلا مهلا معشر المهاجرين فان وراءكم من ان دفعتموه اليوم اندفع عنكم ومن ان فعلتم الذى انتم فاعلوه دفعكم باشد من ركنكم واعد من جمعكم ثم استن عليكم بسنتكم ورأى ان دم الباقي ليس تمتنع بعد دم الماضي فسددوا ورافقوا لا يغلبكم على امركم من حذرتكم . فقال على بن ابى طالب كانك تريد نفسك يا ابن اللخناء لست هنالك فقال معاوية مهلا عن بنت عمك فانها ليست بشر نسائك . يامعشر المهاجرين وولاة هذا الامر ولاكم الله اياه فانتم أهله وهذان البلدان مكة والمدينة مأوى الحق ومنتهاه وانما ينظر التابعون إلى السابقين والبلدان إلى البلدين فان استقاموا استقاموا وأيم الله الذي لا إله إلا هو لئن صفقت احدى اليدين على الاخرى لا يقوم السابقون للتابعين ولا البلدان للبلدين وليسلمن امركم ولينقلن الملك من بين اظهركم . وما أنتم في الناس إلا كالشامة السوداء في الثور الابيض فانى رأيتكم نشبتم فى الطعن على خليفتكم وبطرتم معيشتكم وسفهتم احلامكم وما كل نصيحة مقبولة والصبر على بعض المكروه خير من تحمله كله . قال ثم خرج القوم وامسك عثمان ابن عباس فقال له عثمان يا ابن عمى ويا ابن خالتي فانه لم يبلغنى عنك في امري شيء احبه ولا اكرهه على ولا لى وقد علمت انك رأيت بعض ما رأى الناس فمنعك عقلك وحلمك من ان تظهر ما أظهروا وقد احببت ان تعلمنى رأيك فيما بيني وبينك فاعتذر . قال ابن عباس فقلت يا أمير المؤمنين انك قد ابتليتنى بعد العافية وادخلتنى فى الضيق بعد السعة ووالله ان رأيي لك ان يجل سنك ويعرف قدرك وسابقتك ووالله لوددت انك لم تفعل ما فعلت مما ترك الخليفتان قبلك فان كان شيئاً تركاه لما رأى انه ليس لهما علمت انه ليس لك كما لم يكن لهما وان كان ذلك لهما فتركاه خيفة ان ينال منهما مثل الذي نيل منك تركته لما تركاه له ولم يكونا احق باكرام انفسهما منك باكرام نفسك . قال فما منعك أن تشير على بهذا قبل ان افعل ما فعلت قال وما علمى أنك تفعل ذلك قبل ان تفعل قال فهب لى صمتا حتي ترى رأيي . قال فخرج ابن عباس فقال عثمان لمعاوية : ماترى فان هؤلاء المهاجرين قد استعجلوا القدر ولا بد لهم مما في انفسهم فقال معاوية الرأى أن تأذن لى بضرب اعناق هؤلاء القوم قال

من . قال علي وطلحة والزبير قال عثمان . سبحان الله اقتل اصحاب رسول الله بلا حدث احدثوه ولا ذنب ركبوه قال معاوية فان لم تقتلهم فانهم سيقتلوك قال عثمان لا اكون اول من خلف رسول الله في امته باهراق الدماء قال معاوية فاختر مني احدي ثلاث خصال قال عثمان وما هي قال معاوية ارتب لك ههنا اربعة آلاف من خيل اهل الشام يكونون لك رداء وبين يديك يدا قال عثمان ارزقهم من اين قال من بيت المال قال عثمان ارزق اربعة آلاف من الجند من بيت مال المسلمين لحرز دمي . لا فعلت هذا . قال فثانية قال وماهي قال فرقهم عنك فلا يجتمع منهم اثنان في مصر واحد واضرب عليهم البعوث والندب حتي يكون دبر بعير احدهم اهم عليه من صلاته قال عثمان سبحان الله شيوخ المهاجرين وكبار اصحاب رسول الله وبقية الشورى اخرجهم من ديارهم وافرق بينهم وبين اهلهم وابنائهم لا افعل هذا قال معاوية فثالثة قال وماهي قال اجعل لي الطلب بدمك ان قتلت قال عثمان نعم هذه لك ان قتلت فلا يطل دمي . قال ثم خرج عثمان فصعد المنبر فحمد الله واثني عليه ثم قال : اما بعد أيها الناس ان نصيحتي كذبتني ونفسي منتني وقد سمعت رسول الله يقول : لا تمادوا في الباطل فان الباطل يزداد من الله بعدا من اساء فليتب ومن اخطأ فليتب وانا اول من اتعظ والله لئن ردني الحق عبدا لا تسمن نسب العبيد ولا كونن كالمرقوق الذي ان ملك صبر وان اعتق شكر . ثم نزل فدخل على زوجته نائلة بنت الفرافصة ودخل معه مروان بن الحكم فقال : يا امير المؤمنين اتكلم او اسكت فقالت له نائلة : بل اسكت فوالله لئن تكلمت لتغرنه ولتوبقنه فالتفت اليها عثمان مغضبا فقال اسكتي تكلم يامروان فقال مروان : يا امير المؤمنين انك والله لو قلت الذي قلت وانت في عز ومنعة لتابعتك ولكنك قلت الذي قلت وقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين فأ نقض التوبة ولا تقر بالخطيئة

﴿ ما انكر الناس على عثمان رحمه الله ﴾

قال وذكروا انه اجتمع ناس من اصحاب رسول الله عليه السلام كتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول الله وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس افريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة داراً لنائلة وداراً لعائشة وغيرهما من أهله وبناته وبنيان مروان القصور بذى خشب وعمارة الاموال بها :

من الخمس الواجب لله ولرسوله وما كان من افشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني امية احداث وغلمة لاصحبة لهم من الرسول ولا تجربة لهم بالامور . وما كان من الوليد بن عتبه بالكوفة اذ صلى بهم الصبح وهو اميرعليها سكران اربعة ركعات ثم قال لهم : ان شئتم ان ازيدكم ركعة زدتكم . وتعطيله اقامة الحد عليه وتاخيره ذلك عنه وتركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم واستغني برأيه عن رأيهم وما كان من الحمي الذى حمي حول المدينه وما كان من ادراره القطائع والارزاق والاعطيات على اقوام المدينة ليست لهم صحبة من النبي عليه السلام ثم لا يغزون ولا يذبون وما كان من مجاوزته الخيزران الى السوط وانه اول من ضرب بالسياط ظهور الناس وانما كان ضرب الخليفتين قبلة بالدرة والخيزران ثم تعاهد القوم ليدفعن الكتاب في يد عثمان وكان ممن حضر الكتاب عمار بن ياسر والمقداد بن الاسود وكانوا عشرة فلما خرجوا بالكتاب ليدفعوه الى عثمان والكتاب في يد عمار جعلوا يتسللون عن عمار حتي بقي وحده فمضي حتي جاء دار عثمان فاستاذن عليه فاذن له في يوم شات فدخل عليه وعنده مروان ابن الحكم واهله من بني امية فدفع اليه الكتاب فقرأه فقال له انت كتبت هذا الكتاب قال نعم قال ومن كان معك قال معي نفر تفرقوا فرقاً منك قال ومن هم قال لا اخبرك بهم قال فلم اجترأت على من بينهم فقال مروان ياامير المؤمنين ان ان هذا العبد الاسود (يعني عماراً) قد جرا عليك الناس وانك ان قتلته نكلت به من وراءه قال عثمان اضربوه فضربوه وضربه عثمان معهم حتي فتقوا بطنه فغشي عليه فجروه حتى طرحوه على باب الدار فامرت به ام سلمه زوج النبي عليه السلام فادخل منزلها وغضب فيه بنو المغيرة وكان حليفهم فلما خرج عثمان لصلاة الظهر عرض له هشام بن الوليد بن المغيره فقال اما والله لئن مات عمار من ضربه هذا لاقتلن به رجلا عظيما من بني اميه فقال عثمان لست هناك . قال ثم خرج عثمان الى المسجد فاذا هو بعلي وهو شاك معصوب الراس فقال عثمان والله ياابا الحسن ما ادري اشتهي موتك ام اشتهي حياتك فوالله لئن مت ما احب ان ابقي بعدك لغيرك لانى لاجد منك خلفا ولئن بقيت لاعدم طاغيا يتخذك سلما وعضداً ويعدك كهفا وملجأ لايمنعني منه إلا مكانه منك ومكانك منه فانا منك كالابن

الحق من ابيه ان مات فحمه وان عاش عقه . فاما سلم فنسالم واما حرب فنحارب فلا تجعلني بين السماء والارض فانك والله ان قتلتني لاتجد مني خلفا ولئن قتلتك لااجد منك خلفا ولن يلي امر هذه الامة بادىء فتنة . فقال علي : ان فيما تكلمت به جواباً ولكني عن جوابك مشغول بوجعي فانا اقول كما قال العبد الصالح فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون. قال مروان انا والله اذاً لنكسرن رماحنا ولنقطعن سيوفنا ولا يكون في هذا الامر خير لمن بعدنا فقال له عثمان. اسكت ما انت وهذا فقام اليه رجل من المهاجرين فقال له ياعثمان ارأيت ما حميت من الحمى آلله اذن لكم ام على الله تفترون فقال عثمان انه قد حمى الحمى قبلي عمر لا بل الصدقة وانما زادت فزدت فقام عمرو بن العاص فقال: ياعثمان انك ركبت بالناس نهابير من الامر فتب الى الله يتوبوا فرفع عثمان يديه وقال توبوا الى الله من كل ذنب اللهم إني اول من تاب اليك ثم قام رجل من الانصار فقال ياعثمان ما بال هؤلاء النفر من اهل المدينة يأخذون العطايا ولا يغزون في سبيل الله وانما هذا المال لمن غزا فيه وقاتل عليه إلا من كان من هذه الشيوخ من اصحاب محمد عليه السلام فقال عثمان فاستغفر الله واتوب اليه ثم قال يا اهل المدينة من كان له منكم ضرع فليلحق بضرعه ومن كان له زرع فليلحق بزرعه فانا والله لا نعطي مال الله الا لمن غزا في سبيله الا من كان من هذه الشيوخ من الصحابة .قال فما بال هذا القاعد الشارب لا تقيم عليه الحد (يعني الوليد بن عقبة) فقال عثمان لعلي دونك ابن عمك فاقم عليه الحد فقال علي للحسن قم فاجلده فقال الحسن ما انت وذاك هذا لغيرك قال علي لا ولكنك عجزت وفشلت ياعبد الله بن جعفر قم فاجلده فقام فضربه وعلي يعد فلما بلغ اربعين امسك وقال جلد رسول الله اربعين وابو بكر اربعين وكملها عمر ثمانين وكل سنة

﴿ حصار عثمان رضي الله عنه ﴾

قال وذكروا انه لما اشتد الطعن على عثمان استأذنه علي في بعض بواديه ينتحي اليها فأذن له واشتد الطعن على عثمان بعد خروج علي ورجا الزبير وطلحة ان يميلا اليهما قلوب الناس ويغلبا عليهم واغتنما غيبة علي فكتب عثمان الى علي اذا اشتد الطعن عليه : اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين وارتفع امر الناس في شأني فوق قدره وزعموا انهم لا يرضون دون دمي وطمع في من لا يدفع عن نفسه

وانك لم يفخر عليك كفاخر * ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

وقد كان يقال : اكل السبع خير من افتراس الثعلب. فاقبل على او لي

فان كنت مأكولا فكن خير آكل * والا فأدركني ولما امزق

قال حويطب بن عبد العزى : ارسل الى عثمان حين اشتد حصاره فقال : قد بدالى ان اتهم نفسي لهؤلاء فأت عليا وطلحة والزبير فقل لهم هذا أمركم تولوه واصنعوا فيه ما شئتم فخرجت حتى جئت عليا فوجدت على بابه مثل الجبال من الناس والباب مغلق لا يدخل عليه احد ثم انصرفت فاتيت الزبير فوجدته في منزله ليس ببابه احد فاخبرته بما ارسلني به عثمان فقال قد والله قضى ماعليه أمير المؤمنين هل جئت عليا قلت نعم فلم اخلص اليه . فقمنا جميعاً فاتينا طلحة بن عبيد الله فوجدناه في داره وعنده ابنه محمد فقصصنا عليه ما قال عثمان فقال قد والله قضي ما عليه امير المؤمنين هل جئتم عليا قلنا نعم فلم نخلص اليه فارسل طلحة الى الاشتر فأتاه فقال لي اخبره فأخبرته بما قال عثمان فقال طلحة وقد دمعت عيناه قد والله قضى ما عليه امير المؤمنين فقام الاشتر فقال تبعثون الينا وجاءنا رسولكم بكتابكم وها هو ذا فأخرج كتاباً فيه . بسم الله الرحمن الرحيم من المهاجرين الاولين و بقية الشورى الي من بمصر من الصحابة والتابعين اما بعد ان تعالوا الينا وتداركوا خلافة رسول الله قبل ان يسلبها اهلها فان كتاب الله قد بدلا وسنة رسوله قد غيرت واحكام الخليفتين قد بدلت فننشد الله من قرأ كتابنا من بقية اصحاب رسول الله والتابعين باحسان الا اقبل الينا واخذ الحق لنا واعطاناه فاقبلوا الينا ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر واقيموا الحق على المنهاج الواضح الذى فارقتم عليه نبيكم وفارقكم عليه الخلفاء غلبنا على حقنا واستولى على فيئنا وحيل بيننا و بين امرنا وكانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة ورحمة وهى اليوم ملكا عضودا من غلب على شيء اكله . أليس هذا كتابكم الينا ؟ فبكى طلحة فقال الاشتر لما حضرنا اقبلتم تعصرون اعينكم والله لا نفارقه حتي نقتله وانصرف. قال ثم كتب عثمان كتابا بعثه مع نافع بن طريف الي اهل مكة ومن حضر الموسم يستغيثهم فوافى به نافع يوم عرفة بمكة وابن عباس يخطب وهو يومئذ على الناس كان قد استعمله عثمان على الموسم فقام نافع ففتح الكتاب فقرأه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عثمان امير المؤمنين الي من حضر الحج من المسلمين

اما بعد فاني كتبت اليكم كتابي هذا وانا محصور اشرب من بئر القصر ولا آكل من الطعام ما يكفيني خيفة ان تنفد ذخيرتي فأموت جوعاً انا ومن معي لا ادعي الى توبة اقبلها ولا تسمع مني حجة اقولها فانشد الله رجلا من المسلمين بلغه كتابي الاقدم علي فأخذ الحق في ومنعني من الظلم والباطل. قال ثم قام ابن عباس فأتم خطبته ولم يعرض لشيء من شأنه. وكتب الى اهل الشام عامة والى معاوية واهل دمشق خاصة: اما بعد فاني في قوم طال فيهم مقامي واستعجلوا القدر في وقد خيروني بين ان يحملوني على شارف من الابل الدخيل وبين ان انزع لهم رداء الله الذي كساني وبين ان اقيدهم ممن قتلت ومن كان على سلطان يخطىء ويصيب فياغوثاه ياغوثاه ولا امير عليكم دوني فالعجل العجل يامعاوية وادرك ثم ادرك وما اراك تدرك.

﴿ ولاية محمد بن ابي بكر على مصر ﴾

قال وذكروا ان اهل مصر جاؤا يشكون ابن ابي سرح عاملهم فكتب اليه عثمان كتابا يتهدده فيه فأبى ابن ابي سرح ان يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من اتاه من قبل عثمان من اهل مصر حتى قتله فخرج من اهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا في المسجد وشكوا الى اصحاب رسول الله في مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن ابي سرح فقام طلحة فتكلم بكلام شديد وارسلت عائشة الى عثمان فقالت له قد تقدم اليك اصحاب رسول الله وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت إلا واحدة فهذا قد قتل منهم رجلا فانصفهم من عاملك. ودخل عليه علي وكان متكلم القوم فقال له انما يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم فان وجب لهم عليه حق فانصفهم منه فقال اختاروا رجلا اوليه عليهم فقالوا استعمل محمد بن ابي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معه عدد من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين ابن ابي سرح واهل مصر فخرج محمد ومن معه حتى اذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة فاذا هم بغلام اسود على بعير يخبط البعير كأنه رجل يطلب او يطلب فقال له اصحاب محمد ما قصتك وما شأنك كأنك طالب او هارب فقال انه غلام امير المؤمنين وجهني الى عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر معنا قال ليس هذا أريد فاخبر محمد بامره فبعث في طلبه رجلا فجاء به اليه فقال له غلام من انت فاقبل مرة يقول انا غلام مروان ومرة يقول انا غلام أمير المؤمنين حتى عرف رجل انه لعثمان فقال له محمد الى من ارسلك قال الى عامل مصر قال بماذا قال

اما معك كتاب قال لا فنتشوه فلم يجدوا معه كتابا قال وكانت معه اداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل حركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا اداوته فاذا فيها كتاب من عثمان الى عبد الله بن ابي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجرين والانصار ثم فك الكتاب بمحضر منهم فقرأه فاذا فيه : اذا اتاك محمد بن ابي بكر وفلان وفلان فاقتلهم وابطل كتابهم واقر على عملك حتى يأتيك رأيي فلما رأوا الكتاب فزعوا منه ورجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه ودفعه الى رجل منهم ثم قدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا ومن كان من اصحاب رسول الله ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم واخبرهم بقصة الغلام واقرأهم الكتاب فلم يبق احد من اهل المدينة الا حنق على عثمان وقام اصحاب النبي فلحقوا بمنازلهم وحصر الناس عثمان واحاطوا به ومنعوه الماء والخروج ومن كان معه واجلب عليه محمد ابن ابي بكر

﴿ حصار اهل مصر والكوفة عثمان رحمه الله ﴾

قال وذكروا ان أهل مصر اقبلوا الى علي فقالوا الم تر عدو الله ماذا كتب فينا قم معنا اليه فقد احل الله دمه فقال علي لا والله لا اقوم معكم قالوا فلم كتبت الينا قال ما كتبت اليكم كتابا قط فنظر بعضهم الى بعض ثم اقبل الاشتر النخعي من الكوفة في الف رجل واقبل ابن ابي حذيفة من مصر في اربعمائة رجل فأقام اهل الكوفة واهل مصر بباب عثمان ليلا ونهارا وطلحة يحرض الفريقين جميعا على عثمان ثم ان طلحة قال لهم ان عثمان لا يبالي ما حصرتموه وهو يدخل اليه الطعام والشراب فامنعوه الماء ان يدخل عليه .

﴿ مخاطبة عثمان من اعلى القصر طلحة واهل الكوفة وغيرهم ﴾

قال وذكروا ان عثمان لما منع الماء صعد على القصر واستوى في اعلاه ثم نادى اين طلحة فاتاه فقال يا طلحة اما تعلم ان بئر رومة كانت لفلان اليهودي لا يسقي احدا من الناس منها قطرة الا بثمن فاشتريتها باربعين الفا فجعلت رشائي فيها كرشاء رجل من المسلمين لم استأثر عليهم ؟ قال نعم ! قال فهل تعلم ان احدا يمنع ان يشرب منها اليوم غيري لم ذلك قال لانك بدلت وغيرت . قال فهل تعلم ان رسول الله قال من اشترى هذا البيت وزاده في المسجد فله به الجنة فاشتريته بعشرين الفا وادخلته

في المسجد قال طلحة نعم قال فهل تعلم اليوم احدا يمنع فيه من الصلاة غيري قال لا قال لم قال لانك غيرت وبدلت ثم انصرف عثمان وبعث الى علي يخبره انه منع من الماء ويستغيث به فبعث اليه على ثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه فقال طلحه ما انت وهذا وكان بينهما في ذلك كلام شديد فبيناهم كذلك اذ اتاهم آت فقال لهم ان معاويه قد بعث من الشام يزيد بن اسيد مدداً لعثمان في اربعة آلاف من خيل الشام فاصنعوا ما انتم صانعون والا فانصرفوا وكان معه في الدار مائة رجل ينصرونه منهم عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم والحسن بن علي وعبدالله بن سلام وابو هريرة فلما سمع القوم اقبال اهل الشام قاموا فالهبوا النار بباب عثمان فلما نظرا اهل الدار الى النار نصبوا للقتال وتهيئوا فكره ذلك عثمان قال لا اريد ان تهرق في محجمة دم وقال لجميع من في الدار انتم في حل من بيعتي لا احب ان يقتل فى احد وكان فيهم عبد الله بن عمر فقال يا امير المؤمنين مع من تامرني اكون ان غلب هؤلاء القوم عليك قال عليك بلزوم الجماعة قلت فان كانت الجماعة هي التي تغلب عليك قال عليك بلزوم الجماعة حيث كانت قال ثم دخل عليه الحسن بن علي فقال مرني بما شئت فاني طوع يديك فقال له عثمان ارجع يا بن اخي اجلس في بيتك حتى يأتي الله بامره ثم دخل عليه ابو هريرة متقلدا سيفه فقال طاب الضراب يا امير المؤمنين قد قتلوا منا رجلا وقد الهموا النار فقال عثمان عزمت عليك يا ابا هريرة الا القيت سيفك قال ابو هريرة فالقيته فلا ادري من اخذه قال ودخل المغيرة بن شعبة فقال له يا امير المؤمنين ان هؤلاء قد اجتمعوا عليك فان احببت فالحق بمكة وان احببت ان نخرق لك بابا من الدار فتلحق بالشام ففيها معاوية وانصارك من اهل الشام وان ابيت فاخرج ونخرج ونحاكم القوم الى الله تعالى فقال عثمان اما ما ذكرت من الخروج الى مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يلحد بمكة رجل من قريش عليه نصف عذاب هذه الامة من الانس والجن فلن اكون ذلك الرجل ان شاء الله واما ما ذكرت من الخروج الى الشام فان المدينة دار هجرتي وجوار قبر النبي عليه السلام فلا حاجة لي في الخروج من دار هجرتي واما ماذكرت من محاكمة هؤلاء القوم الى الله فلن اكون اول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته باهراق الدم ثم قال اني رايت ابا بكر وعمر اتياني الليلة فقالا لي صم فانك مفطر عندنا الليلة واني اصبحت صائما

وانى اعزم ماكان يؤمن بالله واليوم الآخر الا خرج من الدار سالما فقالوا انا ان اخرجنا لم نامن على انفسنا منهم فاذن لنا فنكون في موضع من الدار فلما راى ذلك على بعث لى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من اصحاب محمد كلهم بدرى ثم دخلوا على عثمان ومعهم الكتاب والغلام والبعير فقال على الغلام غلامك والبعير بعيرك فقال نعم قال فانت كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت ولا أمرت ولا علمت فقال فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وكتاب عليه خاتمك لا تعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا وجهت ولا أمرت فشك القوم فى امر عثمان وعلموا انه لا يحلف بباطل فقال قوم منهم لا يبرأ عثمان عن قلوبنا الا ان يدفع الينا مروان حتي نعرف كيف يأمر بقتل رجال من اصحاب رسول الله وقطع ايديهم بغير حق فان كان عثمان كتبه عزلناه وان كان مروان كتبه نظرنا فى امره وما يكون في أمر مروان فانصرفوا القوم ولزموا بيوتهم وابى عثمان ان يخرج لهم مروان وخشي عليه القتل فبلغ عليا ان عثمان يراد قتله انما اردنا مروان فأما قتل عثمان فلا ثم قال للحسن والحسين اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان ولا تدعا احدا يصل اليه وبعث الزبير ابنه على كره وبعث طلحة ابنه كذلك وبعث عدة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ابناءهم يمنعون الناس يدخلون على عثمان ويسألونه ان يخرج مروان فاشرف عليهم عثمان من اعلى القصر فقال : يا معشر المسلمين اذكركم الله ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب دار بني فلان ليوسع بها للمسلمين فى مساجدهم فاشتريتها من خالص مالى وانتم اليوم تمنعونى ان اصلى فيه اذكركم الله يامعشر المسلمين الستم تعلمون ان بئر رومة كانت تباع القربة منها بدرهم فاشتريتها من خالص مالى فجعلت رشائي كرشاء واحد من المسلمين وانتم تمنعونى ان اشرب من مائها وانما اشتريتها حتي انى ما أفطر الا على ماء البحر الستم تعلمون انكم نقمتم على اشياء فاستغفرت الله وتبت اليه منها وتزعمون انى غيرت وبدلت فابعثوا على شاهدين مسلمين والا فاحلف بالله الذى لا اله الا هو ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا اطلعت عليه. ياقوم لا لايجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح ياقوم لا تقتلونى فانكم ان قتلتموني كنتم هكذا وشبك بين اصابعه ياقوم ان الله رضي لكم السمع والطاعة وحذركم المعصية والفرقة فاقبلوا نصيحة الله واحذروا عقابه فانكم ان فعلتم الذى أنتم فاعلون لاتقوم الصلاة جميعا او يسلط عليكم عدوكم وانى اخبركم ان قوما اظهروا

للناس انهم انما يدعونني الى كتاب الله والحق فلما عرض عليهم الحق رغبوا عنه وتركوه وطال عليهم عمري واستعجلوا القدر بي وقد كانوا كتبوا اليكم انهم قد رضوا بالذي أعطيتهم ولا اعلم أني تركت من الذي عاهدتهم عليه شيئا وكانوا زعموا انهم يطلبون الحدود وترك المظالم وردها الى اهلها فرضيت بذلك وقالوا يؤمر عمرو بن العاص وعبد الله بن قيس ومثلهما من ذوي القوة والامانة وكل ذلك فعلت فلم يرضوا وحالوا بيني وبين المسجد وابتزوا ما قدروا عليه بالمدينة وهم يخيروني بين احدى ثلاث اما ان يقيدوني بكل رجل اصبت خطأ او عمدا واما ان اعتزل عن الامر فيؤمروا احداً واما ان يرسلوا الى من اطاعهم من الجنود واهل الامصار فارسلوا اليكم فأبيتم لتبتزوني من الذي جعل الله لى عليكم من السمع والطاعة فسمعتم منهم واطعتموهم والطاعة لى عليكم دونهم فقلت لهم اما اقادة من نفسي فقد كان قبلي خلفا ومن يتولى السلطان يخطيء ويصيب فلم يستقد من احد منهم وقد علمت انهم يريدون ذلك نفسي واما ان اتبرأ من الامر فان يصلبوني احب الي من ان اتبرأ من جنة الله تعالى وخلافته بعد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لي يا عثمان ان الله تعالى سيقمصك قميصاً بعدي فان أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني ولم اكن استكرهتهم من قبل على السمع والطاعه ولكن اتوها طائعين يبتغون بذلك مرضاة الله وصلاح الامة ومن يكن منهم يبتغي الدنيا فلن ينال منها الا ما كتب له فاتقوا الله فاني لا رضي لكم ان تنكثوا عهد الله واني انشدكم الله والاسلام ان لا تأخذوا الحق ولا تعطوه مني وما ابرىء نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي واني عاقبت اقواما وما ابتغي بذلك الا الخير واني اتوب الى الله من كل عمل عملته واستغفره . اما والله لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يحل دم امرىء مسلم الا في احدي ثلاث الردة عن الاسلام والزنا بعد الاحصان ولا والله ما كان ذلك مني في جاهلية ولا اسلام او رجل قتل رجلا فيقاد به . فقال بعضهم انه لا يقول مقالا وقال آخر لئن سمعت منه ليضرفنكم فابوا ورموه بالسهام واستقبلوه بما لا يستقبل مثله ثم اشرف عليهم عبد الله بن سلام وكان من اهل الدار فقال يامعشر من حاصر دار عثمان من المهاجرين والانصار ممن انعم الله عليهم بالاسلام لا تقتلوا عثمان فوالله ان حقه على كل مؤمن كحق الوالد على ولده ووالله ان على حوائط المدينة اثني عشر الف ملك منذ امد الله بهم نبيكم صلى الله عليه وسلم ووالله لئن قتلتموه

ليدخلن عليكم ربكم ولتتفرقن ملا نكتكم وليقتلن بقتله اقواماً هم في الاصلاب والارحام وما خلقوا . وانى لاجده فى التوراة التى انزل الله على موسى عليه السلام وكتب بيده عز وجل اليكم بالعبراني وبالعربى خليفتكم المظلوم الشهيد والذى نفسي بيده لئن قتلتموه لا تؤدى بعده طاعة الاعن مخافة ولا توصل رحم عن مكافأة وليقتلن به الرجال ومن فى الاصلاب فقالوا له ايا يهودى اشبع بطنك وكسي ظهرك والله لا ينطح فيه شاتان ولا يتناقر فيه ديكان فقال اما الشاتان والديكان فصدقتم ولكن التيسان الاكبران يتناطحان فيه فضربوه ورموه حتى شجوه فالتفت الى عثمان فقال له زعموا انك اشبعت وكسوت ظهرى فاصبر ياأمير المؤمنين فوالذى نفسي بيده انى اجدك فى كتاب الله تعالى المنزل الخليفة المظلوم الشهيد فرميت بالسهام من كل جانب وكان الحسن بن على حاضراً فأصابه سهم فخضبه الدم واصاب مروان بسهم وهو فى الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى على فخشي محمد بن ابى بكر ان يغضب بنو هاشم للحسن فيثيرونها فتنة .

﴿ قتل عثمان رضي الله عنه وكيف كان ﴾

وذكروا أن محمد بن ابى بكر لما خرج الحسن بن على اخذ بيد رجلين فقال لهما ان جاءت بنو هاشم فرأوا الدماء على وجه الحسن كشفوا الناس عن عثمان وبطل ماتريدون ولكن قوموا حتى نتسور عليه فنقتله من غير ان يعلم احد فتسور هو وصاحباه من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان وما يعلم أحد ممن كان معه لان كل من معه كان فوق البيت ولم يكن معه الا امرأته فدخل عليه محمد بن ابى بكر فصرعه وقعد على صدره واخذ بلحيته وقال يانعثل ما اغنى عنك معاوية وما اغنى عنك بن عامر وابن ابى سرح فقال له عثمان : لو رآنى ابوك رضى الله عنه لبكانى ولساءه مكانك منى فتراخت يده عنه وقام عنه وخرج فدعا عثمان بوضوء فتوضأ واخذ مصحفا فوضعه فى حجره ليتحرم به ودخل عليه رجل من أهل الكوفة بمشقص فى يده فوجأ بها منكبه مما يلى الترقوة فادماه ونضح الدم على ذلك المصحف وجاء آخر فضربه برجله وجاء آخر فوجاه بقائم سيفه فغشى عليه ومحمد ابن ابى بكر لم يدخل مع هؤلاء فتصايح نساؤه ورش الماء على وجهه فأفاق فدخل محمد بن ابى بكر وقد أفاق فقال له اى نعثل غيرت وبدلت وفعلت ثم دخل رجل من اهل مصر فاخذ بلحيته فنتف منها خصلة وسلّ سيفه وقال افرجوا لي فعلاه بالسيف فتلقاه عثمان بيده

فقطعها فقال عثمان اما والله انها اول يد خطت المفصل وكتبت القرآن . ثم دخل رجل ازرق قصير مجدور ومعه جزر من حديد فمشي اليه فقال على اى ملة انت يانعثل فقال لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان وانا على ملة ابراهيم حنيفا وما انا من المشركين قال كذبت وضربه بالجزر على صدغه الايسر فقتله الدم وخر على وجهه وحالت نائلة بنت الفرافصة زوجته بينه وبينه وكانت جسيمة والقت بنت شيبة نفسها عليه ودخل عليه رجل من اهل مصر ومعه سيف مصلت فقال والله لاقطعن أنفه فعالج امرأته عنه فكشف عنها درعها فلما لم يصل اليه ادخل السيف بين قرطها ومنكبها فضربت على السيف فقطع أناملها فقالت يارباح غلام لعثمان اسود ومعه سيف أعن عنى هذا فضربه الاسود فقتله ثم دخل الاخر معه سيف فقال افرجوا لى فوضع ذباب السيف في بطن عثمان فامسكت نائلة زوجته السيف فحز أصابعها ومضى السيف فى بطن عثمان فقتله فخرجت امرأته وهى تصيح وخرج القوم هاربين من حيث دخلوا فلم يسمع صوت نائلة لما كان فى الدار من الجلبة فصعدت امرأته الى الناس فقالت ان امير المؤمنين قد قتل فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مقتولا قد مثل به فاكبوا عليه يبكون وخرجوا فدخل الناس فوجدوه مقتولا فبلغ عليا الخبر وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم فدخلوا عليه واسترجعوا واكبوا عليه يبكون ويعولون حتي غشي على على ثم افاق فقال لابنيه كيف قتل اميرالمؤمنين وانتما على الباب فرفع يده فضرب الحسن والحسين وشتم محمد ابن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير وخرج على وقد سلب عقله لايدري مايستقبله من امره فقال طلحة مالك يا ابا الحسن ضربت الحسن والحسين فقال ياطلحه يقتل امير المؤمنين ولم تقم عليه بينة ولا حجة فقال طلحه لو دفع مروان لم يقتل فقال على لو دفع مروان قتل قبل ان تقوم عليه حكومة فخرج على فاتى منزله وأغلق الباب . وكتبت نائلة بنت الفرافصة الى معاوية تصف دخول القوم على عثمان واخذ المصحف ليتحرم به وما صنع محمد بن ابى بكر وارسلت بقميص عثمان مضرجا بالدم ممزقا وبالخصلة التي نتفها محمد بن ابى بكر من لحيته فعقدت الشعر فى زر القميص ثم دعت النعمان بن بشير الانصارى فبعثته الى معاوية ومضي بالقميص حتى انى على يزيد بن اسيد ممدا لعثمان بعثه معاوية فى اربعة الاف فأخبرهم بقتل عثمان فانصرفوا الى الشام قال ثم دخل اهل مصر الدار فلما راوا عثمان مقتولا ندموا واستحيوا وكره

اكثرهم ذلك وثار اهل الدار في وجوههم فاخرجوهم منها ثم اقتتلوا عند الباب فضرب مروان بالسيف فصرع

﴿ دفن عثمان بن عفان رضى الله عنه ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن ازهر قال لم أكن دخلت في شيء من امر عثمان لا عليه ولا له فاني جالس بفناء دارى ليلا بعد ماقتل عثمان الليلة اذ جاءنى المنذر بن الزبير فقال ان اخي يدعوك فقمت اليه فقال لى انا اردنا ان ندفن عثمان فهل لك قلت والله مادخلت فى شيء من شأنه وما اريد ذلك فانصرفت عنه ثم اتبعته فاذا هو في نفر فيهم جبير بن مطعم وابو الجهم بن حذيفة والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن ابى بكر وعبد الله بن الزبير فاحتملوه على باب وان راسه ليقول طق طق فوضعوه فى موضع الجنائز فقام اليهم رجال من الانصار فقالوا لهم لا والله لا تصلون عليه فقال أبو الجهم الا تدعون نصلى عليه فقد صلى الله تعالى عليه وملائكته فقال له رجل منهم ان كنت فأدخلك الله مدخله فقال له حشرنى الله معه فقال له ان الله حاشرك مع الشياطين والله ان تركناكم به لعجز منا فقال القوم لابى الجهم اسكت عنهم وكف فسكت فاحتملوه ثم انطلقوا مسرعين كانى اسمع وقع رأسه على اللوح حتي وضعوه فى ادنى البقيع فاتاهم جبلة بن عمرو الساعدى من الانصار فقال لا والله لا تدفنوه في بقيع رسول الله ولا نترككم تصلون عليه : فقال ابو الجهم انطلقوا بنا ان لم نصل عليه فقد صلى الله عليه فخرجوا ومعهم عائشة بنت عثمان معها مصباح في حق حتى اذا اتوا به جسر كوكب حفروا له حفرة ثم قاموا يصلون عليه وأمهم جبير بن مطعم ثم دلوه في حفرته فلما رأته ابنته صاحت فقال ابن الزبير والله لئن لم تسكتي لاضربن الذي فيه عينيك فدفنوه ولم يلحدوه بلبن وحثوا عليه التراب حثواً

﴿ بيعة على بن ابى طالب كرم الله وجهه وكيف كانت ﴾

قال وذكروا انه لما كان في الصباح اجتمع الناس في المسجد وكثر الندم والتأسف على عثمان رحمه الله وسقط في ايديهم واكثر الناس على طلحة والزبير واتهموهما بقتل عثمان فقال الناس لهما ايها الرجلان قد وقعتما فى امر عثمان فخليا عن انفسكما فقام طلحة فحمد الله واثني عليه ثم قال ايها النـاس انا والله ما نقول اليوم الا ماقلناه أمس ان عثمان خلط الذنب بالتوبة حتي كرهنا ولايته وكرهنا ان نقتله وسرنا ان نكفاه وقد كثر فيه اللجاج وامره الى الله ثم قام الزبير فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان الله قد رضي لكم

الشورى فاذهب بها الهوي وقد تشاورنا فرضينا عليا فبايعوه واما قتل عثمان فانا نقول فيه ان امره الى الله وقد احدث احداثا والله وليه فيما كان . فقام الناس فأتوا عليا في داره فقالوا نبايعك فمد يدك لا بد من امير فانت احق بها فقال ليس ذلك اليكم انما هو لاهل الشورى واهل بدر فمن رضي به اهل الشورى واهل بدر فهو الخليفة فنجتمع وننظر في هذا الامر فابى ان يبايعهم فانصرفوا عنه وكلم بعضهم بعضا فقالوا يمضي قتل عثمان فى الافاق والبلاد فيسمعون بقتله ولا يسمعون انه بويع لاحد بعده فيثور كل رجل منهم في ناحية فلا نأمن ان يكون فى ذلك الفساد . فارجعوا الى على فلا تتركوه حتى يبايع فيسير مع قتل عثمان بيعة على فيطمئن الناس ويسكنون فرجعوا الى على وترددوا الى الاشتر النخعي فقال لعلى ابسط يدك نبايعك فقال له مثل ما قال لهم فقال الاشتر والله لتمدن يدك لنبايعك او لتعصرن عينك عليها ثالثة ولم يزل به يكلمه ويخوفه الفتنة ويذكر مثله انه ليس احد يشبهه فمد يده فبايعه الاشتر ومن معه ثم اتو طلحة فقالوا له اخرج فبايع قال من؟ قالوا عليا قال تجتمع الشورى وننظر فقالوا اخرج فبايع فامتنع عليهم فجاؤا به يلببونه فبايعه بلسانه ومنعه يده فقال ابوثور كنت فيمن حاصر عثمان وكنت آخذ سلاحي وأضعه وعلى ينظر الي لا يأمرني ولا ينهاني فلما كانت البيعة له خرجت في اثره والناس حوله يبايعونه فدخل حائطاً من حيطان بني مازن فألجؤه إلى نخلة وحاولوا بيني و بينه فنظرت اليهم وقد أخذت ايدى الناس ذراعه تختلف ايديهم على يده ثم اقبل إلى المسجد الشريف وكان اول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت اصابعه شلا فتطير منها على فقال ما اخلقها ان تنكث ثم بايعه الزبير وسعد واصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً ثم نزل فدعا الناس وامر بطلب مروان فهرب منه وطلب نفرا من بني أمية وابن ابى معيط فهربوا وخرجت عائشة باكية تقول قتل عثمان رحمه الله فقال لها عمار بالامس تحرضين عليه الناس واليوم تبكينه ثم جاء على الى امرأة عثمان فقال لها من قتل عثمان قالت لا ادرى دخل عليه رجال لا اعرفهم إلا ان اري وجوههم وكان معهم محمد بن ابى بكر فدعا على محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد صدقت قد والله دخلت عليه فذكر لي ابى فقمت عنه وأنا تائب الى الله تعالى والله ما قتلته ولا امسكته فقالت صدق ولكن هو ادخلهم ثم قال ثم خرج طلحة فلقى عائشة فقالت له ماصنع الناس قال قتلوا عثمان قالت ثم ماصنعوا قال بايعوا علياً ثم اتوني فاكرهوني ولببوني حتي بايعت قالت وما لعلى يستولى على رقابنا لا ادخل المدينة ولعلى فيها سلطان

فرجعت وكان الزبير خارجا لم يشهد قتل عثمان وكان عمرو بن العاص بفلسطين يوم قتل عثمان فطلع عليه راكب من الحجاز فقال ماوراءك قال تركت عثمان محصورا فقال عمرو قد يضرط البعير والمكواة في النار ثم لبث اياما فطلع عليه راكب آخر فقال له عمرو ما الخبر قال قتل عثمان قال فما فعل الناس فقال بايعوا عليا قال فما فعل علي في قتلة عثمان قال دخل عليه الوليد بن عقبة فسأله عن قتله فقال ما امرت ولا نهيت ولا سرني ولا ساءني قال فما فعل بقتلة عثمان فقال آوى ولم يرض وقد قال له مروان ان لا تكن امرت فقد توليت الامر وان لا تكن قتلت فقد آويت القاتلين فقال عمرو بن العاص خلط والله ابو الحسن قال ثم كتب عمرو بن العاص إلى سعد بن ابي وقاص يسأله عن قتل عثمان ومن قتله ومن تولى كبره فكتب اليه سعد: انك سألتني من قتل عثمان واني اخبرك انه قتل بسيف سلته عائشة وصقله طلحة وسمه ابن ابي طالب وسكت الزبير واشار بيده وامسكنا نحن ولو شئنا دفعناه عنه ولكن عثمان غير وتغير واحسن واساء فان كنا احسنا فقد احسنا وان كنا اسأنا فنستغفر الله واخبرك ان الزبير مغلوب بغلبة اهله وبطلبه بذنبه وطلحة لو يجد ان يشق بطنه من حب الامارة لشقه قال وكان ابن عباس غائبا بمكة المشرفة فأقبل الى المدينة وقد بايع الناس عليا قال ابن عباس فوجدت عنده المغيرة بن شعبة فجلست حتي خرج ثم دخلت عليه فسألني وسألته ثم قلت له ما قال لك الخارج من عندك آنفا قال قال لي قبل هذه الدخلة ارسل الى عبد الله بن عامر بعهده على البصرة والى معاوية بعهده على الشام فانك تهدىء عليك البلاد وتسكن عليك الناس ثم اتاني الآن فقال لي اني كنت أشرت عليك برأيي لم اتعقبه فلم أرى ذلك رايا واني اري ان تنبذ اليهما العداوة فقد كفاك الله عثمان وهما اهون موتة منه فقال له ابن عباس اما المرة الاولى فقد نصحك فيها واما الثانية فقد غشك فيها قال فاني قد وليتك الشام فسر اليها قال قلت ليس هذا براي اتري معاوية وهو ابن عم عثمان مخليا بيني وبين عمله ولست آمن ان اظفر بى ان يقتلني بعثمان وادني ماهو صانع ان يحبسني ويحكم علي ولكن اكتب الي معاوية فمنه وعده فان استقام لك الامر فابعثني قال ثم ارسل بالبيعة الى جميع الامصار فجاءته البيعة من كل مكان الا الشام فانه لم يأته منها بيعة.

فأرسل الي المغيرة بن شعبة فقال له سر الي الشام فقد وليكتها قال تبعثني الى معاوية وقد قتل ابن عمه ثم آتيه واليا فيظن اني من قتلة ابن عمه ولكن ان شئت ابعث اليه بعهده فانه بالحري اذا بعثت له بعهده يسمع ويطيع فكتب علي الي معاوية: اما

بعد فقد وليتك ما قبلك من الامر والمال فبايع من قبلك ثم اقدم الى فى الف رجل من اهل الشام فلما اتي معاوية كتاب على دعا بطومار فكتب فيه من معاوية الى على : اما بعد فانه

ليس بيني و بين قيس عتاب * غير طعن الكلى وضرب الرقاب

فلما اتي علياً الكتاب وراي ما هو مشتمل عليه كره ذلك وقام فاتي منزله فدخل عليه الحسن ابنه فقال له : اما والله قد كنت امرتك فعصيتني فقال له على وما امرتني به فعصيتك فيه قال امرتك ان تركب رواحلك فتلحق بمكة المشرفة فلا تقوم به ولا تحل شيئاً من امره فعصيتني وامرتك حين دعيت الى البيعة ان لا تبسط يدك الا على بيعة جماعة فعصيتني وامرتك حين خالف عليك طلحة والزبير ان لا تكرهما على البيعة وتخلي بينهما وبين وجههما وتدع الناس يتشاورون عاما كاملا فوالله لو تشاوروا عاما ما زويت عنك ولا وجدوا منك بدا وانا آمرك اليوم ان تقيلهما بيعتهما وترد الى الناس امرهم فان رفضوك رفضتهم وان قبلوك قبلتهم فاني والله قد رايت الغدر في رؤسهم وفي وجوههم النكث والكراهية . فقال له على اذا اذاً مثلك لا والله يابني ولكن اقاتل بمن اطاعني من عصاني وايم الله يا بني مازلت مبغيا على منذ هلك جدك فقال له الحسن وايم الله يا ابتي ليظهرن عليك معاوية لانه من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا فقال على يا بني وما علينا من ظلمه والله ما ظلمناه ولا امرنا ولا نصرنا عليه ولا كتبت فيه الي احد سواداً في بياض وانك لتعلم ان اباك ابرا الناس من دمه ومن امره فقال له الحسن . دع عنك هذا والله اني لا اظن بل لا اشك ان ما بالمدينة عاتق ولا عذراء ولا صبي الا وعليه كفل من دمه فقال يا بني انك لتعلم ان اباك قد رد الناس عنه مراراً اهل الكوفة وغيرهم وقد ارسلتكما جميعا بسيفيكما لتنصرانه وتموتان دونه فنهاكما عن القتال ونهى اهل الدار اجمعين وايم الله لو امرني بالقتال لقاتلت دونه او امرت بين يديه قال الحسن دع عنك هذا حتى يحكم الله بين عباده يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ،

قال ثم دخل المغيرة بن شعبة فقال له على اهلك يا مغيرة فى الله قال فأين هو ياامير المؤمنين قال تاخذ سيفك فتدخل معنا في هذا الامر فتدرك من سبقك وتسبق من معك فاني ارى اموراً لا بد للسيوف ان تشحذ لها وتقطف الرؤس بها فقال المغيرة اني والله ياامير المؤمنين ما رايت عثمان مصيبا ولا قتله صوابا وانها لظلمة تتلوها ظلمات فاريد ياامير المؤمنين ان اذنت لى ان اضع سيفي وانام في بيتي حتى تنجلي الظلمة

ويطلع قمرها فتسري مبصرين نقفوا آثار المهتدين ونتقي سبيل الجائرين قال علي قد أذنت لك فكن من امرك على ما بدالك . فقام عمار فقال معاذ الله يامغيرة تقعداعمى بعد ان كنت بصيراً يغلبك من غلبته ويسبقك من سبقته انظر ماترى وما تفعل فاما انا فلا اكون الا في الرعيل الاول . فقال له المغيرة ياابا اليقظان اياك ان تكون كقاطع السلسلة فر من الضحل فوقع في الرمضا فقال علي لعمار دعه فانه لن ياخذ من الآخرة الا ماخالطته الدنيا اما والله يامغيرة انها المثوبة المؤيدة تؤدي قام فيها الي الجنة ولما اختار بعدها فاذا غشيناك فنم في بيتك فقال المغيرة انت والله ياامير المؤمنين اعلم مني ولئن لم اقاتل معك لااعين عليك فان يكن مافعلت صوابا فاياه اردت وان خطا فمنه نجوت ولي ذنوب كثيرة لاقبل لي بها الا الاستغفار منها .

﴿خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه﴾

قال وذكروا ان البيعة لما تمت بالمدينة خرج علي الي المسجد الشريف فصعد المنبر فحمد الله تعالي وأثني عليه ووعد الناس من نفسه خيراً وتألفهم جهده : ثم قال : لا يستغني الرجل وان كان ذا مال وولد عن عشيرته ودفاعهم عنه بايديهم والسنتهم . هم أعظم الناس حيطة من ورائه واليهم سعيه واعطفهم عليه ان أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الامور ومن يقبض يده عن عشيرته فانه يقبض عنهم يداواحدة وتقبض عنه أيد كثيرة ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله له ما أنفق في دنياه و ضاعف له في آخرته . واعلموا ان لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال فلا يزدادن احدكم كبرياء ولا عظمة في نفسه ولا يغفل احدكم عن القرابة ان يصلها بالذي لا يزيده ان امسكه ولا ينقصه ان اهلكه واعلموا ان الدنيا قد ادبرت والاخرة قد اقبلت الاوان المضمار اليوم والسبق غدا الاوان السبقة الجنة والغاية النار الا ان الامل يشهي القلب ويكذب الوعد ويأتي بغفلة ويورث حسرة فهو غرور وصاحبه في عناء فافزعوا الى قوام دينكم واتمام صلاتكم واداء زكاتكم والنصيحة لامامكم وتعلموا كتاب الله واصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واوفوا بالعهد اذا عاهدتم وادوا الامانات اذا ائتمنتم وارغبوا ثواب الله وارهبوا عذابه واعلموا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدم الخير

﴿اختلاف الزبير وطلحة على علي كرم الله وجهه﴾

قال وذكروا ان الزبير وطلحة اتيا عليا بعد فراغ البيعة فقالا هل تدرى على ما بايعناك

يا امير المؤمنين قال على نعم على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه ابا بكر وعمر وعثمان فقالا لا : ولكنا بايعناك على انا شريكاك فى الامر قال على لا ولكنكما شريكان فى القول والاستقامة والعون على العجز والاود قال وكان الزبير لا يشك فى ولاية العراق وطلحة فى اليمن فلما استبان لهما ان عليا غير موليهما شيئا اظهر الشكاة فتكلم الزبير في ملا من قريش فقال هذا جزاؤنا من على قمنا له في امر عثمان حتى اثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل وهو جالس في بيته وكفى الامر فلما نال بنا ما اراد جعل دوننا غيرنا فقال طلحة ما اللوم الا انا كنا ثلاثة من اهل الشورى كرهه احدنا وبايعناه واعطيناه ما فى ايدينا ومنعنا ما في يده فاصبحنا قد اخطأنا ما رجونا . قال فانتهى قولهما الى على

﴿خلاف عائشة رضى الله عنها على على﴾

قال وذكروا ان عائشة لما اتاها انه بويع لعلى وكانت خارجة عن المدينة فقيل لها قتل عثمان وبايع الناس عليا قالت ما كنت ابالى ان تقع السماء على الارض قتل والله ظلوما وانا طالبة بدمه فقال لها عبيد ان اول من طعن عليه واطمع الناس فيه لانت ولقد قلت اقتلوا نعثلا فقد فجر فقالت عائشة قد والله قلت وقال الناس وآخر قولى خير من اوله فقال عبيد عذر والله ضعيف يا ام المؤمنين . ثم قال

منك البداء ومنك الغير ❊ ومنك الرياح ومنك المطر
وانت امرت بقتل الاما ❊ م وقلت لنا انه قد فجر
فهبنا اطعناك في قتله ❊ وقاتله عندنا من امر

قال فلما اتى عائشة خبر اهل الشام انهم ردوا بيعة على وابوا ان يبايعوه امرت فعمل لها هودج من حديد وجعل فيه موضع عينيها ثم خرجت ومعها الزبير وطلحة وعبد الله ابن الزبير ومحمد بن طلحه .

﴿اعتزال عبد الله بن عمر وسعد بن ابي وقاص ومحمد بن مسلمة﴾
﴿عن مشاهدة على وحروبه﴾

قال وذكروا ان عمار بن ياسر قام الى على فقال يا امير المؤمنين ائذن لي آتى عبد الله بن عمر فاكلمه لعله يخف معنا في هذا الامر فقال على نعم فاتاه فقال له يا ابا عبد الرحمن انه قد بايع عليا المهاجرون والانصار ومن ان فضلناه عليك لم يسخطك وان فضلناك عليه لم يرضك وقد انكرت السيف فى اهل الصلاة وقد علمت ان على القاتل القتل وعلى المحصن الرجم وهذا يقتل بالسيف وهذا يقتل بالحجارة وان عليا لم يقتل احداً من اهل الصلاة فيلزمه

حكم القاتل فقال ابن عمر يا ابا اليقظان ان ابي جمع اهل الشورى الذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم هو عنهم راض فكان احقهم بها علي غير انه جاء امر فيه السيف ولا اعرفه لكن والله ما احب ان لي الدنيا وما عليها واني اظهرت واضمرت عداوة علي قال فانصرف عنه فاخبر عليا بقوله فقال علي لو اتيت محمد بن مسلمة الانصاري فاتاه عمار فقال له محمد مرحباً بك يا ابا اليقظان على فرقة ما بيني وبينك والله لولا ما في يدي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لبايعت علياً ولو ان الناس كلهم عليه لكنت معه ولكنه يا عمار كان من النبي امر ذهب فيه الراي فقال عمار كيف. قال قال رسول الله اذا رايت المسلمين يقتتلون اواذا رايت اهل الصلاة فقال عمار فان كان قال لك اذا رايت المسلمين فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفيهما ابداً وان كان قال لك اهل الصلاة فمن سمع هذا منك غيرك انما انت احد الشاهدين فتريد من رسول الله قولا بعد قوله يوم حجة الوداع : دماؤكم واموالكم عليكم حرام الا بحدث فتقول يا محمد لا تقاتل المحدثين قال حسبك يا ابا اليقظان. قال ثم اتي سعد بن ابي وقاص فكلمه فظهر الكلام القبيح فانصرف عمار الى علي فقال له علي : دع هؤلاء الرهط اما ابن عمر فضعيف واما سعد فحسود وذنبي الى محمد بن مسلمة اني قتلت اخاه يوم خيبر مرحب اليهود

هروب مروان بن الحكم من المدينة المنوره

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما بويع علي هرب من المدينة فلحق بعائشة بمكة فقالت له عائشة ما وراءك فقال مروان غلبنا علي انفسنا

خروج علي من المدينة

قال وذكروا ان علياً تردد بالمدينة اربعة اشهر ينتظر جواب معاوية وقد كان كتب اليه كتاباً بعد كتاب يمنيه ويعده اولا ثم كتاباً يخوفه ويتوعده فحبس معاوية جواب كتابه ثلاثة اشهر ثم اتاه جوابه على غير ما يحب فلما اتاه ذلك شخص من المدينة في تسعمائة راكب من وجوه المهاجرين والانصار من اهل السوابق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم بشر كثير من اخلاط الناس واستخلف على المدينة قثم بن عباس وكان له فضل وعقل وامره ان يشخص اليه من احب الشخوص ولا يحمل احداً على ما يكره فخف الناس الى علي بعده ومضي معه من ولده الحسن والحسين ومحمد فلما كان في بعض الطريق اتاه كتاب اخيه عقيل بن ابي طالب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد يا اخي كلاك الله والله جارك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه على كل حال واني خرجت معتمرا فلقيت عائشة معها طلحة والزبير وذووهما وهم متوجهون الى البصرة قد اظهروا الخلاف

ونكثوا البيعة وركبوا عليك قتل عثمان وتبعهم على ذلك كثير من الناس من طغاتهم واوباشهم ثم مر عبد الله بن ابي سرح في نحو من اربعين راكباً من ابناء الطلقاء من بني امية فقلت لهم وعرفت المنكر في وجوههم اعداوية تلحقون عداوة . والله انها منكم ظاهرة غير مستنكرة تريدون بها اطفاء نور الله وتغيير امر الله فاسمعني القوم واسمعتهم ثم قدمت مكة فسمعت اهلها يتحدثون ان الضحاك بن قيس اغار على الحيرة واليمامة فاصاب ماشاء من اموالهم ثم انكفا راجعا الى الشام فاف لحياة في دهر جرا عليك الضحاك وما الضحاك الا فقع بقرقر فظننت حين بلغني ذلك ان انصارك خذلوك فاكتب الي يابن امي برايك وامرك فان كنت الموت تريد تحملت اليك بني اخيك وولد ابيك فعشنا ما عشت ومتنا معك اذا مت فوالله ما احب ان ابقى بعدك فوالله الاعز الاجل ان عيشاً اعيشه بعدك في الدنيا لغير هني ولا مري ولا نجيع والسلام . فكتب اليه علي كرم الله وجهه اما بعد يا اخي فكلاك الله كلاءة من يخشاه انه حميد مجيد قدم علي عبد الرحمن الازدي بكتابك تذكر فيه انك لقيت بن ابي سرح في اربعين من ابناء الطلقاء من بني امية متوجهين الى المغرب وابن ابي سرح يا اخي طال ما كاد رسول الله صلى عليه وسلم وصد عن كتابه وسنته وبغاها عوجا فدع ابن ابي سرح وقريشاً وتركاضهم في الضلال فان قريشاً قد اجتمعت على حرب اخيك اجتماعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم وجهلوا حقي وجحدوا فضلي ونصبوا لي الحرب وجدوا في اطفاء نور الله اللهم فاجز قريشاً عني بفعالها فقد قطعت رحمي وظاهرت علي وسلبتني سلطان ابن عمي وسلمت ذلك لمن ليس في قرابتي وحقي في الاسلام وسابقتي التي لا يدعي مثلها مدع الا ان يدعي مالا اعرف ولا اظن الله يعرفه والحمد لله على ذلك كثيراً . واما ذكرت من غارة الضحاك على الحيرة واليمامة فهو اذل والام من ان يكون مر بها فضلا عن الغارة ولكن جاء في خيل جريدة فسرحت اليه جنداً من المسلمين فلما بلغه ذلك ولى هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للاياب فاقتتلوا وقتلوا من اصحابه بضعة عشر رجلا ونجا هاربا بعد ان اخذ منه بالمخنق فلولا الليل ما نجا واما ما سالت ان اكتب اليك منه برايي فان رايي جهاد المحلين حتي التي الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة لاني محق والله مع المحق وما اكره الموت على الحق لان الخير كله بعد الموت لمن عقل ودعا الى الحق . واما ما عرضت

به مسيرك الى بنيك و بني ابيك فلا حاجة لي في ذلك فذرهم راشدا مهديا فوالله ما احب ان تهلكوا معي ان هلكت . وانا كما قال اخو بني سليم

فان تسأليني كيف صبري فانني صبور على ريب الزمان صليب
عزيز على ان اري بكآبة فيشمت واش او يساء حبيب

﴿ كتاب ام سلمة الى عائشة ﴾

قال وذكروا انه لما تحدث الناس بالمدينة بمسير عائشة مع طلحة والزبير ونصبهم الحرب لعلي وتالفهم الناس كتبت ام سلمة الى عائشة : اما بعد فانك سدة بين رسول الله وبين امته وحجابك مضروب على حرمته قد جمع القرآن الكريم ذيلك فلا تبذليه وسكن عقيرتك فلا تضحيه الله من وراء هذه الامة قد علم رسول الله مكانك لو اراد ان يعهد اليك وقد علمت ان عمود الدين لا يثبت بالنساء ان مال ولا يرأب بهن ان انصدع خمرات النساء غض الابصار وضم الذيول ما كنت قائلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك باطراف الجبال والفلوات على قعود من الابل من منهل الى منهل ان بعين الله مهواك وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تردين وقد هتكت حجابه الذي ضرب الله عليك عهيداه ولو اتيت الذي تريدين ثم قيل لي ادخلي الجنة لاستحييت ان القي الله هاتكة حجابا قد ضربه علي فاجعلي حجابك الذي ضرب عليك حصنك فابغيه منزلا لك حتى تلقيه فان اطوع ما تكونين اذا ما لزمته وانصح ما تكونين اذا ما قعدت فيه ولو ذكرتك كلاما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنهشتني نهش الحية والسلام . فكتبت اليها عائشة : ما اقبلني لوعظك واعلمني بنصحك وليس مسيري على ما تظنين ولنعم المطلع مطلع فرقت فيه بين فئتين متناجزتين فان اقعد ففي غير حرج وان احرج فلا غني بي عن الازدياد منه والسلام

﴿ استنفار عدي بن حاتم قومه لنصرة علي رضي الله عنه ﴾

قال وذكروا ان ابن حاتم قام الى علي فقال يا امير المؤمنين لو تقدمت الى قومي اخبرهم بمسيرك واستنفرهم فان لك من طيء مثل الذي معك فقال علي نعم فافعل فتقدم عدي الى قومه فاجتمعت اليه رؤساء طيء فقال لهم : يا معشر طيء انكم امسكتم عن حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشرك ونصرتم الله ورسوله في الاسلام على الردة وعلى قادم عليكم وقد ضمنت له مثل عدة من معه منكم فخفوا معه وقد كنتم تقاتلون

في الجاهلية على الدنيا فقاتلوا في الاسلام على الآخرة فان اردتم الدنيا فعند الله مغانم كثيرة وانا ادعوكم الى الدنيا والاخرة وقد ضمنت عنكم الوفاء وباهيت بكم الناس فاجيبوا قولي فانكم اعز العرب دار الكم فضل معاشكم وخيلكم فاجعلوا فضل المعاش للعيال وفضول الخيل للجهاد وقد ظلكم علي والناس معه من المهاجرين والبدريين والانصار فكونوا اكثرهم عددا فان هذا سبيل للحي فيه الغني والسرور وللقتيل فيه الحياة والرزق فصاحت طيء نعم نعم حتى كادان يصم من صياحهم . فلما اقدم على طيء اقبل شيخ من طيء قد هرم من الكبر فرفعله من حاجبيه فنظر الى علي فقال له انت ابن ابي طالب ؟ قال نعم . قال مرحبا بك واهلا قد جعلناك بيننا وبين الله وعديا بيننا وبينك ونحن بينه وبين الناس والله لو اتيتنا غير مبايعين لك لنصرناك لقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وايامك الصالحة ولئن كان ما يقال فيك من الخير حقا ان في امرك وامر قريش لعجبا اذا اخرجوك وقدموا غيرك . سر فوالله لا يتخلف عنك من طيء الا عبد اودعي الا باذنك فشخص معك من طيء ثلاثة عشر الف راكب

﴿استنفار زفر بن زيد قومه لنصره علي﴾

قال وذكروا ان زفر بن زيد بن حذيفة الاسدي وكان من سادة بني اسد قام الى علي فقال يا امير المؤمنين ان طيأ اخواننا وجيراننا قد اجابوا عديا ولي في قومي طاعة فاذن لي فآتيهم قال نعم فاتاهم فجمعهم وقال . يا بني اسد ان عدي بن حاتم ضمن لعلي قومه فاجابوه وقضوا عنه ذمامه فلم يعتل الغني بالغنى ولا الفقير بالفقر وواسى بعضهم بعضا حتى كانهم المهاجرون في الهجرة والانصار في الاثرة وهم جيرانكم في الديار وخلطاؤكم في الاموال فنشدكم الله لا يقول الناس غدا نصرت طيء وخذلت بنو اسد وان الجار يقاس بالجار كالنعل بالنعل فان خفتم فتوسعوا في بلادهم وانضموا الى جبلهم وهذه دعوة لها ثواب من الله في الدنيا والاخرة فقام اليه رجل منهم فقال يا زفر انك لست كعدي ولا اسد كطيء ارتدت العرب فثبتت طيء على الاسلام وجاد عدي بالصدقة وقاتل بقومه قومك فوالله لو نفرت طيء باجمعها لمنعت رعاؤها دارها ولو ان منعنا اضعافنا لخفنا على دارنا فان كان لا يرضيك منا الا ما ارضي عديا من طيء فليس ذلك عندنا وان كان لا يرضيك قدر ما يردعنا عذر الخذلان واثم المعصية فلك ذلك منا فسار معه من اسد جماعة ليست كجماعه طيء حتى قدم بها على علي

﴿توجه عائشة وطلحة والزبير الى البصرة﴾

قال وذكروا انه لما اجتمع طلحة والزبير وذووهما مع عائشة واجمعوا على المسير

من مكة اتاهم عبد الله بن عامر فدعاهم الى البصرة ووعدهم الرجال والاموال فقال سعيد بن
العاصي لطلحة والزبير ان عبد الله بن عامر دعوكما الى البصرة وقد فر من اهلها فرار العبد
الآبق وهم فى طاعة عثمان ويريد ان يقاتل بهم عليا وهم فى طاعة على وخرج من عندهم اميرا
ويعودا اليهم طريدا وقد وعدكم الرجال والاموال فاما الاموال فعنده واما الرجال فلا رجل
فقال مروان بن الحكم ايها الشيخان ما يمنعكما ان تدعوا الناس الى بيعة مثل بيعة على فان اجابوكما
عارضتما بيعة كبيعته وان لم يجيبوكما عرفتما ما لكما فى انفس الناس فقال طلحة يمنعنا ان الناس
بايعوا عليا بيعة عامة فبم ننقضها ؟ وقال الزبير ويمنعنا ايضا من ذلك تثاقلنا عن نصرة عثمان
وخفتنا الى بيعة على . فقال الوليد بن عتبة ان كنتما اتيتما فقد احسنتما وان كنتما اخطاتما
فقد اصبتما وانتما اليوم خير منكما امس فقال مروان اما انا فهواي الشام وهواكما البصرة وانا
معكم وان كانت الهلكة فقال سعيد بن العاصي اما انا فراجع الى منزلي فلما استقام امرهم
واجتمعت كلمتهم على المسير قال طلحة للزبير انه ليس شيء انفع ولا ابلغ فى استمالة اهواء
الناس من ان تشخص لعبد الله بن عمر فاتياه فقولا يا ابا عبد الرحمن ان امنا عائشة خفت لهذا
الامر رجاء الاصلاح بين الناس فاشخص معنا فان لك بها اسوة فان بايعنا الناس فانت احق
بها فقال ابن عمر ايها الشيخان اتريدان ان تخرجانى من بيتى ثم تلقيانى بين مخالب ابن ابى طالب
ان الناس انما يخدعون بالدينار والدرهم وانى قد تركت هذا الامر عيانا فى عافية انالها فانصرفا
عنه . وقدم يعلى بن منبه عليهم من اليمن وكان عاملا لعثمان فاخرج اربعمائة بعير ودعا الى
الحملان فقال الزبير دعنا من إبلك واقرضنا من هذا المال فاقرض الزبير ستين الفا واقرض
طلحة اربعين الفا ثم سار القوم فقال الزبير الشام بها الرجال والاموال وعليها معاوية وهو ابن
عم الرجل ومتى نجتمع يولنا عليه وقال عبد الله بن عامر البصرة فان غلبتم عليا فلكم الشام وان
غلبكم على كان معاوية لكم جنة وهذه كتب اهل البصرة الى فقال يعلى بن منبه وكان داهيا ايها
الشيخان قدرا قبل ان ترحلا ان معاوية قد سبقكم الى الشام وفيها الجماعة وانتم تقدمون عليه
غدا فى فرقة وهو ابن عم عثمان دونكم ارايتم ان دفعكم عن الشام او قال اجعلها شورى ما انتم
صانعون اتقاتلونه ام تجعلونها شورى فتخرجا منها واقبح من ذلك ان تاتيا رجلا فى يديه امر
قد سبقكما اليه وتريدان ان تخرجاه منه فقال القوم فالى اين قال الى البصرة فقال الزبير لعبد الله
ابن عامر من رجال البصرة ؟ قال ثلاثة كلهم سيد مطاع كعب بن سور فى اليمن والمنذر بن
ربيعة فى ربيعة والاحنف بن قيس فى البصرة . فكتب طلحة والزبير الى كعب بن سور
اما بعد فانك قاضى عمر بن الخطاب وشيخ اهل البصرة وسيد اهل اليمن وقد كنت غضبت

عثمان من الاذى فاغضب له من القتل والسلام . وكتبنا الى الاحنف بن قيس : اما بعد فانك وافد عمر وسيد مضر وحليم أهل العراق وقد بلغك مصاب عثمان ونحن قادمون عليك والعيان اشفي لك من الخبر والسلام . وكتبنا الى المنذر . اما بعد فان اباك كان رئيسا في الجاهلية وسيداً في الاسلام وانك من ابيك بمنزلة المصلى من السابق يقال كاد او لحق وقد قتل عثمان من انت خير منه وغضب له من هو خير منك والسلام . فلما وصلت كتبهما الى القوم قام زياد بن مضر والنعمان بن شوال وعمران فقالوا ما للناس ولهذا الحي من قريش اتريدون ان يخرجوا امر الاسلام بعد ان دخلنا فيه ويدخلونا في الشرك بعد ان خرجنا منه قتلوا عثمان وبايعوا عليا لهم مالهم وعليهم ما عليهم وكتب كعب بن سور الى طلحة والزبير . اما بعد فانا غضبنا لعثمان من الاذى والغير باللسان فجاء امر الغير فيه بالسيف فان يك عثمان قتل ظالما فما لكما وله وان كان قتل مظلوما فغيركما اولى به وان كان امره اشكل على من يشهده فهو على من غاب عنه اشكل . وكتب الاحنف اليهما . اما بعد فانه لم يأتنا من قبلكم امر لا نشك فيه الا قتل عثمان وانتم قادمون علينا فان يكن في العيان فضل نظرنا فيه ونظرتم والا يكن فيه فضل فليس في ايدينا ولا في ايديكم ثقة والسلام . وكتب المنذر . اما بعد فانه لم يلحقني هل الخير الا ان اكون خيرا من اهل الشر وانما اوجب حق عثمان اليوم حقه امس وقد كان بين اظهركم فخذلتموه فمتى استنبطتم هذا العلم وبدا لكم هذا الرأى فلما قرآ كتب القوم ساءهما ذلك وغضبا . ثم غدا مروان الى طلحة والزبير فقال لهما اعيدا ابن عمر فلعله ينيب . فعاوداه فتكلم طلحة . فقال يا ابا عبد الرحمن انه والله رب حق ضيعناه وتركناه فلما حضر العذر قضينا بالحق واخذنا بالحظ ان عليا يرى انفاذ بيعه وان معاوية لا يرى ان يبايع له وانا نرى ان نردها شورى فان سرت معنا ومعنا ام المؤمنين صلحت الامور والا فهي الهلكة . فقال ابن عمر . ان يكن قولكما حقا ففضلا ضيعت وان يكن باطلا فشر منه نجوت واعلما ان بيت عائشة خير لها من هودجها وانتما المدينة خير لكما من البصرة والذل خير لكما من السيف ولن يقاتل عليا الا من كان خيرا منه واما الشورى فقد والله كانت فقدم واخرتما ولن يردها الا اولئك الذين حكموا فيها فاكفياني انفسكما فانصرفا . فقال مروان استعينا عليه بحفصة فاتيا حفصة فقالت لو اطاعني اطاع عائشة دعاه فاتركاه وتوجها الى البصرة واتاهما عبد الله بن خلف فقال لهما انه ليس احد من اهل الحجاز كان منه في عثمان شيء الا وقد بلغ اهل العراق وقد كان منكما في عثمان من التخليب والتأليب لا يدفعه جحود ولا ينفعكما فيه عذر واحسن الناس فيكما قولا من ازال عنكما القتل والزمكما

الخذل وقد بايع الناس عليا بيعة عامة والناس لا قوكما غدا فانا نقول لان فقال طلحة ننكر القتل ونقر بالخذلان ولا ينفع الاقرار بالذنب الا مع الندم عليه ولقد ندمنا على ما كان منا. وقال الزبير بايعنا عليا والسيف على اعناقنا حيث تواثب الناس بالبيعة اليه دون مشورتنا ولم نصب لعثمان خطأ فتجب علينا الدية ولا عمداً فيجب علينا القصاص. فقال عبد الله بن خلف عذركما اشد من ذنبكما قال فتهيأ القوم المسير فقال طلحة والزبير اسرعوا السير لعلنا نسبق عليا من خلاف طريقه الى البصرة قال وكتب قثم بن عباس الى على يخبره ان طلحة والزبير وعائشة قد خرجوا من مكة يريدون البصرة وقد استنفروا الناس فلم يخف معهم الا من لا يعتد بمسيره ومن خلفت بعدك فعلى ما تحب. فلما قدم على على كتابه غمه ذلك واعظمه للناس وسقط فى ايديهم فقام قيس بن سعد بن عبادة فقال: يا امير المؤمنين انه والله ما غمنا بهذين الرجلين كغمنا بعائشة لان هذين الرجلين حلال الدم عندنا لبيعتهما ونكثهما ولان عائشة من علمت مقامها فى الاسلام ومكانها من رسول الله مع فضلها ودينها وامومتها منا ومنك ولكنهما يقدمان البصرة وليس كل اهلها لهما وتقدم الكوفة وكل اهلها لك ونسير بحقك الى باطلهم ولقد كنا نخاف ان يسيرا الى الشام فيقال صاحبا رسول الله وام المؤمنين فيشتد البلاء وتعظم الفتنة فاما اذا اتيا البصرة وقد سبقت اليه طاعتك وسبقوا الى بيعتك وحكم عليهم عاملك ولا والله ما معهما مثل من معك ولا يقدمان على مثل ما تقدم عليه فسر فان الله معك وتتابعت الانصار فقالوا واحسنوا. قال ولما نزل طلحة والزبير وعائشة باوطاس من ارض خيبر اقبل عليهم سعيد بن العاصي على نجيب له فاشرف على الناس ومعه المغيرة بن شعبة فنزل وتوكأ على قوس له سوداء فاتى عائشة فقال لها اين تريدين يا ام المؤمنين قالت اريد البصرة قال وما تصنعين بالبصرة قالت اطلب بدم عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ثم اقبل على مروان فقال له واين تريد ايضا قال البصرة قال وما تصنع بها قال اطلب قتلة عثمان قال فهؤلاء قتلة عثمان معك ان هذين الرجلين قتلا عثمان «طلحة والزبير» وهما يريدان الامر لانفسهما فلما غلبا عليه قالا نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة. ثم قال المغيرة بن شعبة. ايها الناس ان كنتم انما خرجتم مع امكم فارجعوا بها خير لكم وان كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان وان كنتم نقمتم على على شيئاً فبينوا ما نقمتم عليه انشدكم الله فتنتين في عام واحد فابوا الا ان يمضوا بالناس فلحق سعيد بن العاصي باليمن ولحق المغيرة بالطائف فلم يشهدا شيئاً من حروب الجمل ولا صفين فلما انتهوا الى ماء الحوأب فى بعض الطريق ومعهم عائشة

نبحها كلاب الحوأب فقالت لمحمد بن طلحة اى ماء هذا قال هذا ماء الحوأب فقالت ما اراني الا راجعة قال ولم قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه : كاني باحداكن قد نبحها كلاب الحوأب واياك ان تكوني انت ياحميراء . فقال لها محمد بن طلحة تقدمي رحمك الله ودعي هذا القول . واتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفتيه اول الليل واتاها ببينة زور من الاعراب فشهدوا بذلك فزعموا انها اول شهادة زور شهد بها في الاسلام فلما انتهى اقبالهم على اهل البصرة ودنوا منها قام عثمان بن حنيف عامل البصرة لعلي بن ابي طالب فقال : يا ايها الناس انما بايعتم الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيما والله لو علم علي ان احدا احق بهذا الامر منه ماقبله ولو بايع الناس غيره لبايع من بايعوا واطاع من ولوا وما به الى احد من صحابة رسول الله حاجة وما باحد عنه غنى ولقد شاركهم في محاسنهم وما شاركوه في محاسنه ولقد بايعه هذان الرجلان وما يريدان الله فاستعجلا الفطام قبل الرضاع والرضاع قبل الولادة والولادة قبل الحمل وطلبا ثواب الله من العباد وقد زعموا انهما بايعا مستكرهين فان كان استكرها قبل بيعتهما وكانا رجلين من عرض قريش لهما ان يقولا ولا يأمرا الا وان الهدى ما كانت عليه العامة والعامة على بيعة علي فماترون ايها الناس ؟ فقام حكم بن جبل العبدي : فقال : ترى ان دخلا علينا قاتلناهما وان وقفا تلقيناهما والله ما ابالي ان اقاتلهما وحدي وان كنت احب الحياة وما اخشى في طريق الحق وحشة ولا غيرة ولا غشا ولا سوء منقلب الى بعث وانها لدعوة قتيلها شهيد وحيها فائز والتعجيل الى الله قبل الاجر خير من التاخير في الدنيا وهذه ربيعة معك

﴿ نزول طلحة والزبير وعائشة البصرة ﴾

قال وذكروا ان طلحة والزبير نزلا البصرة قال عثمان بن حنيف نعذر اليهما برجلين فدعا عمران بن الحصين صاحب رسول الله وابا الاسود الدؤلي فارسلهما الى طلحة والزبير فذهبا اليهما فناديا ياطلحة فاجابهما فتكلم ابو الاسود الدؤلي فقال يا ابا محمد انكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله وبايعتم عليا غير مؤامرين لنا في بيعته فلم نغضب لعثمان اذ قتل ولم نغضب لعلي اذ بويع ثم بدا لكم فاردتم خلع علي ونحن على الامر الاول فعليكم المخرج مما دخلتم فيه . ثم تكلم عمران فقال ياطلحة انكم قتلتم عثمان ولم نغضب له اذ لم تغضبوا ثم بايعتم عليا وبايعنا من بايعتم فان كان قتل عثمان صوابا فمسيركم لماذا وان كان خطا فحظكم منه الاوفر ونصيبكم منه الاوفى : فقال طلحة ياهذان ان صاحبكما لا يرى ان معه في

هذا الامر غيره وليس على هذا بايعناه وايم الله ليسفكن دمه: فقال ابو الاسود ياعمر ان اما هذا فقد صرح انه انما غضب الملك. ثم اتيا الزبير فقالا يا ابا عبد الله انا اتينا طلحة قال الزبير ان طلحة واياي كروحين في جسدين وانه والله يا هذان قد كانت منا في عثمان فلتات احتجنا فيها الى المعاذير ولو استقبلنا من امرنا ما استدبرنا نصرناه ثم أتيا فدخلا على عائشة فقالا يا ام المؤمنين ما هذا المسير أمعك من رسول الله به عهد قالت : قتل عثمان مظلوما غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل فقال ابو الاسود وما انت من عصانا وسيفنا وسوطنا فقالت يا ابا الاسود بلغني ان عثمان بن حنيف يريد قتالي فقال ابو الاسود نعم والله قتالا اهونه تندر منه الرؤس . واقبل غلام من جهينة الى محمد بن طلحة فقال حدثني عن قتلة عثمان قال نعم دم عثمان على ثلاثة ثلث على صاحبة الهودج وثلث على صاحب الجمل الاحمر وثلث على علي بن ابي طالب فضحك الجهني ولحق بعلي ابن ابي طالب وبلغ طلحة قول ابنه محمد وكان محمد من عباد الناس فقال له يا محمد اتزعم عنا قولك اني قاتل عثمان كذلك تشهد على ابيك كن كعبد الله بن الزبير فوالله ما انت بخير منه ولا ابوك بدون ابيه كف عن قولك والا فارجع فان نصرتك نصرة رجل واحد وفسادك فساد عامة فقال محمد ما قلت الا حقاً ولكن اعود

﴿ نزول علي بن ابي طالب الكوفة ﴾

قال ذكروا ان علياً لما نزل قريباً من الكوفة بعث عمار بن ياسر ومحمد بن ابي بكر الى ابو موسى الاشعري وكان ابو موسى عاملا لعثمان على الكوفة فبعثهما علي اليه والى اهل الكوفة يستفزهم فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن ابي بكر فدعوا الناس الى النصرة لعلي فلما امسوا دخل رجال من اهل الكوفة على ابي موسى فقالوا ما ترى نخرج مع هذين الرجلين الى صاحبيهما ام لا ؟ فقال ابو موسى : اما سبيل الآخرة ففي ان تلزموا بيوتكم واما سبيل الدنيا فالخروج مع من اتاكم فاطاعوه فتباطأ الناس على علي وبلغ عماراً ومحمداً ما اشار ابو موسى على اولئك الرهط فأتياه فأغلظا له في القول قال ابو موسى ان بيعة عثمان في عنقي وعنق صاحبكم ولئن اردنا القتال مالنا الى قتال احد من سبيل حتى نفرغ من قتلة عثمان . ثم خرجا وموسى فصعد المنبر ثم قال ايها الناس ان اصحاب رسول الله الذين صحبوه في المواطن اعلم بالله ورسوله ممن لم يصحبه وان لكم حقاً علي ان اؤديه اليكم . ان هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان والقاعد خير من القائم والقائم فيها خير من الساعي والساعي خير من الراكب فاغمدوا سيوفكم حتى تنجلي هذه الفتنة . فقام عمار

ابن ياسر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ان ابا موسى ينهاكم عن الشخوص الى هاتين الجماعتين وما صدق فيما قال وما رضي الله من عباده . قال الله عز وجل . « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا » وقال : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله » فلم يرض من عبادة بما ذكر ابو موسى من ان يجلسوا في بيوتهم ويخلوا الناس فيسفك بعضهم دماء بعض فسيروا معنا الى هاتين الجماعتين واسمعوا من حججهم وانظروا من اولى بالنصرة فاتبعوه فان اصلح الله امرهم رجعتم مأجورين وقد قضيتم حق الله وان بغى بعضهم على بعض نظرتم الى الفئة الباغية فقاتلتموها حتى تفيء الى امر الله كما امركم الله وافترض عليكم ثم قعد . فلما انصرف الى علي من عند ابى موسى واخبراه بما قال ابو موسى بعث اليه الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد وكتب معهم الى اهل الكوفة . اما بعد فانى اخبركم عن امر عثمان حتى يكون سماعه كمن عاينه ان الناس طعنوا على عثمان فكنت رجلا من المهاجرين اقل عيبة واكثر استعتابه وكان هذان الرجلان طلحة والزبير اهون سيرهما فيه اللهجة والوجيف وكان من عائشة فيه قول على غضب فانتحى له قوم فقتلوه وبايعني الناس غير مستكرهين وهما اول من بايعني على ما بويع عليه من كان قبلي ثم استأذنا الى العمرة فاذنت لهما فنقضا العهد ونصبا الحرب واخرجا ام المؤمنين من بيتها ليتخذها فتنة وقد سارا الى البصرة اختيارا لاهلها ولعمري ما اياي يجيبون ما يجيبون الا الله . وقد بعثت ابني الحسن وابن عمي عبد الله بن عباس وعمار بن ياسر وقيس بن سعد فكونوا عند ظننا بكم والله المستعان فسار الحسن ومن معه حتى قدموا الكوفة على ابى موسى ندعوه الى نصرة على فابى عليهم ثم صعد ابو موسى المنبر وقام الحسن اسفل منه فدعاهم الى نصرة علي واخبرهم بقرابته من رسول الله وسابقته وبيعة طلحة والزبير اياه ونكثهما عهده واقراهم كتاب علي فقام شريح بن هانى فقال لقد اردنا ان نركب الى المدينة حتى نعلم قتل عثمان فقد اتانا الله به في بيوتنا فلا نخالفه واعن دعوته والله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعاً وطاعة ثم قام الحسن بن علي فقال : ايها الناس انه قد كان في مسير امير المؤمنين علي بن ابى طالب ما قد بلغكم وقد اتيناكم مستنفرين لانكم جبهة الانصار ورؤس العرب وقد كان من نقض طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما بلغكم وتعلمون ان وهن النساء وضعف رايهن الى التلاشي ومن اجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء

وايم الله لولم ينصره منكم احد لرجوت ان يكون فيمن اقبل معه من المهاجرين و الانصار كفاية فانصروا الله بنصركم ثم قام عمار بن ياسر فقال يا أهل الكوفة ان كان غاب عنكم انباؤنا فقد انتهت اليكم امورنا ان قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس و لا ينكرون ذلك وقد جعلوا كتاب الله بينهم و بين محاجبهم. فيه احيا الله من أحيا وامات من أمات. وان طلحة والزبير كانا أول من طعن و آخر من أمر وكانا اول من بايع علياً فلما اخطأ أملهما املاه نكثا بيعتهما من غير حدث وهذا ابن بنت رسول الله الحسن قد عرفتموه وقد جاء يستنفركم وقد اذلكم علي في المهاجرين والبدريين والانصار الذين تبوؤا الدار والايمان فانصروا الله ينصركم. ثم قام قيس بن سعد: فقال: ايها الناس ان الامر لو استقبل به اهل الشورى كان علي احق بها وكان قتال من ابى ذلك حلالا فكيف والحجة على طلحة والزبير وقد بايعاه رغبة وخالفاه حسداً وقد جاءكم المهاجرين والانصار.

﴿دخول طلحة والزبير وعائشة البصرة﴾

قال وذكروا انه لما نزل طلحة والزبير وعائشة البصرة اصطف لها الناس فى الطريق يقولون ياام المؤمنين ما الذى اخرجك من بيتك فلما اكثروا عليها تكلمت بلسان طلق و كانت من ابلغ الناس فحمدت الله و اثنت عليه . ثم قالت :ايها الناس و الله ما بلغ من ذنب عثمان ان يستحل دمه ولقد قتل مظلوما .غضبنا لكم من السوط والعصا ولا نغضب لعثمان من القتل وان من الراى ان تنظروا الى قتلة عثمان فيقتلوا به ثم يرد هذا الامر شوري على ما جعله عمر ابن الخطاب . فمن قائل يقول صدقت و آخر يقول كذبت فلم يبرح الناس يقولون ذلك حتي ضرب بعضهم وجوه بعض فبينماهم كذلك اتاهم رجل من اشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة فى التاليب على قتل عثمان فقال لطلحة هل تعرف هذا الكتاب قال نعم قال فما ردك على ما كنت عليه وكنت امس تكتب الينا تؤلبنا على قتل عثمان وانت اليوم تدعونا الى الطلب بدمه وقد زعمتما ان علياً دعاكما الى ان تكون البيعة لكما قبله اذ كنتما اسن منه فابيتما الا ان تقدماه لقرابته وسابقته فبايعتماه فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما قال طلحة دعانا الى البيعة بعد اغتصبها وبايعه الناس فعلمنا حين عرض علينا انه غير فاعل ولو فعل ابى ذلك المهاجرون والانصار وخفنا ان نرد بيعته فنقتل فبايعناه كارهين قال فما بدا لكما في عثمان قال ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا اياه فلم نجد من ذلك مخرجاً الا الطلب بدمه قال ما تامراني به قال بايعنا على قتال علي و نقض بيعته قال ارايتما ان اتانا بعدكما من يدعونا الى ما تدعون

اليه ما نصنع ؟ قالا لا نبايعه قال. انصفتما اتامراني ان اقاتل علياً وانقض بيعته وهي في اعناقكما وتنهياني عن بيعة من لا بيعة له عليكما اما انا فقد بايعنا علياً فان شئتما بايعتكما بيسار ايدينا. ثم تفرق الناس فصارت فرقة مع عثمان بن حنيف وفرقة مع طلحة والزبير ثم جاء جارية ابن قدامه فقال: ياام المؤمنين لقتل عثمان كان اهون علينا من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون انه كانت لك من الله تعالى حرمة وستر فهتكت سترك وابحت حرمتك انه من راي قتالك فقد راى قتلك فان كنت ياام المؤمنين اتيتنا طائعة فارجعي الى منزلك وان كنت اتيتنا مستكرهة فاستعيني

﴿قتل اصحاب عثمان بن حنيف عامل علي على البصرة﴾

قال وذكروا انه لما اختلف القوم اصطلحوا على ان لعثمان بن حنيف دار الامارة ومسجدها وبيت المال وان ينزل اصحابه حيث شاؤا من البصرة وان ينزل طلحة والزبير واصحابهما حيث شاؤا حتى يقدم علي فان اجتمعوا دخلوا فيما دخل فيه الناس وان يتفرقوا يلحق كل قوم باهوائهم عليهم بذلك عهد الله وميثاقه وذمة نبيه واشهدوا شهوداً من الفريقين جميعاً فانصرف عثمان فدخل دار الامارة وامر اصحابه ان يلحقوا بمنازلهم ويضعوا سلاحهم وافترق الناس وكتموا ما في انفسهم غير بني عبد القيس اظهروا نصرة علي وكان حكيم بن جبل رئيسهم فاجتمعوا اليه فقال لهم: يامعشر عبد القيس ان عثمان بن حنيف دمه مضمون وامانته مؤداة وايم الله لو لم يكن علي اميراً لمنعناه لمكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف له الولاية والجواب فاشخصوا بانصاركم وجاهدوا العدو فاما ان تموتوا كراماً واما ان تعيشوا احراراً فمكث عثمان ابن حنيف في الدار اياماً ثم ان طلحة والزبير ومروان بن الحكم اتوه نصف الليل في جماعة معهم في ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم فقتلوا اربعين رجلاً من الحرس فخرج عثمان بن حنيف فشد عليه مروان فاسره وقتل اصحابه فأخذه مروان فنتف لحيته وراسه وحاجبيه فنصر عثمان بن حنيف الى مروان فقال له اما انك ان فتني بها في الدنيا لم تفتني بها في الاخرة

﴿تعبئة الفئتين للقتال﴾

وذكروا انه لما تعبأ القوم للقتال فكانت الحرب للزبير وعلى الخيل طلحة وعلى الرجالة عبد الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة وعلى المقدمة مروان وعلى ورجال الميمنة عبد الرحمن بن عبادة على الميسر وهلال بن وكيع فلما فرغ الزبير من

التعبئة قال . ايها الناس وطنوا انفسكم على الصبر فانه يلقاكم غدا رجل لا مثيل له في الحرب ولا شبيه ومعه شجعان الناس فلما بلغ علياً تعبئة القوم عبأ الناس للقتال فاستعمل على المقدمة عبد الله بن عباس وعلى الساقة هند المرادي وعلى جميع الخيل عباس بن ياسر وعلى جميع الرجالة محمد بن ابي بكر ثم كتب الى طلحة والزبير. اما بعد فقد علمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ولم ابايعهم حتي بايعوني ولكنما لمن أراد وبايع وان العامة لم تبايعني لسلطان خاص فان كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل باظهاركما الطاعة واسراركما المعصية وان كنتما بايعتماني طائعين فارجعا الى الله من قريب . انت يازبير لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وانك ياطلحة لشيخ المهاجرين وان دفاعكما هذا الامر قبل ان تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به وقد زعمتما اني قتلت عثمان فبيني وبينكما فيه بعض من يخالف عني وعنكما من اهل المدينة وزعمتما اني آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي ثم يخاصموا الى قتلة أبيهم وما أنتما وعثمان ان كان قتل ظالماً او مظلوما ولقد بايعتماني وانتما بين خصلتين قبيحتين نكث بيعتكما واخراجكما أمكما . وكتب الى عائشة . اما بعد فانك خرجت غاضبة لله ولرسوله تطلبين امراً كان عنك موضوعا ما بال النسا والحرب والاصلاح بين الناس تطلبين بدم عثمان ولعمري لمن عرضك للبلاء وحملك على المعصية اعظم اليك ذنبا من قتلة عثمان وماغضبت حتي اغضبت وما هجت حتى هيجت فاتقي الله وارجعي الى بيتك . فاجابه طلحة والزبير انك سرت مسيراً له ما بعد ولست راجعا وفي نفسك منه حاجة فامض لامرك اما انت فلست راضيا دون دخولنا في طاعتك ولسنا بداخلين فيها ابدا فاقض ما انت قاض وكتبت عائشة . جل الامر عن العتاب والسلام . قال ورجعت رسل علي من البصرة فمنهم من اجابه واتاه ومنهم من لحق بعائشة وطلحة والزبير وبعث الاحنف بن قيس الى علي . ان شئت اتيتك في مائتي رجل من اهل بيتي وان شئت كففت عنك اربعة آلاف سيف فارسل اليه علي بل كف عني اربعة آلاف سيف وكفي بذلك ناصرا . فجمع الاحنف بني تميم فقال يامعشر بني تميم ان ظهر اهل البصرة فهم اخوانكم وان ظهر علي فلم يهيجكم وكنتم قد سلمتم . فكفت بنو تميم ولم يخرجوا الى احد الفريقين . قال ولما كتب علي الي طلحة والزبير اتى زمعة بن الاسود إلى طلحة والزبير فقال لهما ان عليا قد ارسل اليكما الرسل كانه طمع فيكما واطمعتماه

في انفسكما فاتقيا الله ان كنتما بايعتماه طائعين واتقيا الله علينا وعلى انفسكما فان اللبن في الضرع ومتى يحلب لا يرجع وان كنتما بايعتماه مكرهين فاخرقا هذا الوطب واذ فما هذا افما اغنانا عن هذه الكتب والرسل . قال فخرج طلحة والزبير وعائشة وهي على جمل عليه هودج قد ضرب عليه صفائح الحديد فبرزوا حتى خرجوا من الدور ومن افنية البصره فلما تواقفوا للقتال امر على منادياً ينادي في اصحابه لا يرمين احد سهما ولا هجرا ولا يطعن برمح حتى اعذر الى القوم فاتخذ عليهم الحجة البالغة قال فكلم على طلحة والزبير قبل القتال فقال لهما استحلما عائشة بحق الله و بحق رسوله عليها اربع خصال ان تصدق فيها . هل تعلم رجلا من قريش اولى مني بالله ورسوله واسلامي قبل كافة الله اجمعين وكفايتي رسول الله كفار العرب بسيفي ورمحي وعلى براءتي من دم عثمان وعلى اني لم استكره احدا على بيعة وعلى اني لم اكن احسن قولا في عثمان منكما . فاجابه طلحة جوابا غليظا ورق له الزبير ثم رجع على الي اصحابه فقال يا أمير المؤمنين . ثم كلمت الرجلان فقال على ان شأنهما لمختلف اما الزبير فقاده اللجاج ولن يقاتلكم واما طلحه فسألته عن الحق فأجابني بالباطل ولقيته باليقين واعيني بالشك فوالله ما نفعه حقي ولا ضرني باطله مقتول غدا في الرعيل الاول . قال ثم خرج على على بغلة رسول الله الشهباء بين الصفين وهو حاسر فقال اين الزبير فخرج اليه حتي اذا كانا بين الصفين اعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا ثم قال على يا عبد الله ما جاء بك ههنا قال جئت أطلب دم عثمان . قال على تطلب دم عثمان قتل الله من قتل عثمان انشدك الله يا زبير هل تعلم انك مررت بي وانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكيء على يدك فسلم على رسول الله وضحك الي ثم التفت اليك فقال لك يا زبير انك تقاتل عليا وانت له ظالم قال اللهم نعم قال على فعلى م تقاتلني قال الزبير نسيتها والله ولو ذكرتها ما خرجت اليك ولا قاتلتك فانصرف على الى اصحابه فقال يا امير المؤمنين مررت الي رجل في سلاحه وانت حاسر قال على اتدرون من الرجل ؟ قالوا لا قال ذلك الزبير بن صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انه قد اعطي الله عهدا إنه لا يقاتلكم اني ذكرت له حديثا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو ذكرته ما اتيتك . فقالوا الحمد لله يا امير المؤمنين ما كنا نخشى في هذا الحرب غيره ولا نتقي سواه انه لفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ومن عرفت شجاعته وباسه ومعرفته بالحرب فاذ قد كفاناه الله فلا نعد من سواه الا صريعا حول الهودج .

﴿ رجوع الزبير عن الحرب ﴾

قال وذكروا ان الزبير دخل على عائشة فقال : يا أماه ماشهدت موطنا قط فى الشرك ولا فى الاسلام الاولي فيه راى و بصيرة غير هذا الموطن فانه لا رأي لى فيه ولا بصيرة وانى لعلى باطل . قالت عائشه أباعبد الله خفت سيوف بني عبد المطلب فقال اما والله ان سيوف بنى عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية انجاد ثم قال لابنه عبد الله عليك بحربك اما انا فراجع الى بيتى فقال له ابنه عبد الله . الان حين التقت حلقتا البطان واجتمعت الفئتان والله لا نغسل رؤسنا منها فقال الزبير لابنه لا تعد هذا منى جبنا فوالله مافارقت احدا فى جاهلية ولا إسلام قال فما يردك قال يردنى ماان علمته كسرك . فقام بأمر الناس عبد الله بن الزبير

﴿ قتل الزبير بن العوام ﴾

قال وذكروا ان الزبير لما انصرف راجعا الى المدينة اتاه ابن جرموز فنزل به فقال يا أباعبد الله احييت حربا ظالما او مظلوما ثم تنصرف اتائب انت ام عاجز؟ فسكت ثم عاوده فقال له ياباعبد الله حدثني عن خصال خمس اسالك عنها فقال هات قال خذلك عثمان وبيعتك عليا واخراجك أم المؤمنين وصلاتك خلف ابنك ورجوعك عن الحرب . فقال الزبير نعم أخبرك . أما خذلي عثمان فامر قدر الله فيه الخطيئة واخر التوبة وأما بيعتى عليا فوالله ماوجدت من ذلك بدا حيث بايعه المهاجرون والانصار وخشيت القتل وأما اخراجنا امنا عائشة فأردنا امرا واراد الله غيره واماصلاتى خلف ابنى فانما قدمته عائشة ام المؤمنين ولم يكن لى سوي صاحبي امر واما رجوعي عن هذا الحرب فظن بى ماشئت غير الجبن فقال ابن جرموز والهفاه على ابن صفية اضرمها نارا ثم اراد ان يلحق باهله قتلني الله ان لم اقتله : ثم اتاه فقال له ياابا عبد كالمستنصح له . ان دون اهلك فيافى فخذ نجيبي هذا وخل فرسك ودرعك فانهما شاهدان عليك بما تكره فقال الزبير انظر في ذلك ليلتي ثم الح عليه فى فرسه ودرعه فلم يزل حتى اخذهما منه وانما اراد ابن جرموز ان يلقاه حاسرا لما علم باسه ثم اتى ابن جرموز الاحنف بن قيس فساره بمكان الزبير عنده وبقوله فقال له الاحنف اقتله قتله الله مخادعا . واتي الزبير رجل من كلب فقال له ياأبا عبد الله انت لى صهر وابن جرموز لم يعتزل هذا الحرب مخافة الله ولكنه كره ان يخالف الاحنف وقد ندم الاحنف على خذله عليا ولعله ان يتقرب بك اليه وقد اخذ منك درعك وفرسك وهذا

تصديق ماقلت لك فبت عندي الليلة ثم اخرج بعد نومه فانك ان فتهم لم يطلبوك فتهاون بقوله ثم بدا له فقال له فما ترى ياا خاكاب قال ارى ان ترجع الى فرسك ودرعك فتاخذهما فان احدا من الناس لا يقدم عليك وانت فارس ابدا فاصبح الزبير عاريا وسار معه ابن جرموز وقد كفر على الدرع فلما انتهى الى وادي السباع استغفله فطعنه ثم رجع براسه وسلبه الى قومه فقال له رجل من قومه يا ابن جرموز فضحت والله اليمن باسرها قتلت الزبير راس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته والله لو قتلته في حرب لعز ذلك علينا ولمسنا عارك فكيف في جوارك وذمتك والله لايزيدك على علي ان يبشرك بالنار فغضب ابن جرموز وقال والله ماقتلته الا له ووالله ما اخاف فيه قصاصا ولا ارهب فيه قريشا وان قتله على لهين

﴿مخاطبة على لطلحة بين الصفين﴾

قال وذكر ان عليا نادى طلحة بعد انصراف الزبير فقال له يا ابا محمد ماجاء بك قال اطلب دم عثمان قال على قتل الله من قتله قال طلحة خل بيننا وبين من قتل عثمان اما تعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يحل دم المؤمن في اربع خصال زان فيرجم او محارب لله او مرتد عن الاسلام او مؤمن يقتل مؤمنا عمدا فهل تعلم ان عثمان اتى شيا من ذلك فقال على لا قال طلحة فانت امرت بقتله قال على اللهم لا قال طلحة فاعتزل هذا الامر ونجعله شورى بين المسلمين فان رضوا بك دخلت فيما دخل فيه الناس وان رضوا غيرك كنت رجلا من المسلمين قال على او لم تبايعني يا ابا محمد طائعا غير مكره فما كنت لاترك بيعتي قال طلحة بايعتك والسيف على عنقي قال الم تعلم اني ما اكرهت احدا على البيعة ولو كنت مكرها احدا لا اكرهت سعدا وابن عمر ومحمد بن مسلمة ابوا البيعة واعتزلوا فتركتهم قال طلحة كنا في الشورى ستة فمات اثنان وقد كرهناك ونحن ثلاثه قال على انما كان لكما ان لا ترضيا قبل الرضي وقبل البيعة واما الان فليس لكما غير مارضيتما به الا ان تخرجا مما بويعت عليه بحدث فان كنت احدثت حدثا فسموه لى واخرجتم امكم عائشه وتركتم نساءكم فهذا اعظم الحدث منكم ارضي هذا لرسول الله ان تهتكوا سترا ضربه عليها وتخرجوها منه فقال طلحة انما جاءت للاصلاح قال على هي لعمر الله الى من يصلح لها امرها احوج ايها الشيخ اقبل النصح وارض بالتوبة مع العار قبل ان يكون العار والنار

﴿التحام الحرب﴾

قال وذكروا انه بينما كان الناس وقوف اذرمى رجل من اصحاب على فجيء به الى على فقالوا يا امير المؤمنين هذا اخونا قد قتل فقال على اعذروا الى القوم فقال عبد الرحمن ابن ابى بكر الى متى قد والله اعذرنا واعذرت ان كنت تريد الاعذار والله لتأذنن لنا في لقاء القوم او لننصرفن. الى متى نستهدف نحورنا للقتال والسلاح يقتلوننا رجلا رجلا فقال على قد والله ارنا اعذرنا اين محمد ابني فقال ها انذا اى بني خذ الراية فابتدر الحسن والحسين ليأخذاها فاخرها عنها وكان على يؤخرهما شفقة عليهما فأخذ محمد الراية ثم قام على فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبسها ثم قال احزموني فحزم بعمامة اسفل من سرته ثم خرج وكان عظيم البطن فقال لابنه تقدم وتضعضع الناس حين سمعوا به قد تحرك فبيناهم كذلك اذ سمعوا اصوتاً فقال على ورفع بصره الى السماء امن الله قتلة عثمان فى السهل والجبل. وقد كان على عبأ الناس اثلاثاً فجعل مضر قلب العسكر واليمن ميمنته وربيعة ميسرته وعبأ اهل البصرة مثل ذلك فاقتتل القوم قتالا شديداً فهزمت يمن البصرة يمن على وهزمت ربيعة البصره ربيعة على قال حية بن جهين نظرت على وهو يخفق نعاساً فقلت له تالله ما رأيت كاليوم قط ان بازائنا المائة الف سيف وقد هزمت ميمنتك وميسرتك وانت تخفق نعاسا فانتبه ورفع يديه وقال اللهم انك تعلم انى ما كتبت فى عثمان سواداً في بياض وان الزبير وطلحة ألبا واجلبا على الناس اللهم اولانا بدم عثمان فخذه اليوم. ثم تقدم على ونظر الى اصحابه يهزمون ويقتلون فلما نظر الى ذلك صاح بابنه محمد ومعه الراية ان اقتحم. فابطأ وثبت فاتى على من خلفه فضربه بين كتفيه واخذ الراية من يده ثم حمل فدخل عسكرهم وان الميمنتين والميسرتين تضربان فى احداها عمار وفى الاخرى عبد الله بن عباس ومحمد بن ابى بكر قال فشق على فى عسكر القوم يطعن ويقتل ثم خرج وهو يقول الماء الماء فاتاه رجل باداوة فيها عسل فقال له امير المؤمنين اما الماء فانه لا يصلح لك فى هذا المقام ولكن اذوقك هذا العسل فقال هات فحسا منه حسوة ثم قال ان عسلك لطائفي قال الرجل لعجبا منك والله يا امير المؤمنين لمعرفتك الطائفي من غيره فى هذا اليوم وقد بلغت القلوب الحناجر فقال له على انه والله يا ابن اخي ما ملأ صدر عمك شيء قط ولا هابه شيء ثم اعطي الراية لابنه وقال هكذا فاصنع فتقدم محمد بالراية ومعه الانصار حتي انتهي الى الجمل والهودج وهزم ما يليه فاقتتل الناس ذلك اليوم قتالا شديداً حتى كانت الواقعة والضرب على الركب وحمل الاشتر النخعى وهو يريد عائشة فلقيه عبد الله بن الزبير فضربه الاشتر واعتنقه عبد الله فصرعه وقعد على صدره

ثم نادى عبدالله : اقتلوني ومالكا. فلم يدر الناس من مالك فانفلت الاشتر منه فلما راى كعب بن سور الهزيمة اخذ بخطام البعير ونادى ايها الناس الله الله فقاتل وقاتل الناس معه وعظمت الازد على الهودج. واقبل على وعمار والاشتر والانصار معهم يريدون الجمل فاقتتل القوم حوله حتى حال بينهم الليل وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة ايام وان علياً خرج اليهم بعد سبعة ايام فهزمهم فلما راى طلحة ذلك رفع يديه الى السماء وقال اللهم ان كنا قد داهنا في امر عثمان وظلمناه فخذ له اليوم منا حتى ترضى قال فما مضى كلامه حتى ضربه مروان ضربة اتى منها على نفسه فخر ونبذت عائشة وحماها مروان في عصابة من قيس ومن كنانة وبني اسد فاحدق بهم على بن ابي طالب ومال الناس الى علي وكلما وثب رجل يريد الجمل ضربه مروان بالسيف وقطع يده حتى قطع نحو عشرين يداً من اهل المدينة والحجاز والكوفة حتى اتى مروان من خلفه فضرب ضربة فوقع وعرقب الجمل الذي عليه عائشة وانهزم الناس واسرت عائشة واسر مروان الحكم وعمر بن عثمان وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد ابن العاصي فقال عمار لعلي يا امير المؤمنين اقتل هؤلاء الاسرى فقال علي لا اقتل اسير اهل القبلة ذا رجم ونزع فدعا بموسى بن طلحة فقال الناس هذا اول قتيل يقتل فلما اتي به علي قال تبايع وتدخل فيما دخل فيه الناس قال نعم فبايع وبايع الجميع وخلى سبيلهم وسال الناس عليا ما كان عرض عليهم قبل ذلك فاعطاه ثم امر المنادى فنادى لا يقتلن الدبر ولا يجهز على جريح ولكم ما في عسكرهم وعلى نسائهم العدة وما كان لهم من مال في اهلهم فهو ميراث على فرائض الله فقام رجل فقال يا امير المؤمنين كيف تحل لنا اموالهم ولا تحل لنا نساؤهم ولا ابناؤهم فقال لا تحل ذلك لكم فلما اكثروا عليه بذلك قال اقترعوا هاتوا بسهامكم ثم قال ايكم ياخذ امكم عائشة في سهمه فقالوا نستغفر الله فقال وانا استغفر الله قال ثم ان علياً مر بالقتلى فنظر الى محمد بن طلحة وهو صريع في القتلى وكان يسمي السجاد لما بين عينيه من اثر السجود فقال رحمك الله يا محمد لقد كنت في العبادة مجتهداً آناء الليل قواما وفي الحرور صواما ثم التفت الى من حوله فقال هذا رجل قتله بر ابيه فاختلفوا في طلحة وابنه محمداً يهما قتل قبل فشهدت عائشة لمحمد انها رأته بعد قتل ابيه فورثوا ولده في مال طلحه . قال واتى محمد بن ابي بكر فدخل على اخته عائشه رضي عنها قال لها اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : على مع الحق والحق مع على ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان ، ثم دخل عليها على فسلم وقال يا صاحبة الهودج امرك الله ان تقعدى في

بيتك ثم خرجت تقاتلين اتر تحلى قالت ارتحل فبعث معها على رضي الله عنه ار بعين امراة وامرهن ان يلبسن العمائم وتقلدن السيوف وان يكن من الذين يلينها ولا تطلع على انهن نساء فجعلت عائشه تقول فى الطريق فعل الله في ابن ابى طالب وفعل بعث معي الرجال فلما قدمن المدينة وضعنا العمائم والسيوف ودخلن عليها فقالت جزى الله ابن ابى طالب الجنة. قال ودفن طلحة في ساحة البصرة فاتى عائشة فى المنام فقال حوليني من مكانكما فان البرد قد آزانى فحولته. وقال عبدالله بن الزبير أمسيت يوم الجمل وفى بضع وثلاثون بين ضربة وطعنة وما رأيت مثل يوم جرحا الجمل وط ما ينهزم منا احد ولا يأخذ احدمنا بخطام الجمل الا قتل أو قطعت يده حتي ضاع الخطام من يد بني ضبة فعقر الجمل. قال دخل موسي ابن طلحة على على فقال له على انى لارجوان اكون انا وابوك ممن قال الله فيهم ونزعنا مافى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين» وامسي على بالبصرة ذلك اليوم الذى اتاه فيه موسي بن طلحه فقال بن الكواء أمسيت بالبصرة يا أمير المؤمنين فقال كان عندى ابن اخى قال ومن هو قال موسي بن طلحة فقال بن الكواء لقد شقينا ان كان ابن اخيك. فقال على ويحك ان الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم. قال ابن الكواء يا أمير المؤمنين من اخبرك بمسيرك هذا الذى سرت فيه تضرب الناس بعضهم ببعض وتستوني بالامر عليهم ارأى رأيته حين تفرقت الامة واختلفت الدعوة فرأيت انك احق بهذا الامر منهم لقرابتك فان كان رأيا رأيته اجبناك فيه وان كان عهداً عهده اليك رسول الله فأنت الموثوق به المؤمنون على رسول الله فيما حدثت عنه فقال على انا اول من صدقه فلا اكون اول من كذب عليه اما ان يكون عندى عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا والله ولكن لما قتل الناس عثمان نظرت فى امرى فاذا الخليفتان اللذان اخذاها من رسول الله قد هلكا ولا عهد لهما واذا الخليفه الذى اخذها بمشورة المسلمين قد قتل وخرجت ربقته من عنقي لانه قتل ولا عهد له. قال بن الكواء صدقت وبررت ولكن مابال طلحة والزبير ولم استحللت قتالهما وقد شاركاك في الهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الشورى مع عمر بن الخطاب؟ قال على: بايعانى بالحجاز ثم خالفانى بالعراق فقاتلتهما على خلافهما ولو فعلا ذلك مع ابى بكر وعمر لقاتلاهما.

﴿ مبايعة اهل الشام بالخلافة معاوية ﴾

قال وذكروا ان النعمان بن بشير لما قدم على معاوية بكتاب زوجة عثمان تذكر فيه دخول القوم عليه وما صنع محمد بن ابي بكر من نتف لحيته فى كتاب رققت فيه وابلغت حتى

اذا سمعه السامع بكى حتى يتصدع قلبه وبقميص عثمان مخضباً بالدم ممزقا وعقدت شعر لحيته في زر القميص . قال فصعد المنبر معاوية بالشام بجمع الناس ونشر عليهم القميص وذكر ما صنعوا بعثمان فبكى الناس وشهقوا حتى كادت نفوسهم ان تزهق ثم دعاهم الى الطلب بدمه فقام اليه اهل الشام فقالوا هو ابن عمك وانت وليه ونحن الطالبون معك بدمه فبايعوه اميراً عليهم وكتب وبعث الرسل الى كور الشام وكتب الى شرحبيل ابن السمط الكندي وهو بحمص يامره ان يبايع له بحمص كما بايع اهل الشام فلما قرا شرحبيل كتاب معاوية دعا اناسا من اشراف اهل حمص فقال لهم ليس من قتل عثمان باعظم جرما ممن يبايع لمعاوية اميرا وهذه سقطة ولكنا نبايع له بالخلافة ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفته . فبايع لمعاوية بالخلافة هو واهل حمص ثم كتب الى معاويه . اما بعد فانك اخطات خطأ عظيما حين كتبت الى ان ابايع لك بالامرة وانك تريد ان تطلب بدم الخليفة المظلوم وانت غير خليفة وقد بايعت ومن قبلي لك بالخلافة . فلما قرا معاوية كتابه سره ذلك ودعا الناس وصعد المنبر واخبرهم بما قال شرحبيل ودعاهم الى بيعته بالخلافة فاجابوه ولم يختلف منهم احد فلما بايع القوم له بالخلافة واستقام له الامر كتب الى علي : سلام الله على من اتبع الهدى اما بعد فانا كنا نحن واياكم يدا جامعة والفة اليفة حتى طمعت يا ابن ابي طالب فتغيرت واصبحت تعد نفسك قويا على من عاداك بطغام اهل الحجاز واوباش اهل العراق وحمقى الفسطاط وغوغاء السواد وايم الله لينجلين عنك حمقاها ولينقشعن عنك غوغاؤها انقشاع السحاب عن السماء . قتلت عثمان ابن عفان ورقيت سلما اطلعك الله عليه مطلع سوء عليك لا لك . وقتلت الزبير وطلحة وشردت امك عائشة ونزلت بين المصرين فمنيت وتمنيت وخيل لك ان الدنيا قد سخرت لك بخيلها ورجلها وانما تعرف امنيتك لو قد زرتك في المهاجرين من اهل الشام بقية الاسلام فيحيطون بك من ورائك ثم يقضي الله علمه فيك والسلام على اولياء الله . فاجابه علي : اما بعد فقدر الامور تقدير من ينظر لنفسه دون جنده ولا يشتغل بالهزل من قوله فلعمري لئن كانت قوتي باهل العراق اوثق عندي من قوتي بالله ومعونتي به ليس عبد الله تعالى يثير من كان على هذا فناج نفسك مناجاة من يستغني بالجد دون الهزل فان في القول سعة ولن يعذر مثلك فيما طمح اليه الرجال . واما ما ذكرت من انا كنا واياكم يدا جامعة فكنا كما ذكرت ففرق بيننا وبينكم ان الله بعث رسوله منا فآمنا به وكفرتم . ثم زعمت اني قتلت طلحة والزبير فذلك امر غبت عنه ولم تحضره ولو حضرته لعلمته فلا عليك ولا العذر فيه اليك وزعمت انك زائر في المهاجرين وقد انقطعت الهجرة حين اسر ابوك فان فيك

عجل فاستبقه وان ازرك فجد بر ان يكرن الله يشني عليك للنقمة منك والسلام .

﴿ قدوم عقيل بن ابى طالب على معاوية ﴾

قال وذكروا ان عقيل بن ابى طالب قدم على اخيه على بالكوفة فقال له على مرحبا بك واهلا ما اقدمك يا أخي قال تاخر العطاء عنا وغلاء السعر ببلدنا وركبنا دين عظيم فجئت لتصلني فقال على والله مالي مما ترى شيئا الا عطائي فاذا خرج فهو لك فقال عقيل وانما شخوصي من الحجاز اليك من اجل عطائك وماذا يبلغ مني عطاؤك وما يدفع من حاجتي ؟ فقال على هل تعلم لي مالا غيره ام تريد ان يحرقني الله في نار جهنم في صلتك اموال المسلمين ؟ فقال عقيل والله لاخرجن الى رجل هو اوصل لي منك « يريد معاوية » فقال له على راشداً مهدياً . فخرج عقيل حتى اتى معاوية فلما قدم عليه قال له معاوية مرحباً واهلا بك يا ابن ابى طالب ما اقدمك على فقال قدمت عليك لدين عظيم ركبني فخرجت الى اخي ليصلني فزعم انه ليس له مما يلي الا عطاؤه فلم يقع ذلك مني موقعا ولم يسد مني مسدا فاخبرته اني سأخرج الى رجل هو اوصل منه لي فجئتك . فازداد معاوية فيه رغبة وقال يا اهل الشام هذا سيد قريش وابن سيدها عرف الذى فيه اخوه من الغواية والضلالة فاتاب الي اهل الدعاء الى الحق ولكني ازعم ان جميع ما تحت يدي لي فما اعطيت فقربة الى الله وما امسكت فلاجناح على فيه . فاغضب كلامه عقيلا لما سمعه ينتقص اخاه فقال : صدقت خرجت من عند اخي على هذا القول وقد عرفت من في عسكره لم أفقد والله رجلا من المهاجرين والانصار ولا والله مارأيت في عسكر معاوية رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال معاوية عند ذلك يا اهل الشام اعظم الناس من قريش عليكم حقا ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وسيد قريش ها هو ذا تبرأ الى الله مما عمل به اخوه . قال وامر له معاوية بثلثمائة الف دينار قال له هذه مائة الف تقضي بها ديونك ومائة الف تصل بها رحمك ومائة الف توسع بها على نفسك .

﴿ نعي عثمان بن عفان الى معاوية ﴾

قال عبد الله بن مسلم وذكر ابن عفير عن عون بن عبد الله بن عبد الرحمن الانصاري قال قدم الحجاج بن خزيمة الشام بكتاب معاوية بعد قتل عثمان بايام فقال اتعرفني قال نعم انت ابن الحجاج خزيمة فما وراءك فقال الحجاج انا نذير العريان انعى اليك امير المؤمنين عثمان ثم قال اني كنت ممن خرج معينا لعثمان مع يزيد بن اسد فتقدمت الى الربذة فلقينا بها رجلا حدثنا عن قتل عثمان وزعم انه ممن قتله فقتلناه

واني اخبرك يامعاوية انك تقوى على على بدون مايقوى به عليك لان من معك لا يقولون اذا قلت ولا يسألون اذا امرت ولان من مع على يقولون اذا قال ويسألون اذا امر فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه . واعلم ان علياً لا يرضيه الا الرضا وان رضاه يسخطك ولست وعلى بالسواء لا يرضي على بالعراق دون الشام ورضاؤك بالشام دون العراق. قال وذكروا انه لما فرغ من وقعة الجمل بايع له القوم جميعا وبايع له اهل العراق واستقام له الامر بها كتب الي معاوية : اما بعد فان القضاء السابق والقدر النافذ ينزل من السماء ويقطر المطر فتمضي احكامه عز وجل وتنفذ مشيئته بغير تحاب المخلوقين الا رضا الآدميين وقد بلغك ما كان من قتل عثمان رحمه الله و بيعة الناس عامة إياي ومصارع الناكثين لى فادخل فيما دخل الناس فيه والا فانا الذي عرفت وحولي من تعلمه والسلام . فلما قدم على معاوية كتاب على من الحجاج بن عدى الانصارى القائم وهو يخطب الناس بدمشق فلما قرأه اغتم بذلك واعظمه واسره عن اهل الشام ثم قام الحجاج بن عدى خطيبا فحمد الله واثني عليه ثم قال : يا أهل الشام ان امر عثمان اشكل على من حضره المخبر عنه كالاعمي والسميع كالاصم عابه قوم فقتلوه وغدره قوم فلم ينصروه فكذبوا الغائب واتهموا الشاهد وقد بايع الناس عليا على منبر رسول الله بيعة عامة من رغب عنها رد اليها صاغرا داحرا فانظروا في ثلاث وثلاث ثم اقضوا على انفسكم. اين الشام من الحجاز واين معاوية من على واين انتم من المهاجرين والانصار والتابعين لهم باحسان. قال فغضب معاوية لقوله وقال يا حجاج انت صاحب زيد بن ثابت يوم الدار قال نعم فان كان لمك والا احد ثك قال هات قال أشرف علينا زيد بن ثابت وكان مع عثمان فى الدار وقال يامعشر الانصار انصروا الله مرتين فقلت يازيد انا نكره ان نلقي الله فنقول كما قال القوم (ربنا إنا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيل) فقال معاوية انصرف الى على واعلمه ان رسولي على اثرك ثم ان معاوية انتخب رجلا من عبس وكان له لسان فكتب معاوية الى على كتابا عنوانه. من معاوية الى على وداخله . بسم الله الرحمن الرحيم : لا غير . فلما قدم الرسول دفع الكتاب الى على فعرف على ما فيه وان معاوية محارب له وانه لا يجيبه الى شيء مما يريد وقام رسول معاوية خطيبا فحمد الله واثني عليه ثم قال هل ههنا احد من ابناء قيس عيلان و بني عبس وذبيان قالوا نعم هم حولك قال فاسمعوا ما اقول لكم : يامعشر قيس انى احلف بالله لقد خلفت بالشام خمسين الف شيخ خاضبين لحاهم من دموع اعينهم تحت قميص عثمان رافعيه على الرماح نخضوبا بدمائه قد اعطوا الله عهدا ان لا يغمدوا سيوفهم ولا

يغمضوا جفونهم حتى يقتلوا قتلة عثمان يوصي به الميت الحي ويرثه الحي من الميت حتى والله
نشأ عليه الصبي وهاجر عليه الاعرابي وترك القوم تمس الشيطان وقالوا تمسا لقتلة عثمان
واحلف بالله ليأتينكم من خضر الخيل اثنا عشر الفا فانظروا كم الشهب وغيرها . فقال له علي
مايريدون بذلك قال يريدون بذلك والله خبط رقبتك فقال علي تربت يداك وكذب فوك
اما والله لوان رسولا قتل لقتلتك فقام الصلت بن زفر. فقال: ليس وافد اهل الشام انت
ورائدا اهل العراق ونعم العون لعلي وبئس العون لمعاوية ياخاعبس اتخوف المهاجرين
والانصار بخضر الخيل وغضب الرجال ؟ والله ما نخاف غضب رجالك ولا خضر خيلك
فاما بكاء اهل الشام على قميص عثمان فوالله ماهو بقميص يوسف ولا بحزن يعقوب ولئن
بكوا عليه بالشام لقد خذلوه بالحجاز واما قتالهم عليا فان الله يصنع في ذلك ما احب . قال
وان العبسي اقام بالعراق عند علي حتى انهم معاوية ولقيه المهاجرون والانصار فاشربوه
حب علي وحدثوه عن فضائله حتى شك في امره .

﴿ قدوم ابن عم عدي بن حاتم بالشام ﴾

قال وذكروا ان عدي بن حاتم قدم الى علي الكوفة قبل ان يسير الى البصرة فقال ياامير
المؤمنين اننا نخاف احدا الامعاوية وعندي رجل من قومي يريد ان يزور ابن عم
له بالشام يقال له حابس بن سعد فلو امرته ان يلقي معاوية لعله ان يكسره ويكسر
اهل الشام فقال له علي افعل فامره بذلك فلما قدم على ابن عمه وكان سيد طيء
بالشام سأله فاخبره انه شهد قتل عثمان بالمدينة المنورة وسار مع علي الى الكوفة وكان
له لسان وهيبة فغدا به حابس الى معاوية فقال هذا ابن عمي قدم من الكوفة وكان
مع علي وشهد قتل عثمان بالمدينة وهو ثقة فقال معاوية حدثنا عن امر عثمان قال نعم:
وليه محمد بن ابي بكر وعمار بن ياسر وتجرد في امره ثلاث نفر عدي بن حاتم والاشتر
النخعي وعمرو بن الحمين ودب في امره رجلان طلحة والزبير وابرأ الناس منه
علي بن ابي طالب ثم تهافت الناس على علي بالبيعة تهافت الفراش حتى ضلت النعل
وسقط الرداء ووطيء الشيخ . ولم يذكر عثمان ولم يذكروه ثم تهيأ للمسير فخف
معه المهاجرون والانصار وكره القتال معه ثلاث نفر عبد الله بن عمر وسعد بن ابي
وقاص ومحمد بن مسلمة فلم يستكره احدا واستغنى بمن خف معه عمن ثقل ثم سار حتى
انتهى الى جبل طيء فاتاه منهم جماعة عظيمة حتى اذا كان في بعض الطريق اتاه

مسير طلحة والزبير وعائشة الى البصرة فسرح رسله الى الكوفة فاجابوا دعوته ثم قدمها فحملوا اليه الصبي ودبت اليه العجوز وخرجت اليه العروس فرحاً به وسروراً وشوقاً اليه ثم سار الى البصرة فبرز اليه القوم طلحة والزبير وأصحابهم فلم يلبثوا الا يسيراً حتى صرعهم الله وابرزهم الى مضاجعهم ثم صارت البصرة ومن حولها في كفه قال فتركته وليس لهم الا انت والشام فانكسر معاوية لقوله وقال والله ما اظنه الا عيناً لعلي اخرجوه لا يفسد اهل الشام ثم قال معاوية وكيف لا يضيع عثمان ويقتل وقد خذله اهل ثقاته وراجموا عليه اما والله لئن بقينا لهم لاندرسنهم درس الجمال هشيم اليبس

﴿ استعمال علي عبد الله بن عباس على البصرة ﴾

قال وذكروا ان عليا لما سار من البصرة بعد فراغه من اصحاب الجمل استعمل عليها عبد الله بن عباس وقال له اوصيك بتقوى الله عز وجل والعدل على من ولاك الله امره اتسع للناس بوجهك وعلمك وحكمك واياك والاحن فانها تميت القلب والحق واعلم ان ما قربك من الله بعدك من النار وما قربك من النار بعدك من الله اذكر الله كثيرا ولا تكن من الغافلين. فلم يلبث علي حين قدم الكوفة واراد المسير الى الشام ان انضم اليه ابن عباس واستعمل على البصرة زياد بن ابي سفيان

(ما اشار به الاحنف بن قيس على علي)

قال وذكروا ان الاحنف بن قيس قام الى علي: فقال يا امير المؤمنين انه ان يك بنو سعد لم ينصروك يوم الجمل فلن ينصروا عليك غيرك وقد عجبوا ممن نصرك يومئذ وعجبوا اليوم ممن خذلك لانهم شكوا في طلحة والزبير ولم يشكوا في عمرو ومعاوية وان عشيرتنا بالبصرة فلو بعثنا اليهم فقدموا علينا فقاتلنا بهم العدو وانتصفنا بهم من الناس وادركوا اليوم ما فاتهم امس. وهذا جمع قد حشره الله عليك بالتقوى لم تستكره فيه اشخاصا ولم تشخص فيه مقيما ومن كان معك نافعك ورب مقيم خير من شاخص. وانا انشدك الرجاء بالخلافة والله لوددنا ان امواتنا رجعوا الينا فاستعنا بهم على عدونا وليس لك الا من كان معك ولنا من قومنا عدد ولا نلقى بهم عدوا اعدى من معاوية ولا نسد بهم ثغرا اشد من الشام

(كتاب الاحنف الى قومه يدعوهم به الى نصرة علي)

قال وذكروا ان عليا قال للاحنف بن قيس اكتب الى قومك قال نعم فكتب الاحنف الى بني سعد: اما بعد فانه لم يبق احد من بني تميم الا وقد شقوا برأي سيدهم غيركم وعصمكم الله برأيي حتى نلتم ما رجوتم وامنتم مما خفتم فاصبحتم منقطعين من اهل البلاء لاحقين باهل

العافية واني اخبركم انا قدمنا على تميم بالكوفة فاخذنا علينا بفضلهم من تين مسيرهم الينا مع علي وتهيؤهم للمسير الى الشام ثم تحشرنا معهم فصرنا كأنا لا نعرف الا بهم فاقبلوا الينا ولا تتكلوا علينا فان لهم اعدادنا من رؤسائهم فلا تبطأوا عنا فان من تأخير العطاء حرماناً ومن تأخير النصر خذلاناً. فحرمان العطاء القلة وخذلان النصر الابطاء. ولا تنقضي الحقوق الا بالرضي وقد يرضي المضطر بدون الامل. فلما اتى كتاب الاحنف الى بني سعد ساروا بجماعتهم حتى نزلوا الكوفة

(كتاب اهل العراق الى مصقلة)

قال وذكروا انه قام الى علي بعد انصرافه من البصرة الى الكوفة وجوه بكر بن وائل فقالوا يا امير المؤمنين ان نعيما اخا مصقلة يستحي منك لما صنع مصقلة وقد اتانا اليقين انه لا يمنع مصقلة من الرجوع اليك الا الحياء ولم يبسط منذ فارقنا لسانه ولا يده فلو كتبنا اليه كتابا و بعثنا من قبلنا رسولا فانا نستحي ان يكون فارقنا مثل مصقلة من اهل العراق الى معاوية فقال علي اكتبوا فكتبوا اما بعد فقد علمنا انك لم تلحق بمعاوية رضي بدينه ولا رغبة في دنياه ولم يعطفك عن علي طعن فيه ولا رغبة عنه ولكن توسطت امراً فقويت فيه الظن واضعفت فيه الرجاء فكان اولاهما عندك ان قلت افوز بالمال وألحق بمعاوية ولعمرنا ما استبدلت الشام بالعراق ولا السكاسك بربيعة ولا معاوية بعلي ولا اصبت دنيا تهنأ بها ولا حظاً تحسد عليه وان اقرب ما تكون مع الله ابعد ما تكون مع معاوية فارجع الى مصرك فقد اغتفر امير المؤمنين الذنب واحتمل الثقل واعلم ان رجعتك اليوم خير منها غدا وكانت امس خيرا منها اليوم وان كان عليك حياء من ابي الحسن فما انت فيه اعظم فقبح الله امرا ليس فيه دنيا ولا آخرة. فلما انتهى كتابهم الى مصقلة وكان لرسولهم عقل ولسان فقال الرسول : يا مصقلة انظر فيما خرجت منه وفيما صرت اليه وانظر من اخذت ومن تركت وانظر من جاورت ومن زايلت ثم اقض بعقلك دون هواك . قال وان مصقلة مضى الى معاوية بالكتاب فاقرأه اياه فقال معاوية يا مصقلة انك عندي غير ظنين فاذا اتاك شيء فاستره عني فانصرف مصقلة الى منزله فدعا الرسول فقال يا اخا بكر انما هربت بنفسي من علي ولا والله ما يطول لساني بغيبته ولا قلت فيه قط حرفا بسوء اذهب بكتابي هذا الى قومي

(جواب مصقلة الى قومه)

قال وذكروا ان مصقلة كتب الى قومه. اما بعد فقد جاءني كتابكم واني اخبركم انه

من لم ينفعه القليل لم ينفعه الكثير وقد علمتم الامر الذي قطمني من علي واضافني الى معاوية وقد علمت اني لو رجعت الي علي واليكم لكان ذنبي مغفورا ولكني اذنبت الى علي وصحبت معاوية فلو رجعت الى علي احدثت عيباً واحييت عارا وكنت بين لائمين اولهما خيانة وآخرهما غدر ولكني اقيم بالشام فان غلب معاوية فداري العراق وان غلب علي فداري ارض الروم فاما الهوي فاليكم طائر وكانت فرقتي علياعلى بعض العذر احب الى من فرقتي معاوية ولاعذر لي. ثم قال للرسول يا ابن اخي استعرض الناس عن قولي في علي فقال قد سألت فقالوا خيراً قال فاني والله عليه حتى اموت. فرجع الرسول بالكتاب فاقرأه علياً فقال كفوا عن صاحبكم فليس براجع حتي يموت فقال حصين اما والله ما به الا الحياء

(لحوق عبد الله بن عامر)

قال وذكروا ان عبد الله بن عامر لحق بالشام ولم يأت معاوية وخاف يوما كيوم الجمل فبعث اليه معاوية ان يأتيه والح عليه فكتب ابن عامر . اما بعد فاني اخبرك اني اقحمت طلحة والزبير الى البصرة وانا اقول اذا رأى الناس ام المؤمنين مالوا اليها وان فر الناس لم يفر الزبير وان غدر الناس لم يغدر مروان فغضبت عائشة ورجع الزبير وقتل مروان طلحة وذهب مالي بما فيه والناس اشباه واليوم كامس فان اتبعتني هواي والا ارتحل عنك والسلام. فكتب معاوية اليه. اما بعد فانك قلدت امر دينك قتلة عثمان وانفقت مالك لعبد الله بن الزبير وآثرت العراق على الشام فاخرجك الله من الحرب صفر اليدين ليس لك حظ الحق ولا ثار القتيل فلما انتهى كتابه الي ابن عامر اتاه فغمس يده معه وبايعه فلاطفه معاوية وعرف له قرابته من عثمان

(ما اشار به عمار بن ياسر على علي)

قال وذكروا ان عمار بن ياسر قام الى علي. فقال يا امير المؤمنين انما بايعناك ولا نرى احداً يقاتلك فقاتلك من بايعك واعطاك الله فيهم ما وعدك في قوله عز وجل « ومن بغى عليه لينصرنه الله » وقوله « يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم » وقوله « ومن نكث فانما ينكث على نفسه » وقد كانت الكوفة لنا والبصرة علينا فاصبحنا على ما نحب بين ماض مأجور وراجع معذور وان بالشام الداء العضال رجلا لا يسلمها ابدا الا مقتولا او مغلوبا فعاجله قبل ان يعاجلك وانبذ اليه قبل الحرب

(ما اشار به الاشتر على علي)

قال وذكروا ان الاشتر النخعي قام الى علي فقال يا امير المؤمنين انما لنا ان نقول قبل ان تقول فاذا عزمت لم نقل فلو سرت بنا الى الشام بهذا الحد والجد لم يلقوك بمثله فان القلوب اليوم سليمة والابصار صحيحة فبادر بالقلوب القسوة وبالابصار العمى

(كتاب علي الى جرير بن عبد الله)

قال وذكروا ان عليا كتب الى جرير بن عبد الله وكان على ثغر همذان كان استعمله عليه عثمان وكتب علي اليه مع زفر بن قيس. اما بعد فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا اراد الله بقوم سوء فلا مرد له وما لهم من دونه من وال. ثم انى اخبرك عنا وعمن سرنا اليهم من جمع طلحة والزبير عند نكثهما بيعتهما وما صنعا بعاملي عثمان بن حنيف انى هبطت من المدينة بالمهاجرين والانصار حتى اذا كنت ببعض الطريق بعثت الى الكوفة الحسن ابني وعبد الله بن العباس ابن عمي وعبد الله بن ياسر وقيس بن سعد بن عبادة فاستنفرتهم بحق الله وحق رسوله فاجابوا وسرت بهم حتى نزلت بظهر البصرة فاعذرت في الدعاء واقلت في العثرة وناشدتهم عقد بيعتهم فاجابوا الا قتالى فاستعنت الله عليهم فقتل من قتل وولوا مدبرين الى مصرهم فسألوني ما كنت دعوتهم اليه قبل اللقاء فقبلت العافية ورفعت عنهم السيف واستعملت عليهم عبد الله بن عباس و بعثت اليك زفر بن قيس فاسأله عنا وعنهم

(خطبة زفر بن قيس)

قال وذكروا انه لما قدم زفر على جرير بكتاب علي وقرأه جرير قام زفر خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال. ايها الناس ان عليا كتب اليكم بكتاب لا يقول بعده الا رجيعاً من القول ان الناس بايعوا علياً بالمدينة غير محاباة ببيعتهم لعلمه بكتاب الله ويرى الحق فيه وان طلحة والزبير نقضا بيعة على على غير حدث ثم لم يرضيا حتى نصبا له الحرب والبا عليه الناس واخرجا ام المؤمنين عائشه من حجاب ضربه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عليها فلقيهما فاعذر فى الدعاء وخشى البغى وحمل الناس على ما يعرفون فهذا عيان ما غاب عنكم وان سألتم الزيادة زدناكم

﴿خطبة جرير بن عبد الله البجلي﴾

قال وذكروا ان جرير بن عبد الله قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه فقال: ايها الناس هذا كتاب أمير المؤمنين على بن ابى طالب وهو المأمون على الدين والدنيا وكان من امره

وأمر عدوه ماقد سمعتم والحمد لله على اقضيته وقد بايعه السابقون الاولون من المهاجرون والانصار والتابعون باحسان ولو جعل الله هذا الامر شورى بين المسلمين لكان على احق بها الاوان البقاء فى الجماعة والفناء فى الفرقة وعلى حاملكم ما استقمتم له فان ملتم اقام ميلكم قال الناس سمعا وطاعة ورضانا رضي من بعدنا .

﴿ كتاب على الى الاشعث بن قيس ﴾

قال وذكروا ان عليا كتب الى الاشعث بن قيس مع زياد بن كعب والاشعث يومئذ بأذربيجان عاملا لعثمان كان استعمله عليها. اما بعد فلولا هنات كن فيك كنت المقدم فى هذا الامر قبل الناس فلعل أمرا يحمل بعضه بعضا ان اتقيت الله وقد كان من بيعة الناس اياى ماقد بلغك وكان طلحة والزبير اول من بايعني ثم نقضا بيعتي على غير حدث وأخرجا ام المؤمنين الى البصرة فصرت اليهما فى المهاجرين والانصار فالتقينا فدعوتهما الى ان يرجعا الى ماخرجنا منه فابيا فابلغت في الدعاء واحسنت في البقاء وان عملك ليس لك بطعمة ولكنه امانة فى عنقك والمال مال الله وانت من خزانى عليه حتي تسلمه الي ان شاء الله وعلى ان لا اكون شر ولاتك .

﴿ خطبة زياد بن كعب ﴾

قال وذكروا ان الاشعث بن قيس لما قرا كتاب على قام زياد بن كعب خطيباً فحمد الله واثني عليه ثم قال . ايها الناس انه من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير وان امر عثمان لم ينفع فيه العيان ولم يشف منه الخبر غير ان من سمعه ليس كمن عاينه وان المهاجرين والانصار بايعوا عليا راضين به وان طلحة والزبير نقضا بيعة على على غير حدث واخرجا ام المؤمنين على غير رضي فسار اليهم ولم يقتلهم فتركهم ومافى نفسه منهم حاجة فأورثه الله الارض وجعل له عاقبة المتقين.

﴿ خطبة الاشعث بن قيس ﴾

قال فقام الاشعث بن قيس خطيباً . فقال ايها الناس ان عثمان رحمه الله ولانى اذربيجان وهلك وهي فى يدي وقد بايع الناس عليا وطاعتنا له لازمة وقد كان من امره وامر عدوه ماقد بلغكم وهو المامون على ماغاب عنا وعنكم من ذلك .

(مشورة الاشعث ثقاته في اللحوق بمعاوية الي الشام)

قال وذكروا ان الاشعث رجع الي منزله فدعا اهل ثقته من اصحابه فقال لهم ان كتاب على جاءنى وقد اوحشني وهو آخذى بمال اذربيجان وانا لاحق بمعاوية.

فقال القوم الموت خير لك من ذلك اتدع مصرك وجماعة قومك وتكون ذنبا لاهل الشام

(كتاب جرير الى الاشعث)

قال وذكروا ان جريرا كتب الى الاشعث . اما بعد فانه اتتني بيعة علي فقبلتها ولم اجد الى دفعها سبيلا واني نظرت فيما غاب عني من امر عثمان فلم اجده يلزمني وقد شهده المهاجرون والانصار فكان اوثق امرهم فيه الوقوف فاقبل بيعته فانك لا تلتفت الى خير منه . واعلم ان بيعة علي خير من مصارع اهل البصرة وقد تحلب الناقة الضجور ويجلس العود على البعير الدبر فانظر لنفسك والسلام

(ارسال علي جريرا الى معاوية)

قال وذكروا ان جريرا لما قدم على علي قال له يا جرير انطلق الي معاويه بكتابي هذا وكن عند ظني فيك واعلم يا جرير انك تري من حولي من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . من المهاجرين والبدريين والمقبيين واني اخترتك عليهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ذي يمن جرير فاذهب الى معاويه بكتابي هذا ورسالتي فان دخل فيما دخل فيه المسلمون والا فانبذ اليه بالحرب واعلمه اني لا ارضى به اميرا ولا العامة ترضى به واليا : فقال جرير اني لا كره ان امنعك معونتي وما اطمع لك في معاوية ويصنع الله ما يشاء

(كتاب علي الي معاوية مرة ثانية)

قال وذكروا ان عليا كتب الى معاوية مع جرير اما بعد فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام لانه بايعني الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا فلم يكن للشاهد ان يختار ولا للغائب ان يرد وانما الشوري للمهاجرين والانصار فاذا اجتمعوا على رجل فسموه إماما كان ذلك لله رضاً فان خرج منهم خارج ردوه الى ما خرج منه فان ابى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وان طلحه والزبير بايعاني بالمدينة ثم نقضا بيعتها فكان نقضهما كردتهما فجاهدتهما بعد ما اعذرت اليهما حتي جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب اموركِ الى العافية الا ان تتعرض للبلاء فان تتعرض للبلاء قاتلتك واستعنت بالله عليك وقد اكثرت الكلام في قتلة عثمان فادخل في الطاعة ثم حاكم القوم الى احملك واياهم على كتاب الله فاما التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرا الناس من دم عثمان واعلم يا معاوية

انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الامامة ولا تعرض فيهم الشورى وقد بعثت اليك والى من قبلك جرير بن عبدالله وهو من أهل الايمان والهجرة السابقة فبايع ولا قوة الا بالله

﴿ قدوم جرير الى معاوية ﴾

قال وذكروا ان جريراً لما قدم على معاوية بكتاب على قام جرير بالشام خطيبا فقال ايها الناس ان امر عثمان قد أعيا عليا ومن شهده فما ظنكم بمن غاب عنه ان الناس بايعوا عليا وان طلحة والزبير كانا ممن بايع ثم نقضا بيعته الا وان هذا الدين لا يحتمل الفتن الا وان هذا الدين لا يحتمل السيف وقد كانت البصرة ملحمة ان يشفع البلاء بمثلها فلا بقاء للناس وقد بايعت العامة علياً ولو ملكنا امرنا لم نختر لها غيره فمن خالف هذا استعتب فادخل يامعاوية فيما دخل الناس فيه فان قلت ان عثمان ولانى ولم يعزلني فان هذا لو كان لم يقم لله دين وكان لكل امرىء ما هو فيه.

﴿ إشارة الناس على علي بالمقام بالكوفة ﴾

قال وذكروا ان عليا استشار الناس فاشاروا عليه بالمقام بالكوفة عامة ذلك غير الاشتر النخعي وعدى بن حاتم وشريح بن هانى فانهم قاموا الى على فتكلموا بلسان واحد فقالوا ان الذين اشاروا عليك بالمقام انما خوفوك بحرب الشام وليس في حربهم شيء أخوف من الموت ونحن نريده فقال لهم ان استعدادي لحرب الشام وجرير بها صارف لهم عن خير ان ارادوه ولكني قد وقت له وقتا لا يقيم بعده الا ان يكون مخدوعا او عاصيا ولا اكره لكم الاعداد وأبطأ جرير على على بالشام حتي يئس منه وان جرير لما أبطأ عليه معاوية برأيه استحثه بالبيعة فقال معاوية لجرير: ياجرير ان البيعة ليست بخلسة وانه أمر له ما بعد فابلعني ريقي.

﴿ مشورة معاويه اهل ثقته ﴾

قال وذكروا ان معاوية دعا اهل ثقته فاستشارهم فقال عتبة ابن ابى سفيان استعن على هذا الامر بعمرو بن العاص فانه من قد عرفت وقد اعتزل عثمان في حياته وهو لامرك اشد اعتزالا الا ان ترضيه

(كتاب معاوية الى عمرو بن العاص)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى عمرو بن العاص وهو بفلسطين: اما بعد فقد كان من امر على وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط الينا مروان بن الحكم في رافضة من

اهل البصرة وقدم على جرير بن عبدالله فى بيعة على وقد حبست نفسي عليك فاقدم على بركة الله والسلام

(ماسأل معاوية من على من الاقرار بالشام ومصر)

قال وذكروا ان معاوية قال لجرير انى قد رايت رايا قال جرير هات قال اكتب الى على ان يجعل لي الشام ومصر فان حضرته الوفاة لم يجعل لاحد من بعده في عنقى بيعة واسلم اليه هذا الامر واكتب اليه بالخلافة قال جرير اكتب ماشئت وانما اراد معاوية فى طلبة الشام ومصر ان لا يكون لعلى في عنقه بيعة وان يخرج نفسه مما دخل فيه الناس فكتب الى على يساله ذلك فلما اتي عليا كتاب معاوية عرف انها خدعة منه .

(كتاب على الى جرير بن عبد الله)

قال وذكروا ان عليا كتب الى جرير . اما بعد فان معاوية انما اراد بما طلب ان لا يكون لى فى عنقه بيعة وان يختار من امره ما احب وقد كان المغيرة بن شعبة اشار على وانا بالمدينة ان استعمله على الشام فابيت ذلك عليه ولم يكن الله ليراني ان اتخذ المضلين عضدا فان بايعك الرجل والا فاقبل

(استشارة عمرو بن العاص ابنيه ومواليه)

قال وذكروا انه لما انتهى الى عمرو بن العاص كتاب معاوية وهو بفلسطين استشار ابنيه عبدالله ومحمداً وقال: يابني انه قدكان مني في امر عثمان فلتات فلم استقبلها بعد وقد كان من هروبى بنفسى حين ظننت انه مقتول ماقد احتمله معاوية عني وقد قدم على معاوية جرير ببيعة على وقد كتب الى معاوية بالقدوم عليه فما تريان ؟ فقال عبدالله وهو الاكبر :ارى والله ان نبي الله قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده كذلك وقتل عثمان وانت غائب عنه فاقم في منزلك فلست مجعولا خليفة ولا تريد ان تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة وستهلكا فتستويا فيها جميعا .وقال محمد : ارى انك شيخ قريش وصاحب امرها فان ينصرم هذا الامر وأنت فيه خامل يصغر امرك فالحق بجماعة أهل الشام واطلب بدم عثمان فانك به تستميل الى بني اميه فقال عمر: اما انت ياعبدالله فأمرتني بما هو خير لى فى ديني واما انت يامحمد فقد امرتني بما هو خير لى فى دنياى .ثم دعا غلاما له يقال له وردان وكان داهيا فقال له عمرو ياوردان احطط ياوردان ارحل ياوردان احطط ياوردان ارحل فقال وردان: اما انك ان شئت

نبا نك بما في نفسك فقال عمرو هات ياوردان فقال اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك فقلت مع على الآخرة بلا دنيا ومع معاويه الدنيا بغير آخرة فانت واقف بينهما فقال عمرو ما اخطأت مافي نفسي فماترى ياوردان فقال ارى ان تقيم في منزلك فان ظهر اهل الدين عشت في دينهم وان ظهر اهل الدنيا لم يستغنوا عنك . فقال عمرو الآن حين شهرتني العرب بمسيري الى معاوية

﴿ قدوم عمرو الى معاوية ﴾

قال وذكروا ان عمرو بن العاص لما قدم الى معاوية وعرف حاجته اليه باعده وكايد كل واحد منهما صاحبه فقال عمرو لمعاوية اعطني مصر فتلكا معاوية وقال ألم تعلم ان مصر كالشام قال بلى ولكنها انما تكون لى اذا كانت لك وانما تكون لك اذا طلبت عليا على العراق وقد بعث اهلها بطاعتهم الى على فدخل عتبة بن ابى سفيان على معاوية فقال اما ترضي ان تشترى عمراً بمصر ان هى صفت لك ليتك لا تغلب على الشام فلما سمع معاوية قول عتبة بعث الى عمرو فاعطاه مصر ولما كتب معاوية لعمرو بمصر كتب فى اسفل الكتاب: ولا ينقض شرط طاعة وكتب عمر: ولا تنقض طاعة شرطا وكايد كل واحد منهما صاحبه وكان مع عمرو بن العاص ابن اخ له جاءه من مصر فلما جاء عمرو بالكتاب مسرورا به عجب ابن اخيه من سروره فقال. ياعمرو الا تخبرنى باى راى تعيش في قريش وقد اعطيت دينك غيرك اترى اهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها الى معاوية وعلى حي اوتراها ان صارت الى معاوية لا يا خذك بالجدل الذي قدمه فقال عمرو يابن اخى انه لامر الله دون معاوية وعلى يابن اخى لو كنت مع على وسعني بيتي ولكنى مع معاوية فقال الفتى لم ترد مع معاوية ولكنك تريد دنياه ويريد دينك فبلغ معاوية قول الفتي فطلبه فهرب فلحق بعلى وحدث عليا بأمر معاوية وعمرو وما قاله فسر على بذلك وقربه

(مشورة معاويه عمراً رضي الله عنهما)

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو ياابا عبد الله طرقتني في ليلتي هذه ثلاثة اخبار ليس فيها ايراد ولا صدر: منها ان ابن ابى حذيفة كسر سجن مصر ومنها ان قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها ان عليا قد تهيأ للمجيء الينا فما عندك؟ قال عمرو كل هذا عظيم اما ابن ابى حذيفة فخرج فى اشياعه من الناس فان تبعث اليه يقتل وان يقتل فلا يضرب واما قيصر فاهد له من وصائف الروم ومن الذهب والفضة واطلب اليه الموادعة تجده اليها سريعا واما على فوالله ان له في الحرب لحظاً ماهو لاحد من الناس وانه لصاحب الامر

ال معاوية صدقت ولكني اقاتله على ما بايدينا والزمه دم عثمان فقال عمرو: واسواتاه ن احق الناس ان لا يذكر عثمان لانا وانت قال معاوية ولم فقال عمرو: اما انت فخذلته ومعك اهل الشام واستغاثك فابطات عليه واما انا فتركته عيانا وهربت الى فلسطين قال معاوية دعني من هذا هلم فبايعني فقال عمرو لا والله لا اعطيك من ديني حتى آخذ من دنياك قال معاوية صدقت سل تعط قال عمرو مصر طعمة. فغضب مروان بن الحكم وقال ما بالى لا اشتري فقال معاوية اسكت: يابن العم فانما نشتري لك الرجال. فكتب معاوية لعمرو مصر طعمة

(كتاب معاويه الى اهل مكة والمدينه وجوابها)

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو: انى اريد ان اكتب الى اهل مكة والمدينة كتابا اذكر فيه قتل عثمان فاما ان ندرك حاجتنا او نكفهم عن المسير. فقال له عمرو الى من تكتب قال: الى ثلاثة نفر رجل لعلى لا يريد غيره ولا يزيده كتابنا فيه الا بصيرة او رجل يهوى عليا فلا نرده عما هو عليه او رجل معتزل لا يريد القتال قال عمرو على ذلك قال نعم قال اكتب فكتب الى اهل مكة والمدينة: اما بعد فانه مهما غاب عنا فانه لم يغب عنا ان عليا قتل عثمان والدليل على ذلك ان قتلته عنده وانما نطلب بدمه حتى يدفع الينا قتلته فنقتلهم بكتاب الله تعالى فان دفعهم الينا كففنا عنه وجعلناها شورى بين المسلمين على ما جعلها عمر بن الخطاب فاما الخلافة فلسنا نطلبها فاعينونا يرحمكم الله وانهضوا من ناحيتكم

(جوابها)

قال وذكروا انه لما قرىء عليهم كتابه اجتمع رايهم على ان يسندوا امرهم الى المسور ابن مخرمة فجاوب عنهم فكتب اليه: اما بعد فانك اخطأت خطأ عظيما واخطأت مواضع النصرة وتناولتها من مكان بعيد وما انت والخلافة يا معاوية وانت طليق وابوك من الاحزاب. فكف عنا فليس لك قبلنا ولى ولا نصير

(كتاب معاوية الى ابن عمر)

قال وذكروا ان معاويه كتب الى ابن عمر كتابا خاصا دون كتابه الى اهل المدينة: اما بعد فانه لم يكن احد من قريش احب الى ان يجتمع الناس عليه منك بعد عثمان فذكرت خذلك اياه وطعنك على انصاره فتغيرت لك وقد هون ذلك على خلافك عليا وطعنك عليه وردنى اليك بعض ما كان منك فاعنا يرحمك الله على حق هذا الخليفة المظلوم فانى لست اريد الامارة عليك ولكني اريدها لك فان ابيت كانت شورى بين المسلمين

(جوابه)

فكتب اليه عبدالله بن عمار : اما بعد فان الراي الذى اطمعك فى هذا هو الذى صيرك الى مصيرك. تركت عليا في المهاجرين والانصار وتركت طلحة والزبير وعائشة واتبعك من اتبعك واما قولك انى طعنت على على فلعمرى ما انا كعلى فى الاسلام والهجرة ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن احدث امر لم يكن الينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد ففزعت الى الوقوف وقلت ان كان هذا فضلا تركته وان كان ضلاله فشر منه نجوت فاغن عنى نفسك

(كتاب معاوية الى سعد بن ابي وقاص)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعد بن ابى وقاص : اما بعد فان احق الناس بنصرة عثمان اهل الشام والذين اثبتوا حقه واختاروه على غيره وقد نصره طلحة والزبير وهما شريكاك فى الامر والشورى ونظيراك فى الاسلام وخفت لذلك ام المؤمنين فلا تكرهن ما ركبوا ولا تردن ما قبلوا فانا نردها شوري بين المسلمين

(جواب سعد بن ابى وقاص لمعاوية)

قال وذكروا ان سعدا كتب اليه : اما بعد فان اهل الشوري ليس منهم احق بها من صاحبه غير ان عليا كان من السابقة ولم يكن فينا ما فيه فشاركنا في محاسننا ولم نشاركه فى محاسنه وكان احقنا كلنا بالخلافة ولكن مقادير الله تعالى التي صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره. وقد علمنا انه احق بها منا ولكن لم يكن بد من الكلام في ذلك والتشاجر فدع ذا . واما امرك يامعاوية فانه امر كرهنا اوله وآخره. واما طلحة والزبير فلو لزما بيتهما لكان خيرا لهما والله تعالى يغفر لعائشه ام المؤمنين

(كتاب معاوية الى محمد بن مسلمة الانصارى)

وكان فارس الانصار رضي الله عنهم وذا النجدة فيهم : أما بعد فانى لم اكتب اليك وانا ارجو مبايعتك ولكني اذكرك النعمة التي خرجت منها انك كنت فارس الانصار وعدة المهاجرين فادعيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا لم تستطع منه الامضاء فهذا اعني وعن قتال أهل الصلاة فهلا نهيت أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضاً اوتري ان عثمان وأهل الدار ليسوا بمسلمين واما قولك الانصار فقد عصوا الله تعالى وخذلوا عثمان وسائلهم وسائلك الله تعالى عن الذى كان يوم القيامة ؛

﴿ جوابه ﴾

قال وذكروا ان محمد بن مسلمة كتب اليه . أما بعد فقد اعتزل هذا الامر من ليس فى يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى في يدي وقد اخبرت بالذى هو كائن قبل ان يكون فلما كان كسرت سيفى ولزمت بيتي واتهمت الراى على الدين اذ لم يصح لى امر بمعروف آمر به ولا منكر انهى عنه ولعمرى يامعاوية ماطلبت الا الدنيا ولا اتبعت الا الهوى ولئن كنت نصرت عثمان ميتاً لقد خذلته حياً ونحن ومن قبلنا من المهاجرين والانصار أولى بالصواب : قال : فلما اجاب القوم معاوية بما اجابوه من الخلاف الى مادعاهم اليه قال له عمرو وكيف رايت يامعاويه رايى ورايك اخبرتك بالامر قبل ان يقع قال معاويه رجوت ماخفت

(كتاب معاوية الى على رضي الله عنه)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى على . اما بعد فلعمرى لو بايعك القوم الذين بايعوك وانت برىء من دم عثمان كنت كابى بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ولكنك اغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الانصار فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف وقد أبى اهل الشام الاقتالك حتى تدفع اليهم قتلة عثمان فاذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين وقد كان اهل الحجاز اعلا الناس وفي ايديهم الحق فلما تركوه صار الحق فى ايدى اهل الشام ولعمري ماحجتك على اهل الشام كحجتك على اهل البصرة ولا حجتك على كحجتك على طلحة والزبير لان اهل البصرة بايعوك ولم يبايعك احد من اهل الشام وان طلحة والزبير بايعاك ولم ابايعك واما فضلك فى الاسلام وقرابتك من النبى عليه السلام فلعمرى ما ادفعه ولا انكره

(جواب على الى معاوية)

قالوا فكتب اليه على اما بعد فقد جاءنى منك كتاب امرىء ليس له بصر يهديه ولا قائد يرشده دعاه الهوى فاجابه وقاده فاستقاده . زعمت انه افسد عليك بيعتى خطيئتى فى عثمان ولعمرى ما كنت الا رجلا من المهاجرين اوردت كما اوردوا واصدرت كما اصدروا وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا ليضربهم بالعمي وما امرت فيلزمني قصاص القاتل . واما قولك ان اهل الشام هم الحكام على الناس فهات رجلا من قريش الشام يقبل فى الشورى او تحل له الخلافة فان سميت كذبك المهاجرون والانصار والااتيتك من قريش الحجاز . واما قولك ندفع اليك قتلة عثمان فما انت وعثمان انما انت رجل من بني

اميه وبنو عثمان اولى بعثمان منك فان زعمت انك اقوى على ذلك فادخل في الطاعة ثم حاكم القوم الى واما تمييزك بين الشام والبصرة وذكرك طلحة والزبير فلعمري ما الامر الا واحد انها بيعة عامة لا يثني عنها البصير ولا يستانف فيها الخيار واما ولوعي في امر عثمان فوالله ماقلت ذلك عن حق العيان ولا عن يقين الخبر واما فضلي في الاسلام وقرابتي من رسول الله عليه السلام وشرفي في قريش فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته

(قدوم عبيد الله بن عمر على معاوية)

قال وذكروا ان عبيد الله بن عمر قدم على معاوية الشام فسر به سرورا شديدا وسر به اهل الشام وكان اشد قريش سرورا به عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو ومامنع عبيد الله ان يكون كعبيد الله فضحك عمرو وقال شبهت غير شبيه انما اتاك عبيد الله مخافة ان يقتله علي بقتلة الهرمزان ورأي عبيد الله ان لا يكون عليك ولا لك ولو كان معك لنفعك او عليك لضرك

(تعبئة معاوية اهل الشام لقتال علي)

قال وذكروا ان معاوية بعث الي رؤساء اهل الشام فجمعهم ثم قال انتم اهل الفضل فليتكلم كل رجل منكم بكلامه فقام رجل فقال : اما والله لو شهدنا أمر عثمان فعرفنا قتلته باعيانهم لاستغنينا عن اخبار الناس ولكن نصدقك على ماغاب عنا وانا لنبغض الناس اليمانين بقاتل علي بن ابي طالب لقدمه في الاسلام وعلمه بالحرب ثم قام حوشب فقال : والله ما اياك ننصر ولا لك نغضب ولا عنك نحامي ماننصر الا الله ولا نغضب الا للخليفة ولا نحامي الا عن الشام فلنغ الخيل بالخيل والرجال بالرجال وقد دعونا قومنا الى ما دعوتنا اليه امس وامرناهم بامر تنابه فجعلوك بيننا وبين الله ونحن بينك وبينهم فمرنا بما تحب وانهنا عما تكره : قال فلما عزم معاوية على المسير الى صفين عبا اهل الشام فجعل على مقدمته ابا الاعور السلمي وعلى ساقته بشير بن ارطاة وعلى الخيل عبيد الله بن عمر ودفع اللواء الي عبد الرحمن بن خالد بن الوليد وعلى الميمنة يزيد العبسي وعلى الميسرة عبد الله بن عمرو بن العاص ثم قال يا اهل الشام انكم قد سرتم لتمنعوا الشام وتاخذوا العراق ولعمري ما للشام رجال العراق واموالها ولا لاهل العراق بصر اهل الشام ولا بصائرهم مع ان القوم بعدهم غيرهم مثلهم وليس بعدكم غيركم فان غلبتوهم فلم تغلبوا الا من قد اتاكم وان غلبوكم عاقبوا من بعدكم والقوم لاقوكم ببصائر اهل الحجاز ورقة اهل اليمن وقسوة اهل مصر وكيد اهل العراق وانما يبصر غدا من ابصر اليوم فاستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ثم سار معاوية في ثلاثة الاف وثمانين الفا حتى نزل بصفين وذلك في نصف محرم وسبق

الي سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات وكتب الى علي يخبره بمسيره

﴿ تعبئة علي اهل العراق للقتال ﴾

قال وذكروا ان عليا لما بلغه ذاهب معاوية . قال : ايها الناس انما بايع معاوية اهل الشام وليس له غيرهم ولي ولا نصير وانكم اهل الحجاز واهل العراق واهل اليمن واهل مصر وقد جعل القوم معاوية بينهم وبين الله وليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وقد وادع القوم الروم فان غلبتموهم استعانوا بهم ولحقوا بارضهم وان غلبوكم فالغاية الموت والمفر الى الله العزيز الحكيم . وقد زعم معاوية ان اهل الشام اهل صبر ونصر ولعمري لانتم اولى بذلك منهم لانكم المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وانا الصبر اليوم والنصر غدا . قال فجد الناس ونشطوا وتأهبوا فسار علي بالناس من الكوفة في مائة الف وتسعين الفا فجعل على المقدمة الاشتر النخعي وعلى ساقته شريح ابن هانيء وعلى المهاجرين والانصار محمد بن أبي بكر وعلى اهل البصرة عبد الله بن عباس وعلى الكوفة عبد الله بن جعفر وعلى جماعة الخيل عمار بن ياسر وعلى القلب الحسن بن علي . وسار حتى نزل صفين وقد سبقه معاوية الى سهولة الارض وسعة المناخ وقرب الفرات

(منع معاوية الماء من اصحاب علي)

قال وذكروا انه لما نزل معاويه بصفين بعث ابا الاعور عن معه ليحولوا بينهم وبين الفرات وان اهل العراق لما نزلوا بعثوا غلمانهم ليستقوا لهم من الفرات فحالت خيل معاويه بينهم وبين الماء فانصرفوا فساروا الى علي فاخبروه فقال علي للاشعث اذهب الى معاويه فقل له ان الذي جئنا له غير الماء ولو سبقناك اليه لم نحل بينك وبينه فان شئت خليت عن الماء وان شئت تناجزنا عليه وتركنا ماجئنا . فانطلق الاشعث الي معاويه فقال انك تمنعنا الماء وايم الله لنشربنه فمرهم يكفوا عنه قبل ان تغلب عليه والله لا نموت عطشا وسيوفنا على رقابنا فقال معاويه لاصحابه ماترون فقال رجل منهم نري ان نقتلهم عطشا كما قتلوا عثمان ظلماً . فقال عمرو بن العاص لا تظن يامعاويه ان عليا يظمأ واعنة الخيل بيده وهو ينظر الى الفرات حتى يشرب او يموت دونه خل عن القوم يشربوا . فقال معاويه هذا والله اول الظفر لا سقاني الله من حوض الرسول ان شربوا منه حتى يغلبوني عليه . فقال عمرو وهذا اول الجور اما تعلم ان فيهم العبد والاجير والضعيف ومن لا ذنب له لقد شجعت الجبان وحملت من لا يريد قتالك على قتالك

(غلبة اصحاب علي على الماء)

قال وذكروا ان معاويه لما غلب على الماء اغتم علي لما فيه الناس من العطش فخرج ليلا والناس يشكون بعضهم الى بعض مخافة ان يغلب اهل الشام على الماء فقال الاشعث يا امير المؤمنين اعنعنا القوم الماء وانت فينا ومعنا السيوف خل عنا وعن القوم فوالله لا ارجع اليك حتي ارده اواموت دونه وامر الاشتر ان يعلو الفرات في الخيل حتي آمره بامري فقال علي ذلك لك فانصرف الاشعث فنادى في الناس من كان يريد الماء فميعادها الصبح فاني ناهض الي الماء فاجابه بشر كثير فتقدم الاشعث في الرجالة والاشتر في الخيل حتي وقفا على الفرات فلم يزل الاشعث في الرجالة يمضي حتي خالط القوم ثم حسر عن رأسه فنادى: أنا الاشعث بن قيس خلوا عن الماء . فقال ابو الاعور اما والله قبل ان تأخذنا وايا كم السيوف فلا. فقال الاشعث اظنها والله قد دنت منا ومنكم قال وبعث الي الاشتر ان اقحم الخيل فاقحمها الاشتر حتى وضع سنابكها في الفرات وحمل الاشتر في الرجالة فاخذ القوم السيوف فانكشف ابو الاعور واصحابه وبعث الاشتر الي علي هلم يا امير المؤمنين قد غلب الله لك على الماء فلما غلب اهل العراق على الماء شمت عمرو بن العاص بمعاوية وقال يامعاوية ماظنك ان منعك على الماء كما منعته امس اتراك ضاربهم كما ضربوك . فقال دع ما مضي عنك فان علياً لا يستحل منك ما استحللت منه وان الذي جاء له غير الماء

﴿ دعاء علي معاوية الي البراز ﴾

قال وذكروا ان الناس مكثوا بصفين اربعين ليلة يغدون الى القتال ويروحون فاما القتال الذى كان فيه الفناء فثلاثة ايام. فلما رأي علي كثرة القتال والقتل في الناس برز يوما من الايام ومعاوية فوق التل فنادى باعلا صوته يامعاوية فاجابه فقال ماتشاء يا ابا الحسن قال علي علام يقتتل الناس ويذهبون على ملك ان نلته كان لك دونهم وان نلته انا كان لي دونهم ابرز الى ودع الناس فيكون الامر لمن غلب قال عمرو بن العاص: انصفك الرجل يامعاوية فضحك معاوية وقال طمعت فيها ياعمرو فقال عمرو: والله ما اراه يجمل بك الآن تبارزه فقال معاويه ما اراك الا مازحا نلقاه بجمعنا

(براز عمرو بن العاص لعلي)

قال وذكروا ان عمراً قال لمعاوية أتجبن عن علي وتتهمني في نصيحتي اليك والله لابازرن علياً ولو مت الف موتة في اول لقائه . فبارزه عمرو فطعنه علي فصرعه فاتقاه

بعورته فا قادرف عنه علي وولي بوجهه دونه . وكان علي رضي الله عنه لم ينظر قطالى عورة أحد حياء وتكرماً وتنزهاعما لايحل ولايجل مثله كرم الله وجهه

(قطع الميرة من أهل العراق)

قال وذكروا ان علياً دعا زحر بن قيس فقال له سر في بعض هذه الخيل الى القطقطانة فاقطع الميرة عن معاوية ولا تقتل الا من يحل لك قتله وضع السيف موضعه . فبلغ ذلك معاوية فدعا الضحاك بن قيس فامره ان يلقى زحر بن قيس فبلغ ذلك فسار الضحاك فلقيه زحر فهزمه وقتل من اصحابه وقطع الميرة عن اهل الشام ورجع الضحاك الى معاوية منهزما فجمع معاوية الناس فقال : أتاني خبر من ناحية من نواحي أمر شديد فقالوا يا أمير المؤمنين لسنا في شيء مما اتاك انما علينا السمع والطاعة عدو بلغ عليا قول معاوية قول اهل الشام فأراد ان يعلم ما رأي اهل العراق فجمعهم فقال ايها الناس انه اتاني خبر من ناحية من نواحي فقال ابن الكواء يا اصحابه ان لنا في كل امر رأي فما اتاك فاطلعنا عليه حتى نشير عليك فبكى ثم قال : ظفر والله ابن هند باجتماع اهل الشام له واختلافكم علي والله ليغلبن باطله حقكم انما اتاني ان زحر بن قيس ظفر بالضحاك وقطع الميرة وان معاوية هزم صاحبه فقال يا اهل الشام انه اتاني امر شديد فقالوا امرنا لك فهم على فقام قيس بن سعد فقال اما والله لنحن كنا اولى بالتسليم من اهل الشام

(قدوم ابي هريرة وابي الدرداء على معاوية وعلي)

قال وذكروا ان ابا هريرة وابا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفين فوعظاه وقالا يا معاوية علام تقاتل عليا وهو احق بهذا الامر منك في الفضل والسابقة لانه رجل من المهاجرين الاولين السابقين باحسان وانت طليق وابوك من الاحزاب اما والله ما نقول لك ان تكون العراق احب الينا من الشام ولكن البقاء احب الينا من الفناء والصلاح احب الينا من الفساد . فقال معاوية لست ازعم اني اولى بهذا الامر من علي ولكني اقاتله حتى يدفع الي قتلة عثمان فقالا اذا دفعهم اليك ماذا يكون . قال اكون رجلا من المسلمين فأتيا عليا فان دفع اليكما قتلة عثمان جعلتها شورى فقدما على عسكر علي فأتاهما الاشتر فقال ياهذان انه لم ينزلكما الشام حب معاوية وقد زعمتما انه يطلب قتلة عثمان فعمن اخذتما ذلك فلقبلتماه اعمن قتله فصدقتموهم على الذنب كما صدقتموهم على القتل ام عمن نصره فلا شهادة لمن جر الى نفسه ام عمن اعتزل اذ علموا ذنب عثمان وقد علموا ما الحكم في قتله او عن معاوية

وقد زعم ان عليا قتله اتقيا الله فاشهدا وغبتما وبن الحكام على من غاب فانصرفا ذلك اليوم فلما اصبحا اتيا عليا فقالا له ان لك فضلا لا يدفع وقد سرت مسيرفتى الى سفيه من السفهاء ومعاوية يسألك ان تدفع اليه قتلة عثمان فان فعلت ثم قاتلك كنا معك قال على اتعرفانهم، قالا نعم قال فخذوهم فاتيا محمد بن ابي بكر وعمار بن ياسر والاشتر: فقالوا انتم من قتلة عثمان وقد امرنا باخذكم فخرج اليهما اكثر من عشرة آلاف رجل فقالوا نحن قتلنا عثمان فقالا نرى امرا شديدا البس علينا الرجل . وان أباهريرة وابا الدرداء انصرفا الى منزلهما بحمص فلما قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان فسالهما عن مسيرهما فقصا عليه القصة فقال: العجب منكما انكما من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله لئن كففتما ايديكما ما كففتما السنتكما اتاتيان عليا وتطلبان اليه قتلة عثمان وقد علمتما ان المهاجرين والانصار لو حرموا دم عثمان نصروه وبايعوا عليا على قتلته فهل فعلوا واعجب من ذلك رغبتكما عما صنعوا وقولا لعلى اجعلها شورى واخلعها من عنقك وانكما لتعلمان ان من رضي على خير ممن كرهه وان من بايعه خير ممن لم يبايعه ثم صرتما رسولى رجل من الطلقاء لا تحل له الخلافة . ففشي قوله وقولهما فهم معاوية بقتله ثم راقب عشيرته

(وقيعة عمرو بن العاص في على)

قال وذكروا ان رجلا من همدان يقال له برد قدم على معاوية فسمع عمرا يقع في على فقال له يا عمرو ان اشياخنا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كنت مولاه فعلى مولاه . فحق ذلك ام باطل فقال عمرو حق وانا ازيدك انه ليس احد من صحابة رسول الله مناقب مثل مناقب على ففزع الفتى فقال عمرو انه افسدها بامره في عثمان فقال برد هل امر او قتل قال لا ولكنه آوى ومنع قال فهل بايعه الناس عليها قال نعم قال فما اخرجك من بيعته قال اتهامي اياه في عثمان قال له وانت ايضا قد اتهمت قال صدقت فيها خرجت الى فلسطين فرجع الفتى الى قومه فقال انا اتينا قوما اخذنا الحجة عليهم من افواههم . على على الحق فاتبعوه

(كتاب معاوية الى أبي أيوب الانصارى)

قال وذكروا ان معاوية كتب الى أبي ايوب الانصاري وكان اشد الانصار على معاوية : اما بعد فانى نسيتك ما لا تنسى الشيباء . فلما قرأ كتابه اتى به عليا فاقرأه اياه قال على يعني بالشيباء المرأة الشمطاء لا تنسي ثكل ابنها فانا لا انسي قتل عثمان . فكتب اليه ابو ايوب : انه لا تنسي الشيباء ثكل ولدها وضربتها مثلا لقتل عثمان فما نحن وقتلة عثمان ان الذى تربص

بعثمان وثبط اهل الشام عن نصرته لانت وان الذين قتلوه غير الانصار والسلام

(ماخاطب به النعمان بن بشير قيس بن سعد)

قال وذكروا ان النعمان بن بشير الانصاري وقف بين الصفين . فقال . ياقيس بن سعد اما انصفكم من دعاكم الى مارضي لنفسه انكم يامعشر الانصار اخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار وقتلكم انصاره يوم الجمل واقحامكم على اهل الشام بصفين فلو كنتم اذ خذلتم عثمان خذلتم عليا كان هذا بهذا ولكنكم خذلتم حقا ونصرتم باطلا ثم لم ترضوا ان تكونوا كالناس حتى شعلتم الحرب ودعوتم الى البراز فقد والله وجدتم رجال الحرب من اهل الشام سراعا الى برازكم غير انكاث عن حربكم ثم لم ينزل بعلى امر قط الا هو نتم عليه المصيبة ووعدتموه الظفر وقد والله اخلفتموه وهان عليه باسكم وما كنتم لتخلوا به انفسكم من شدتكم فى الحرب وقدرتكم على عدوكم وقد أصبحتم اذلاء على اهل الشام لا يرون حربكم شيئا وانتم اكثر منهم عدداً ومددا وقد والله كثروكم بالقلة فكيف لو كانوا مثلكم فى الكثرة والله لا تزالون اذلاء في الحرب بعدها ابدا الا ان يكون معكم اهل الشام وقد اخذت الحرب منا ومنكم ماقد رايتم ونحن احسن بقية واقرب الى الظفر فاتقوا الله فى البقيه . فضحك قيس وقال والله ما كنت اراك يانعمان تجترئ على هذا المقام أما المنصف المحق فلا ينصح اخاه من غش نفسه وانت والله الغاش لنفسه المبطل فيما انتصح غيره . أما ذكر عثمان فان كان الايجاز يكفيك فخذه . قتل عثمان من لست خيرا منه وخذله من هو خير منك واما اصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث واما معاوية فلو اجتمعت العرب على بيعته لقاتلتهم الانصار واما قولك انا لسنا كالناس فنحن فى هذه الحرب كما كنا مع رسول الله نلتقي السيوف بوجوهنا والرماح بنحورنا حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون . ولكن انظر يانعمان هل ترى مع معاوية الا طليقا إعرابيا او يمانيا مستدرجا وانظر اين المهاجرون والانصار والتابعون باحسان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ثم انظر هل ترى مع معاويه غيرك وصويحبك ولستما والله بدريين ولا عقبيين ولا لكما سابقة فى الاسلام ولا آية فى القرآن

﴿ كتاب عمرو الى ابن عباس ﴾

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو بن العاص ان رأس اهل العراق مع على عبدالله بن عباس فلو القيت اليه كتابا ترفق فيه فان قال شيئا لم يخرج منه على وقد اكلتنا هذه الحرب ولا ارانا نطيق العراق الا بهلاك الشام . فقال له عمرو ان ابن عباس لا يخدع ولو طمعت فى على قال معاوية على ذلك فكتب عمرو الى ابن عباس . امابعد فان الذى نحن

وانت فيه ليس اول من قاده البلاء وساقته العافية وانك راس هذا الجمع بعد علي فانظر فيما بقي بغير ما مضي فوالله ما ابقت هذه الحرب لنا ولكم حياة ولا صبرا واعلم ان الشام لا تهلك الا بهلاك العراق وان العراق لا تهلك الا بهلاك الشام فما خيرنا بعد اعداد امنكم وما خيركم بعد اعدادكم منا ولسنا نقول ليت الحرب عادت بل كنا نقول ليتها لم تكن وان فينا لمن يكره البقاء كما فيكم وانما هي ثلاثة امير مطاع او مامور مطيع او مشاور مامون. فاما العاصي السفيه فليس باهل ان يدعى في ثقات اهل الشورى ولا خواص اهل النجوى

﴿ جواب عبد الله بن عباس الي عمرو بن العاص ﴾

قال : ذكروا انه لما انتهى كتاب عمرو الى ابن عباس اتى به الى علي فاقرأه اياه فقال علي قاتل الله ابن العاص اجبه . فكتب اليه . اما بعد فاني لا اعلم رجلا اقل حياء منك في العرب انك مال بك الهوى الي معاوية وبعته دينك بالثمن الاوكس ثم خبطت الناس في عشواء طمعاً في هذا الملك فلما ترايتنا اعظمت الحرب والرماء إعظام اهل الدين وظهرت فيها كراهية اهل الورع لا تريد بذلك الا تمهيد الحرب وكسر اهل الدين فان كنت تريد الله فاخرج من مصر وارجع الى بيتك فان هذه حرب ليس فيها معاوية كعلي بدأها علي بالحق وانتهى فيها الى العذر وبدأها معاوية بالبغي وانتهى فيها الى السرف وليس اهل الشام فيها كاهل العراق بايع اهل العراق علياً وهو خير منهم وبايع اهل الشام معاوية وهم خير منه ولست انا وانت فيها سواء اردت الله واردت انت مصر . وقد عرفت الشيء الذي يباعدك مني ولا اعرف الشيء الذي قربك من معاوية فان ترد شرا لا نسبقك به وان ترد خيرا لا تسبقنا اليه

﴿ امر معاويه مروان بحرب الاشتر ﴾

قال وذكروا ان معاوية دعا مروان بن الحكم فقال يا مروان ان الاشتر قد غمني فاخرج بهذه الخيل فقاتله غدا . فقال مروان ادع لها عمرا فانه شعارك دون دثارك . قال معاوية وانت نفسي دون وريدي . قال مروان لو كنت كذلك الحقتني به في العطاء والحقته بي في الحرمان ولكنك اعطيته ما في يدك ومنيتني ما في يدي غيرك فان غلبت طاب المقام وان غلبت خف عليك الهرب . قال معاوية يغني الله عنك قال اما اليوم فلا . فدعا معاوية عمرا فامره فقال : اما والله لئن فعلت لقد قدمتني كافيا وادخلتني ناصحا وقد غمك القوم في مصر فان كان لا يرضيهم الا اخذها فخذها عليها لعنة الله اما والله يا امير المؤمنين ان مروان يباعدك منا ويباعدنا منك ويأبى الله الا ان يقربنا اليك

﴿ كتاب معاوية الى ابن عباس ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : اما بعد فانكم معشر بني هاشم لستم الى احد اسرع منكم بالمساءة الى انصار عثمان فان يك ذلك لسلطان بني امية فقد وليها عدى وتيم وقد وقع من الامر ما قد ترى وأدالت هذه الحرب بعضنا من بعض حتى استوينا فيها فما اطمعكم فينا اطمعنا فيكم وما آيسكم منا آيسنا منكم وقد رجونا غير الذى كان وخشينا دون ما وقع ولستم ملاقينا اليوم باحد من جدكم امس وقد منعنا ما كان منا الشام وقد منعتم ما كان منكم العراق اتقوا الله فى قريش فانه لم يبق من رجالها الا ستة : رجلان بالشام ورجلان بالعراق ورجلان بالحجاز : فاما اللذان بالحجاز فسعد وعبد الله بن عمر : وأما اللذان بالشام فانا وعمرو واما اللذان بالعراق فعلي وانت ، ومن الستة رجلان ناصبان لك وآخران واقفان عليك وانت رأس هذا الجمع اليوم وغدا ولو بايع الناس لك بعد عثمان كنا اسرع اليك منا الى علي

﴿ جوابه ﴾

قال وذكروا انه لما اتى كتاب معاوية الى ابن عباس ضحك ثم قال حتى متى يخطب الي معاوية عقلي وحتى متى اهجم له عما فى نفسي فكتب اليه : اما بعد فقد جاءني كتابك فاما ما ذكرت من سرعتنا بالمساءة الى انصار عثمان لسلطان بني امية فلعمري لقد ادركت فى عثمان حاجتك لمد استصرخك فلم تنصره حتى صرت الى ما صرت اليه وبيني وبينك فى ذلك ابن عمك واخو عثمان الوليد بن عقبة ، واما قولك انه لم يبق من رجال قريش غير ستة فما اكثر رجالها واحسن بقيتها وقد قاتلك من خيارها من قاتلك ولم يخذلنا الا من خذلك ، واما اغراؤك ايانا بعدى وتيم فابو بكر وعمر كانا خيرا منك ومن عثمان كما ان عليا خير منك ، واما قولك انه لم يبق لك الا ما لقيناك به فقد بقي لك منا يوم ينسيك ما قبله وتخاف له ما بعده ، واما قولك انه لو بايعني الناس استقمت فقد بايعوا عليا وهو خير مني فلم تستقم له وان الخلافة لا تصلح الا لمن كان في الشورى فما انت والخلافة وانت طليق الاسلام وابن رأس الاحزاب وابن اكلة الاكباد من قتلى بدر

(خطبة علي كرم الله وجهه)

قال وذكروا ان علياً قام خطيبا فقال : ايها الناس الا ان هذا القدر ينزل من السماء كقطر المطر على كل نفس بما كسبت من زيادة او نقصان فى اهل او مال فمن اصابه نقصان في اهل او مال فلا يغش نفسه ، الا وانما المال حرث الدنيا

والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لاقوام وقد دخل فى هذا العسكر طمع من معاوية فضنوا عنكم هم الدنيا بفراقها وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها فان نازعتكم انفسكم الى غير ذلك فردوها الى الصبر ووطنوها على العزاء فوالله ان ارجى ما ارجوه الرزق من الله من حيث لا نحتسب وقد فارقكم مصقلة بن هبيرة فآثر الدنيا على الاخرة وفارقكم بشر بن ارطاة فاصبح ثقيل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال وفارقكم زيد بن عدى بن حاتم فاصبح يسال الرجعة . وايم الله لودت رجال مع معاوية انهم معى فباعوا الدنيا بالآخرة ولودت رجال معي انهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا

﴿ قدوم ابن ابى محجن على معاوية ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن ابى محجن الثقفي قدم الى معاوية فقال يا امير المؤمنين انى اتيتك من عند الغبي الجبان البخيل ابن ابى طالب فقال معاوية : لله انت تدري ماقلت، اما قولك الغبي فوالله لو ان ألسن الناس جمعت فجعلت لسانا واحدا لكفاها لسان على واما قولك انه جبان فثكلتك امك هل رايت احدا قط بارزه الا قتله ، واما قولك انه بخيل فوالله لو كان له بيتان احدهما من تبر والاخر من تبن لا نفد تبره قبل تبنه. فقال الثقفي فعلى ماتقاتله إذاً ؟ قال على دم عثمان وعلى هذا الخاتم الذى من جعله فى يده جازت طينته واطعم عياله وادخر لاهلها. فضحك الثقفي ثم لحق بعلى فقال يا امير المؤمنين هب لى يدي بجرمى لا دنيا اصبت ولا آخرة غنمت . فضحك على ثم قال: انت منها على راس امرك وانما ياخذ الله العباد باحد الامرين

(رفع اهل الشام المصاحف)

قال وذكروا ان اهل العسكرين باتوا بشدة من الالم ونادى على اصحابه فاصبحوا على راياتهم ومصافهم فلما رآهم معاوية وقد برزوا للقتال قال لعمرو ابن العاص ياعمرو الم تزعم انك ماوقعت في امر قط الا وخرجت منه قال بلى قال افلا تخرج مما ترى. قال والله لا دعونهم ان شئت الى امر افرق به جمعهم ويزداد جمعك اليك اجتماعا ان اعطوكه اختلفوا وان منعوكه اختلفوا، قال معاوية وماذلك قال عمرو تأمر بالمصاحف فترتفع ثم تدعوهم الى ما فيها فوالله لئن قبله لتفترقن عنه جماعته ولئن رده ليكفرنه اصحابه. فدعا معاوية بالمصحف ثم دعا رجلا من اصحابه يقال له ابن هند فنشره بين الصفين ثم نادى الله الله في دمائنا ودمائكم البقية بيننا و بينكم كتاب الله . فلما سمع الناس ذلك ثاروا الى على فقالوا قد اعطاك

معاوية الحق ودعاك الى كتاب الله فاقبل منه . ورفع صاحب معاوية المصحف وهو يقول بيننا وبينكم هذا المصحف ثم تلى : « الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون » ثم نادى من الفارس من الروم فقال الاشعث والله لا تأتي هذا ابداً او نرضى معك او نقاتل معك وتابعه اشراف اهل اليمن وركنوا الى الصلح وكرهوا القتال .

(ما تكلم به عبد الله بن عمرو واهل العراق)

قال وذكروا ان معاويه دعا عبد الله بن عمرو بن العاص فامره ان يكلم اهل العراق فاقبل عبد الله بن عمرو حتى اذا كان بين الصفين نادى : يا اهل العراق انا عبد الله بن عمرو بن العاص انه قد كانت بيننا وبينكم امور للدين والدنيا فان تك للدين فقد والله اسرفنا واسرفتم وان تك للدنيا فقد والله اعذرنا واعذرتم وقد دعوناكم لامر لو دعوتمونا اليه اجبناكم فان يجمعنا واياكم الرضا فذلك من الله فاغتنموا هذه الفرجة لعل الله ان ينعش بها الحي وينسي بها القتيل فان بقاء المهلك بعد الهالك قليل . فقال على لسعيد بن قيس اجب الرجل وقد كان عبد الله بن عمرو قاتل يوم صفين بسيفين وكان من حجته ان قال امرني رسول الله ان اطيع ابي . فتقدم سعيد بن قيس حتى اذا كان بين الصفين نادى . يا أهل الشام انه كانت بيننا وبينكم أمور حامينا فيها على الدين والدنيا وقد دعوتمونا الى ما قاتلناكم عليه امس ولم يكن ليرجع أهل العراق الى عراقهم ولا اهل الشام الى شامهم بامر اجمل منه فان يحكم فيه بما انزل الله فالامر في ايدينا والا فنحن نحن وانتم انتم وان الناس ثاروا الى على عند كلام عبد الله بن عمرو فقالوا اجب القوم الى ما دعوك اليه فانا دعونا عثمان الى ما دعاك القوم اليه فما لنا . فبعث على الاشعث الى اهل الرايات يأمرهم ان ينقضوها ويرجعوا الى رحالهم حتى يبرموا رأيهم

(ماخاطب به عتبة بن ابي سفيان الاشعث بن قيس)

قال وذكروا ان معاوية دعا عتبة فقال له . ألن الى الاشعث كلاما فانه ان رضي بالصلح رضيت به العامة فخرج عتبه حتي اذا وقف بين الصفين نادى الاشعث فاتاه فقال عتبة ايها الرجل ان معاوية لو كان لاقيا احدا غيرك وغير علي لقيك انك راس اهل العراق وسيد اهل اليمن ومن قد سلف اليه من عثمان ما قد سلف اليه من الصهر والعمل ولست كاصحابك اما الاشتر فقتل عثمان ، واما عدي فحض ، واما سعيد بن قيس فقلد عليا دينه ، واما شريح ابن هاني وزحر بن قيس فلا يعرفان غير الهوى واما انت فحاميت عن اهل العراق

تكرماوحاربت اهل الشام حمية وقد والله بلغنا منك ما اردنا وبلغت منا ما أردت وانا لا ندعوك إلا الا مايكون منك من تركك علياولا نصرة معاوية ولكنا ندعوك الى البقية التي فيها صلاحك وصلاحنا

(فتكلم الاشعث)

فقال : ياعتبة اماقولك ان معاوية لا يلقى الا عليا فلو لقيني مازاد ولا اعظم في عيني ولا صغرت عنه وان احب ان اجمع بينه وبين علي لا فعلن ، واما قولك انى رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن فلرأس الامير والسيد المطاع وهاتان لي ، وأما ما سلف الى من عثمان فوالله مازاد في صهره شرفا ولا عمله غني ، واما عيبك اصحابي فان هذا الامر لا يقربك مني واما محاماتي عن العراق فمن نزل بيننا حميناه واما البقية فلسنا باحوج منها اليكم

﴿ كتاب معاوية الى علي رضي الله عنهما ﴾

قال وذكروا ان عليا اظهر انه مصبح معاوية للقتال فبلغ ذلك معاوية ففزع اهل الشام فانكسروا لذلك فقال معاويه لعمرو اني قد رايت رايا ان اعيد الى علي كتابا اسأله فيه الشام. فضحك عمرو ثم قال اين انت يامعاوية من جرعة علي. فقال معاوية السنا بني عبدمناف فقال بلى ولكن لهم النبوة دونكم فان شئت ان تكتب فاكتب. فكتب معاويه الى علي: اما بعد فاني اظنك ان لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا كنا قد غلبنا على عقولنا فلنا منها ما نذم به مامضى ونصلح ما بقي وقد كنت سالتك ان لا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فابيت ذلك على فاعطاني الله مامنعت واني ادعوك الى ما دعوتك اليه امس فانك لا ترجو من البقاء الا ما ارجو ولا تخاف من الفناء الا ما اخاف وقد والله رقت الاجناد وذهبت الرجال ونحن بنى عبدمناف ليس لبعضنا على بعض فضل الافضل لا يستذل به عزيز ولا يسترق به حر

﴿ جوابه ﴾

فلما انتهي كتابه الى علي دعا كاتبه عبيد الله بن رافع فقال اكتب : اما بعد فقد جاءني كتابك تذكر انك لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وانا واياك في غاية لم نبلغها بعد ، واما طلبك الى الشام فاني لم اكن اعطيك اليوم مامنعتك امس ، واما استواؤنا في الخوف والرجاء فانك لست امضي على الشك مني على اليقين وليس اهل الشام باحرص من اهل العراق على الآخرة واما قولك انا بنو عبدمناف فكذلك ولكن ليس امية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا ابوسفيان كابي طالب

والمهاجر كالطليق ولا المحق كالمبطل وفي ايدينا فضل النبوة التي قتلنا بها العز بزوبينا بها الحرو السلام ، فلما اتى معاوية الكتاب اقرأه عمراً فشمت به عمرو ولم يكن احد أشد تعظيما لعلي من عمرو بن العاص بعد يوم مبارزته فقال معاوية امر وقد علمت ان اعظامك لعلي لما فضحك قال عمرو لم يفتضح امرؤ بارز عليا وانما افتضح من دعاه الى البراز فلم يجبه

﴿ اختلاف اهل العراق في الموادعة ﴾

قال وذكروا انه لما عظم الامر واشتد القتال قال له رأس من أهل العراق ان هذه الحرب قد اكلتنا وذهبت الرجال والرأي الموادعة . وقال بعضهم لا بل نقاتلهم اليوم على ما قاتلناهم عليه امس وكانت الجماعة قد رضيت بالموادعة وجنحت الى الصلح والمسالمة فقام علي خطيباً فقال ايها الناس انه لم يزل من امري على ما احب حتى قدحتكم الحرب وقد والله اخذت منكم وتركت وهي لعدوكم انهك . وقد كنت بالامس اميراً فاصبحت اليوم مأموراً وكنت ناهياً فاصبحت اليوم منهياً فليس لي ان احملكم على ما تكرهون

(ما رد كردوس بن هاني على علي)

قال وذكروا ان كردوس بن هانى قام فقال ايها الناس انه والله ما تولينا معاوية منذ تبرأنا منه ولا تبرأنا من علي منذ توليناه وان قتيلنا الشهيد وان حينا الفائز وان عليا على بينة من ربه وما اجاب القوم الا انصافا وكل محق منصف فمن سلم له نجا ومن خالفه هوى

(ما قاله سفيان بن ثور)

قال وذكروا ان سفيان بن ثور قال ايها الناس انا دعونا اهل الشام الى كتاب الله فردوه علينا فقاتلناهم وانهم دعونا الى كتاب الله فان رددناه عليهم حل لهم منا ما حل لنا منهم ولسنا نخاف ان يحيف الله علينا ورسوله وان عليا ليس بالراجع الناكص وهو اليوم على ما كان عليه أمس وقد اكلتنا هذه الحرب ولا نري البقاء الا في الموادعة

﴿ ماقال حريث بن جابر ﴾

ثم قام حريث بن جابر فقال: أيها الناس ان عليا لو كان خلواً من هذا الامر لكان المرجع اليه فكيف وهو قائده وسائقه وانه والله ما قبل من القوم اليوم الا الامر الذي دعاهم اليه امس ولو رده عليهم كنتم له اعيب ولا يلحد في هذا الامر الا راجع على عقبيه اومستدرج مغرور وبيننا وبين من طعن علينا لا السيف

﴿ ماقال خالد بن معمر ﴾

ثم قام خالد بن معمر فقال يا امير المؤمنين انا والله ما اخرجنا هذا المقام ان يكون احد اولى به منا ولكن قلنا احب الامور الينا ما كفينا مؤنته فاما اذا استغنينا فانا لا نرى البقاء الا فيما دعاك القوم اليه اليوم ان رايت ذلك وان لم تره فرايك افضل

(ماقال الحصين بن المنذر)

ثم قام الحصين بن المنذر وكان احدث القوم سنا فقال: ايها الناس انما بنى هذا الدين على التسليم فلا تدفعوه بالقياس ولا تهدموه بالشبهة وانا والله لو انا لا نقبل من الامور الا ما نعرف لاصبح الحق في الدنيا قليلا ولو تركنا وما نهوى لاصبح الباطل في ايدينا كثيرا وان لنا راعيا قد حمدنا ورده وصدره وهو المأمون على ما قال وفعل فان قال لا قلنا لا: وان قال نعم قلنا نعم

(ماقال عثمان بن حنيف)

ثم قام عثمان بن حنيف وكان من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عاملا لعلي على البصرة وكان له فضل فقال: ايها الناس اتهموا رايكم فقد والله كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية يوم ابي جندل وانا لنريد القتال انكارا للصلح حتى ردنا عنه رسول الله وان اهل الشام دعوا الى كتاب الله اضطرارا فاجبناهم اليه اعذارا فلسنا والقوم سواء انا والله ما عدلنا الحي بالحي ولا القتيل بالقتيل ولا الشامي بالعراقي ولا معاوية بعلي وانه لامر منعه غير نافع واعطاؤه غير ضائر وقد كلت البصائر التي كنا نقاتل بها وقد حل الشك اليقين الذي كنا نؤول اليه وذهب الحياء الذي كنا نمارى به فاستظلوا في هذا الفيء واسكنوا في هذه العافية فان قلتم نقاتل على ما كنا نقاتل عليه امس هيهات هيهات ذهب والله قياس امس وجاء غد. فأعجب عليا قوله وانتصرت به الانصار ولم يقل احد بأحسن من مقالته

﴿ ماقال عدي بن حاتم ﴾

ثم قام عدي بن حاتم فقال: ايها الناس انه والله لو غير علي دعانا الى قتال اهل الصلاة ما اجبناه ولا وقع بامر قط الا ومعه من الله برهان وفي يديه من الله سبب وانه وقف عن عثمان بشبهة وقاتل اهل الجمل على النكث واهل الشام على البغي فانظروا في اموركم وامره فان كان له عليكم فضل فليس لكم مثله فسلموا له والا فنازعوا عليه ، والله لئن كان الى العلم بالكتاب والسنة انه لاعلم الناس بهما. ولئن كان الى الاسلام انه لاخو نبي الله والراس في الاسلام. ولئن كان الى الزهد والعبادة لانه اظهر الناس زهدا وانهكهم عبادة ولئن كان الى العقول والنحائز انه لاشد الناس عقلا واكرمهم نحيزة، ولئن كان الى الشرف والنجدة انه

لاعظم الناس شرفا ومجدا، ولئن كان الى الرضي لندرضي المهاجرون والانصار فى شورى عمر رضي الله عنهم وبايعوه بعد عثمان ونصروه الى اصحاب الجمل واهل الشام فما الاضل الذى قربكم الى الهدى وما النقش الذي قربه الي انضلال؟ والله لو اجتمعتم جميعا على امر واحد لا تاح الله له من يقاتل لامر ماض وكتاب سابق. فاعترف اهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام ورجع كل من تدسب على على رضي الله عنه

(ماقال عبد الله بن حجل)

ثم قام عبد الله بن حجل فقال يا امير المؤمنين انك امرتنا يوم الجمل باموس مختلفة كانت عندنا امرا واحدا فقبلناها بالتسليم وهذه مثل تلك الامور ونحن اولئك اصحابك وقد اكثر الناس فى هذه القضية وايم الله ما المكثر المكثر باعلم بها من المقل المعترف وقد اخذت الحرب بانفاسنا فلم يبق الا رجاء ضعيف فان تجب القوم الي مادعوك اليه فانت اولنا ايمانا وآخرنا بنبي الله عهدا وهذه سيوفنا على اعناقنا وقلوبنا بين جوانحنا وقد اعطيناك بقيتنا وشرحت بالطاعة صدورنا ونفذت في جهاد عدوك بصيرتنا فانت الوالي المطاع ونحن الرعية الاتباع، انت أعلمنا بربنا واقربنا بنبينا وخيرنا في ديننا واعظمنا حقا فينا، فسدد رايك نتبعك واستخر الله تعالى فى امرك واعزم عليه برايك فانت الوالي المطاع. قال فسر على كرم الله وجهه بقوله واثنى خيرا

﴿ثم قام صعصعة بن صوحان﴾

فقال : يا امير المؤمنين انا سبقنا الناس اليك يوم قدوم طلحه والزبير عليك فدعانا حكيم الى نصرة عاملك عثمان بن حنيف فاجبناه فقاتل عدوك حتى اصيب فى قوم من بنى عبد قيس عبدوا الله حتى كانت اكفهم مثل اكف الابل وجباههم مثل ركب المعز فاسر الحي وسلب القتيل فكنا اول قتيل واسير ثم رايت بلاءنا بصفين وقد كلت البصائر وذهب الصبر وبقي الحق موفورا وانت بالغ بهذا حاجتك والامر اليك ما اراك الله فمر نا به

(ماقال المنذر بن الجارود)

ثم قام المنذر بن الجارود فقال: يا أمير المؤمنين اني اري امر الا يدين له الشام الا بهلاك العراق ولا يدين له العراق الا بهلاك الشام ولقد كنا نري ان مازدنا نقصهم وما نقصنا ضرهم فاذا في ذلك امران فان رايت غيرك ففيها والله ما يفعل به الحد ويرد به الكاب وليس لنا معك ايراد ولا صبر

(ماقال الاحنف بن قيس)

ثم قام الاحنف بن قيس : فقال يا امير المؤمنين ان الناس بين ماض وواقف وقائل

وساكت وكل في موضعه حسن وإنه لو يكل الاخر عن الاول لم يقل شيئاً الا ان يقول اليوم ماقد قيل امس ولكنه حق يقضي ثم لم نقاتل القوم لنا ولا لك الا قاتلناهم لله فان حال امر الله دوننا ودونك فاقبله فانك اولى بالحق واحقنا بالتوفيق ولا ارى الا القتال

(ماقال عمير بن عطارد)

ثم قام عمير بن عطارد فقال: ياامير المؤمنين ان طلحة والزبير وعائشة كانوا احب الناس الى معاويه وكانت البصرة اقرب الينا من الشام وكان القوم الذين وثبوا عليك من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا من الذين وثبوا عليك من اصحاب معاوية اليوم فوالله مامنعنا ذلك من قتل المحارب وعيب الواقف فقاتل القوم انا معك

(ماقاله على كرم الله وجهه بعده)

ثم قام على خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس انه قد بلغ بكم وبعدوكم ماقد رايتم ولم يبق منهم الا آخر نفس وان الامور اذا اقبلت اعتبر آخرها باولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغوا منكم مابلغوا وانا غاد عليهم بنفسي بالغداة فاحاكمهم بسيفي هذا إلى الله

(نداء اهل الشام واستغاثتهم عليا)

قال فلما بلغ معاويه قول عمرو بن العاص فقال له ياعمرو انها الليلة حتى يغدوا علينا علي بنفسه فما ترى قال عمرو ان رجالك لا يقومون لرجاله ولا انت ولا الا تقوم له . انت تقاتله على امر وبقاتلك على غيره وانت تريد البقاء وعلى يريد الفناء وليس يخاف اهل الشام من على ما يخاف منك اهل العراق وان هلكتم . ولكن ادعهم الى كتاب الله فانك تقضي منه حاجتك قبل ان ينشب مخلبه فيك . فامر معاوية اهل الشام ان ينادوهم فنادوا في سواد الليل نداءهم صراخ واستغاثة يقولون يااباالحسن من لذرارينا من الروم اذ قتلتنا الله الله ابقيا كتاب الله بيننا وبينكم . فاصبحوا وقد رفعوا المصاحف على الرماح وقلدوها اعناق الخيل والناس على راياتهم قد اصبحوا للقتال

(ما اشار به عدي بن حاتم)

فقام عدي بن حاتم فقال: ياامير المؤمنين ان اهل الباطل لا تقوم لاهل الحق وقد جزع القوم حين تاهبت للقتال بنفسك وليس بعد الجزع الا ماتحب ناجز القوم .

(ماقال الاشتر واشار به)

ثم قام الاشتر فقال: ياامير المؤمنين ما اجبنا لك لدنيا ان معاويه لا خلف له من رجاله ولكن

محمد الله المخالف لك ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرتك فافرج الحديد بالحديد واستعن بالله

(ما قال عمرو بن الحمق)

ثم قام عمرو بن الحمق فقال يا امير المؤمنين ما اجبناك لدنيا ولا نصرناك على باطل ما اجبناك الا لله تعالى ولا نصرناك الا الحق ولو دعانا غيرك الى ما دعوتنا اليه لكثر فيه اللجاج وطالت له النجوى وقد بلغ الحق مقطعه وليس لنا معك رأي

(ما قال الاشعث بن قيس)

ثم قام الاشعث بن قيس فقال يا امير المؤمنين انا لك اليوم على ما كنا عليه امس ولست ادري كيف يكون غدا وما القوم الذين كلموك باحمد لاهل العراق مني ولا باوتر لاهل الشام مني فاجب القوم الى كتاب الله فانك احق به منهم وقد احب الله البقيا

(ما قال عبد الرحمن بن حارث)

ثم قام عبد الرحمن بن حارث فقال يا امير المؤمنين امض لامر الله ولا يستخفنك الذين لا يوقنون . انما يهد حكم بامر بعد امر مضت دماؤنا ودماؤهم ومضى حكم الله علينا وعليهم

(ما رآه على كرم الله وجهه)

قال فمال على الى قول الاشعث بن قيس واهل اليمن فقام رجلا ينادى انا اجبنا معاوية الى ما دعانا اليه . فرسل معاوية الى على ان كتاب الله لا ينطق ولكن تبعث رجلا منا ورجلا منكم فيحكمان بما فيه . فقال على قد قبلت ذلك

(ما قال عمار بن ياسر)

فلما ظهر على انه قد قبل ذلك قام عمار بن ياسر فقال: يا امير المؤمنين اما والله لقد اخرجها اليك معاوية بيضاء من اقر بها هلك ومن انكرها هلك مالك يا ابا الحسن اشككتنا في ديننا ورددتنا على اعقابنا بعد مائة الف قتلوا منا ومنهم أفلا كان هذا قبل السيف وقبل طلحة والزبير وعائشة قد دعوك الى ذلك فابيت وزعمت انك اولى بالحق وان من خالفنا منهم ضال حلال الدم وقد حكم الله تعالى في هذا المال ما قد سمعت فان كان القوم كفارا مشركين فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى يفيؤا الى امر الله وان كانوا اهل فتنة فليس لنا ان نرفع السيف عنهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله والله ما أسلموا ولا ادوا الجزية ولا فؤا الى امر الله ولا

طفئت الفتنة فقال علي والله انى لهذا الامر كارة

(قتل عمار بن ياسر)

قال فلما رد علي على عمار انه كاره للقضية وانه ليس من رأيه نادى عمار: ايها الناس هل من رائح الى الجنة تخرج اليه خمسمائة رجل منهم ابو الهيثم وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين فاستسقي عمار الماء فاتاه غلام له باداوة فيها لبن فلما رآه كبر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آخر زادك لبن» ثم قال عمار اليوم القى الاحبة محمداً وحزبه. ثم حمل عمار واصحابه فالتقى عليه رجلان فقتلاه واقبلا براسه الى معاوية يتنازعان فيه كل يقول انا قتلته فقال لهما عمرو بن العاص: والله ان تنازعان الا في النار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول. تقتل عماراً الفئة الباغية فقال معاوية قبحك الله من شيخ فما تزال تتزلق في قولك انحن قتلناه انما قتله الذين جؤوا به ثم التفت الى اهل الشام فقال. انما نحن الفئة الباغية التي تبغي دم عثمان فلما قتل عمار اختلط الناس حتى ترك اهل الرايات مراكزهم وازدحم اهل الشام وذلك من آخر النهار وتفرق الناس عن علي فقال عدي بن حاتم: والله يا امير المؤمنين ما ابقت هذه الواقعة لنا ولا لهم عميدا فقاتل حتى يفتح الله تعالى لك فان فينا بقية فقال علي ياعدي قتل عمار بن ياسر ؟ قال نعم فبكي علي وقال. رحمك الله ياعمار استوجبت الحياة والرزق الكريم ثم تريدون ان يعيش عمار وقد نيف على التسعين

(هزيمة اهل الشام)

ثم اقبل الاشتر يجر رمحا فقال. ياامير المؤمنين خيل كخيل ورجال كرجال ولنا الفضل الى ساعتنا هذه فعد الى مكانك الذي كنت فيه فان الناس انما يطلبون حيث تركوك. وان عليا دعا بفرسه التي كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهباء ثم تعصب بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم السوداء ثم نادى: من يبيع نفسه اليوم يربح غدا يوم له ما بعده وان عدوكم قد قدح كما قد حتم فانتدب له ما بين عشرة آلاف الى اثني عشر الفا واضعى سيوفهم على عواتقهم وتقدموا فحمل علي والناس حملة واحدة فلم يبق لاهل الشام صف الا انفض حتى افضى الامر الى معاوية وعلي يضرب بسيفه ولا يستقبل احدا الا ولى عنه فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه فلما وضع رجله في الركاب نظر الى عمرو بن العاص فقال له يابن العاص. اليوم صبر وغدا فخر قال صدقت فترك الركوب وصبر وصبر

القوم معه الي الليل فبات الناس يتحارسون وكرهوا القتال وهو اليوم الذى فيه البلاء العظيم يوم قتل عمار وكل يظن ان الدائرة عليه واسرف الفريقان فى القتل ولم يكن فى الاسلام بلاء ولا قتل اعظم منه فى تلك الثلاثة الايام وان عليا نادي بالرحيل في جوف الليل فلما سمع معاوية رضي الله عنه رغاء الابل دعا عمرو بن العاص فقال ما ترى هاهنا قال عمرو اظن الرجل هاربا فلما اصبحوا اذا على واصحابه الى جانبهم قد خالطوهم فقال معاوية كلا زعمت ياعمرو انه هارب فضحك وقال من فعلاته بالله فعندها ايقن معاوية بالهلكة ونادي اهل الشام كتاب الله بيننا و بينكم و يومئذ استبان ذل اهل الشام ورفعوا المصاحف ثم ارتحلوا فاعتصموا بجبل منيف وصاحوا لا ترد كتاب الله يا ابا الحسن فانك اولى به منا واحق من اخذ به

(ماقال الاشعث بن قيس)

قال فاقبل الاشعث بن قيس فى اناس كثيرمن اهل اليمن فقالوا لعلى لا ترد ماذعاك القوم قد انصفك القوم والله لئن لم تقبل هذا منهم لا وفادمعك ولا نرمى معك بسهم ولا حجر ولا نقف معك موقفا

﴿ ماقال القراء ﴾

قال فلما سمع على قول الاشعث وراى حال الناس قبل القضية واجاب الى الصلح وقام الى على اناس وهم القراء منهم عبدالله بن وهب الراسبى في اناس كثير قد اخترطوا سيوفهم ووضعوها على عواتقهم فقالوا لعلى اتق الله فانك قد اعطيت العهد واخذته منا لنفنين انفسنا اولنفنين عدونا اويفيء الى امر الله واناراك قدركنت الى امر فيه الفرقة والمعصية لله والذل فى الدنيا فانهض بنا الى عدونا فلنحاكمه الى الله بسيوفنا حتي يحكم الله بيننا وبينهم وهو خيرالحاكمين لا حكومة الناس

(ماقال عثمان بن حنيف)

ثم قام عثمان بن حنيف فقال يا ايها الناس اتهموا رايكم فانا والله قد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ولو راينا قتالا قاتلنا وذلك في الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين اهل مكة . فامض على القضية وانهم في هذا الصلح

﴿ما قال الاشتر وقيس بن سعد﴾

قال فذكروا ان الاشتر وقيس بن سعد وكانا اشد الناس على على فيها قولا فكان الذين عملوا فى الصلح الاشعث بن قيس وعدى بن حاتم وشريح بن هانىء وعمرو بن الحمق وزحر بن قيس ومن اهل الشام زيد بن اسد ومخارق بن الحرث وحمزه بن مالك فلما راى ذلك ابو الاعور قام الى معاوية فقال يا امير المؤمنين ان القوم لا يجيبوا الى ما دعوناهم اليه حتى لم يجدوا من ذلك بدا وانهم ان يرفعوا العام يعودوا فى قتال فى سنة يبرا الجريح وينسى القتيل وقد اخذت بالحرب منا ومنهم غير انهم اختلفوا على على ولم يختلف علينا احد والخلاف [illegible] فقال شرحبيل [illegible] العراق اهل [illegible] [illegible] المدة [illegible] وان كنت [illegible] على [illegible] فلا

(ذكر الاتفاق على الصلح وارسال الحكمين)

قال وذكروا ان معاوية قال لاصحابه [illegible] الحكمين من ترون عليا يختار فاما نحن فصاحبنا عمرو بن العاص. قال عتبة بن ابى سفيان انت اعلم بعلى منا فقال معاوية ان لعلى خمسة رجال من ثقاته منهم عدى بن حاتم وعبد الله بن عباس وسعد بن قيس وشريح بن هانىء والاحنف بن قيس بن الاصغر فاما ابن عباس فانه لا يقرب [illegible] واما عدى بن حاتم فيرد [illegible] واما شريح بن هانىء فلا يدع لعمرو [illegible] واما الاحنف ابن قيس فيه [illegible] واما سعد بن قيس فلو كان من قريش بايعته العرب و[illegible] هذا ان الناس قد ملوا هذه الحرب ولم يرضوا الا رجلا له تقية وكل هؤلاء لا تقية لهم ولكن انظروا الى ان يتهم رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تامنه اهل الشام ويرضى به اهل العراق فقال عتبة ذلك ابو موسى الاشعرى

﴿اختلاف اهل العراق فى الحكمين﴾

قال وذكروا ان عليا لما استقام رايه على ان يرسل عبد الله بن عباس مع عمرو ابن العاص قام اليه الاشعث بن قيس وشريح بن هانىء وعدى بن حاتم وسعد ابن قيس ومعهم ابو موسى الاشعرى فقالوا يا امير المؤمنين هذا ابو موسى الاشعرى وافد اهل اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب مغانم ابى بكر وعامل عمر بن الخطاب وقد عرضنا على القوم ابن عباس فزعموا انه قريب القرابة

منك ضنين فى امرك وايم الله لولقيت به عمرا لاخذ بصره وغم صدره. ولكن الناس قد رضوا برجل يثق اهل العراق واهل الشام بقيته. فتكلم شبيب بن ربعي فقال انا والله ان خفنا على ابى موسى من عمرو مالا نخافه اهل الشام على عمرو من ابى موسى فاهل ماخفناه لا يضرنا واهل مارجوا لا ينفعهم فان قلت فى ابى موسى ضعف فضعفه وتقاه خير من قوة عمرو وفجوره فاغاق به البلاء وافتح به العافية ثم تكلم ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين انك جبت الله فاجبنك ولكنا نقول الله بيننا وبينك ان كنت تخشى من ابى موسى عجزاً فثم من ارسلت الخائن العاجز، ولست محتاجا من عقله الا الى حرف واحد ان لا يجعل حقك لغيرك فيدرك حاجته منك. واعلم ان معاوية طليق الاسلام وان اباه راس الاحزاب وانه ادعى الخلافة من غير مشورة فان صدقك فقد حل خصمه وان كذبك فقد حرم عليك كلامه وان ادعى ان عمر وعثمان استعملاه فقد صادق استعمله عمر وهو الوالى بمنزلة الطبيب من المريض يحميه مايشتهي ويوجره مايكرهه ثم استعمله عثمان وما كان من استعمله ثم لم يدع الخلافة وهما نسيته فلا تنس ان عليا بايعه الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان وانها بيعة هذا ولم يقاتل الا عاصيا او ناكثا. فقال ابو موسى: جمعك الله واوالله انى لواقف عند ماارى ولرضاء الله تعالى احب الى من رضاء الناس وما انا انت الا بالله تعالى

(ماقال اهل الشام لاهل العراق)

قال وذكروا ان اهل الشام قالوا لاهل العراق اعلموا رجالا نسميهم لكم يكونون شهودا على مايقوله صاحبنا وصاحبكم بيننا وبينكم صحيفة فدل على سوء من احببتم فسموا ابن عباس والاشعث بن قيس وزياد بن كعب وشريح بن هانئ وعدي بن حاتم وحجر بن عدي وعبد الله بن الطفيل وسفيان بن ثور وعروة بن عامر وعبد الله بن حجر وخالد بن معمر وطلب اهل العراق من اهل الشام عتبة بن ابي سفيان وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ويزيد ابن اسيد واباالاعور والحصين بن نمير وحمزة بن مالك وبسر بن ارطاه والنعمان بن بشير ومخارق بن الحارث فلما سمى اهل العراق رجال اهل الشام وسمى اهل الشام رجال اهل العراق قال معاوية اين يكون هذين الرجلين فرضي الناس ان يكونا بدومة الجندل

﴿ ماقال الاحنف بن قيس لعلى ﴾

قال فلم يبق الا الكتاب قال الاحنف بن قيس لعلى يا امير المؤمنين ان اباموسى رجل يمانى وقومه مع معاوية فابعثني معه فوالله لا يحل لك عقدة الا عقدت لك اشد منها فان قلت انى لست من اصحاب رسول صلى الله عليه وسلم فابعث ابن عباس وابعثني معه

﴿ما قال علي كرم الله وجهه﴾

فقال علي ان الانصار والقراء اتوني بابي موسى فقالوا ابعث هذا فقد رضيناه ولا نريد سواه والله بالغ امره

﴿الاختلاف في كتاب صحيفة الصلح﴾

قال فوضع الناس السلاح والتقوا بين العسكرين فلما جيء بالكتاب قال علي اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب امير المؤمنين ومعاوية بن ابي سفيان فقال معاوية على م قاتلناك اذ كنت امير المؤمنين اكتب: علي بن ابي طالب. فقال الاشعث اطرح هذا الاسم فانه لا يضرك فضحك علي ثم قال. دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية حين صده المشركون عن مكة فقال يا علي اكتب هذا ما تقاضى عليه محمد رسول الله ومشركو قريش فقال سهيل بن عمرو لو نعلم انك رسول الله ما قاتلناك وانت رسول الله ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال صلى الله عليه وسلم اكتب محمد بن عبد الله نبي رسول الله. وكنت اذا امرني بشيء رسول الله صلى الله عليه وسلم اسرعت واذا قال مشركو قريش ابطأت به واذا كتبت بما قال نبي الله فقد ابتلاني ذلك. فما انا براض فترضته وكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان فقال ابو الاعور ومعاوية وعلي فقال الاشعث لا نعم الله اذا لكن نبدأ باولهما ايمانا وهجرة وادناهما من العاقبة فقال معاوية: قدموا او اخروا فان عليا ومن معه من شيعته من اهل العراق ومعاوية ومن معه من اهل الشام انا نزلنا عند حكم الله وكتابه من فاتحته الى خاتمته ما احيا القرآن احييناه وما امات القرآن امتناه فما لم يجد عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص في القرآن حكما يجدان في السنة العادلة غير المفرقة على علي ومعاوية وتبيينهما وضع السلاح الى انقضاء هذه وهي من رمضان الى رمضان وعلى ان عبد الله بن قيس وعمرا آمنان على دمائهما واموالهما وحريمهما والامة على ذلك انصار وعليهما مثل الذي اخذ ان يقضيا على كتاب الله تعالى وما لم يجدا في كتاب الله فيقضيا بما يجب ان في السنة وعليهما ان لا يفترقا امرهما عن هذه المدة فان احبا ان لا يقبلا لا قبل انقضائها او ان يتولى عن تراض منهما على ان يرجع اهل العراق الى العراق واهل الشام الى الشام فيكون الاجتماع الى دومة الجندل فان رضيا ان يجتمعا بغيرها فلهما ذلك وعلى ان لا يحضرهما الا من احبا فلا يحضر الا من ارادا وهؤلاء النفر من اهل العراق واهل الشام ضامنون بالوفاء الى هذه المدة فكتب اهل العراق بهذا كتابا لاهل الشام وكتب اهل الشام كتابا لاهل العراق بخط عمرو بن عباد كاتب معاوية

وشهد شهود اهل الشام على اهل العراق وشهد شهود اهل العراق على اهل الشام فلما كتب الكتابان اقبل رجل من بني يشكر على فرس له ابلق حتى وقف بين الصفين على علي فقال ايا علي اكفر بعد اسلام ونقض بعد توكيد وردة بعد معرفة انا من صحيفتكما بريء ومن اقربها بري، ثم حمل على اصحاب معاوية فطعن فيهم حتى اذا عطش اتى عسكر علي فاستسقى فسقي ثم حمل على عسكر علي فطعن فيهم حتى اذا عطش اتى عسكر معاوية فاستسقى فسقي.

﴿ ماوصى به شريح بن هانيء ابا موسى ﴾

قال وذكروان شريح بن هانيء اخذ بيد ابي موسى فقال: يا ابا موسى انك نصبت لامر لا يجبر صدعه ولا تستقال فلتته ومهما تقل من شيء لك او عليك يثبت حقه ويزيل باطله انه لا بقاء لاهل العراق ان ملكها معاوية ولا بأس لاهل الشام ان ملكها علي فانظر في ذلك نظر من يعرف هذا الامر حقا

﴿ ماوصى به الاحنف بن قيس ابا موسى ﴾

قال ثم جاء الاحنف بن قيس فاخذ بيده ثم قال. يا ابا موسى اعرف خطب هذا المسير واعلم ان لك ما بعده وانك ان ضيعت العراق فلا عراق لك فاتق الله فانك تجمع بذلك دنيا واخرى. اذا لقيت عمرا غدا فلا تبادره بالسلام فليس من اهله ولا تعطيه يدك فانها امانة واياك ان تقعد على صدر الفراش فانها خدعة ولا تلقه وحدك واياك ان يكلمك في بيت فيه مخدع يخبأ لك فيه رجالا وان لم يستقم لك عمرو على الرضا بعلي فخيره ان يختار اهل العراق رجلا من قريش اهل الشام من شاؤا فانهم ان يولوا الخيار يختاروا من يريدون فان ابى فليختار اهل الشام من قريش اهل العراق من شاؤا فان فعلوا كان الامر بيننا

(ماقال معاوية لعمرو)

قال وذكروا ان معاوية قال لعمرو ان اهل العراق اكرهوا عليا على ابي موسى وانا واهل الشام راضون بك وارجو في دفع هذه الحرب قوة لاهل الشام وفرقة لاهل العراق وامدادا لاهل اليمن وقد ضم اليك رجل طويل اللسان قصير الرأى وله على ذلك دين وفضل فدعه يقول فاذا هو قال فاصمت واعلم ان حسن الراي زيادة في العقل ان خوفك العراق فخوفه بالشام وان خوفك مصر فخوفه باليمن وان خوفك عليا فخوفه بمعاوية وان اتاك الجميل فانه بالجميل قال عمرو يا امير المؤمنين اقلل الاهتمام بما قبلي وارج الله تعالى فيما وجهتني له انك من امرك على مثل حد السيف لم تنل في حربك مارجوت ولم تامن ما خفت ونحن نرجو ان يصنع الله تعالى لك خيرا وقد ذكرت لابي موسى دينا وان الدين منصور ارايت ان ذكر عليا

وجاه له بالاسلام كالهجرة واجتماع الناس عليه ما اقول فقال معاوية قل ما تريد وترى قال فانصرف عمرو الى منزله فقال لاصحابه هل ترون ما اراده معاوية من تصغير ابي موسي قالوا قال عرف انه خادعه غداً

﴿ ما قال شرحبيل لعمرو ﴾

قال واتى شرحبيل بن السمط الى عمرو فقال يا عمرو انك رجل قريش وان معاوية لم يبعثك الا لثقته بك واعلم انك لم تؤت من عجز وقد علمت ان وطأة هذا الامر لصاحبك ولك فكن عند ظننا بك

﴿ اجتماع ابي موسى وعمرو ﴾

قال وذكروا ان ابا موسى وعمراً لما اجتمعا بدومة الجندل وحضرهما من يليهما من العرب ليستمعوا قول الرجلين فلما التقيا استقبل عمرو ابا موسى فاعطاه يده وضم عمرو ابا موسى الي صدره فقال يا اخي قبح الله امراً فرق بيننا ثم اقعد ابا موسى على صدر الفراش واقبل عليه بوجهه والناس مجتمعون فلم يزالا حتى تفرقا ومكثا اياما يلتقيان في امرهما سرا وجهرا واقبل الاشعث بن قيس وكان من احرص الناس على اتمام الصلح والراحة من الحرب فقال يا هذان انا قد كرهنا هذه الحرب فلا تردا ها الينا فان امر الرضاع للفطام فسكناها عاشئنا

﴿ ما قال سعيد بن قيس للحكمين ﴾

قال فاقبل سعيد بن قيس وكان من النصحاء لعلي كرم الله وجهه فقال ايها الرجلان اني اراكما قد ابطأتما بهذا الامر حتي ايس القوم منكما فان كنتما اجتمعتما على خير فاظهراه نسمعه ونشهد عليه وان كنتما لم تجتمعا رجعنا الى الحرب

﴿ ما قال عدى بن حاتم لعمرو ﴾

قال وذكروا ان عديا قال لعمرو اما والله يا عمرو انك لغير مأمون الغناء وانك يا ابا موسي لغير مأمون الضعف وما ننتظر بالقول منكما الان تقولا والله ما لكما مع كتاب الله ايراد ولا صدر فقال ابو موسي كفوا عنا فانا انما نقول فيما بقي ولسنا نقول فيما مضي

﴿ ما قال عمرو لابي موسى ﴾

قال وذكروا ان عمراً غدا على ابي موسي فقال يا ابا موسي قد عرفت حال معاويه في قريش وشرفه في بني عبدمناف وانه ابن هند وابن ابي سفيان فما ترى فقال ابو موسى اما معاوية فليس باشرف في قريش من علي ولو كان هذا الامر على شرف الجاهلية كان اخوال ذي اصبح ولكنني ارى وترى وباعدها بوموسى ثم غدا عليه عمرو فقال يا ابا

موسى ان قال قائل ان معاوية من الطلقاء وابوه رأس الاحزاب لم يبايعه المهاجرون والانصار فقد صدق واذا قال ان عليا آوى قتلة عثمان وقتل انصاره يوم الجمل وبرز على اهل الشام بصفين فقد صدق وفينا وفيكم بقية وان عادت الحرب ذهب ما بقى فهل لك ان تخلعها جميعا وتجعل الامر لعبد الله بن عمر فقد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبسط في هذه الحرب يدا ولا لسانا وقد علمت من هو مع فضله بزهده وورعه وعلمه فقال ابو موسى جزاك الله بنصيحتك خيرا وكان ابو موسى لا يعدل بعبد الله بن عمر احدا لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من ابيه لفضل عبد الله فى نفسه وافترقا على هذا الامر واجتمع رأيهما على ذلك : ثم ان عمرا غدا على ابى موسى فاشدتك الله تعالى من احق بهذا الامر من اوفى اومن غدر قال ابو موسى من اوفى قال عمرو يا اباموسى نشدتك الله تعالى ما تقول في عثمان قال ابو موسى قتل مظلوما قال عمرو فما الحكم فيمن قتل قال ابو موسى يقتل بكتاب الله تعالى قال فمن يقتله قال اولياء عثمان قال فان الله يقول في كتابه العزيز « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا » قال فهل تعلم ان معاوية من اولياء عثمان قال نعم قال عمرو للقوم اشهدوا قال ابو موسى للقوم اشهدوا على ما يقول عمرو ثم قال ابو موسى لعمرو قم يا عمرو فصل وصرح بما اجتمع عليه رأيي ورأيك وما اتفقنا عليه فقال عمرو سبحان الله اقوم قبلك وقد قدمك الله قبلى فى الايمان والهجرة وانت وافد اهل اليمن الى رسول الله ووافد رسول الله اليهم وبك هداهم الله وعرفهم شرائع دينه وسنة نبيه وصاحب مقاسم ابى بكر وعمر ولكن قم انت فقل ثم اقوم فاقول فقام ابو موسى فحمد الله واثنى عليه ثم قال: ايها الناس ان خير الناس للناس خيرهم لنفسه وانى لا اهلك ديني بصلاح غيرى، ان هذه الفتنة قد اكلت العرب وانى رأيت وعمرا ان نخلع عليا ومعاوية ونجعلها لعبد الله بن عمر فانه لم يبسط فى هذه الحرب يدا ولا لسانا ثم قام عمرو فقال : أيها الناس هذا ابو موسى شيخ المسلمين وحكم اهل العراق ومن لا يبيع الدين بالدنيا قد خلع عليا واثبت معاوية فقال ابو موسى مالك عليك لعنة الله ما انت الا كمثل الكلب تلهث فقال عمرو ولكنك مثل الحمار يحمل اسفارا . واختلط الناس فقالوا والله لو اجتمعنا على هذا ما حولتمانا عما نحن عليه وما صلحكما بلازمنا وانا اليوم على ما كنا عليه أمس ولقد كنا ننظر الى هذا قبل ان يقع وما امات قولكما حقا ولا احيا باطلا ثم تشاتم ابو موسى وعمرو ثم التفت عمرو الى معاوية ولحق ابو موسى بمكة وانصرف القوم الى علي فقال عدى اما والله ياامير المؤمنين لقد قدمت القرآن واخرت الرجال وجعلت

الحكم لله فقال علي اما اني قد اخبرتكم ان هذا يكون بالامس وجهدت ان تبعثوا غير ابي موسى فابيتم علي ولا سبيل لحرب القوم حتى تنقضي المدة. فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: قم يا حسن فتكلم في امر هذين الرجلين ابي موسى وعمرو، فقام الحسن فتكلم فقال. ايها الناس قد اكثرتم في امر ابي موسى وعمرو وانما بعثا ليحكما بالقرآن دون الهوى فحكما بالهوى دون القرآن فمن كان هكذا لم يكن حكما ولكنه محكوم عليه وقد كان من خطأ ابي موسى ان جعلها لعبد الله بن عمر فاخطأ في ثلاث خصال خالف يعني ابا موسى اباه عمر اذلم يرضه لها ولم يره اهلا لها وكان ابوه علم به من غيره ولا ادخله في الشورى الا على لاشيء له فيها شرطاً مشروطا من عمر على اهل الشورى فهذه واحدة، وثانية لم تجمع عليه المهاجرون والانصار الذين يعقدون الامامة ويحكمون على الناس، وثالثة لم يستأمر الرجل في نفسه ولا علم ماعنده من رد او قبول. ثم جلس ثم قال علي لعبد الله بن عباس قم فتكلم فقام عبد الله ابن عباس وقال ايها الناس ان للحق اناسا اصابوه بالتوفيق والرضا والناس بين راض به وراغب عنه وانما سار ابو موسى بهدى الي ضلال وسار عمرو بضلال الى هدى فلما التقيا رجع ابو موسى عن هداه ومضي عمرو على ضلاله فوالله لو كانا حكما عليه بالقرآن لقد حكما عليه ولئن كانا حكما بهواهما على القران ولئن مسكا بما سارا به لقد سار ابو موسى وعلي امامه وسار عمرو ومعاوية امامه ثم جلس فقال علي لعبد الله بن جعفر قم فتكلم فقام. وقال ايها الناس هذا امر كان النظر فيه لعلي والرضا فيه الى غيره وجئتم بابي موسى فقلتم قد رضينا هذا فارض به وايم الله ما اصلحا بما فعلا الشام ولا افسدا العراق ولا اماتا حق علي ولا احييا باطل معاويه ولا يذهب الحق قلة راي ولا نفخة شيطان وانا لعلى اليوم كما كنا امس عليه ثم جلس

﴿ كتاب ابن عمر الى ابي موسى ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن عمر ولما بلغه ما كان من راي ابي موسى كتب اليه. اما بعد يا ابا موسي فانك تقربت الى بامر لم تعلم هواي فيه اكنت تظن اني ابسط يداً الى امر نهاني عنه عمر او كنت تراني اتقدم على علي وهو خير مني لقد خبت اذاً وخسرت وما انا من المهتدين فأغضبت بقولك وفعلك علياً ومعاوية: ثم اعظم من ذلك خديعة عمرو اياك وانت حامل القران ووافد اهل اليمن الى نبي الله وصاحب مقاسم ابي بكر وعمر فقدمك عمرو للقول مخادعا حتى خلعت علياً قبل ان تخلع معاوية

ولعمري ما يجوز لك على على ما جاز لعمرو على معاوية ولا ما جاز لعليه ولا كرهنا ما رضيت واردت ان الحاكم بما حكم الله بين الناس ولم تبلغ من خطيئتك عنده ما امرك في خلاف هواه فلما أتى ابا موسى كتب ابن عمر كتب اليه : اما بعد فاني والله ما اردت بذلك الا الله عز وجل واما تداري امر هذه الامة غير مستكرة فانهم كانوا على مثل حد السيف فقلت الى سنة حتى يصطلحوا فهو الذي اردت والا لم يرجعوا الى اعظم مما كانوا عليه واما انتسابي عليك عليا ومعاوية فقد غضبا عليك قبل ذلك واما خديعة عمرو اياي فوالله ما ضر بخديعته عليا ولا نفع معاوية وقد كان الشرط ما اجتمعنا عليه لا ما اختلفنا فيه واما نهيي اليك فوالله لو تم الامر لا كرهت عليه

﴿ كتاب معاوية الى ابي موسى ﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الي ابي موسى بعد الحكومة وهو بمكة اما بعد فاكره من اهل العراق ما كرهوا منك واقبل الى الشام فاني خير لك من علي والسلام

(جوابه)

فكتب اليه ابو موسى : اما بعد فانه لم يكن مني في علي لا ما كان من عمرو فيك غير اني اردت بما صنعت وجه الله واراد عمرو بما صنع وقد كان بيني وبينه شروط عن تراض فلما رجع عمرو رجعت واما قولك ان الحكمين اذا حكما على امر فليس المحكوم عليه ان يكون بالخيار انما ذاك في الشاة والبعير واما في امر هذه فليست تساق وان تكره عجز عاجز ولا كيد كائد ولا خديعة فاجر واما دعاؤك اياي الى الشام فليس لي بدل ولا ايثار عن قبر ابن ابراهيم ابي الانبياء

(كتاب علي الى ابي موسى)

قال وذكروا انه لما بلغ عليا كتاب ابي موسى رق له واحب ان يضمه اليه اما بعد فانك امرؤ ضلك الهوى واستدرجك الغرور فاستقل الله يقلك عثرتك فانه من استقال الله اقاله ان الله يغفر ولا يغير واحب عباده اليه المتقون والسلام، فلما انتهى كتاب علي الى ابي موسى هم ان يرجع ثم قال لاصحابه اني امرؤ غلب علي الحياء ولا يستطيع هذا الامر رجل فيه حياء

(جوابه)

فكتب ابو موسى الي علي : اما بعد فلولا اني خشيت ان يؤول منع الجواب الى اعظم مما في نفسك لم اجبك لانه ليس عذر ينفعني ولا عذر يمنعني منك واما التزامي مكة فاني استفسرت الى اهل الشام وانقطعت من اهل العراق واصبت اقواما صغروا

من ذلي ماعظمتم وعظموا من حقي ماصغرتم فاقمت بين اظهرهم اذلم يكن لى منكم ولى ولا نصير

﴿ ذكر قيام الخوارج على على بن ابى طالب كرم الله وجهه ﴾

قال وذكروا انه لما كان من التحكيم ما كان لقيت الخوارج بعضها بعضاً فاجتمعوا فى منزل عبدالله بن وهب الراسبي فحمد الله واثني عليه ثم قال : ايها الناس ماينبغى لقوم يؤمنون بالرحمن وينسبون الى حكم القرآن ان تكون هذه الدنيا آثر عندهم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بالحق وان ضروا فانه ان يضر ويعرف هذه الدنيا فان ثوابه يوم القيامة رضوان الله وخلود الجنة فاخرجوا بنا من هذه القرية الظالم اهلها الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدعة المضلة والاحكام الجائرة فقال حرقوص ابن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعوكم زينتها وبهجتها الى المقام بها ولا تلوينكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون يا قوم ان الرأى ما قد رأيتم والحق ما قد ذكرتم فـكلوا امركم رجلا منكم فانه لا بدلكم من عماد وسند ومن راية تحفون حولها ترجعون اليها ثم اجتمعوا في منزل زفر بن حصين الطائي فقالوا ان الله اخذ عهودنا ومواثيقنا على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والقول بالحق والجهاد في تقويم السبيل وقد قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوي فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد » وقال « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » فاشهدوا على اهل دعوتنا ان قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم القرآن وجاروا فى الحكم والعمل وان جهادهم على المؤمنين فرض واقسم بالذى تعنو له الوجوه وتخشع دونه الابصار لو لم يكن احد على تغيير المنكر وقتال القاسطين مساعداً لقاتلتهم وحدى فرداً حتي القي الله ربى فيري اني قد غيرت ارادة رضوانه بلساني يا اخواننا اضربوا جباههم ووجوههم بالسيف حتي يطاع الرحمن عز وجل فان يطع الله كما اردتم اثابكم ثواب المطيعين له الآمرين بامره وان قتلتم فاى شي افضل من المسير الى رضوان الله وجنته واعلموا ان هؤلاء القوم خرجوا لامضاء حكم الضلالة فاخرجوا بنا الى بلد نتعمد فيه الاجتماع من مكاننا هذا فانكم قد اصبحتم بنعمة ربكم وانتم اهل الحق بين الخلق اذ قلتم بالحق وصمدتم لقول الصدق فاخرجوا بنا الى المدائن نسكنها فنأخذ بابوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من اهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين الطائي ان المدائن بها

قوم يمنعونكم منها ويمنعونها منكم ولكن اكتبوا الى احوانكم من اهل البصرة فاعلموهم بخروجكم وسيروا انتم على المدائن فتنزلوا بجسر النهروان قالوا هذا هو الرأى فاجتمعوا على ذلك وكتبوا الى اخوانهم من اهل البصرة : اما بعد فانا اهل دعوتنا حكموا الرجال فى امر الله ورضوا بحكم القاسطين على عباده فخالفناهم ونابذناهم نريد بذلك الوسيلة الى الله وقد قعدنا بجسر النهروان واحببنا اعلامكم لتاخذوا بنصيبكم من الاجر والسلام

﴿ الجواب ﴾

فكتبوا اليهم : اما بعد بلغنا كتابكم وفهمنا ماذكرتم وقد وهبنا لكم الراى الذى جمعكم الله عليه من الطاعة واخلاص الحكم لله واعمالكم انفسكم فيما يجمع الله به كلمتكم وقد اجمعنا على المسير اليكم عاجلا . وكان بدىء خروجهم انهم اجتمعوا في منزل حرقوص بن زهير ليلة الخميس فقالوا متي انتم خارجون قالوا الليلة القابلة من يوم الجمعة فقال لهم حرقوص بل اقيموا ليلة الجمعة تتعبدوا لربكم واوصوا فيها بوصاياكم ثم اخرجوا الليلة السبت مثني ووحدانا لا يشعر بكم

﴿ خطبة على كرم الله وجهه ﴾

قالوا فلما خرج جميع الخوارج وتوافوا الى النهروان قام على بالكوفه على المنبر فحمد الله واثني عليه ثم قال : اما بعد فان معصية العالم الناصح تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم فى هذين الرجلين وفى هذه الحكومة بامرى فابيتم الا ما اردتم فاحييا ما امات القرآن واماتا ما احيا القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بحكم بغير حجة ولا سنة ظاهرة واختلفا فى امرهما وحكمهما فكلاهما لم يرشد الله فبرىء الله منهما ورسوله وصالحوا المؤمنين فاستعدوا للجهاد وتاهبوا للمسير ثم اصبحوا فى معسكركم يوم الاثنين بالنخيلة وانما حكمنا من حكمنا ليحكما بالكتاب فقد علمتم انهما حكما بغير الكتاب وبغير السنة والله لاغزونهم ولو لم يبق احد غيرى لجاهدتهم . واعطي الناس العطاء وهم بالجهاد

﴿ كتاب على كرم الله وجهه للخوارج ﴾

قالوا فاجمع راى على والناس على المسير الى معاوية بصفين فتجهز معاوية وخرج حتى نزل بصفين واصبح على قد تجهز وعسكر فقيل له يا امير المؤمنين انه قد افترقت منا فرقة فذهبت قال فكتب اليهم على . اما بعد فان هذين الرجلين الخاطئين الحاكمين الذين ارضيتم حكمين قد خالفا كتاب الله واتبع هواهما بغير هدي من الله فلا يعملا بالسنة ولم ينفذا للقرآن حكما فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين ؟ اذا بلغكم كتابنا هذا فاقبلوا الينا فانا

سائرون الى عدونا وعدكم ونحن على الامر الذي كنا عليه والسلام . قال فكتبوا اليه : اما بعد فانك لم تغضب لله انما غضبت لنفسك والله لا يهدي كيد الخائنين قال فلما راى على تثاقلهم ايس منهم وراى ان يدعهم ويمضي بالناس الى معاوية واهل الشام فيناجزهم فقام على خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد فان من ترك الجهاد وداهن في امر الله كان على شفا هلكة الا ان يتداركه الله برحمته فاتقوا الله عباد الله قاتلوا من حاد الله وحاول ان يطفيء نور الله قاتلوا الخاطئين القاتلين لاولياء الله المحرفين لدين الله الذين ليسوا بقراء للكتاب ولا فقهاء في الدين ولا علماء بالتاويل ولا لهذا الامر باهل في دين ولا سابقة فى الاسلام والله لو ولوا عليكم لعملوا فيكم بعمل كسرى وقيصر . فسيروا وتاهبوا للقتال وقد بعثت لاخوانكم من اهل البصرة ليقدموا عليكم فاذا قدموا واجتمعتم شخصنا ان شاء الله

﴿ كتاب على الى ابن عباس ﴾

قالوا وقد كان على قد كتب الى ابن عباس والى اهل البصرة اما بعد فانا اجمعنا على المسير الى عدونا من اهل الشام فاشخص الى من قبلك من الناس واقم حتي آتيك والسلام

﴿ ما قال ابن عباس الى اهل البصرة ﴾

فلما قدم كتاب على على ابن عباس فقراه على الناس ثم امرهم بالشخوص مع الاحنف بن قيس فشخص معه منهم الف وخمسمائة رجل فاستقبلهم ابن عباس وقام خطيباً فحمد الله واثني عليه ثم قال : ياهل البصرة قد جاءني كتاب امير المؤمنين يامرني باشخاصكم فامرتكم بالمسير اليه مع الاحنف بن قيس فلم يشخص اليه منكم الا الف وخمسمائة وانتم في الديوان ستون الفا سوى ابنائكم وعبدانكم ومواليكم الا فانفروا ولا يجعل امرؤ على نفسه سبيلا فاني موقع بكل من وجدته تخلف عن دعوته عاصياً لامامه حزنا يعقب ندما وقد امرت ابا الاسود بحشدكم فلا يلم امرؤ جعل السبيل على نفسه الا نفسه

(ماقال على كرم الله وجهه لاهل الكوفة)

قال فحشد ابو الاسود الناس بالبصرة فاجتمع اليه الف وسبعمائة فاقبل هو والاحنف ابن قيس حتي وافيا عليا بالنخيلة فلما رأى على انه انما قدم عليه من اهل البصرة ثلاثة آلاف ومائتا رجل جمع اليه رؤساء الناس وامراء الاجناد ووجوه القبائل فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ياهل الكوفة انتم إخواني وانصاري واعواني على الحق ومجيبي الى

جهاد المحلين ، بكم اضرب المدبر وارجو اتمام طاعة المقبل، وقد بعثت الي اهل البصرة فاستنفرتهم فلم ياتني منهم غير ثلاثة آلاف ومائتين فاعينوني بمناصحة سمحة خلية من الغش واني آمركم ان يكتب إلي رئيس كل قوم منكم ما في عشيرته من المقاتلة وابنائهم الذين ادركوا القتال والعبدان والموالي وارفعوا ذلك الى ننظر فيه ان شاء الله فقام سعد بن قيس الهمداني .فقال :ياامير المؤمنين سمعا وطاعة وودا ونصيحة انا اول واول من اجابك بما سألت وطلبت ثم قام عدى بن حاتم وحجر بن عدي واشراف القبائل فقالوا نحن كذلك ثم كتبوا ورفعوا الى على فكان جميع ما رفعوا اليه اربعين الف مقاتل وسبعة عشر الفا من الابناء وثمانية آلاف من عبيدهم ومواليهم وكانت العرب يومئذ سبعة وخمسين الفا من اهل الكوفة ومن مماليكهم ومواليهم ثمانية آلاف ومن اهل البصرة ثلاثة الاف ومائتا رجل فقام على فيهم خطيباً فقال : اما بعد فقد بلغني قولكم لو ان امير المؤمنين سار بنا الي هذه الخارجة التى خرجت علينا فبدانا بهم الى ان غير هذه الخارجة اهم على امير المؤمنين سيروا الى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا فى الارض جبارين ملوكا ويتخذهم المؤمنون اربابا ويتخذون عباد الله خولا ودعوا ذكر الخوارج قال. فنادى الناس من كل جانب سر بنا ياامير المؤمنين حيث احببت فنحن حزبك وانصارك نعادى من عاداك ونشايع من اناب اليك والى طاعتك فسر بنا الى عدوك كائنا من كان فانك لن تؤتي من قلة ولا ضعف فان قلوب شيعتك كقلب رجل واحد فى الاجماع على نصرتك والجد في جهاد عدوك فابشر ياامير المؤمنين بالنصر واشخص الى اي الفريقين احببت فانا شيعتك التي ترجو فى طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله فى خذلانك ، والمختلف عنك شديد الوبال

(ماقال على رضى الله عنه في الخثعمى)

فبايعوه على التسليم والرضاء وشرط عليهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من خثعم فقال له على : بايع على كتاب الله وسنة نبيه قال لا ولكن ابايعك على كتاب الله وسنة نبيه وسنة ابى بكر وعمر فقال على وما يدخل سنة ابى بكر وعمر مع كتاب الله وسنة نبيه انما كانا عاملين بالحق حيث عملا فابي الخثعمي الا سنة ابي بكر وعمر وابى على ان يبايعه الا على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال له حيث الح عليه تبايع قال لا الا على ماذكرت لك فقال له على اما والله لكاني بك قد نفرت في هذه الفتنة وكاني بحوافر خيلي قد شدخت وجهك

فلحق بالخوارج فقتل يوم النهروان قال قبيصة فرايته يوم النهروان قتيلا وقد وطات الخيل وجهه وشدخت راسه ومثلت به فذكرت قول علي وقلت لله در ابي الحسن ماحرك شفتيه قط بشيء الا كان كذلك

﴿ اجماع علي للذهاب الى صفين ﴾

فاجمع علي والناس على المسير الى صفين وتجهز معاوية حتى نزل صفين فلما خرج علي بالناس عبر الجسر ثم مضى حتي نزل دير ابي موسى على شاطيء الفرات ثم اخذ على الانبار . وان الخارجة التي خرجت على علي بينما هم يسيرون فاذاهم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا اليه الفرات فقالوا له من انت قال أنا رجل مؤمن قالوا فما تقول في علي بن ابي طالب قال اقول انه امير المؤمنين واول المسلمين ايمانا بالله ورسوله قالوا فما اسمك قال انا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له افزعناك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن ابيك بحديث سمعه من رسول الله لعل ان ينفعنا به قال نعم حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ستكون فتنة بعدي يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح كافرا فقالوا لهذا الحديث سألناك والله لنقتلنك قتلة ماقتلناها لاحدا . فأخذوه وكتفوه ثم اقبلوا به وبامرأته وهي حبلي متم حتى نزلوا تحت نخل فسقطت رطبة منها فاخذها بعضهم فقذفها في فيه فقال لهم احدهم بغير حل او بغير ثمن اكلتها فالقاها من فيه اخترط بعضهم سيفه فضرب به خنزيرا لاهل الذمة فقتله قال له بعض اصحابه هذا من ان الفساد في الارض فلقي الرجل صاحب الخنزير فارضاه من خنزيره فلما رأى منهم عبدالله بن خباب لئن كنتم صادقين فيما ارى ماعلي منكم باس والله ما احدثت حدثا في الاسلام واني لمؤمن وقد آمنتموني وقلتم لا روع عليك فجاؤا به وبامرأته فاضجعوه على شفير النهر على ذلك الخنزير فذبحوه فسال دمه في الماء ثم اقبلو الي امراته فقالت : انما انا أما تتقون الله قال فبقروا بطنها وقتلوا ثلاثة نسوة فيهم ام سنان قد صحبت النبي عليه السلام فبلغ عليا خبرهم فبعث اليهم الحارث بن مرة لينظر فيما بلغه من قتل عبدالله بن خباب والنسوة ويكتب اليه بالامر فلما انتهى اليهم ليسائلهم خرجوا اليه فقتلوه فقال الناس ياامير المؤمنين تدع هؤلاء القوم وراءنا يخلفونا في عيالنا واموالنا سر بنا اليهم فاذا فرغنا منهم نهضنا الى عدونا الى اهل الشام

﴿ مسير علي الي الخوارج وما قال لهم ﴾

قال فسار علي ومن معه حتي نزلوا المدائن ثم خرج حتى اتى النهروان فبعث

اليهم : ان ادفعوا الينا قتلة اخواننا منكم نقتلهم بهم ثم انا افارقكم واكف عنكم حتى القى اهل الشام فبعثوا اليه انا كلنا قتلناكم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم ثم اتاهم على فوقف عليهم فقال ايتها العصابة انى نذير لكم ان تصبحوا تلعنكم الامة غدا وانتم صرعي بازاء هذا النهر بغير برهان ولا سنة الم تعلموا انى نهيتكم عن الحكومة واخبرتكم ان طلب القوم لها مكيدة وانباتكم ان القوم ليسوا باصحاب دين ولا قرآن وانى اعرف بهم منكم قد عرفتم اطفالا وعرفتم رجالا فهم شر رجال وشر اطفال وهم اهل المكر والغدر وانكم ان فارقتمونى ورأيى جانبتم الخير والحزم فعصيتموني واكرهتموني حتي حكمت فلما ان فعلت شرطت واستوثقت وأخذت على الحكمين ان يحييا ماأحيا القران وان يميتا مأمات القران فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة وعملا بالهوى فنبذنا امرهم ونحن على امرنا الاول فما نباكم ومن اين اتيتم .قالوا له انا حيث حكمنا الرجلين اخطانا بذلك وكنا كافرين وقد تبنامن ذلك فان شهدت على نفسك بالكفر وتبت كما تبنا واشهدنا فنحن معك ومنك والا فاعتزلنا وان ابيت فنحن منا بذوك على سواء . فقال: على ابعدايمانى بالله وهجرتي وجهادى مع رسول الله ابوء واشهد على نفسي بالكفر لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين . ويحكم بما استحللتم قتالنا والخروج من جماعتنا ان اختار الناس رجلين فقال لهما انظر بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ويوضع آخر مكان آخر احل لكم ان تضعوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دماءهم ان هذا لهو الخسران المبين : قال فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم تهيأوا للقا الحرب الرواح الرواح الي الجنة

(قتل الخوارج)

قال فرجع على فعبأ اصحابه فجعل على الميمنة حجر بن عدي وعلى الميسرة شبث بن ربعى وعلى الخيل اباأيوب الانصاري وعلى الرجالة ابا قتادة وعلى اهل المدينة وهم ثمانمائة رجل من الصحابة قيس بن سعد بن عبادة ووقف على فى القلب فى مضر . قال ثم رفع لها راية امان مع ابي ايوب الانصارى فناداهم ابوايوب من جاء منكم الى هذه الراية فهو آمن ومن دخل المصر فهو آمن ومن انصرف الي العراق ومن خرج من هذه الجماعة فهو امن فانه لا حاجة لنا فى سفك دمائكم .قال وقدم الخيل دون الرجالة وصف الناس صفين وراء الخيل وصف الرماة صفا امام صف

وقال لاصحابه كفوا عنهم حتي يبدؤكم .قال واقبلت الخوارج حتى اذا دنوا من الناس نادوا لا حكم الا الله ثم نادوا الرواح الرواح الى الجنة قال وشدوا على اصحاب علي شدة رجل واحد والخيل امام الرجل فاستقبلت الرماة وجوههم بالنبل فخمدوا قال الثعلبي لقد رأيت الخوارج حين استقبلتهم الرماح والنبل كانهم معز اتقت امطر بقرونها ثم عطفت الخيل عليهم من الميمنة والميسرة ونهض على في القلب بالسيوف والرماح فلا والله مالبثوا فواقا حتي صرعهم الله كانما قيل لهم موتوا فماتوا .قال واخذ على ماكان في عسكرهم من كل شيء فاما السلاح والدواب فقسمه على بيننا واما المتاع والعبيد والاماء فانه حين قدم الكوفة رد على اهله .قال ولما اراد على الانصراف من النهروان قام خطيبا فحمد الله ثم قال. اما بعد فان الله قد احسن بلاؤكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا الى معاويه واشياعه القاسطين الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون . فقالوا ياأمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت اذرعنا وتقطعت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا فارجع بنا باحسن عدتنا ولعل امير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة فان ذلك اقوى لنا على عدونا فاقبل على بالناس حتى نزل بالنخيلة فعسكر بها وامر الناس ان يلزموا معه عسكرهم ويوطنوا انفسهم على الجهاد وان يقلوا من زيارة ابنائهم ونسائهم حتي يسيروا الى عدوهم من أهل الشام فقاموا معه أياما ثم رجعوا يتسللون ويدخلون الكوفة ويتلذذون بنسائهم وابنائهم ولذاتهم حتي تركوا علياً وما معه الا نفر من وجوه الناس يسير وترك العسكر خالياً

﴿ خطبة على كرم الله وجهه ﴾

قال فقام على على المنبر فحمد الله وأثني عليه ثم قال : ايها الناس استعدوا للمسير الى عدو في جهاده القربة الى الله ودرك الوسيلة عنده فاعدوا له ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتوكلوا على الله وكفي به وكيلا ثم تركهم اياما ودعا رؤسائهم ووجوههم فسالهم عن رأيهم وما الذى نبطهم فمنهم المعتل ومنهم المتكره واقلهم من نشط فقال لهم على : عباد الله ما لكم اذا امرتكم ان تنفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة بدلا ورضيتم بالذل والهوان من العز خلفا كلما ناديتكم الى الجهاد دارت اعينكم كانكم من الموت في سكرة وكانت قلوبكم قاسية فانتم لا تعقلون وكأن ابصاركم كمه فانتم

لا تبصرون ، لله انتم ما انتم الا اسود رواعة وثعالب رواغة عند الناس تكادون ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم فلا تحاشون وانتم فى غفلة ساهون ، أن اخا الحرب اليقظان ، اما بعد فانا لى عليكم حقا ولكم على حقا اما حقكم على فالنصيحة في ذات الله وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كما تعلموا . واما حقي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصح لى في الاجابة حين ادعوكم والطاعة حين آمركم ، فان يرد الله بكم خيرا تنتزعوا عما اكره وترجعوا الى ما احب تناولوا بذلك ما تحبون وتدركوا ما تاملون ، ايها الناس المجتمعة ابدانهم المختلفة اهواؤهم ماعزت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم كلامكم يوهى الصم وفعلكم يطمع فيكم عدوكم اذا امرتكم بالمسير قلتم كيت وكيت اعاليل باضاليل هيهات لا يدرك الحق الا بالجد والصبر اى دار بعد داركم تمنعون ، ومع اى امام بعدى تقاتلون ، المغرور والله من غررتموه ومن فاز بكم فاز بالسهم الاخيب . اصبحت لا اطمع فى نصرتكم ولا اصدق قولكم ، فرق الله بيني و بينكم واعقبني بكم من خير لي واعقبكم بعدى من شر لكم منى اما انكم ستلقون بعدي ذلا شاملا وسيفا قاتلا واثرة يتخذها الظالمون بعدى عليكم سنة تفرق جماعتكم وتبكى عيونكم وتدخل الفقر بيوتكم ، تمنون والله عندها ان لو رأيتمونى ونصرتموني وستعرفون ما اقول لكم عما قليل . استنفرتكم فلم تنفروا ونصحت لكم فلم تنبلوا وأسمعتكم فلم تعوا فأنتم شهود كاغياب وصم ذووا اسماع ، اتلو عليكم الحكمة واعظكم بالموعظة النافعة واحثكم على جهاد المحلين الظلمة الباغين فما آتي على اخر قولى حتي اراكم متفرقين اذ تركتكم عدتم الي مجالسكم حلقا عزين تضربون الامثال وتناشدون الاشعار تربت ايديكم وقد نسيتم الحرب واستعدادها واصبحت قلوبكم فارغة عن ذكرها وشغلتموها بالاباطيل والاضاليل ؟ ويحكم اغزوا عدوكم قبل ان يغزوكم فوالله ماغزى قوم قط فى عقر دارهم الا ذلوا وايم الله ما اظنكم تفعلون حتي يفعل بكم وايم الله لوددت انى قد رأيتهم فلقيت على نيتى وبصيرتى فاسترحت من مقاساتكم ومداراتكم ، ويحكم ماانتم الا كابل جامحة ضل عنها رعاؤها فكلما ضمت من جانب انتشرت من جانب والله لكانى انظر اليكم وقد حمي الوطيس لقد انفرجتم على انفراج الراس وانفراج المرأة عن قبلها ، فقام اليه الاشعث بن قيس الكندي فقال . يا امير المؤمنين فهلا فعلت كما فعل عثمان قال على ويلك وكما فعل عثمان رأيتني فعلت عائذا بالله من شر ماتقول والله ان الذي فعل عثمان لمخزاة على من لادين له ولا حجة معه فكيف

وانا على بينة من ربي والحق معى والله ان امرأ امكن عدوه من نفسه فنهش عظمه وسفك دمه لعظيم عجزه وضعيف قلبه انت يابن قيس فكن ذلك فاما انا فوالله دون اعطي ذلك ضربا بالمشرفي يطير له فراش الراس وتطيح منه الاكف والمعاصم وتجد به الغلاصم ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء والله يا اهل العراق ما اظن هؤلاء القوم من اهل الشام الا ظاهرين عليكم ، فقالوا ابعلم تقول ذلك يا امير المؤمنين ؟ فقال نعم والذى فلق الحبة وبرا النسمة اني اري امورهم قد علت وارى اموركم قد خبت واراهم جادين فى باطلهم واراكم وانين في حقكم واراهم مجتمعين واراكم متفرقين واراهم لصاحبهم معاوية مطيعين واراكم لي عاصيين ،اما والله لئن ظهروا عليكم بعدى لتجدنهم ارباب سوء كانهم والله عن قريب قد شاركوكم في بلادكم وحملوا الى بلادهم منكم ، وكانى انظر اليكم تكشون كشيش الضباب لا تأخذون الله حقاولا تمنعون له حرمه وكانى انظر اليهم يقتلون صلحاءكم ويخيفون علماءكم وكانى انظر اليكم يحرمونكم ويحجبونكم ويدنون الناس دونكم فلو قد رايتم الحرمان ولقيتم الذل والهوان ووقع السيف ونزل الخوف لندمتم وتحسرتم على تفريطكم فى جهاد عدوكم وتذكرتم ما انتم فيه من الخفض والعافية حين لا ينفعكم التذكار فقال الناس قد علمنا يا امير المؤمنين ان قولك كله وجميع لفظك يكون حقا اترى معاوية يكون علينا اميرا ؟ فقال لا تكرهون امرة معاوية فان امرته سلم وعافية فلو مات رايتم الرؤوس تندر عن كهولها كانها الحنظل وعدا كان مفعولا ، فاما امرة معاوية فلست اخاف عليكم شرها ما بعدها ادهي وامر ثم قام ابو ايوب الانصارى فقال : ان امير المؤمنين اكرمه الله قد اسمع من كانت له اذن واعية وقلب حفيظ ان الله قد اكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها حيث نزل بين اظهركم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخير المسلمين وافضلهم وسيدهم بعده يفقهكم فى الدين ويدعوكم الى جهاد المحلين ؟ فوالله لكانكم صم لا تسمعون وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون عباد الله اليس انما عهدكم بالجور والعدوان امس وقد شمل البلاد وشاع فى الاسلام فذو حق محروم ومشتوم عرضه ومضروب ظهره وملطوم وجهه وموطوء بطنه وملقي بالعراء فلما جاءكم امير المؤمنين صدع بالحق ونشر العدل وعمل بالكتاب فاشكروا نعمة الله عليكم ولا تتولوا مجرمين ، ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم

لا يسمعون، اشحذوا السيوف وجددوا آلة الحرب واستعدوا للجهاد فاذا دعيتم فاجيبوا واذا امرتم فاطيعوا تكونوا بذلك من الصادقين قال ثم قام رجال من اصحاب على فقالوا: ياامير المؤمنين اعط هؤلاء هذه الاموال، وفضل هؤلاء الاشراف من العرب وقريش على الموالى ممن يتخوف خلافه على الناس وفراقه وانما قالوا له هذا الذى كان معاوية يصنعه بمن اتاه وانما عامة الناس همهم الدنيا ولها يسعون وفيها يكدحون فاعط هؤلاء الاشراف فاذا استقام لك ما تريد عدت الى احسن ما كنت عليه من القسم : فقال على اتامرونى ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من الاسلام فوالله لا افعل ذلك مالاح فى السماء نجم ، والله لو كان لهم مال لسويت بينهم فكيف وانما هى اموالهم . فقال رجل ياأمير المؤمنين ان الموت نازل لابد منه فان حل فمن صاحبنا فقال على احدثك عن خاصة نفسي أما الحسن فصاحب خوان وفتي من الفتيان ولو قد التقت حلقتا البطان لم يغني عنكم فى الحرب حثالة عصفور ، واما ابن اخى عبد الله بن جعفر فصاحب لهو ، واما الحسين ومحمد ابناى فانا منهم وهما منى ؟ والله لقد اجبت ان يدال هؤلاء القوم عليكم باصلاحهم في ارضهم وفسادكم فى ارضكم وادائهم الامانة لمعاوية وخيانتكم وطاعتهم له ومعصيتكم لى واجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم . وايم الله لا يدعوا بعدي محرما الا استحلوه ولا يبقي بيت وبر ولا مدر الا ادخلوه ظلمهم حتي يقوم الباكيان منكم باك لدينه وباك لدنياه ، وحتى تكون نصرة احدكم كنصرة العبد لسيده اذا شهد اطاعه واذا غاب سبه ، فقال رجل ياأمير المؤمنين اتظن ذلك كائنا قال ماهو بالظن ولكنه باليقين

(ما كتب على لاهل العراق)

قال فقام حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وعبد الله بن وهب الراسي فدخلوا على على فسألوه عن ابى بكر وعمر ما تقول فيهما وقالوا بين لنا قولك فيهما وفي عثمان قال على كرم الله وجهه أوقد تفرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي فيها قد قتلت انى مخرج اليكم كتابا أنبئكم فيه ما سألتمونى عنه فاقرأوه على شيعتي فأخرج اليهم كتابا فيه : أما بعد فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم نذيرا للعالمين وأمينا على التنزيل وشهيدا على هذه الامة وانتم يامعشر العرب على غير دين وفى شر دار تسفكون دماءكم وتقتلون أولادكم وتقطعون ارحامكم وتأكلون اموالكم بينكم

بالباطل فمن الله عليكم فبعث محمدا اليكم بلسانكم فكنتم انتم المؤمنون وكان الرسول فيكم اومنكم تعرفون وجهه ونسبه فعلمكم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض وامركم بصلة الرحم وحقن الدماء واصلاح ذات بينكم وان تؤدوا الامانات الى اهلها وان توفوا بالعهد وان تعاطفوا وتبادروا وتراحموا ونهاكم عن التظالم والتحاسد والتقاذف والتباغي وعن شرب الحرام وعن بخس المكيال والميزان ، وتقدم اليكم فيما انزل عليكم ان لا تزنوا ولا تأكلوا اموال اليتامي ظلماً ، كل خير يبعدكم عن النار قد حضكم عليه وكل شر يبعدكم عن الجنة قد نهاكم عنه فلما استكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدته من الدنيا توفاه الله وهو مشكور سعيه مرضي عمله مغفور له ذنبه شريف عند الله نزله : فيا لموته مصيبة خصت الاقربين وعمت المؤمنين ! فلما مضى تنازع المسلمون الامر بعده فوالله ما كان باقى فى روعى ولا يخطر على بالى ان العرب تعدل هذا الامر عنى فما راعني الا إقبال الناس على ابى بكر واجفالهم عليه فامسكت يدى ورأيت انى احق بمقام محمد فى الناس ممن تولى الامور على فلبثت بذلك ما شاء الله حتي رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى محو دين محمد وملة ابراهيم عليهما السلام فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فى الاسلام ثلماً وهدماً تكون المصيبة به على اعظم من فوت ولاية امركم التي انما هى متاع ايام قلائل ثم يزول ما كان منها كما يزول السراب ، فمشيت عند ذلك الى ابي بكر فبايعته ونهضت معه فى تلك الاحداث حتى زهق الباطل وكانت كلمة الله هى العليا وان يرغم الكافرون . فتولى ابو بكر رضي الله عنه تلك الامور فيسر وسدد وقارب واقتصد فصحبته مناصحا واطعته فيما اطاع الله فيه جاهداً فلما احتضر بعث الى عمر فولاه فسمعنا واطعنا و بايعنا وناصحنا فتولى تلك الامور وكان مرضى السيرة ميمون النقيبة ايام حياته ، فلما احتضر قلت فى نفسى ليس يصرف هذا الامر عنى فجعلنا عمر شورى وجعلني سادس ستة فما كانوا لولاية احدهم با كره منهم لولايتي لانهم كانوا يسمعونني وانا احاجج ابا بكر فاقول يا معشر قريش انا احق بهذا الامر منكم ما كان منا من يقرأ القرآن ويعرف السنة فخشوا ان وليت عليهم ان لا يكون لهم في هذا الامر نصيب فبايعوا اجتماع رجل واحد حتي صرفوا الامر عني لعثمان فاخرجونى منها رجاء ان يتداولوها حين يئسوا ان ينالوها ثم قالوا لى هلم فبايع عثمان والا جاهدناك فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا وقال قائلهم انك

يابن أبي طالب على الامر لحريص قلت لهم أنتم أحرص أما أنا إذا طلبت ميراث ابن ابي وحقه وانتم دخلتم بيني و بينه وتصرفون وجهي دونه اللهم اني أستعين بك على قريش فانهم قطعوا رحمي وصغروا عظيم منزلتي وفضلي واجتمعوا على منازعتي حقا كنت أولى به منهم ثم قالوا اصبر كمدا وعش متأسفا فنظرت فاذا ليس معي رفاقة ولا مساعد الا أهل بيتي فضننت بهم عن الهلاك فاغضيت عيني عن القذى وتجرعت ريقي على الشجا وصبرت من كظم الغيظ على امر من العلقم طعماً وآلم للقلب من حر الحديد، حتى اذا نقمتم على عثمان أتيتموه فقتلتموه ثم جئتموني تبايعوني فأبيت عليكم وأبيتم على فنازعتموني ونافستموني ولم امد يدي تمنعاً عنكم ثم ازدحمتم على حتى ظننت ان بعضكم قاتل بعض او انكم قاتلي وقلتم لا نجد غيرك ولا نرضي الا بك فبايعنا لا نفترق ولا نختلف فبايعتكم ودعوتم الناس الى بيعتي فمن بايع طائعاً قبلت منه ومن ابى تركته فاول من بايعني طلحة والزبير ولو أبيا ما كرهتهما كما لم اكره غيرهما فما لبثا الا يسيراً حتي قيل لي قد خرجا متوجهين الى البصرة في جيش ما منهم رجل الا وقد اعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة فقاموا على عمالي بالبصرة وخزائن بيوت اموالي وعلى أهل مصر وكلهم في طاعتي وعلى شيعتي فشتتوا كلمتهم وافسدوا على جماعتهم ثم وثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً وطائفة صبراً وطائفة عصراً بأسيافهم فضاربوهم حتى لقوا الله صابرين محتسبين فوالله لو لم يصيبوا منهم الا رجلا واحداً متعمدين لقتله لحل لي بذلك قتل الجيش كله مع أنهم قد قتلوا من المسلمين اكثر من العدة التي دخلوا عليهم بها فقد اداله الله منهم فبعداً للقوم الظالمين ثم نظرت بعد ذلك في أهل الشام فاذا هم اعراب واحزاب وأهل طمع جفاة تجمعوا من كل اوب ممن ينبغي ان يؤدب ويولي عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان فنضحونهم بالنبل ويشجونهم بالرماح فهنالك نهضت اليهم فقاتلتهم فلما عضهم السلاح ووجدوا الم الجراح رفعوا المصاحف يدعونكم الى ما فيها فنبأتكم انهم ليسوا باصحاب دين ولا قرآن وانما رفعوها اليكم خديعة ومكيدة فامضوا على قتالهم، فاتهمتموني وقلتم اقبل منهم فانهم ان أجابوا الى ما في الكتاب جامعونا على ما نحن عليه من الحق وان ابوا كان أعظم لحجتنا عليهم، فقبلت منهم وخففت عنهم وكان صلحي بينهم على رجلين حكمين يحييان ما أحيا القرآن ويميتان ما أمات القرآن فاختلف رأيهما وتفرق حكمهما ونبذا حكم القرآن وخالفا ما في الكتاب واتبعا هواهما بغير هدى من الله فجنبهما الله السداد واهوى بهما في غمرة الضلال وكانا اهل ذلك فانخذلت عنا فرقة منهم فتركناهم ما تركونا حتى اذا عاثوا في الارض مفسدين وقتلوا المؤمنين أتيناهم فقلنا لهم ادفعوا الينا قتلة اخواننا فقالوا كلنا قتلتهم وكلنا استحللنا دماءهم ودماءكم وشدت علينا خيلهم ورجالهم فصرعهم الله مصارع القوم الظالمين ثم امرتكم ان تمضوا من

فوركم الى عدوكم فانه افزع لقلوبهم وأنهك لمكرهم واهتك لكيدهم فقلتم كلت أذرعنا وسيوفنا ونفدت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فأذن لنا فلنرجع حتى نستعد باحسن عدتنا واذا رجعت زدت فى مقاتلتنا عدة من هلك منا ومن قد فارقنا فان ذلك قوة منا على عدونا فاقبلتم حتى اذا اطللتم على الكوفه امرتكم ان تلزموا معسكركم وتضموا قواصيكم وتتوطنوا على الجهاد ولا تكثروا زيارة اولادكم ونسائكم فان ذلك يرق قلوبكم ويلويكم وان اصحاب الحرب لا يتوحدون ولا يتوجعون ولا يسأمون من سهر ليلهم ولا من ظما نهارهم ولا من خمص بطونهم حتى يدركوا بثارهم وينالوا بغيتهم ومطلبهم فنزلت طائفة منكم معذرة ودخلت طائفة منكم المصر عاصية فلا من نزل معي صبر فثبت ولا من دخل المصر عاد الى ، ولقد نظرت الى عسكرى وما فيه معي منكم الا خمسون رجلا فلما رأيت ما أتيتم دخلت اليكم فما قدرتم ان تخرجوا معي الي يومكم هذا ، لله آباؤكم فما تنتظرون اما ترون الي اطرافكم قد انتقصت والي مصركم قد افتتح فما بالكم تؤفكون ، الا ان القوم قد اجتمعوا وجدوا وتناصحوا وانكم تفرقتم واختلفتم وتغاششتم فانتم ان اجتمعتم تسعدون فايقظوا رحمكم الله نائمكم وتحرزوا لحرب عدوكم انما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء من أسلم كرها وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حربا ، أعداء السنة والقرآن وأهل الاحزاب والبدع والاحداث ومن كانت بوائقه تتقي وكان عن الدين منحرفا واكلة الرشا وعبيد الدنيا لقد نمى الى ان ابن الباغية لم يبايع معاوية حتي شرط عليه ان يؤتيه اتاوة هى اعظم مما فى يديه من سلطانه ، فصفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا وتربت يد هذا المشترى نصرة غادر فاسق باموال الناس وان منهم لمن شرب فيكم الخمر وجلد حدا في الاسلام ، فهؤلاء قادة القوم ومن تركت ذكر مساوية منهم شر واضر وهؤلاء الذين لو ولوا عليكم لاظهروا فيكم الغضب والفخر والتسلط بالجبروت والتطاول بالغصب والفساد فى الارض ولاتبعوا الهوى وماحكموا بالرشاد وانتم على ما فيكم من تخاذل وتواكل خير منهم واهدى سبيلا ، فيكم الحكماء والعلماء والفقهاء وحملة القرآن والمتهجدون بالاسحار والعباد والزهاد فى الدنيا وعمار المساجد واهل تلاوة القران أفلا تسخطون وتنقمون ان ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والاراذل والاشرار منكم . اسمعوا قولى اذا قلت اطيعوا امرى اذا امرت واعرفوا نصيحتي اذا نصحت واعتقدوا حزمى اذا حزمت والتزموا عزمى اذا عزمت وانهضوا نهوضي وقارعوا من قارعت ولئن عصيتمونى لا ترشدوا ولا تجتمعوا ، خذوا للحرب اهبتها واعدوا لها التهيا فانها قد وقدت نارها وعلا سناها وتجرد لكم الظالمون

كيما يطفئوا نور الله ويقهركم ، عباد الله الا انه ليس اولياء الشيطان من اهل الطمع والجفاء باولى في الجد فى غيهم وضلالهم وباطلهم من اهل النزاهة والحق والاخبات بالجد فى حقهم وطاعة ربهم ومناصحة امامهم انى والله لو لقيتهم وحيدا منفردا وهم فى اهل الارض ان باليت بهم او استوحشت منهم انى في ضلالهم الذى هم فيه والهدى الذي انا عليه لعلى بصيرة ويقين وبينة من ربي وانى للقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج ولكن اسفاً يعتريني وجزعا يريبني من ان يلي هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا وعباد الله خولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا ، وايم الله لولا ذلك ما اكثرت تاليبكم وتحريضكم وانزكتكم فوالله انى لعلى الحق وانى للشهادة لمحب انا نافر بكم ان شاء الله فانفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم في سبيل الله ان الله مع الصابرين

﴿ مقتل على عليه السلام ﴾

قال المدائني حج ناس من الخوارج سنة تسع وثلاثين وقد اختلف عامل على وعامل معاوية فاصطلح الناس على شيبة بن عثمان فلما انقضى الموسم اقام النفر من الخوارج مجاورين بمكة فقالوا كان هذا البيت معظما في الجاهلية جليل الشأن فى الاسلام وقد انهك هؤلاء حرمته فلو ان قوما شروا انفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين قد افسدا في الارض واستحلا حرمة هذا البيت استراحت الامة واختار الناس لهم اماماً . فقال عبدالرحمن بن ملجم المرادى لعنه الله انا اكفيكم امر على ، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمي وهو البرك انا اقتل معاوية فقال زاذويه مولى بني العنبر واسمه عمرو بن بكر والله ما عمرو بن العاص بدونهما فانا به . فتعاقدوا على ذلك ثم اعتمروا عمرة رجب واتفقوا يوم واحد يكون فيه وقوع القتل منهم في على ومعاوية وعمرو ثم ساروا كل منهم فى طريقه فقدم ابن ملجم الكوفة وكتم امره وتزوج امرأة يقال لها قطام بنت علقمة وكانت خارجية وكان على قد قتل اخاها فى حرب الخوارج وتزوجها على ان يقتل علياً فاقام عندها مدة فقالت له فى بعض الايام وهو مختف : لطالما احببت المكث عند اهلك واضربت عن الامر الذى جئت بسببه فقال ان لى وقتا واعدت فيه اصحابى ولن اجاوزه فلما كان اليوم الذى تواعدوا فيه خرج عدوا الله فقعد لعلى حين خرج لصلاة الصبح صبيحة نهار الجمعة لليلة عشر بقيت من رمضان سنة اربعين فلما خرج على للصلاة وثب عليه وقال الحكم لله لا لك يا على وضربه على قرنه بالسيف فقال على فزت ورب الكعبة ثم قال

لا تفوتكم الرجل فشد الناس عليه فاخذوه وكان على رضي الله عنه شديد الادمة ثقيل العينين ضخم البطن اصلع ذا عضلات فى اذنيه شعر يخرج منها وكان الى القصر اقرب . وكان ابن ملجم يعرض سيفه فاذا اخبران فيها عيباً اصلحه فلما قتل علياً قال لقد احددت سيفي بكذا وكذا وسممته بكذا وكذا وضربت به عليا ضربة لو كانت باهل المصر لاتت عليهم. وروى عن الحسن انه قال اتيت ابى فقال لي أرقت الليلة ثم ملكتني عيني فسنح لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يارسول الله ماذا لقيت من امتك من الاولاد واللدد فقال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلنى بهم خيرا لى منهم وابدلهم بى شراً لهم مني وخرج الى الصلاة فاعترضه ابن ملجم، وادخل ابن ملجم على على بعد ضربه اياه فقال اطيبوا طعامه وألينوا فراشه فان اعش فانا ولى دمي اما عفوت واما قصصت وان امت فالحقوه بى ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين قالوا وبكت ام كلثوم وقالت لابن ملجم يا عدو الله قتلت امير المؤمنين قال ما قتلت امير المؤمنين ولكني قتلت اباك قالت والله انى لارجو ان لا يكون عليه بأس قال ولم تبكين اذا ؟ والله لقد ارهفت السيف ونفيت الخوف وجبت الاجل وقطعت الامل وضربت ضربة لو كانت باهل الشرق لاتت عليهم ومكث على يوم الجمعة ويوم السبت وتوفى يوم الاحد وغسله الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعبد الله ابن جعفر وكفن فى ثلاثة اثواب ليس فيها قميص وصلى عليه الحسن انه يدفن فى قصر الامارة بالكوفة وعمى قبره مخافة ان تنبشه الخوارج وقيل انه نقل بعد صلح معاوية والحسن الى المدينة واخذ ابن ملجم فقطعت يديه ورجليه واذنيه وانفه واتوا يقطعون لسانه فصرخ فقيل له قد قطعت منك اعضاء ولم تنطق فلما اتوا يقطعون لسانك صرخت قال انى اذكر الله به فلم يسهل على قطعه ثم قتلوه بعد هذه المثلة. وكانت خلافته على اربع سنين وتسعة اشهر : وكان عمره ثلاثا وستين سنة . واما البرك فانه انطلق ليلة ميعادهم فقعد لمعاوية فلما خرج لصلاة الصبح شد عليه بسيفه فأدبر معاوية فضرب رانفة اليته ففلقها ووقع السيف فى لحم كثير وأخذ فقال لمعاوية ان لك عندى خبرا سارا قد قتل الليلة على وحدثه الحديث وعولج معاوية فبرىء وامر بقتل البرك وقيل ضرب البرك معاوية وهو ساجد فمذ ذاك جعل الحرس على رؤس الخلفاء واتخذ معاوية المقصورة . واما الثالث فقصد عمرو بن العاص ليلة الميعاد فلم يخرج تلك الليلة لعلة وجدها فى بطنه وصلى بالناس خارجة بن حزافة العدوى فشد عليه الخارجى وهو يظن انه ابن العاص فقتله وأخذ فاتى به عمرو بن العاص فلما رآه قال ومن المقتول قالوا خارجة فقال اردت عمرا واراد الله خارجة ثم قال

لعمرو بن العاص الحديث وما كان من اتفاقه مع صاحبيه فامر بقتله . فلما قتل
علي تداعى اهل الشام الى بيعة معاوية وقال له عبد الرحمن بن خالد بن الوليد نحن
المؤمنون وانت اميرنا فبايعوه وهو بايليا لخمس ليال خلون من شوال سنة اربعين

﴿ فصل ﴾

روى عن النبي عليه السلام انه قال : يا علي : اتدري من اشقى الاولين
والآخرين قال الله ورسوله اعلم قال اشقى الاولين عاقر الناقة واشقى الآخرين
الذي يطعنك يا علي واشار الى حيث طعن قال وخرج علي في ليلة قتل وهو يقول :

أشدد حيازيمك للمو * ت فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

وقال الشاعر فى قتل ابن ملجم علياً :

تضمن للآثام لادر دره * ولاقى عقابا غير ما متصرم
فلا مهر اغلا من علي وان غلا * ولا فتك دون فتك ابن ملجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة * وضرب علي بالحسام المصمم

قال هبيرة بن شريم : سمعت الحسن رضي الله عنه يخطب فذكر اباه وفضله
وسابقته ثم قال والله ما ترك صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم فضلت من عطائه
اراد ان يشترى بها خادما. وجاء رجل من مراد الى علي فقال له ياامير المؤمنين احترس
فان هنا قوما يريدون قتلك فقال ان اكل انسان ملكين يحفظانه فاذا جاء القدر خلياه
قيل ولما ضرب علي دعي اولاده وقال لهم : عليكم بتقوى الله وطاعته والا تاسوا على
ماصرف عنكم منها وانهضوا الى عبادة ربكم وشمروا عن ساق الجد ولا تثاقلوا الى الارض
وتقربوا بالخسف وتبوؤا بالذل اللهم اجمعنا وايام على الهدى وزدنا واياهم في الدنيا
واجعل الاخرة خيراً لنا ولهم من الاولى والسلام

﴿ بيعة الحسن بن علي رضي الله عنه لمعاوية ﴾

قال وذكروا انه لما قتل علي بن ابى طالب ثار الناس الي الحسن بن علي بالبيعة
فلما بايعوه قال لهم تبايعون لى على السمع والطاعة وتحاربون من حاربت وتسالمون
من سالمت فلما سمعوا ذلك ارتابوا وامسكوا ايديهم وقبض هو يده فاتوا الحسين
فقالوا له ابسط يدك نبايعك على مابايعنا عليه أباك وعلى حرب الحالين الضالين أهل الشام
فقال الحسين معاذ الله أن أبايعكم ماكان الحسن حياً قال فانصرفوا الي الحسن فلم يجدوا

ابدا من بيعته على ماشرط عليهم فلما تمت البيعة له وأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك كاتب معاوية فاتاه فخلا به فاصلح معه على ان لمعاوية الامامة ما كان حياً فاذا مات فالامر للحسن فلما تم صلحهما صعد الحسن الي المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أيها الناس ان الله هدى أولكم باولنا وحقن دمائكم بآخرنا وكانت لى في رقابكم بيعة تحاربون من حاربت وتسالمون من سالمت وقد سالمت معاوية وبايعته فبايعوه وان ادرى لعله فتنة لكم ومتاع الى حين واشار الي معاوية

﴿ انكار سليمان بن صرد ﴾

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق وانصرف راجعا الى الشام اتاه سليمان بن صرد وكان غائبا عن الكوفة وكان سيد اهل العراق وراسهم فدخل على الحسن فقال السلام عليك يامذل المؤمنين فقال الحسن وعليك السلام اجلس لله ابوك قال فجلس سليمان . اما بعد فان تعجبنا لاينقضي من بيعتك معاوية ومعك مائة الف مقاتل من أهل العراق وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من ابنائهم ومواليهم سوي شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز ثم لم تأخذ لنفسك بقية في العهد ولا حظاً من القضية فلو كنت اذ فعلت مافعلت وأعطاك ما اعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق كنت كتبت عليك ذلك كتابا واشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب ان هذا الامر لك من بعده كان الامر علينا أيسر ولكنه اعطاك هذا فرضيت به من قوله ثم قال وزعم على رؤوس الناس ماقد سمعت انى كنت شرطت لقوم شروطاً ووعدتهم عدات ومنيتهم امانى ارادة أطفاء نار الحرب ومداراة لهذه الفتنة اذ جمع الله لنا كلمتنا والفتنا فان كل ماهنالك تحت قدمى هاتين ووالله ما أعني بذلك الا نقض ما بينك وبينه فاعد للحرب خدعة واذن لى أشخص الى الكوفة فاخرج عامله منها واظهر فيها خلعه وانبذ اليه على سواء ان الله لايهدى كيد الخائنين ثم سكت فتكلم كل من حضر مجلسه بمثل مقالته وكلهم يقول ابعث سليمان بن صرد وابعثنا معه ثم الحقنا اذا علمت انا قد اشخصنا عامله واظهرنا خلعه فتكلم الحسن فحمد الله ثم قال: أما بعد فانكم شيعتنا واهل مودتنا ومن نعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا وقد فهمت ماذكرتم ولو كنت بالحزم فى أمر الدنيا وللدنيا اعمل وانصب ما كان معاوية بأباس مني واشد شكيمة ولكان رأيي غير مارأيتم لكنى اشهد الله وإياكم انى لم ارد بما رأيتم الا حقن دمائكم واصلاح ذات بينكم فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلموا الامر لله والزموا بيوتكم وكفوا ايديكم حتى يستريح بر او يستراح من فاجر مع ان ابى كان يحدثني ان معاويه

سيلى الامر فوالله لوسرنا اليه بالجبال والشجر ماشككت انه سيظهر ان الله لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، واما قولك يامذل المؤمنين فوالله لئن تذلوا وتعافوا احب الى من ان تعزوا وتقتلوا فان رد الله علينا حقنا فى عافية قبلنا وسألنا الله العون على امره وان صرفه عنا رضينا وسألنا الله ان يبارك فى صرفه عنا فليكن كل رجل منكم حلساً من احلاس بيته مادام معاويه حيا فان يهلك ونحن وانتم احياء سألنا الله العزيمة على رشدنا والمعونة على امرنا وان لا يكلنا الى انفسنا فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

﴿كراهية الحسين رضي الله عنه للبيعة﴾

قال ثم خرج سليمان بن صرد من عنده فدخل على الحسين فعرض عليه ما عرض على الحسن واخبره بما رد عليه الحسن فقال الحسين ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته مادام معاوية حيا فانها بيعة كنت والله لها كارها فان هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم.

﴿ماأشار به المغيرة بن شعبة على معاوية من البيعة ليزيد﴾

قال وذكروا انه لما استقامت الامور لمعاوية استعمل على الكوفة المغيرة بن شعبة ثم هم ان يعزله ويولى سعيد بن العاص فلما بلغ ذلك المغيرة قدم الشام على معاوية فقال ياأمير المؤمنين قد علمت مالقيت هذه الامة من الفتنة والاختلاف وفي عنقك الموت وأنا أخاف ان حدث بك حدث ان يقع الناس فى مثل ماوقعوا فيه بعد قتل عثمان فاجعل للناس بعدك علما يفزعون اليه واجعل ذلك يزيد ابنك. فدخل معاوية على امرأته فاختة بنت قرظة بن حبيب بن عبدشمس وكان ابنها منه عبدالله ابن معاوية وقد كان بلغها ما قال المغيرة وما أشار به عليه من البيعة ليزيد وكان يزيد بن الكلابية ميسورة ابنة عبد الرحمن الكلبي . قالت فاختة وكانت معاديه للكلبية ماأشار به عليك المغيرة اراد ان يجعل لك عدوا من نفسك يتمني هلاكك كل يوم فشق ذلك على معاوية ثم بدا له ان يأخذ بما أشار عليه المغيرة

﴿ماحاول معاوية فى بيعة يزيد﴾

قال فلما اجتمعت عند معاوية وفود الامصار وفيهم الاحنف بن قيس دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهرى فقال له اذا جلست على المنبر وفرغت من بعض موعظتي وكلامي فاستأذني للقيام فاذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد وقل فيه الذى يحق له من حسن الثناء عليه ثم ادعني الى توليته من بعدى فانى قد رأيت واجمعت

على توليته فاسال الله فى ذلك وفي غيره الخيرة وحسن القضاء .ثم دعا عبد الرحمن ابن عثمان الثقفى وعبدالله بن مسعده الفزارى وثور بن معن السلمى وعبدالله بن عصام الاشعري فامرهم ان يقوموا اذا فرغ الضحاك وان يصدقوا قوله ويدعوه الى يزيد

﴿ ما تكلم به الضحاك بن قيس ﴾

قال فلما جلس معاوية على المنبر وفرغ من بعض موعظته وهؤلاء النفر في المجلس قد قعدوا للكلام قام الضحاك بن قيس فاستأذن فى الكلام فأذن له فحمد الله واثنى عليه ثم قال: اصلح الله امير المؤمنين وامتع به انا قد بلونا الجماعة والالفة والاختلاف والفرقة فوجدناها ألم لشعثنا وآمنة لسبلنا وحاقنة لدمائنا وعائدة علينا فى عاجل ما نرجو به الجماعة من الالفة ولا خير لنا ان نترك سدى والايام عوج رواجع والله يقول كل يوم هو فى شأن ولسنا ندرى ما يختلف به العصران ، وانت يا امير المؤمنين ميت كما مات من كان قبلك من انبياء الله وخلفائه نسال الله تعالى بك المتاع وقد رأينا من دعة يزيد بن امير المؤمنين وحسن مذهبه وقصد سيرته ويمن نقيبته مع ما قسم الله له من المحبة فى المسلمين والشبه بامير المؤمنين فى عقله وسياسته وشيمته المرضية ما دعانا الى الرضا به في امورنا والقنوع به فى الولاية علينا فليوله أمير المؤمنين اكرمه الله عهده وليجعله لنا ملجأ ومفزعا بعده نأوى اليه ان كان كون، فانه ليس أحد أحق بها منه فاعزم على ذلك عزم الله فى رشدك ووفقك في امورنا ثم قام عبد الرحمن بن عثمان الثقفي فحمد الله واثني عليه ثم قال: اصلح الله امير المؤمنين انا قد اصبحنا فى زمان مختلفة اهواؤه ، قد احدودبت علينا سيساؤه واقطوطبت علينا ادواؤه ، واناخت علينا انباؤه ونحن نشير عليك بالرشاد وندعوك الى السداد ، وانت يا امير المؤمنين احسننا نظرا واثبتنا بصرا ويزيد بن امير المؤمنين قد عرفنا سيرته وبلونا علانيته ورضينا ولايته وزدنا بذلك انبساطا وبه إغتباطا مع ما منحه الله الشبه بامير المؤمنين والمحبة فى المسلمين فاعزم على ذلك ولا تضيق به ذرعا فالله تعالى يقيم به الاود ويردع به الالد وتامن به السبل ويجمع به الشمل ويعظم به الاجر ويحسن به الذخر ثم جلس فقام ثور بن معن السلمي فحمد الله واثني عليه ثم قال :اصلح الله امير المؤمنين انا قد اصبحنا فى زمان صاحبه مشاغب وظله ذاهب مكتوب علينا فيه الشقاء والسعادة وانت يا امير المؤمنين ميت نسال الله بك المتاع ويزيد بن امير المؤمنين اقدمنا شرفا

وابذلنا عرفاً وقد دعانا الى الرضابة والقنوع بولايته والحرص عليه والاختيار له ما قد عرفنا من صدق لسانه ووفائه وحسن بلائه فاجعله لنا بعدك خلفا فانه اوسعنا كنفا واقدمنا سلفا ، وهو رتق لما فتق وزمام لاشعث ونكال لمن فارق ونافق وسلم لمن واظب وحافظ للحق اسال الله لامير المؤمنين افضل البقاء والسعادة والخيرة فيما اراد والتوطن فى البلاد وصلاح امر جميع العباد . ثم جلس فقام عبد الله بن عصام فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اصلح الله امير المؤمنين وامتع به انا قد اصبحنا فى دنيا منقضية واهواء مجذمة ، نخاف حدها ونتنظر جدها ، شديد منحدرها كثير وعرها ، شامخة مراقبها ثابتة مراتبها ، صعبة مراكبها . فالموت يا امير المؤمنين وراءك ووراء العباد لا يخلد في الدنيا احد ولا تبقى لنا امد وانت يا امير المؤمنين مسؤل عن رعيتك وماخوذ بولايتك وانت انظر للجماعة واعلا عينا بحسن الرأى لاهل الطاعة وقد هديت لرشد فى أكمل الامور وافضلها رأيا واجمعها رضا فاقطع بيزيد قالة الكلام ونخوة المبطل وشمت المنافق واكبت به الباذخ المعادي فان ذلك الم للشعث واسهل للوعث فاعزم على ذلك ولا تترامى بك الظنون . ثم قام عبد الله بن مسعدة الفزارى فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اصلح الله امير المؤمنين وامتع به ان الله آثرك بخلافته واختصك بكرامته وجعلك عصمة لاوليائه وذا نكاية لاعدائه فاصبحت بانعمه جذلا ولما حملك محتملا ، يكشف الله تعالى بك العمى ويهدى بك الهدى ويزيد بن امير المؤمنين احسن الناس برعيتك رأفة واحقهم بالخلافة بعدك قد ساس الامور واحكمته الدهور ، ليس بالصغير الفهيه ولا بالكبير السفيه قد احتجن المكارم وارتجى لحمل العظائم واشد الناس فى العدو نكاية واحسنهم صنعا فى الولاية وانت اغنى بامرك واحفظ لوصيتك واحرز لنفسك . اسال الله لامير المؤمنين العافية فى غير جهد والنعمة فى غير تغيير . قال فقال معاوية اوكلكم قد اجمع على هذا رايه فقالوا كلنا قد اجمع رايه على ماذكرنا قال فاين الاحنف فأجابه قال الا تتكلم فقام الاحنف فحمد الله واثنى ثم : قال : اصلح الله أمير المؤمنين ان الناس قد امسوا فى منكر زمان قد سلف ومعروف زمان مؤتنف ، ويزيد بن أمير المؤمنين نعم الخلف وقد حلبت الدهر اشطره يا امير المؤمنين فاعرف من تسند اليه الامر من بعدك ثم اعص امر من يأمرك لا يغررك من يشير عليك ولا ينظر لك . وانت انظر للجماعة واعلم باستقامة الطاعة مع ان اهل الحجاز

واهل العراق لايرضون بهذا ولا يبايعون ليزيد ماكان الحسن حيا

﴿مارد الضحاك بن قيس عليه﴾

قال فغضب الضحاك بن قيس فقام الثانية فحمد الله واثنى عليه ثم قال اصلح الله أمير المؤمنين ان اهل النفاق من اهل العراق مروءتهم في انفسهم الشقاق والفتهم في دينهم الفراق ، يرون الحق على اهوائهم كأنما ينظرون بافقائهم اختالوا جهلا وبطرا لايرقبون من الله راقبة ولا يخافون وبال عاقبة اتخذوا ابليس لهم ربا واتخذهم ابليس حزبا فمن يقاربوه لايسروه ومن يفارقوه لايضروه فادفع رايهم يا امير المؤمنين في نحورهم وكلامهم في صدورهم ماللحسن وذوى الحسن في سلطان الله الذى استخلف به معاوية في ارضه هيهات لاتورث الخلافة عن كلالة ولا يحجب غير الذكر العصبة فوطنوا انفسكم ياأهل العراق على المناصحة لامامكم وكاتب نبيكم وصهره يسلم لكم العاجل وتربحوا من الآجل ثم قام الاحنف بن قيس فحمد الله واثني عليه ثم قال : ياامير المؤمنين انا قد فررنا عنك قريشا فوجدناك اكرمها زندا واشدها عقدا واوفاها عهدا ، وقد علمت انك لم تفتح العراق عنوة ولم تظهر عليها قعصاً ولكنك اعطيت الحسن بن على من عهود الله ماقد علمت ليكون له الامر من بعدك فان تف فأنت اهل الوفاء وان تغدر تعلم والله ان وراء الحسن خيولا جيادا واذرعا شدادا وسيوفا حدادا . ان تدن له شبرا من غدر تجد وراءه باعا من نصر، وانك تعلم من اهل العراق ماحبوك منذ ابغضوك ولا ابغضوا علياً وحسنا منذ احبوهما وما نزل عليهم في ذلك غير من السماء وان السيوف التى شهروها عليك مع على يوم صفين لعلى عواتقهم والقلوب التي ابغضوك بها لبين جوانحهم وايم الله ان الحسن لاحب الي اهل العراق من على .ثم قام عبد الله بن عثمان الثقفي فحمد الله واثني عليه ثم قال : اصلح الله امير المؤمنين ان رأى الناس مختلف وكثير منهم منحرف لايدعون احدا الى رشاد ولا يجيبون داعياً الى سداد ، مجانبون لراى الخلفاء مخالفون لهم في السنة والقضاء وقد وقفت ليزيد احسن القضية وارضاها لحمل الرعية فاذا خار الله لك فاعزم ثم اقطع قالة الكلام فان يزيد اعظمنا حلما وعلما واوسعنا كنفا وخيرنا سلفا . قد احكمته التجارب وقصدت به سبل المذاهب ، فلا يصرفنك عن بيعته صارف ولا يقفن بك دونها واقف ممن هو شاسع عاص ينوص للفتنة كل مناص ، لسانه ملتو وفي صدره داء دوى ، ان قال فشر قائل وان سكت فداء غائل قد عرفت من هم اولئك

وما هم عليه لك من المجانبة للتوفيق والكلب للتفريق فاجل ببيعته عنا الغمة واجمع به شمل الامة فلا تخدعنه اذا هديت له ولا تنبش عنه اذا وفقت له فان ذلك الراى لنا ولك والحق علينا وعليك اسال الله العون وحسن العاقبة لنا ولك بمنه. فقام معاوية فقال ايها الناس ان لابليس من الناس اخوانا وخلانا بهم يستعدوا اياهم يستعين وعلى السنتهم ينطق ان رجوا طمعا اوجفوا وان استغنى عنهم أرجفوا ثم يلحقون الفتن بالفجور ويشققون لها حطب النفاق عيابون مرتابون ان لووا اعروة امر حنقوا وان دعوا الى غي اسرفوا وليسوا اولئك بمنتهين ولا بمقلعين ولا متعظين حتى تصيبهم صواعق خزى وبيل وتحل بهم قوارع امر جليل ، تجتث اصولهم كاجتثاث اصول الفقع فأولى لاولئك ثم اولى فانا قد قدمنا وانذرنا ان اغنى التقدم شيا او نفع النذر . فدعا معاوية الضحاك فولاه الكوفة ودعا عبد الرحمن فولاه الجزيرة ثم قام ابو حنيف فقال يا امير المؤمنين انا لا نطيق السنة مضر وخطبها انت امير المؤمنين فان هلكت فيزيد بعدك فمن ابى فهذا وسل سيفه فقال معاوية انت اخطب القوم واكرمهم . ثم قام الاحنف بن قيس فقال : يا امير المؤمنين انت اعلمنا بليله ونهاره وبسره وعلانيته فان كنت تعلم انه خير لك فوله فاستخلفه وان كنت تعلم انه شر فلا تزوده الدنيا وانت صائر الى الاخرة فانه ليس لك من الاخرة الا ماطاب واعلم انه لاحجة لك عند الله ان قدمت يزيد على الحسين والحسن وانت تعلم من هما والى ماهما ، وانما علينا ان نقول سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير

﴿ قدوم معاوية المدينة وما فوض فيه العبادلة ﴾

قالوا فاستخار الله معاوية واعرض عن ذكر البيعة حتى قدم المدينة سنة خمسين فتلقاه الناس فلما استقر فى منزله ارسل الى عبد الله بن عباس وعبد الله ابن جعفر بن ابى طالب والى عبد الله بن عمر والى عبد الله بن الزبير وامر حاجبه ان لايأذن لاحد من الناس حتى يخرج هؤلاء النفر فلما جلسوا تكلم معاوية فقال: الحمد لله الذى امرنا بحمده ووعدنا عليه ثوابه نحمده كثيراً كما أنعم علينا كثيرا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله أما بعد : فانى قد كبر سني ووهن عظمي وقرب اجلي واوشكت ان ادعى فاجيب ، وقد رأيت ان استخلف عليكم بعدى يزيد ورأيته لكم رضا وانتم عبادلة قريش وخيارها وابناء خيارها ولم يمنعني ان احضر حسنا وحسيناً الا انهما

اولاد ابيهما على حسن رأيى فيهما وشديد محبتي لهما فردوا على أمير المؤمنين خيراً يرحمكم الله فتكلم عبد الله بن عباس فقال : الحمد لله الذى الهمنا ان نحمده واستوجب علينا الشكر على آلائه وحسن بلائه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله وصلى الله على محمد وآل محمد : اما بعد فانك قد تكلمت فانصتنا وقلت فسمعنا وان الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه اختار محمد صلى الله عليه وسلم لرسالته واختاره لوحيه وشرفه على خلقه فاشرف الناس من تشرف به واولاهم بالامر اخصهم به وانما على الامة التسليم لنبيها اذ اختاره الله لها فانه انما اختار محمداً بعلمه وهو العليم الخبير واستغفر الله لى ولكم . فقام عبد الله بن جعفر فقال : الحمد لله اهل الحمد ومنتهاه نحمده على الهامنا حمده ونرغب اليه في تادية حقه واشهد ان لا اله الا الله واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً وان محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان هذه الخلافة ان اخذ فيها بالقرآن فاولى الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله وان اخذ فيها بسنة رسول الله فألو رسول الله وان اخذ بسنة الشيخين ابي بكر وعمر فاي الناس افضل واكمل واحق بهذا الامر من آل الرسول . وايم الله لو ولوه بعد نبيهم لوضعوا الامر موضعه لحقه وصدقه ولاطيع وعصي الشيطان وما اختلف فى الامة سيفان فاتق الله يامعاويه فانك قد صرت راعيا ونحن رعية فانظر لرعيتك فانك مسئول عنها غدا . واما ما ذكرت من بني عمي وتركك ان تحضرهما فوالله ما اصبت الحق ولا يجوز لك ذلك الا بهما وانك لتعلم انهما معدن العلم والكرم فقل اودع واستغفر الله لى ولكم . فتكلم عبد الله بن الزبير فقال : الحمد لله الذي عرفنا دينه واكرمنا برسوله احمده على ما اجلى واولى واشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله اما بعد فان هذه الخلافة لقريش خاصة تتناولها بمآثرها السنية وافعالها المرضية مع شرف الآباء وكرم الابناء ، فاتق الله يامعاوية وانصف من نفسك فان هذا عبد الله بن عباس بن عم رسول الله وهذا عبد الله ابن جعفر ذو الجناحين ابن عم رسول الله وانا عبد الله بن الزبير بن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى خلف حسناً وحسينا وانت تعلم من هما وما هما فاتق الله يامعاوية وانت الحاكم بيننا وبين نفسك . فتكلم عبد الله بن عمر فقال . الحمد لله الذى اكرمنا بدينه وشرفنا بنبيه صلى الله عليه وسلم اما بعد فان هذه الخلافة ليست

هرقلية ولا قيصريه ولا كسرويه يتوارثها الابناء على الاباء ولو كان كذلك كنت القائم بها بعد ابى فوالله ما ادخلنى مع الستة من اصحاب الشوري الا على ان الخلافة ليست شرطاً مشروطا وانما هى فى قريش خاصة لمن كان لها اهلا ممن ارتضاه المسلمون لانفسهم من كان اتقي وارضي فان كنت تريد الفتيان من قريش فلعمرى ان يزيد من فتيانها واعلم انه لا يغني عنك من الله شيئا ، فتكلم معاوية وقال. قد قلت وقلتم وانه قدذهبت الاباء وبقيت الابناء فابني احب الي من ابنائهم مع ان ابنى قاولتموه وجد مقالا وانما كان هذا الامر لبني عبد مناف لانهم اهل رسول فلما مضي رسول الله ولي الناس ابا بكر وعمر من غير معدن الملك ولا الخلافة غير انهما سارا بسيرة جميلة ثم رجع الملك الى بني عبد مناف فلا يزال فيهم الى يوم القيامة وقد اخرجك الله يابن الزبير وانت يابن عمر منها فاما ابنا عمى هذان فليس بخارجين من الراي ان شاء الله . ثم امر بالرحلة واعرض عن ذكر البيعة ليزيد ولم يقطع عنهم شيئا من صلاتهم واعطياتهم ثم انصرف راجعا الي الشام وسكت عن هذه البيعة فلم يعرض الى سنة احدى وخمسين

﴿ موت الحسن بن على رضي الله عنهما ﴾

قال فلما كانت سنة احدي وخمسين مرض الحسن بن على مرضه الذى مات فيه فكتب عامل المدينة الي معاوية يخبره بشكاية الحسن فكتب اليه معاوية ان استطعت ان لا يمضي يوم بى يمر الا ياتيني فيه خبره فافعل فلم يزل يكتب اليه بحاله حتي توفى . فكتب اليه بذلك فلما اتاه الخبر اظهر فرحا وسرورا حتي سجد وسجد من كان معه فبلغ ذلك عبد الله بن عباس وكان بالشام يومئذ . فدخل على معاوية فلما جلس قال معاوية . يابن عباس هلك الحسن بن على فقال ابن عباس نعم هلك انا لله وانا اليه راجعون ترجيعا مكررا وقد بلغني الذى اظهرت من الفرح والسرور لوفاته اما والله ماسد جسده حفرتك ولا زاد نقصان اجله في عمرك ولقدمات وهو خير منك ولئن اصبنا به لقد اصبنا بمن كان خيرا منه جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجبر الله مصيبته وخلف علينا من بعده احسن الخلافة ثم شهق بن عباس وبكي وبكى حضر فى المجلس وبكي معاوية فما رايت يوما اكثر باكيا من ذلك اليوم. فقال معاوية انه ترك بنين صغارا فقال ابن عباس كلنا كان صغيرا فكبر فقال معاوية كم اتي له من العمر فقال ابن عباس امر الحسن اعظم من ان يجهل احد مولده قال فسكت معاوية يسيرا

ثم قال يابن العباس اصبحت سيدقومك من بعده فقال ابن عباس اماما بقى الله اباعبد الله الحسين فلا :قال معاوية لله ابوك يابن عباس ما استنبأتك إلا وجدتك معداً

﴿ بيعة معاوية ليزيد بالشام واخذه اهل المدينة ﴾

قالوا ثم لم يلبث معاوية بعد وفاة الحسن رحمه الله الا يسيرا حتى بايع ليزيد بالشام وكتب بيعته الى الآفاق وكان عامله على المدينة مروان بن الحكم فكتب اليه يذكر الذى قضي الله به على لسانه من بيعة يزيد ويامره بجمع من قبله من قريش وغيرهم من اهل المدينة ثم يبايعوا ليزيد

﴿ عزل مروان عن المدينة ﴾

قال فلما قرا مروان كتاب معاويه ابى من ذلك وابته قريش فكتب لمعاوية ان قومك قد ابوا إجابتك الى بيعتك ابنك فارنى رايك فلما بلغ معاوية كتاب مروان عرف ذلك من قبله . فكتب اليه يامره ان يعتزل عمله ويخبره انه قد ولى المدينه سعيد بن العاص فلما بلغ مروان كتاب معاوية اقبل مغضبا فى اهل بيته وناس كثير من قومه حتي نزل باخواله بني كنانه فشكا اليهم واخبرهم بالذى كان من رايه في امر معاويه وفى عزله واستخلافه يزيد ابنه عن غير مشورة مبادرة له فقالوا . نحن نبلك في يدك وسيفك فى قرابك فمن رميته بنا اصبناه ومن ضربته قطعناه الراي رايك ونحن طوع يمينك .ثم اقبل مروان فى وفد منهم كثير ممن كان معه من قومه واهل بيته حتي نزل دمشق فخرج فيهم حتي اتى سدة معاوية وقد اذن للناس فلما نظر الحاجب الى كثرة من معه من قومه واهل بيته منعه من الدخول فوثبوا اليه فضربوا وجهه حتى خلى عن الباب ثم دخل مروان ودخلوا معه حتي اذا كان من معاوية بحيث تناله يده قال بعد التسليم عليه بالخلافه : ان الله عظيم خطره لا يقدر قادر قدرة خالق من خلقه عبادا جعلهم لدعائم دينه اوتادا : هم رقباؤه على البلاد وخلفاؤه على العباد اسفر بهم الظلم والف بهم الدين وشدد بهم اليقين و ومنح بهم الظفر ووضع بهم من استكبر ،فكان من قبلك من خلفائنا يعرفون ذلك في سالف زماننا وكنا نكون لهم على الطاعة اخوانا وعلى من خالف عنها اعوانا يشد بنا العضد ويقام منا الاود ونستشار فى القضية ونستأمر في أمر الرعية وقد اصبحنا اليوم في أمور مستخيرة ذات وجوه مستديرة تفتح بازمة الضلال ونجلس بأسوأ الرجال ،يؤكل جزورها وتمق احلابها ثمالتنا لا نستأمر فى رضاعها ونحن فطامها واولاد فطامها وأيم الله لولا عهود مؤكدة

وموائيق معقدة لاقمت اودو ليها فاقم الامر يابن ابى سفيان واهد أمن تاميرك الصبيان واعلم ان لك فى قومك نظرا وان لهم على مناوأ لك وزرا. فغضب معاوية من كلامه غضبا شديدا ثم كظم غيظه بحلمه وأخذ بيد مروان ثم قال. ان الله قد جعل لكل شيء اصلا وجعل لكل خير اهلا ثم جعلك فى الكرم منى محتد والعزيز منى والدا اخترت من قروم قادة ثم استلت سيد سادة فأ نت ابن ينابيع الكرم فمرحبا بك واهلا من ابن عم ذكرت خلفاء مفقودين شهداء صديقين كما كانوا نعت و كنت لهم كما ذكرت وقد اصبحنا في أمور مستخيرة ذات وجوه مستديره وبك والله يابن العم نرجوا استقامة أودها وذلولة صعوبتها وسفور ظلمتها حتى يتطأ طأ جسيمها ويركب بك عظيمها فانت نظير أمير المؤمنين بعده وفى كل شدة عضده واليك بعد عهده فقد وليتك قومك واعظمنا فى الخراج سهمك وانا مجيز وفدك ومحسن رفدك وعلى امير المؤمنين غناك والنزول عند رضاك : فكان اول مارزق الف دينار في كل هلال وفرض له فى اهل بيته مائة مائه

﴿كراهية اهل المدينة البيعة وردهم لها﴾

قال وذكروا ان معاوية كتب الى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره ان يدعو اهل المدينة الى البيعة ويكتب اليه بمن سارع ممن لم يسارع . فلما اتى سعيد ابن العاص الكتاب دعا الناس الى البيعة ليزيد واظهر الغلظة واخذهم بالعزم والشدة وسطا بكل من ابطأ عن ذلك فابطأ الناس عنها الا اليسير لاسيما بني هاشم فانه لم يجبه منهم احد وكان ابن الزبير من اشد الناس انكارا لذلك وردا له . فكتب سعيد بن العاص الى معاوية . اما بعد فانك امرتني ان ادعو الناس لبيعة يزيد بن اميرالمؤمنين وان اكتب اليك بمن سارع ممن ابطأ واني اخبرك ان الناس عن ذلك بطاء لاسيما اهل البيت من بني هاشم فانه لم يجبني منهم احد وبلغني عنهم ما اكره ، واما الذى جاهر بعداوته وابائه لهذا الامر فعبد الله بن الزبير ولست اقوى عليهم الا بالخيل والرجال او تقدم بنفسك فترى رأيك فى هذا والسلام. فكتب معاوية الى عبدالله ابن عباس والى عبد الله بن الزبير والى عبد الله بن جعفر والي الحسين بن على رضي الله عنهم كتبا وامر سعيد بن العاص ان يوصلها اليهم ويبعث بجواباتها . وكتب الى سعيد بن العاص : اما بعد فقد اتاني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من ابطاء الناس عن البيعة ولاسيما بني هاشم وما ذكر ابن الزبير وقد كتبت الى رؤسائهم كتبا

فسلمها اليهم وتنجز جواباتها وابعث بها الى حتي ارى فى ذلك رايى واشد عزمتك ولتصلب شكيمتك وتحسن نيتك وعليك بالرفق واياك والخرق فان الرفق رشد والخرق نكد . وانظر حسينا خاصة فلا يناله منك مكروه فان له قرابة وحقا عظيما لا ينكره مسلم ولا مسلمة وهو ليث عرين ولست آمنك ان شاورته ان لا تقوى عليه ، فاما من يرد مع السباع اذا وردت ويكنس اذا كنست فذلك عبد الله بن الزبير فاحذره اشد الحذر ولا قوة الا بالله وانا قادم عليك ان شاء الله والسلام . وكتب الى ابن عباس : اما بعد فقد بلغنى ابطاؤك عن البيعة ليزيد بن امير المؤمنين وانى لو قتلتك بعثمان لكان ذلك الي لانك ممن الب عليه واجلب وما منعك من امان فتطمئن به ولا عهد فتسكن اليه فاذا اتاك كتابى هذا فاخرج الى المسجد والعن قتلة عثمان وبايع عاملى فقد اعذر من انذرت وانت بنفسك ابصر والسلام . وكتب الى عبدالله بن جعفر :اما بعد فقد عرفت اثرتى اياك على من سواك وحسن رايى فيك وفي اهل بيتك وقد اتانى عنك ما اكره فان بايعت تشكر وان تاب تحير والسلام. وكتب الى الحسين : اما بعد فقد انتهت الى منك امور لم اكن اظنك بها راغبة عنها وان احق الناس بالوفاء لمن اعطى بيعته من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي انزلك الله لها فلا تنازع الي قطيعتك واتق الله ولا تردن هذه الامة في فتنة وانظر لنفسك ودينك وامة محمد ولا يستخفنك الذين لا يوقنون . وكتب الى عبدالله بن الزبير :

رايت كرام الناس ان كف عنهم * بحلم راوا فضلا لمن قد تحلما
ولا سيما ان كان عفوا بقدرة * فذلك احرى ان يجل ويعظما
ولست بذى لؤم فتعذر بالذى * اتيته من اخلاق من كان الوما
ولكن غشا لست تعرف غيره * وقد غش قبل اليوم ابليس ادما
فما غش الا نفسه في فعاله * فاصبح ملعونا وقد كان مكرما
وانى لاخشي ان اناللك بالذى * اردت فيجزى الله من كان اظلما

﴿ مااجابه القوم به رضي الله عنهم ﴾

فكان اول من اجابه عبدالله بن عباس فكتب اليه . اما بعد فقد جاءنى كتابك وفهمت ماذكرت وان ليس معى منك امان وانه والله مامنك يطلب الامان يامعاويه وانما يطلب الامان من الله رب العالمين . واما قولك فى قتلى فوالله لو فعلت للقيت الله ومحمد صلى الله عليه وسلم خصمك فما اخاله افلح ولا انجح من كان رسول الله

خصمه . واما ماذكرت من اني ممن ألب في عثمان واجب فالذلك امر غبت عنه ولو حضرته مانسبت الى شيا من التاليب عليك وايم الله ماارى احدا غضب لعثمان غضبي ولا اعظم احدا قتله عظامي ولو شهدته لنصرته او اموت دونه ولقد قلت وعنيت يوم قتل عثمان ليت الذى قتل عثمان لقيني فقتلني معه ولا ابقى بعده. واما قولك لي الدن قتلة عثمان فالشأن ولد خاصة وقرابة هم أحق بلعنهم مني فان شاءوا ان يلعنوا فليلعنوا وان شاءوا ان يمسكوا فليمسكوا والسلام : وكتب اليه عبد الله بن جعفر اما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ماذكرت فيه من اثرك اياي على مرسواي فان تفعل فبحظك اصبت وان تاب فبنفسك قصرت واما ماذكرت من جبرك اياي على البيعة ليزيد فلعمري لئن اجبرتني عليها لقداجبرناك وأباك على الاسلام حتى ادخلناكما كارهين غير طائعين والسلام . وكتب اليه عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما :

الا سمع الله الذى انا عبده ❊ فاخزي الاله الناس من كان أظلما
واجرى على الله العظيم بحلمه ❊ وأسرعهم في الموبقات تقحما
أغرك ان قالوا حليم بعزة ❊ وليس بذي حلم ولكن تحلما
ولو رمت ماقدعزمت وجدتني ❊ هزبر عرين يترك القرن اكثما
واقسم لولا بيعة لك لم اكن ❊ لانقضها لم تنج مني مسلما

وكتب اليه الحسين رضي الله عنه : أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انه انتهت اليك عني امور لم تكن تظنني بها رغبة بي عنها وان الحسنات لايهدى لها ولا يسدد اليها الا الله تعالى وأما ما ذكرت انه رقى اليك عني فانما رقاه الملاقون المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الجمع وكذب الغاوون المارقون ما اردت حربا ولا خلافا واني لاخشي الله في ترك ذلك منك ومن حزبك القاسطين المحلين حزب الظالم وأعوان الشيطان الرجيم . الست قاتل حجر وأصحابه العابدين المخبتين الذين كانوا يستفظعون البدع ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فقتلتهم ظلماً وعدوانا من بعد ما اعطيتهم المواثيق الغليظة والعهود المؤكدة جراءة على الله واستخفافا بعهده او لست بقاتل عمرو بن الحمق الذي اخلقت وارباب وجهه العبادة فقتلته ومن بعد ما اعطيته من العهود مالو فهمته العصم نزلت من سقف الجبال أو لست المدعي زياداً في الاسلام فزعمت انه ابن ابى سفيان وقد

قضي رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الولد للفراش وللعاهر الحجر ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم ويقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ويصلبهم على جذوع النخل سبحان الله يامعاوية لكأنك لست من هذه الامة وليسوا منك . اولست قاتل الحضرمى الذى كتب اليك فيه زياد انه على دين على كرم الله وجهه ودين على هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم الذى اجلسك مجلسك الذى انت فيه ولولا ذلك كان أفضل شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف فوضعها الله عنكم بنا منة عليكم وقلت فيما قلت لا ترد هذه الامة فى فتنة وانى لا علم لها فتنة اعظم من امارتك عليها وقلت فيما قلت انظر لنفسك ولدينك ولامة محمد وانى والله ما اعرف افضل من جهادك فان افعل فانه قربة الي ربي وان لم افعله فاستغفر الله لدينى واسأله التوفيق لما يحب ويرضي وقلت فيما قلت متى تكدنى اكدك فكدنى يامعاوية فيما بدا لك فلعمري لقديما يكاد الصالحون وانى لارجو ان لا تضر الا نفسك ولا تمحق الا عملك فكدنى ما بدا لك واتق الله يامعاوية واعلم ان لله كتابا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها واعلم ان الله ليس بناس لك قتلك بالظنة واخذك بالتهمة وامارتك صبياً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ما اراك الا وقد اوبقت نفسك واهلكت دينك واضعت الرعية والسلام

﴿ قدوم معاوية المدينة على هؤلاء القوم وما كان بينهم من المنازعة ﴾

قال وذكروا انه لما جابه القوم معاوية بما جاوبوه من الخلاف لامره والكراهية بيعته ليزيد كتب الي سعيد بن العاص يامره ان ياخذ اهل المدينة بالبيعة ليزيد اخذا بغلظة وشدة ولا يدع احدا من المهاجرين والانصار وابنائهم حتي يبايعوا وامره ان لا يحرك هؤلاء النفر ولا يهيجهم فلما قدم كتاب معاوية اخذهم بالبيعة اعنف ما يكون من الاخذ واغلظه فلم يبايعه احد منهم فكتب الي معاوية انه لم يبايعني احد وانما الناس تبع لهؤلاء النفر فلو بايعوك بايعك الناس جميعا ولم يتخلف عنك احد فكتب اليه معاوية يامره ان لا يحركهم الى ان يقدم فقدم معاوية المدينة حاجا فلما ادنى من المدينة خرج اليه الناس يتلقونه ما بين راكب وماش وخرج النساء والصبيان فلقيه الناس على حال طاقتهم وما تسارعوا به فى القوت والقرب فلان لمن كافحه وفاوض العامة بمحادثته وتالفهم جهده مقاربه ومصانعة ليستميلهم الي مادخل فيه الناس حتى قال فى بعض مايجابهم به اهل المدينة مازلت اطوي الحزن من وعثاء السفر بالحب

لمطالعتكم حتى انطوى البعيد ولان الخشن وحق لجار رسول الله ان يتاق اليه . فرد عليه القوم بنفسك ودارك ومهاجرك اما ان لك منهم كاشفاق الحميم الجي والشفي قال حتى اذا كان بالجرف لقيه الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فقال معاوية مرحباً بابن بنت رسول الله وابن صنو ابيه ثم انحرف الى الناس فقال هذان شيخا بني عبد مناف واقبل عليها بوجهه وحديثه فرحب وقرب وجعل يواجه هذا مرة ويضاحك هذا اخرى حتى ورد المدينة فلما خالطها لقيته المشاة والنساء والصبيان يسلمون عليه ويسايرونه الى ان نزل فانصرفا عنه . فمال الحسين الى منزله ومضى عبد الله ابن عباس الى المسجد فدخله واقبل معاوية ومعه خلق كثير من اهل الشام حتى اتى عائشة ام المؤمنين فاستاذن عليها فاذنت له وحده لم يدخل عليها معه احد وعندها مولاها ذكوان فقالت عائشة يا معاويه كنت تامن ان اقعد لك رجلا فاقتلك كما قتلت اخي محمد بن ابي بكر فقال معاويه ما كنت لتفعلين ذلك قالت لم قال لاني في بيت آمن بيت رسول الله. ثم ان عائشة حمدت الله واثنت عليه وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت ابا بكر وعمر وحضته على الاقتداء بهما والاتباع لاثرهما ثم صمتت قال فلم يخطب معاوية وخاف ان لا يبلغ ما بلغت فارتجل الحديث ارتجالا . ثم قال انت والله يا ام المؤمنين العالمة بالله وبرسوله دللتنا على الحق وحضضتنا على حظ انفسنا وانت اهل لان يطاع امرك ويسمع قولك وان امر يزيد قضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من امرهم وقد اكد الناس بيعتهم في اعناقهم واعطو عهودهم على ذلك ومواثيقهم افترى ان ينقضوا عهودهم ومواثيقهم فلما سمعت ذلك عائشة علمت انه سيمضي على امره فقالت: اما ما ذكرت من عهود ومواثيق فاتق الله في هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم فلعلهم لا يصنعون الا ما احببت . ثم قام معاوية فلما قام قالت عائشة يا معاوية قتلت حجرا واصحابه العابدين المجتهدين فقال معاوية دعي هذا كيف انا في الذي بيني وبينك وفي حوائجك ؟ قالت صالح قال فدعينا واياهم حتى نلقي ربنا ثم خرج ومعه ذكوان فاتكا على يد ذكوان وهو يمشي ويقول تالله اني رايت كاليوم قط خطيبا ابلغ من عائشة بعد رسول الله ثم مضى حتى اتي منزله فارسل الى الحسين بن علي فخلا به فقال له يا ابن اخي قد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش انت تقودهم يا ابن اخي فما ربك الى الخلاف قال الحسين ارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم ولا تكن عجلت على بامر

قال نعم قال فاخذ عليه ان لا يخبر بحديثهما احداً فخرج وقد اقعد له ابن الزبير رجلا بالطريق فقال يقول لك اخوك ابن الزبير ما كان فلم يزل به حتى استخرج منه شيئا قال ثم ارسل معاوية بعده الى ابن الزبير فخلا به فقال له قد استوثق الناس لهذا الامر غير خمسة نفر من قريش انت تقودهم يا ابن اخي فما اربك الى الخلاف قال فارسل اليهم فان بايعوك كنت رجلا منهم والا تكن عجلت على بامر قال وتفعل قال نعم فاخذ عليه ان لا يخبر بحديثهما احدا ، قال فارسل بعده الى ابن عمر فاتاه وخلا به فكلمه بكلام هو الين من صاحبيه وقال إني كرهت ان ادع امة محمد بعدي كالضان لاراعي لها وقد استوثق النـاس لهذا الامر غير خمسة نفر انت تقودهم فما اربك الى الخلاف قال ابن عمر : هل لك في امر تحقن به الدماء وتدرك به حاجتك فقال معاوية وددت ذلك فقال ابن عمر تبرز سريرك ثم اجيء فاتابعك على اني ادخل فيما اجتمعت عليه الامة على عبد حبشي لدخلت فيما تدخل فيه الامة ، قال وتفعل قال نعم ثم خرج وارسل الى عبد الرحمن بن ابي بكر فخلا به فقال باي يد اورجل تقدم على معصيتي فقال عبد الرحمن ارجو ان يكون ذلك خيراً لي فقال معاويه والله لقد هممت ان اقتلك فقال لو فعلت لاتبعك الله في الدنيا ولادخلك في الآخرة النار، قال ثم خرج عبد الرحمن بن ابي بكر وبقي معاويه يومه ذلك يعطي الخواص ويدني مذمة الناس فلما كان صبيحة اليوم الثاني امر بفراش فوضع له وسويت مقاعد الخاصة حوله وتلقاءه من اهله ثم خرج وعليه حلة يمانية وعمامة دكناء وقد اسبل طرفها بين كتفيه وقد تغلف وتعطر فقعد على سريره واجلس كتابه منه بحيث يسمعون ما يامر به وامر حاجبه ان لا يأذن لاحد من الناس وان قرب . ثم ارسل الي الحسين بن علي وعبد الله بن عباس فسبق ابن عباس فلما دخل وسلم عليه اقعده في الفراش على يساره فحادثه ملياً ثم قال .يا ابن عباس لقد وفر الله حظكم من مجاورة هذا القبر الشريف ودار الرسول عليه السلام فقال ابن عباس نعم اصلح الله امير المؤمنين وحظنا من القناعة بالبعض والتجافي عن الكل اوفر فجعل معاوية يحدثه ويحيد به عن طريق المجادلة ويعدل الى ذكر الاعمار على اختلاف الغرائز والطبائع حتى اقبل الحسين بن علي فلما راه معاوية جمع له وسادة كانت على يمينه فدخل الحسين وسلم فاشار اليه فاجلسه عن يمينه مكان الوسادة فساله معاويه عن حال بني اخيه الحسن واسنانهم فاخبره ثم سكت قال

م ابتدا معاوية فقال: اما بعد فالحمد لله ولي النعم ومنزل النقم واشهد ان لا اله الا الله المتعالي عما يقول الملحدون علوا كبيرا وان محمدا عبده المختص المبعوث الى الجن والانس كافة لينذرهم بقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فادي عن الله وصدع بامره وصبر عن الاذى في جنبه حتى أوضح دين الله واعز اولياءه وقمع المشركين وظهر امر الله وهم كارهون فمضي صلوات الله عليه وقد ترك من الدنيا ما بذل له واختار منها الترك لما سخر له زهادة واختيارا لله وانفة واقتدارا على الصبر بغياً لما يدوم ويبقي وهذه صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ثم خلفه رجلان محفوظان وثالث مشكوك بين ذلك خوض طال ما عالجناه مشاهدة ومكافحة ومعاينة وسماعا وما اعلم منه فوق ما تعلمان وقد كان من امر يزيد ما سبقتم اليه والى تجويزه وقد علم الله ما احاول به من امر الرعية من سد الخلل ولم الصدع بولاية يزيد بما ايقظ العين واحمد الفعل هذا معناي في يزيد وفيكما فضل القرابة وحظوة العلم وكمال المروءة وقد اصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما اعيا ني مثله عندكما وعند غيركما مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصم الصلات وقد علمتما ان الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة قدم على الصديق والفاروق ومن دونهما من اكابر الصحابة واوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل من لم يقارب القوم ولم يعاندهم برتبة في قرابة موصولة ولا سنة مذكورة فقادهم الرجل بامره وجمع بهم صلاتهم وحفظ عليهم فيئهم وقال ولم يقل معه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فمهلا بني عبد المطلب فانا وانتم شعبا نفع وجد ومازلت ارجو الانصاف في اجتماعكما فما يقول القائل الا بفضل قولكما فردا على ذي رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة في عتابكما واستغفر الله لي ولكما. قال فتيسر ابن عباس للكلام ونصب يده للمخاطبة فاشار اليه الحسين وقال على رسلك فانا المراد ونصيبي في التهمة اوفر فامسك ابن عباس فقام الحسين فحمد الله وصلى على الرسول ثم قال اما بعد يا معاويه فلن يؤدي القائل وان اطنب في صفة الرسول صلى الله عليه وسلم من جميع جزء وقد فهمت ما لبست به الخلف بعد رسول الله من ايجاز الصفة والتنكب عن استبلاغ البيعة وهيهات هيهات يا معاوية فضح الصبح فحمة الدجي وبهرت الشمس انوار السرج ولقد فضلت حتى افرطت واستأثرت حتى اجحفت ومنعت حتى بخلت وجرت حتى جاوزت ما بذلت لذي حق من اتم حقه بنصيب حتى أخذ الشيطان حظه الاوفر ونصيبه الاكمل وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لامة محمد

تريد ان توهم الناس في يزيد كانك تصف محجوبا او تنعت غائبا او تخبر عما كان احتويته بعلم خاص وقد دل يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ ليزيد فيما اخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش والحمام السبق لاترابهن والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصرا ودع عنك ما تحاول ، فما اغناك ان تلقى الله بوزر هذا الخلق باكثر مما انت لاقيه فوالله ما برحت تقدم باطلا في جور وحنقا في ظلم حتى ملأت الاسقية وما بينك وبين الموت الا غمضة فتقدم على عمل محفوظ في يوم مشهود ولات حين مناص ورأيتك عرضت بنا بعد هذا الامر ومنعتنا عن آبائنا تراثا ولقد لعمر الله اورثنا الرسول عليه السلام ولادة وجئت لنا بها ما حججتم به القائم عند موت الرسول فاذعن للحجة بذلك ورده الايمان الى النصف فركبتم الاعاليل وفعلتم الافاعيل وقلتم كان ويكون حتى اتاك الامر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك فهناك فاعتبروا يا اولي الابصار . وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاميره له وقد كان ذلك ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول وبيعته له وما صار لعمرو يومئذ حتى انف القوم إمرته وكرهوا تقدمه وعدوا عليه افعاله فقال صلى الله عليه وسلم : لاجرم معشر المهاجرين لا يعمل عليكم بعد اليوم غيري . فكيف يحتج بالمنسوخ من فعل الرسول في اوكد الاحوال واولاها بالمجتمع عليه من الصواب ام كيف صاحبت بصاحب تابعا وحولك من لا يؤمن في صحبته ولا يعتمد في دينه وقرابته وتتخطاهم الي مسرف مفتون تريد ان تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه وتشقى بها في آخرتك ان هذا لهو الخسران المبين واستغفر الله لي ولكم ، قال فنظر معاوية الى ابن عباس فقال ماهذا يا ابن عباس فقال ماهذا يا ابن عباس ولما عندك ادهى وامر فقال ابن عباس لعمر الله انها لذرية الرسول واحد اصحاب الكساء ومن البيت المطهر فاله عما تريد فان لك في الناس مقنعا حتى يحكم الله بامره وهو خير الحاكمين فقال معاوية : اعود الحلم التحلم وخيره التحلم عن الاهل انصرفا في حفظ الله ، ثم ارسل معاوية الي عبد الرحمن بن ابي بكر والى عبد الله بن عمر والى عبد الله ابن الزبير فجلسوا فحمد الله وأثنى عليه معاوية ثم قال يا عبد الله بن عمر قد كنت تحدثنا انك لا تحب ان تبيت ليلة وليس في عنقك بيعة جماعة وان لك الدنيا وما فيها واني أحذرك ان تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملائهم وان تسفك دماءهم وان أمر يزيد قد كان قضاء من القضاء وليس للعباد خيرة من أمرهم وقد

ولد الناس بيعتهم فى اعناقهم واعطوا على ذلك عهودهم ومواثيقهم ثم سكت. فتكلم عبد الله بن عمر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يامعاويه لقد كانت قبلك خلفاء وكان لهم بنون ليس ابنك بخير من ابنائهم فلم يروا فى ابنائهم مارأيت في ابنك فلم يحابوا فى هذا الامر أحداً ولكن اختاروا لهذه الامة حيث علموهم وان تحذرني ان اشق عصا المسلمين وافرق ملاهم واسفك دماءهم ولم أكن لافعل ذلك ان شاء الله ولكن ان استقام الناس فسأدخل فى صالح ماتدخل فيه أمة محمد فقال معاوية يرحمك الله ليس عندك خلاف ثم قال معاوية لعبد الرحمن بن أبى بكر نحو ماقاله لعبد الله بن عمر فقال له عبد الرحمن انك والله لوددنا ان نكلك الى الله فيما جسرت عليه من أمر يزيد والذى نفسي بيده لتجعلنها شورى اولاعيدها جذعة. ثم قام ليخرج فتعلق معاوية بطرف ردائه ثم قال على رسلك اللهم اكفنيه بماشئت لاتظهرن لاهل الشام فانى أخشي عليك منهم ثم قال لابن الزبير نحو ماقاله لابن عمر ثم قال له انت ثعلب رواغ كلما خرجت من جحر انجحرت فى آخر أنت ألبت هذين الرجلين وأخرجتهما الى ماخرجا اليه فقال ابن الزبير اتريدان تبايع ليزيد أرأيت ان بايعناه أيكما نطيع أنطيعك أم نطيعه ان كنت مللت الخلافة فاخرج منها وبايع ليزيد فنحن نبايعه فكثر كلامه وكلام ابن الزبير حتي قال له معاوية في بعض كلامه والله ما أراك الا قاتلا نفسك ولكأني بك قد تخبطت فى الحبالة ثم أمرهم بالانصراف واحتجب عن الناس ثلاثة ايام لايخرج ثم خرج فامر المنادى ان ينادى فى الناس ان يجتمعوا لامر جامع فاجتمع الناس فى المسجد وقعد هؤلاء حول المنبر فحمد الله واثني عليه ثم ذكر يزيد وفضله وقراءته القرآن ثم قال. يا اهل المدينة لقد هممت ببيعة يزيد وما تركت قرية ولامدرة الا بعثت اليها ببيعته فبايع الناس جميعا وسلموا واخرت المدينة بيعته وقلت بيضته واصله ومن لااخافهم عليه وكان الذين ابوا البيعة منهم من كان اجدر ان يصله ووالله لو علمت مكان احد هو خير للمسلمين من يزيد لبايعت له، فقام الحسين فقال: والله لو تركت من هو خير منه اباً واماً ونفساً فقال معاوية كأنك تريد نفسك فقال الحسين نعم اصلحك الله فقال معاوية اذاً اخبرك اما قولك خير منه اماً فلعمرى امك خير من امه ولو لم يكن الا انها امرأة من قريش لكان لنساء قريش افضلهن فكيف وهي ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم فاطمة فى دينها وسابقتها فامك لعمر الله خير من امه واما ابوك فقد حاكم اباه الي الله فقضي لابيه على ابيك فقال الحسين حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل فقال معاوية واما ماذكرت من انك خير من يزيد نفساً فيزيد والله خير لامة محمد منك فقال الحسين هذا هو الافك

والزور يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خير مني فقال معاوية مهلاً عن شتم ابن عمك فانك لو ذكرت عنده بسوء لم يشتمك ثم التفت معاوية الى الناس وقال ايها الناس قد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يستخلف احداً فرأي المسلمون ان يستخلفوا ابابكر وكانت بيعته بيعة هدى فعمل بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى ان يستخلف عمر فعمل عمر بكتاب الله وسنة نبيه فلما حضرته الوفاة رأى ان يجعلها شورى بين ستة نفر اختارهم من المسلمين فصنع ابو بكر مالم يصنعه رسول الله وصنع عمر مالم يصنعه ابو بكر كل ذلك يصنعونه نظراً للمسلمين فلذلك رايت ان ابايع ليزيد لما وقع الناس فيه من الاختلاف ونظراً لهم بعين الانصاف

﴿ ماقال عبد الله بن الزبير لمعاوية ﴾

قال وذكروا ان عبدالله بن الزبير قام الى معاوية فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فترك الناس الى كتاب الله فرأى المسلمون ان يستخلفوا أبا بكر ثم راى ان يستخلف عمر وهو اقصي قريش منه نسباً ورأى عمر ان يجعلها شوري بين ستة نفر اختارهم من المسلمين وفي المسلمين ابنه عبدالله وهو خير من ابنك فان شئت ان تدع الناس على ما تركهم رسول الله فيختارون لا نفسهم وان شئت ان تستخلف من قريش كما استخلف ابو بكر خير من يعلم وان شئت ان تصنع مثل ماصنع عمر تختار رهطا من المسلمين وتزويها عن ابنك فافعل، فنزل معاوية عن المنبر وانصرف ذاهبا الي منزله وامر من حرسه وشرطته قوماان يحضروا هؤلاء النفر الذين ابوالبيعة وهم الحسين بن علي وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عباس وعبد الرحمن بن ابي بكر واوصاهم معاوية قال اني خارج العشية الى اهل الشام فاخبرهم ان هؤلاء النفر قد بايعوا وسلموا فان تكلم احد منهم بكلام يصدقني او يكذبني فيه فلا ينقضي كلامه حتي يطير رأسه فحذر القوم ذلك فلما كان العشي خرج معاوية وخرج معه هؤلاء النفر وهو يضاحكهم ويحدثهم وقد البسهم الحلل فالبس ابن عمر حلة حمراء والبس عبدالله ابن عباس حلة خضراء والبس ابن الزبير حلة يمانية ، ثم خرج بينهم واظهر لاهل الشام الرضا عنهم اى القوم وانهم بايعوا فقال يااهل الشام ان هؤلاء النفر دعاهم امير المؤمنين فوجدهم واصلين مطيعين وقد بايعوا وسلموا قال ذلك والقوم سكوت لم يتكلموا شيأ حذر القتل فوثب اناس من اهل الشام فقالوا ياامير المؤمنين ان كان رابك منهم ريب فخل بيننا وبينهم حتي نضرب اعناقهم فقال معاوية سبحان الله ما احل دماء قريش عندكم يااهل الشام لااسمع لهم ذكرا بسوء فانهم قد بايعوا وسلموا وارتضوني فرضيت عنهم رضي

الله عنهم ، ثم ارتحل معاوية راجعا الى مكة وقد اعطى الناس اعطياتهم واجزل العطاء واخرج الى كل قبيلة جوائزها واعطياتها ولم يخرج لبني هاشم جائزة ولا عطاء فخرج عبدالله بن عباس في اثره حتى لحقه بالروحاء فجلس ببابه فجعل معاوية يقول من بالباب فيقال عبدالله بن عباس فلم يأذن لاحد فلما استيقظ قال من بالباب فقيل عبدالله بن عباس فدعا بدابته فادخلت اليه ثم خرج راكبا فوثب اليه عبدالله بن عباس فاخذ بلجام البغلة ثم قال اين تذهب قال الى مكة قال فاين جوائزنا كما اجزت غيرنا فاوما اليه معاوية فقال والله ما لكم عندي جائزة ولا عطاء حتى يبايع صاحبكم قال ابن عباس فقد ابى ابن الزبير فاخرجت جائزة بني اسد وابى عبدالله بن عمر فاخرجت جائزة بني عدي فما لنا ان ابى صاحبنا وقد ابى صاحب غيرنا فقال معاوية لستم كغيركم لا والله لا اعطيكم درهما حتى يبايع صاحبكم فقال ابن عباس اما والله لئن لم تفعل لالحقن بساحل من سواحل الشام ثم لاقولن ما تعلم والله لاتركنهم عليك خوارج فقال معاوية لا بل اعطيكم جوائزكم فبعث بها من الروحاء ومضي راجعاً الى الشام . فلم يلبث الا قليلا حتى توفي عبدالرحمن بن ابي بكر فى نومة نامها رحمه الله

﴿ ماقال سعيد بن عثمان بن عفان لمعاوية ﴾

فلما قدم معاوية الشام اتاه سعيد بن عثمان بن عفان وكان شيطان قريش ولسانها قال يا امير المؤمنين على م تبايع ليزيد وتتركني فوالله لتعلم ان ابي خير من ابيه وامي خير من امه وانك انما نلت ما انت فيه بابي فضحك معاوية وقال يا ابن اخي اما قولك ان اباك خير من ابيه فيوم من عثمان خير من معاوية واما قولك ان امك خير من امه ففضل قرشية على كلبية فضل بين واما ان اكون نلت ما انا فيه بابيك فانما هو الملك يؤتيه الله من يشاء قتل ابوك رحمه الله فتواكلته بنى العاصي وقامت فيه بنو حرب فنحن اعظم بذلك منة عليك ، واما ان تكون خيرا من يزيد فوالله ما احب ان داري مملوءة رجالا مثلك بيزيد ولكن دعني من هذا القول وسلني اعطك ، فقال سعيد بن عثمان بن عفان : يا امير المؤمنين لا يعدم يزيد مزكيا ما دمت له وما كنت لارضي ببعض حقي دون بعض فاذا ابيت فاعطني مما اعطاك الله فقال معاوية لك خراسان قال سعيد وما خراسان قال انها لك طعمة وصلة رحم ، فخرج راضيا وهو يقول

ذكرت امير المؤمنين وفضله   فقلت جزاه الله خيرا بما وصل

وقد سبقت مني اليه بوادر   من القول فيه آفة العقل والزلل

فعاد امير المؤمنين بفضله ... وقد كان فيه قبل عودته ميل
وقال خراسان لك اليوم طعمة ... فجوزي امير المؤمنين بما فعل
فلو كان عثمان الغداة مكانه ... لما نالني من ملكه فوق مابذل

فلما انتهي قوله الي معاوية امر يزيدان يزوده وامر اليه بخلعة وشيعه فرسخا

﴿ قدوم ابى الطفيل على معاوية ﴾

قال وذكروا انه لم يكن احد احب الي معاوية ان يلقياه من ابى الطفيل الكنانى وهو عامر بن واثلة وكان فارس اهل صفين وشاعرهم وكان من اخص الناس بعلى كرم الله وجهه فقدم ابو الطفيل الشام يزور ابن اخ له من رجال معاوية فاخبر معاوية بقدومه فارسل اليه فاتاه وهو شيخ كبير فلما دخل عليه قال له معاوية انت ابو الطفيل عامر بن واثلة قال نعم قال معاوية اكنت ممن قتل عثمان امير المؤمنين قال لا ولكن ممن شهده فلم فلم ينصره قال ولم قال لم ينصره المهاجرون والانصار فقال معاوية : أما والله ان نصرته كانت عليهم وعليك حقا واجبا وفرضا لازما فاذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ماأنتم أهله واصاركم الى ماذا ايتم ، فقال ابو الطفيل فما منعك ياأمير المؤمنين إذ تربصت به ريب المنون ان لاتنصره ومعك اهل الشام ، فقال معاوية اوترى طلبي لدمه فضحك ابو الطفيل وقال : بلا ولكني واياك كما قال عبيد بن الابرص :

لاعرفنك بعد الموت تندبني ... وفى حياتى مازودتني زادى

فدخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحكم فلما جلسوا نظر اليهم معاوية ثم قال اتعرفون هذا الشيخ قالوا لا فقال معاوية : هذا خليل على ابن ابى طالب وفارس صفين وشاعر اهل العراق هذا ابو الطفيل : قال سعيد ابن العاص قد عرفناه ياأمير المؤمنين فما يمنعك منه وشتمه القوم فزجرهم معاوية قال مهلا فرب يوم ارتفع عن الاسباب قد ضقتم به ذرعا ثم قال اتعرف هؤلاء ياأبا الطفيل قال : ماانكرهم من سوء ولا اعرفهم بخير وانشد شعراً

فان تكن العداوه قد اكنت ... فشر عداوة المرء السباب

فقال معاوية ياأبا الطفيل مابقي لك الدهر من حب على قال حب ام موسي واشكوا الى الله التقصير فضحك معاوية قال ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عني ماقالوا هذا فقال مروان أجل والله لاتقول الباطل قال ثم جهزة معاوية والحقه بالكوفه

﴿ماحاول معاوية من تزويج يزيد﴾

قال وذكروا ان يزيد بن معاوية سهر ليلة من الليالي وعنده وصيف لمعاوية
يقال له رقيق فقال يزيد يستديم الله بقاء امير المؤمنين وعافيته اياه وارغب اليه
في تولية امره فقد كنت اعرف من جميل راى امير المؤمنين في حسن نظره فى
جميع الاشياء ما الثقة فى ذلك والتوكل عليه منعني من البوح بما جمجمت فى صدرى
له وطلابه اليه فاضاع وترك من النظر في شأنى وقد كان في حلمه وعلمه ورضائه
ومعرفته بما يحق لمثله النظر فيه غير غافل عنه ولا تارك له مع مايعلم من هيبتي له
وخشيتي منه فالله يجزيه عنى باحسانه ويغفر له ما اجترح من عهده ونسيانه ، فقال
الوصيف وما ذلك جعلت فداك لا تلم على تضييعه اياك فانك تعرف تفضيله وحرصه
عليك وما يخاص من حبك وان ليس شيء احب اليه ولا آثر عنده منك لديه .
فاذكر بلاءه واشكر حياءه فانك لا تبلغ من شكره الا بعون من الله . قال فاطرق
يزيد اطراقا عرف الوصيف منه ندامته على ما بدا منه وباح به ، فلما آب من عنده
توجه نحو سدة معاوية ليلا وكان غير محجوب عنه ولا محبوس دونه فعلم معاوية
انه ماجاء به ليلا الا خبر اراد اعلامه به . فقال له معاوية ماوراءك وما جاء بك
فقال اصلح الله امير المؤمنين كنت عند يزيد ابنك فقال فيما استجر من الكلام
كذا وكذا فوثب معاويه وقال ويحك ما اضعنا منه رحمة له وكراهية لما شجاه
وخالف هواه وكان معاوية لا يعدل بما يرضيه شيئا فعال على به وكان معاوية اذا
اتته الامور المشكلة المعضلة بعث الى يزيد يستعين به على استيضاح شبهاتها
واستسهال معضلاتها فلما جاءه الرسول قال اجب امير المؤمنين فحسب يزيد انه
انما دعاه الى تلك الامور التي يفزع اليه منها ويستعين برايه عليها فاقبل حتى دخل
ثم جلس فقال معاوية : يا يزيد ما الذي اضعنا من امرك وتركنا من الحيطة عليك
وحسن النظر لك حيث قلت ماقلت وقد تعرف رحمتى بك ونظرى فى الاشياء
التي تصلحك قبل ان تخطر على وهمك فكنت اظنك على تلك النعماء شاكرا
فأصبحت بها كافرا اذ فرطت من قولك ما الزمتني فيه اضاعتي اياك واوجبت
على منه بالتقصير ، لم يزجرك عن ذلك تخوف سخطي ولم يحجزك دون ذكره سالف
نعمتي ولم يردعك عنه حق ابوتي فاي ولد اعق منك او اكيد وقد علمت انى
تخطأت الناس كلهم في تقديمك ونزلتهم لتوليتي اياك ونصبتك اماماً على اصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم من عرفت وحاولت منهم ما علمت . قال فتكلم يزيد وقد خنقه من شدة الحياء الشرق واخضله من اليم الوجد العرق. قال: لا تلزمني كفر نعمتك ولا تنزل بي عقابك وقد عرفت نعمة مواصلتك برك وحظوتي الى كل ما يسرك في سري وجهري فليسكن سخطك فان الذي ارني له من اعباء حمله وثقله اكثر مما ارني لنفسي من اليم ما بها وشدته وسوف انبئك واعلمك امري . كنت قد عرفت من امير المؤمنين استكمل الله بقاءه نظرا في خيار الامور لي وحرصا على سياقها الي . وافضل ما عنيت استعده بعد اسلامي المرأة الصالحة وقد كان ما تحدث به من فضل جمال اريذب بنت اسحاق وكمال ادبها ما قد سطع وشاع في الناس فوقع مني موقع الهوى فيها والرغبة في نكاحها فرجوت الا تدع حسن النظر لي في امرها فتركت ذلك حتي استنكحها بعلها فلم يزل ما وقع في خلدي ينمو ويعظم في صدري حتى عيل صبري فبحت بسري فكان مما ذكرت تقصيرك في امري فالله يجزيك افضل من سؤالي وذكري. فقال له معاوية . مهلا يا يزيد فقال علام تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الامل فقال له معاوية فاين حجاك ومروءتك وتقاك فقال يزيد: قد يغلب الهوى على الصبر والحجا ولو كان احد ينتفع فيما يبتلى به من الهوى بتقاه او يدفع ما اقصده بحجاه لكان اولى الناس بالصبر داود عليه السلام وقد خبرك القرآن بامره. فقال معاوية فامنعك قبل الفوت من ذكره قال ما كنت اعرفه واثق به من جميل نظرك قال صدقت ولكن اكتم يا بني امرك بحلمك واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ امره ولا بد مما هو كائن وكانت اريذب بنت اسحاق مثلا في اهل زمانها في جمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فتزوجها رجل من بني عمها يقال له عبد الله بن سلام من قريش وكان من معاوية بالمنزلة الرفيعة في الفضل ووقع امر يزيد من معاوية موقعاً ملاه هماً واوسعه غماً فاخذ في الحيلة والنظر ان يصل اليها وكيف يجمع بينه وبينها حتي يبلغ رضا يزيد فيها . فكتب معاوية الى عبد الله بن سلام وكان قد استعمله على العراق ان اقبل حين تنظر في كتابي هذا لامر حظك فيه كامل ولا تتاخر عنه فاغذ المسير والاقبال . وكان عند معاويه بالشام ابو هريرة وابو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عبد الله بن سلام الشام امر معاوية ان ينزل منزلا قد هيىء له واعد له فيه نزلة ثم قال لابي هريرة

وصاحبه : ان الله قسم بين عباده قسما ووهبهم نعما اوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها وامره برعاية حقها وسلطان طريقها بجميل النظر وحسن التفقد لمن طوقهم الله امره كما فوضه اليهم حتى يؤدوا الى الله الحق فيهم كما اوجبه عليهم فحباني عز وجل باعز الشرف وسمو السلف وافضل الذكر واغدق اليسر واوسع علي في رزقه وجعلني راعي خلقه وامينه في بلاده والحاكم في امر عباده ليبلوني أأشكر آلاءه ام اكفرها فاياه اسأله اداء شكره وبلوغ ما ارجو بالوعه من عظيم اجره واول ماينبغي لمرء ان يتفقده وينظر فيه فيمن استرعاه الله امره من اهله ومن لاغني به عنه . وقد بلغت لي ابنة أردت انكاحها والنظر في تبعل من يريد ان يباعلها لعل من يكون بعدي يهتدي منه بهديي وتتبع فيه اثرى فاني قد تخوفت ان يدعو من يلي هذا الامر من بعدي زهوة السلطان وسرفه الى عضل نسائهم والا يرون لهن فيمن ملكهم امره كفؤا ولا نظيرا وقد رضيت لها عبدالله بن سلام لدينه وفضله ومروءته وادبه . فقال ابو هريرة وابو الدرداء ان اولى الناس برعاية انعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيما فيما خصه به منها انت ياصاحب رسول الله وكاتبه . فقال معاوية اذكرا له ذلك عني وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى غير اني ارجو انها لاتخرج من رأيي ان شاء الله . فلما خرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذي قال لها قال ودخل معاوية الى ابنته فقال لها اذا دخل عليك ابوهريرة وابو الدرداء فعرضا عليك امر عبد الله بن سلام وانكاحي اياك منه ودعوك الى مباعلته وحضاك على ملائمة رأيي والمسارعة الى هواي فقولي لهما عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير انه تحته اريذب بنت اسحاق وانا خائفة ان يعرض لي من الغيرة مايعرض للنساء فأتولى منه ما اسخط الله فيه فيعذبني عليه فافارق الرجاء واستشعر الاذى ولست بفاعلة حتى يفارقها . فذكر ذلك ابو هريرة وابو الدرداء لعبد الله بن سلام واعلماه بالذى امرهما معاوية فلما اخبراه سر به وفرح وحمد الله عليه ثم قال : نستمتع الله ياامير المؤمنين لقد والى علي من نعمه واسدى الى من منته فاطول ما اقول فيه قصير واعظم الوصف لها يسير ثم اراد إخلاطي بنفسه وإلحاقي باهله اتماما لنعمته واكمالا لاحسانه فالله استعين على شكره وبه اعوذ من كيده ومكره ، ثم نهضا اليه خاطبين عليه فلما قدما قال لهما معاوية قد تعلمان رضائي به وتنخلي اياه وحرصي عليه وقد كنت اعلمتكما بالذى جعلت لها في نفسها من

الشوري فادخلا اليها واعرضا عليها الذى رايت لها فدخلا عليها وعلماها بالذى ارتضاها لها ابوها لما رجياهن ثواب الله عليه فقالت لهما كالذى قال لها ابوه فاعلماه بذلك فلما ظن انه لا يمنعها منها الا امرها فارق زوجته واشهدهما على طلاقها وبعثهما خاطبين اليه ايضاً فخطبا واعلما معاوية بالذى كان من فراق عبد الله ابن سلام امرأته طلابا لما يرضيها وخروجا عما يشجيها فاظهر معاوية كراهة لفعله وقال : ما استحسن له طلاق امرأته ولا احببته ولو صبر ولم يعجل لكان امره الى مصيره فان كون ماهو كائن لابد منه ولا محيص عنه ولا خيرة فيه للعباد والاقدار غالية وماسبق فى علم الله لابد جار فيه فانصرفا في عافية ثم تعودان الينا فيه وتأخذان ان شاء الله رضانا . ثم كتب الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق ارينب بنت اسحاق عبد الله بن سلام فلما عاد ابو هريرة وابو الدرداء الى معاوية أمرهما بالدخول عليها وسالاها عن رضاها تبرياً من الامر ونظرا في القول والعذر فيقول لم يكن لي ان كرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا عليها واعلماها بالذى رضيه ان رضيت هى وطلاق عبد الله بن سلام امرأته ارينب طلابا لمسرتها وذكرا من فضله وكمال مروءته وكريم محتده ماالقول يقصر عنذ كره . فقالت لهما جف القلم بما هو كائن وانه في قريش لرفيع غير ان الله عز وجل يتولى تدبير الامور فى خلقه وتقسيمها بين عباده حتي ينزلها منازلها فيهم ويضعها على ماسبق في اقدارها وليست تجري لاحد على مايهوى ولو كان ليلغ منها غاية ماشاء . وقد تعرفان ان التزويج هزله جد وجد ندم النادم عليه ندم والعثور فيه لا يكاد يقوم والاناة في الامور اوفق لما يخاف فيها من المحذور ، فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأني فيها كان المرء بحسن العزاء خليقا وبالصبر عليها حقيقا ، وعلمت ان الله ولي التدبير فلم تلم النفس على التقصير واني بالله استعين بسائله عنه حتي اعرف دخيلة خبره ويصح لى الذى اريد علمه من امره ومستخيرة وان كنت اعلم انه لاخيرة لاحد فيما هو كائن ومعلمتكما بالذى يريفيه الله فى امره ولا قوة الا بالله . فقالا وفقك الله وخار لك ثم انصرفا عنها فلما اعلماه بقولها تمثل وقال :

فان يك صدر هذا اليوم ولى فان غداً لناظره قريب

وتحدث الناس بالذي كان من طلاق عبد الله امراته قبل ان يفرغ من طلبته

وقبل ان يوجد له الذى كان من بعينه ولم يشكو فى غدر معاوية اياها فاستصحبت عبد الله
ابن سلام ابا هريرة وابا الدرداء وسألهما الفراغ من أمره فاتياها فقالا لها قد اتيناك
لما انت صانعة في أمرك وان تستخيرى الله يخر لك فيما تختارين فانه يهدى من
استهداه ويعطي من اجتداه وهو اقدر القادرين قالت الحمد لله ارجو ان يكون الله
قد خار لى فانه لا يكل الى غيره من توكل عليه . وقد استبرأت امره ومالت عنه
فوجدته غير ملائم ولا موافق لما اريد لنفسي مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم
الناهي عنه ومنهم الآمر به واختلافهم اول ماكرهت من الله فعلم عبد الله انه خدع
فهلع ساعة واشتد عليه الهم . ثم انتبه لحمد الله تعالى واثنى عليه وقال متعزيا ليس لامر
الله راد ولا لما لا بد ان يكون منه صاد، أمور فى علم الله سبقت جرت بها اسبابه
حتى امتلأت منها اقرابها وان امرؤ انثال له حلمه واجتمع له عقله واستدله رأيه
ليس بدافع عن نفسه قدرا ولا كيدا ولا انحرافا عنه ولا حيدا ولا آل ما سروا
به واستجذلوا له لا يدوم لهم سروره ، ولا يصرف عنهم محذوره قال وذاع امره
فى الناس وشاع ، ونقلوه الى الاسمار وتحدثوا به فى الاسمار وفى الليل والنهار
وشاع فى ذلك قولهم وعظم لماوية عليه لومهم وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته
وانما ارادها لابنه فبئس مااسترعاه الله أمر عباده ومكنه في بلاده واشركه فى
سلطانه يطلب أمرا بخدعة من جعل الله اليه أمره وبحيره ويصرحه جرأة على الله
فلما بلغ معاوية ذلك من قول الناس قال لعمرى ماخدعته. قال فلما انقضت اقراؤها
وجه معاوية ابا الدرداء اذ قدم الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها
وبها يؤمئذ الحسين بن على وهو سيد أهل العراق فقها وحالا وجودا وبذلا فقال ابو
الدرداء اذ قدم العراق . ماينبغى لذوي الحجا والمعرفة والتقي ان يبدأ به ويؤثره
على مهم امره مما يلزمه حقه ويجب عليه حفظه وهذا ابن بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسيد شباب اهل الجنة يوم القيامه فلست بناظر فى شيء قبل الالمام
به والدخول عليه والنظر الي وجهه الكريم واداء حقه والتسليم عليه ثم استقبل بعد
ان شاء الله ماجئت له وبعثت اليه فقصد حتى اتى الحسين فلما رآه الحسين قام اليه
فصافحه اجلالا له ومعرفته لمكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعه من
الاسلام ثم قال الحسين مرحبا بصاحب رسول الله وجليسه يا ابا الدرداء حدثت لى رؤيتك
شوقا الي رسول الله صلى الله عليه وسلم واوقدت مطلقات احزانى عليه فانى لم ار

منذ فارقته ابداً كان له جليسا واليه حبيباً الاهملت عيناى واحرقت كبدى اسي عليه وصبابة اليه ففاضت عينا ابي الدرداء لذكر رسول الله وقال: جزى الله لبانة اقدمتنا عليك عليك وجمعتنا بك خيرا. فقال والله انى لذو حرص عليك ولقد كنت بالاشتياق اليك فقال ابو الدرداء . وجهنى معاوية خاطباً على ابنه يزيد اريتب بنت اسحاق فرايت ان لا ابدأ بشيء قبل احداث العهد بك والتسليم عليك . فشكر له الحسين ذلك واثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها واردت الارسال اليها بعد انقضاء اقرائها فلم يمنعنى من ذلك الا تخيير مثلك فقد اتى الله بك فاخطب رحمك الله على وعليه فلتختر من اختاره الله لها وانها امانة في عنقك حتى تؤديها اليها واعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال ابو الدرداء افعل ان شاء الله. فلما دخل عليها قال لها . ايتها المراة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل لكل امر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مستحاص ولا عن الخروج عن علمه مستناص ، فكان مما سبق لك وقدر عليك الذى كان من فراق عبد الله بن سلام اياك ولعل ذلك لا يضرك وان يجعل الله لك فيه خيرا كثيرا وقد خطبك امير هذه الامة وابن ملكها وولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن اول من آمن به من امته وسيد شباب اهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما وجئتك خاطباً عليهما فاختار ايهما شئت . فسكتت طويلا ثم قالت يا ابا الدرداء : لو ان هذا الامر جاءنى وانت غائب عنى اشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رايك ولم اقطعه دونك على بعد مكانك ونأى دارك فاما اذا كنت المرسل فيه فقد فوضت امرى بعد الله اليك وبرئت منه اليك وجعلته في يديك فاختر لي ارضاهما لديك والله شهيد عليك واقض فيه قضاء ذى التحري المتقي ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوي فليس امرهما عليك خفياً وما انت عما طوقتك عمياً . فقال ابو الدرداء : ايتها المراة انما على اعلامك وعليك الاختيار لنفسك قالت : عفا الله عنك انما انا بنت اخيك ومن لاغنى بها عنك فلا يمنعك رهبة احد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك اداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعي وخيف انه بنا خبير لطيف . فلما لم يجد بدا من القول والاشارة عليها قال اى بنية ابن بنت رسول الله احب الى وارضاهما عندى والله اعلم بخيرهما لك وقد كنت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعاً شفتيه على شفتى الحسين فضعي

شفتك حيث وضعها رسول الله ، قالت، قد اخترته ورضيته فاستنكحها الحسين بن علي وساق اليها مهراً عظيماً وقال الناس . وبلغ معاوية الذى كان من فعل ابي الدرداء في ذكره حاجة احد مع حاجته وما بدئه هوله ونكاح الحسين اياها فتعاظمه ذلك جداً ولامه لوماً شديداً وقال : من يرسل ذا بلاهة وعماً يركب في امره خلاف مايهوى ورأيي كان من رأيه أسوأ ولقد كنا بالملامة منه اولى حين بعثناه ولحاجتنا انتحلناه . وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها بدرات مملوءه درا كان ذلك الدر اعظم ماله واحب اليه وكان معاوية قد اطرحه وقطع جميع رواقده عنه لسوء قوله فيه وتهمته اياه على الخديعة فلم يزل يجفوه ويغضبه ويكدى به عنه ماكان يجديه حتى عيل صبره وطال امرة وقل مافي يديه ولام نفسه على المقام لديه فخرج من عنده واجماً الى العراق وهو يذكر ماله الذى كان استودعها ولا يدرى كيف يصنع وأنى يصل اليه ويتوقع جحودها عليه لسوء فعله بها وطلاقه اياها على غير شيء انكره منها ولا نقمة عليها فلما قدم العراق لقى الحسين فسلم عليه . ثم قال قد علمت جعلت فداك الذي كان من قضاء الله في طلاق أرينب بنت اسحاق وكنت قبل فراقي اياها قد استودعتها مالا عظيماً دراًوكان الذى كان ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها في طول ما صحبتها فتيلا ولا اظن بها الا جميلا فذاكرها امرى واحضضها على الرد على فان الله يحسن عليك ذكرك ويجزل به اجرك . فسكت عنه فلما انصرف الحسين الى اهله قال لها قدم عبدالله بن سلام وهو يحسن الثناء عليك ويجمل النشر عنك في حسن صحبتك وما آنسه قديماً من امانتك فلسرني ذلك واعجبني ، وذكر انه كان استودعك مالا قبل فراقه اياك فأدى اليه امانته وردي عليه ماله فانه لم يقل الاصدقاء ولم يطلب الا حقاً . قالت صدق قد والله استودعني مالا لا ادرى ماهو وانه لمطبوع عليه بطابعه ماأخذمنه شيئاالى يومه هذا فأثني عليها الحسين خيراً وقال بل ادخله عليك حتى تبرئي اليه منه كما دفعه اليك . ثم لقى عبد الله بن سلام فقال له ماانكرت مالك وزعمت انه لكما دفعته اليها بطابعك فادخل ياهذا عليها وتوف مالك منها فقال عبد الله بن سلام اوتأمر بدفعه الى جعلت فداك قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا ادته. فلما دخلا عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فاديها اليه كما قبضتيها منه فأخرجت البدرات فوضعتها بين يديه وقالت له هذا مالك فشكر لها واثنى عليها وخرج الحسين ففض عبدالله خاتم بدرة فحثا لها من ذلك الدر حثوات

وقال خذى فهذا قليل مني لك واستعبرا جميعا حتى تعالت اصواتهما بالبكاء اسفا على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذي سمع منهما فقال اشهد الله انها طالق ثلاث اللهم انك تعلم انى لم استنكحها رغبة فى مالها ولا جمالها ولكني اردت احلالها لبعلها وثوابها على ماعالجته في أمرها فأوجب لى بذلك الأجر واجزل لى عليه الذخر انك على كل شيء قدير ولم يأخذ مما ساق اليها فى مهرها قليلا ولا كثيرا وكان عبد الله بن سلام سأل ذلك أرينب أى التعويض على الحسين فاجابته الى رد ماله عليه شكرا لما صنعه بهما فلم يقبله وقال الذى ارجو عليه من الثواب خير لى منه . فتزوجها عبد الله بن سلام وعاشا متحابين متصادقين حتي قبضهما الله وحرمها الله على يزيد . والحمد لله رب العالمين

(وفاة معاوية رحمه الله)

قال وذكروا ان عتبة بن مسعود قال مر بنا نعى معاوية بن ابى سفيان ونحن بالمسجد الحرام قال فقمنا فاتينا ابن عباس فوجدناه جالسا قد وضع له الخوان وعنده نفر فقلنا أما علمت بهذا الخبر يابن عباس قال وما هو قلنا هلك معاوية فقال ارفع الخوان ياغلام وسكت ساعة ثم قال جبل تزعزع ثم مال بكلكله أما والله ماكان كمن كان قبله ولما يكن بعده مثله. اللهم انت اوسع لمعاوية فينا وفى بنى عمنا هؤلاء الذى لب معتبر اشتجرنا بيننا فقتل صاحبهم غيرنا وقتل صاحبنا غيرهم وما اغراهم بنا الا انهم لا يجدون مثلنا وما اغرانا بهم الا انا لا نجد مثلهم . كما قال القائل مالك تظلمني قال لا اجد من اظلم غيرك . ووالله ان ابنه لخير أهله أعد طعامك ياغلام قال فما رفع الخوان حتى جاء رسول خالد بن الحكم الى ابن عباس ان انطلق فبايع فقال للرسول اقرأ الامير السلام وقل له والله مابقى فى ما تخاف فاقض من امرك ماانت قاض فاذا سهل المشي وذهبت حطمة الناس جئتك ففعلت ما أحببت قال ثم أقبل علينا فقال : مهلا معشر قريش ان تقولوا عند موت معاوية ذهب جد بني معاوية وانقطع ملكهم ذهب لعمر الله جدهم و بقى ملكهم وشرها بقية هي أطول مما مضي الزموا مجالسكم واعطوا بيعتكم قال فما برحنا حتي جاء رسول الله خالد فقال يقول لك الامير لا بد لك ان تأتينا قال فأن كان لا بد فلا بد مما لا بد منه: يانوار هلمي ثيابى ثم قال وما ينفعكم اتيان رجل ان جلس لم يضركم قال فملت له اتبايع ليزيد وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش قال مه فاين ماقلت لكم وكم بعده من ت ممن يشرب الخمر او هو شر من شاربها انتم الى بيعته سراع اما

والله اني لانها كم وانا اعلم انكم فاعلون ما انتم فاعلون حتي يصلب المصلوب قريش
بمكة يعني عبد الله بن الزبير

﴿ كتاب يزيد بالبيعة الى أهل المدينة ﴾

قال وذكروا ان نافع بن حبير قال انى بالشام يوم موت معاوية وكان يزيد غائبا واستخلف معاوية الضحاك بن قيس بعده حتي يقدم يزيد فلما مات معاوية خرج الضحاك على الناس فقال لايحملن اليوم نعش أمير المؤمنين الاقرشي قال فحملته قريش ساعة ثم قال اهل الشام اصلح الله الامير اجعل لنا من امير المومنين نصيباً في موته كما كان لنا في حياته قال فاحملوه فحملوه وازدحموا عليه حتي شقوا البرد الذى كان عليه صدعين قال فلما قدم يزيد دمشق بعد موت ابيه الى عشرة ايام كتب الى خالد بن الحكم وهو عامل المدينة : اما بعد فان معاوية بن ابى سفيان كان عبداً استخلفه الله على العباد ومكن له فى البلاد وكان من حادث قضاء الله جل ثناؤه وتقدست اسماؤه فيه ما سبق فى الاولين والاخرين لم يدفع عنه ملك مقرب ولا نبي مرسل فعاش حميداً ومات سعيداً وقد قلدنا الله عز وجل ما كان اليه فيالها مصيبة ما اجلها ونعمة ما اعظمها نقل الخلافة وفقد الخليفة فنستوزعه الشكر ونستلهمه الحمد ونسأله الخيرة فى الدارين معاً ومحمود العقبي فى الاخرة والاولى انه ولى ذلك وكل شيء بيده لاشريك له . وان اهل المدينة قومنا ورجالنا ومن لم نزل على حسن الراى فيهم والاستعداد بهم واتباع اثر الخليفة فيهم والاحتذاء على مثاله لديهم من الاقبال عليهم والتقبل من محسنهم والتجاوز عن مسيئهم فبايع لنا قومنا ومن قبلك من رجالنا بيعة منشرحة بها صدوركم طيبة عليها انفسكم . وليكن اول من يبايعك من قومنا واهلنا الحسين وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن جعفر ويحلفون على ذلك بجميع الايمان اللازمة بصدقة اموالهم غير عشرها وجزية رقيقهم وطلاق نسائهم بالثبات على الوفاء بما يعطون من بيعتهم ولا قوة الا بالله والسلام

﴿ اباية القوم المتمنعين عن البيعة ﴾

قال وذكروا ان خالد بن الحكم لما اتاه الكتاب من يزيد قطع به فدعا مروان بن الحكم وكان على المدينة قبله فلما دخل عليه مروان وذلك فى اول الليل فقال له خالد احتسب صاحبك يا مروان فقال له مروان اكتم ما بلغك انا لله وانا اليه راجعون ثم اقرأه الكتاب وقال له ما الرأي فقال ارسل الساعة الى هؤلاء النفر

لخذ بيعتهم فانهم ان بايعوا لم يختلف على يزيد احد من اهل الاسلام فعجل عليهم قبل ان يفشي الخبر فيمتنعوا فارسل الى الحسين بن على وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر فلما اتاهم الرسول قال عبد الله بن الزبير للحسين : ظن يا أبا عبدالله فيما ارسل الينا فقال الحسين لم يرسل الينا الا للبيعة فما ترى قال آتيه فان اراد تلك امتنعت عليه . فدعا الحسين مواليه واهل بيته واقعدهم على الباب وقال لهم ان ارتفع صوتي فاقتحموا الدار على والا فمكانكم حتي اخرج اليكم . ثم دخل على خالد فاقرأه الكتاب فقال الحسين رحم الله معاوية فقال له بايع فقال الحسين :لا خير فى بيعة سر والظاهرة خير فاذا حضر الناس كان امراً واحداً ثم وثب الي اهله. فقال مروان لخالد اشدد يدك بالرجل حتي يبايعك فان ابى فاضرب عنقه . فقال له ابن الزبير : قد علمت انا كنا أبينا البيعة اذ دعانا اليها معاوية وفى نفسه علينا من ذلك مالا نجهله ومتي ما نبايعك ليلا على هذه الحال نرى انك اغضبتنا على انفسنا دعنا حتى نصبح وندعو الناس الى البيعة فنأتيك نبايعك بيعة سليمة صحيحة فلم يزالا به حتي خلا عنهما وخرجا : فقال مروان لخالد : تركتهما والله لا تظفر بمثلها منهما ابداً فقال ويحك اتشير على ان اقتل الحسين فوالله ما يسرنى ان لي الدنيا وما فيها وما احسب ان قاتله يلقى الله بدمه الا خفيف الميزان يوم القيامة فقال له مروان مستهزءاً ان كنت انما تركت ذلك لذلك فقد اصبت

﴿ خلع اهل المدينة يزيد ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن معاويه عزل خالد بن الحكم عن المدينة وولاها عثمان ابن محمد بن ابى سفيان الثقفي وخرج الحسين بن على وعبد الله بن الزبير الى مكه واقبل عثمان بن محمد من الشام واليا على المدينة ومكة وعلى الموسم فى رمضان فلما استولى على المنبر بمكة رعف فقال رجل مستقبله جئت والله بالدم فتلقاه رجل آخر بعمامته فقال مه والله عم الناس . ثم قام يخطب فتناول عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله امر الناس ثم نزل فقال الناس للحسين يا أبا عبد الله لو تقدمت فصليت بالناس فانه ليهم بذلك اذ جاء المؤذن فاقام الصلاة فتقدم عثمان فكبر فقيل للحسين يا أبا عبد الله اذا ابيت ان تتقدم فاخرج فقال الصلاة فى الجماعة افضل قال وصلى ثم خرج فلما انصرف عثمان بن محمد من الصلاة بلغه ان الحسين خرج قال : اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه فطلب فلم يدرك . قال ثم قدم المدينة

فاقبل ابن ميناء بسراحه من الحرة يريد الاموال التي كانت لمعاوية فنبعوهم وازاحه اهل المدينة عنها وكانت اموالا اكتسبها معاوية ونخيلا يجد منها مائة الف وست وستين الفاً ودخل نفر من قريش والانصار على عثمان فكلموه فيها فقالوا قد علمت ان هذه الاموال كلها لنا وان معاوية آثر علينا في عطائنا ولم يعطنا قط درهما فما فوقه حتى مضنا الزمان ونالتنا المجاعة فاشتراها منا بجزء من مئة من ثمنها فاغلظ لهم عثمان في القول واغلظوا له فقال لهم لاكتبن الى امير المؤمنين بسوء رايكم وما انتم عليه من كمون الاضغان القديمة والاحقاد التي لم تزل في صدوركم فتفرقوا على موجدة ثم اجتمع رايهم على منع ابن ميناء القيم عليها فكتب عثمان بن محمد عنهم وكتب بامرهم الى يزيد بن معاوية قال عبد الله بن جعفر جاء كتاب عثمان بن محمد بعد هدأة من الليل وقد كنت انصرفت من عند يزيد فلم البث ان جاءني رسوله فدخلت عليه والشمعة بين يديه وهو مغضب قد حسر عن ذراعيه والكتاب بين يديه فقال دونك يا اباجعفر هذا الكتاب فاقراه فرايت كتابا قبيحاً فيه تعريض لاهل المدينة وتحريش ثم قال: والله لاطأنهم وطأة آتي منها على انفسهم قال ابن جعفر فقلت له ان الله لم يزل يعرف لك في الرفق خيرا فان رايت ان ترفق بهم وتتعطف عليهم فعلت فانما هم اهلك وعشيرتك وانما تقتل بهم نفسك اذا قتلتهم. قال اقتل ما في نفسي فلم ازل الح عليه فيهم وارفقه عليهم وكان لي سامعا ومطيعا. فقال لي: ان ابن الزبير حيث علمت من مكة وهو زعم انه قد نصب الحرب فانا ابعث اليه الجيوش وآمر صاحب اول جيش ابعثه ان يتخذ المدينة طريقا وان لا يقاتل فان اقروا بالطاعة ونزعوا من غيهم وضلالهم فلهم على عهد الله وميثاقه ان لهم عطاءين في كل عام مالا افعله باحد من الناس طول حياتي عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف ولهم على عهد ان اجعل الحنطة عندهم كسعر الحنطة عندنا والحنطة عندهم سبع آصع والعطاء الذي يذكرون انه احتبس عنهم في زمان معاوية فهو علي ان اخرجه لهم وافرا كاملا فان ابوا وقبلوا ذلك وجاوزوا الى ابن الزبير وان ابوا قاتلهم ثم ان ظفر بها انهبها ثلاثا هذا عهدي الى صاحب جيشي لمكانك لطلبك فيهم ولما زعمت انهم قومي وعشيرتي. قال عبد الله بن جعفر فرأيت لهم هذا فرجا فرجعت الى منزلي فكتبت اليهم من ليلتي كتابا الى أهل المدينة اعلمهم فيه قول يزيد واحضهم على الطاعة والتسليم والرضا والقبول لما بذل لهم وانهاهم ان يتعرضوا لجيوشه وقلت

لأعوني لجهد البلاء فدخلها في غشر فما ارادوا ذلك ولا قبلوة وقالوا والله لا يدخلها عنوة أبدا !

﴿كتاب يزيد الى أهل المدينة﴾

قال وكتب يزيد الى المدينة كتابا وامر عثمان بن محمد يقرأه عليهم فقدم بالكتاب الى المدينة وعثمان خائف فقرأه عليهم فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : اما بعد فاني قد لبستكم حتى اخلقتكم ورفعتكم حتى اخرتكم ورفعتكم على رأسي ثم وضعتكم وايم الله لئن اشرت ان اضعكم تحت قدمى لاطأنكم وطاة اقل منها عددكم واتركنكم احاديث تتناسخ كاحاديث عاد وثمود وأيم الله ليأتينكم مني اولى من عقوبتي فلا افلح من ندم

﴿ماجمع عليه اهل المدينة ورأوه من اخراج بني امية﴾

قال وذكروا انه لما قرأ الكتاب تكلم عبد الله بن مطيع ورجال معه كلاما قبيحاً فلما استبان لهم ان يزيداً باعث الجيوش اليهم اجمعوا على خلافهم واختلفوا فى الرئاسة ايهم يقوم بهذا الامر . فقال قائل ابن مطيع وقال قائل ابراهيم بن نعيم ثم اجتمع رأيهم ان يقوم بامرهم ابن حنظلة وهرب عثمان بن محمد منهم ليلا فلحق بالشام ثم اخذ مروان بن الحكم وكبراء بني امية فاخرجوهم عن المدينه فقالوا الشقة بعيدة ولا بدلنا مما يصلحنا ولنا عيال وصبية ونحن نريد الشام قال فاستنظروا عشرة ايام فانظروا ثم اجتمع رأى أهل المدينة ان يحلفوا كبراء بني امية عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لقوا جيش يزيد ليردونهم عنهم ان استطاعوا فان لم يستطيعوا مضوا الى الشام ولم يرجعوا معهم فحلفوا لهم على ذلك وشرطوا عليهم ان يقيموا بذى خشب عشرة ايام فخرجوا من المدينة وتبعهم الصبيان و سفهاء الناس يرمونهم بالحجارة حتي انتهوا الى ذى خشب ولم يتحرك احد من آل عثمان ابن محمد ولم يخرج من المدينه فلما رات بنو امية ماصنع بهم أهل المدينة من اخراجهم منها اجتمعوا الى مروان فقالوا يا أبا عبد الملك ما الرأى قال من قدر منكم ان يغيب حرمه فليفعل فانما الخوف على الحرمة فغيبوا حرمهم فاتى مروان عبدالله بن عمر فقال يا أبا عبد الرحمن يبلغني انك تريد الخروج الى مكة وتغيب عن هذا الامر فاحب ان اوجه عيالى معك فقال ابن عمر اني لا أقدر على مصاحبة النساء قال فتجعلهم فى منزلك مع حرمك قال لا آمن ان ادخل على حرمى من اجل مكانكم .

فكلم مروان علي بن الحسين فقال نعم فضمهم على اليه وبعث بهم مع عياله ، قال ثم ارتحل القوم من ذي خشب على اقبح اخراج يكون واجتثاث منهم خوفا ان يبدو للقوم في حبسهم وجعل مروان يقول لابنه عبد الملك يا في ان هؤلاء القوم لم يدروا ولم يستشيروا فقال ابنه وكيف ذلك قال اذ لم يقتلونا او يحبسونا فان بعث اليهم بعثا كنا في ايديهم وما أخوفني ان يفطنوا لهذا الامر فيبعثوا في طلبنا فالوحا الوحا والنجا والنجا

﴿ارسال يزيد الجيوش عليهم﴾

قال فلما اجمع رأى يزيد على ارسال الجيوش صعد المنبر فحمد الله واثني عليه ثم قال : اما بعد يا اهل الشام فان اهل المدينه اخرجوا قومنا منها والله لئن تقع الخضراء على الغبراء احب الى من ذلك ، وكان معاوية قد اوصي يزيد فقال له ان رابك منهم ريب او انتقص عليك منهم احد فعليك باعور بني مرة مسلم بن عقبة فدعا به فقال سر الي هذه المدينة بهذه الجيوش وان شئت اعفيتك فانى اراك مدنفا منهوكا فقال نشدتك الله ان لا تحرمنى اجرا ساقه الله الي او تبعث غيري فانى رايت في النوم شجرة غرقد تصيح اغصانها يا ثارات عثمان فاقبلت اليها وجعلت الشجرة تقول الي يامسلم ابن عقبه فاتيت فاخذتها فعبرت ذلك ان اكون انا القائم بأمر عثمان ووالله ماصنعوا الذى صنعوا الا ان الله اراد بهم الهلاك . فقال يزيد فسر على بركة الله فأنت صاحبهم فخرج مسلم فعسكر وعرض الاجناد فلم يخرج معه اصغر من أبن عشرين ولا اكبر من ابن خمسين على خيل عراب وسلاح شاك واداة كاملة ووجه معه عشرة آلاف بعير تحمل الزاد حتي خرج فخرج معه يزيد فودعه وقال له ان حدث بك حدث فأمر الجيوش الى حصين بن نمير فانهض باسم الله الى ابن الزبير واتخذ المدينة طريقاً اليه فان صدوك اوقاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم وانهبها ثلاثا فقال مسلم بن عقبة أصلح الله الامير لست باخذ من كل ماعهدت به الا بحرفين قال يزيد وما هما ويحك قال اقبل من المقبل الطائع واقتل المدبر العاصي فقال يزيد: حسبك ولكن البيان لا يضرك والتأكيد ينفعك فاذا قدمت المدينة فمن عاقك عن دخولها او نصب لك الحرب فالسيف السيف اجهز على جريحهم واقبل على مدبرهم واياك ان تبقي عليهم وان لم يتعرضوا لك فامض الى ابن الزبير . فمضت الجيوش فلما نزلوا بوادى القرى لقيتهم بنوامية خارجين من المدينة فرجعوا معهم

واستخبرهم مسلمة بن عقبة عما خلفهم وعما اتوا وعن عددهم فقال مروان عددهم كثيراً أكثر مما جئت به من الجيوش ولكن عامتهم ليس لهم نيات ولا بصائر وفيهم قوم قليل لهم نية وبصيرة ولكن لا بقاء لهم مع السيف وليس لهم كراع ولا سلاح وقد خندقوا عليهم وحصنوا . قال مسلم هذه اشدها علينا ولكننا نقطع عنهم مشربهم ونردم عليهم خندقهم فقال مروان عليه رجال لا يسلمونه ولكن عندى فيه وجه سأخبرك به قال هاته فقال اطوه ودعه حتى يحضر ذلك قال فدعه اذاً . ثم قال لهم مسلم تريدون ان تسيروا الى امير المؤمنين او تقيموا موضعكم هذا او تسيروا معنا فقال بعضهم نسير الى امير المؤمنين ونحدث به عهداً ، فقال مروان اما انا فراجع فقال بعضهم لبعض قد خلفنا لهم عند المنبر لئن استطعنا ان نرد الجيش عنهم نردهم فكيف بالرجوع اليهم فقال مروان اما انا فراجع اليهم فقال له قوم ما نرى ان تفعل فانما تقتلون بهؤلاء انفسكم والله لا اكثرنا عليهم لمسلم جمعا أبدا فقال مروان انا والله ماض مع مسلم الى المدينة مدرك ثارى من عدى وممن اخرجني من بيتي وفرق بيني وبين اهلى وان قتلت بهم نفسي فلم يرجع مع مسلم من بني امية غير مروان وابنه عبد الملك وكان مجدورا فجعله بذي خشب . فلما ايقن اهل المدينة بقدوم الجيوش اليهم تشاوروا في الخندق وقالوا قد خندق رسول الله صلى الله عليه وسلم فخندقوا المدينة من كل نواحيها . ثم جمع عبد الله بن حنظلة اهل المدينة غير المنبر فقال تبايعونى على الموت والا فلا حاجة في بيعتكم فبايعوه على الموت ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انما خرجتم غضباً لدينكم فابلوا الى الله بلاء حسنا ليوجب لكم به الجنة ومغفرته ويحل بكم رضوانه واستعدوا باحسن عدتكم وتأهبوا باكمل اهبتكم فقد اخبرت بان القوم نزلوا بذى خشب ومعهم مروان بن الحكم والله ان شاء مهلكه بنقضه العهد والميثاق عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصايح الناس وجعلوا ينالون منه ويسبونه فقال لهم ان الشتم ليس بشيء ولكن نصدقهم اللقاء والله ما صدق قوم قط الا نصروا ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم انا بك واثقون وعليك متوكلون واليك ألجأنا ظهورنا ثم نزل وكان عبد الله بن حنظلة لا يبيت الا فى المسجد الشريف وكان لا يزيد على شربة من سويق يفطر عليها الى مثلها من الغد

﴿ قدوم الجيوش الى المدينة ﴾

قال وذكروا ان اهل الشام لما انتهوا الى المدينة عسكروا بالجرف ومشوا رجالا من رجالهم فاحدقوا بالمدينة من كل ناحية لا يجدون مدخلا لانهم قد خندقوها عليهم والناس متلبسون السلاح قد قاموا على افواه الخنادق وقد حرسوا ان لا يتكلم منهم متكلم وجعل اهل الشام يطوفون بها والناس يرمونهم بالحجارة والنبل من فوق الاكام والبيوت حتى خرجوا فيهم وفي خيلهم فقال مسلم لمروان أين ما قلت لي بوادى القرى . فخرج مروان حتى جاء بني حارثه فكلم رجلا منهم ورغبه في الصنيعة وقال افتح لنا طريقا فانا اكتب بذلك الى امير المؤمنين ومتضمن لك عنه شطر ما كان بذل لاهل المدينة من العطاء وتضعيفه ففتح له طريقا ورغب فيما بذل له وتقبل ما تضمن له من يزيد فاقتحمت الخيل فجاء الخبر الى عبد الله بن حنظلة فاقبل وكان من ناحية الطورين واقبل عبد الله بن مقطع وكان من ناحية ذناب واقبل ابن ابي ربيعة فاجتمعوا جميعا بمن معهم بحيث اقتحم عليهم اهل الشام فاقتتلوا حتي عاينوا الموت ثم تفرقوا

﴿ غلبة اهل الشام على اهل المدينه ﴾

قال وذكروا ان عبد الله بن ابى سفيان قال وقفت مع قوم عند مسجد بني عبد الاشهل منهم عبد الله بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتل مسلمة الكذاب ومعه عبد الله بن حنظلة ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وابراهيم ابن قارظ وابراهيم بن نعيم بن النجار فهم يقاتلون ويقولون للناس أين الفرار والله لئن يقتل الرجل مقبلا خير له من ان يقتل مدبرا قال فاقتتلوا ساعة والنساء والصبيان يصيحون على قتالهم حتي جاءهم ما لا طاقة لهم به وجعل مسلم يقول من جاء برأس رجل فله كذا وكذا وجعل يغري قوما لا دين لهم فقتلوا وظهروا على اكثر المدينة قال وكان على بشر بن حنظلة يومئذ درعان فلما هزم القوم طرحهما ثم جعل يقاتلهم وهو حاسر حتي قتلوه ضربه رجل من اهل الشام ضربة بالسيف قطع منكبه فوقع ميتا فلما مات بن حنظله صار اهل المدينة كالنعم بلا راع شرود يقتلونهم اهل الشام من كل وجه فاقبل محمد بن عمرو بن حزم الانصارى وان جراحه لتنفث دما وهو يقاتل ويحمل على الكردوس منهم فيفض جماعتهم وكان فارسا فحمل عليه اهل الشام حملة واحدة حتى لظموه بالرماح فمال ميتا فلما قتل انهزم من بقى من الناس في كل وجه ودخل القوم المدينة فجالت خيولهم فيها يقتلون وينهبون

قال وخرج يومئذ عبد الله بن زيد بن عاصم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والخيل تسرع فى كل وجه قتلا ونهبا فقيل له لو علم القوم باسمك وصحبتك لم يهيجوك فلو اعلمتهم بمكانك . فقال والله لا اقبل لهم امانا ولا ابرح حتي اقتل لا افلح من ندم وكان رجلا ابيض طويلا اصلح فاقبل عليه رجل من اهل الشام وهو يقول والله لا ابرح حتى اضرب صلعتك وهو حاسر فقال عبد الله شر لك خير لي فضربه بفاس فى يده فرايت نورا ساطعا فى السماء فسقط ميتا وكان يومه ذلك صائما رحمه الله: قال فجعل مسلم يطوف على فرس له ومعه مروان بن الحكم على القتلى فمر على عبد الله بن حنظلة وهو ماد اصبعه السبابة فقال مروان اما والله لئن نصبتها ميتا فطالما نصبتها حيا داعيا الى الله ومر على ابراهيم بن نعيم ويده على فرجه فقال اما والله لئن حفظته فى الممات لقد حفظته الحياة ومر على محمد بن عمرو بن حزم وهو على وجهه واضعا جبهته بالارض فقال اما والله لئن كنت على وجهك في الممات لطال ماافترشته حيا ساجداً لله فقال مسلم والله ماارى هؤلاء الا من اهل الجنة ومر على عبد الله بن زيد وبين عينيه اثر السجود فلما نظر اليه مروان عرفه وكره ان يعرفه لمسلم فيحز راسه وقال له مسلم من هذا فقال بعض هذه الموالى وجاوزه فقال له مسلم كلا وبيت الله لقد نكبت عنه لشيء فقال له مروان هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن زيد فقال ذاك اخزى لما كنت بيعته حزوا راسه . وكان قصر بني حارثة امانا لمن اراد اهل الشام ان يؤمنوه وكان بنو حارثة آمنين ماقتل منهم احد وكان كل من نادي باسم الامان الي احد من قبيلة أمنوه رجلا كان او امرأة ثم ذبوا عنه حتي يبلغوه قصر بني حارثة فاجير يومئذ رجال كثيرة ونساء كثيرة ولم يزالوا فى قصر بنى حارثة حتى انقضت الثلاث .قال واول دور انتهبت والحرب قائمة دور بني عبد الاشهل فما تركوا في المنازل من اثاث ولا حلى ولا فراش الا نقض صوفة حتى الحمام والدجاج كانوا يذبحونها فدخلوا دار محمد بن مسلمه فصاح النساء فاقبل زيد بن محمد الي الصوت فوجد عشرة ينهبون فقاتلهم ومعه رجلان من اهله حتي قتل الشاميون جميعا وخلصوا ماأخذ منهم فاضعوا متاعهم فى بئر لاماء فيها والقى عليها التراب ثم اقبل نفر من اهل الشام فقاتلوهم ايضا حتي قتل زيد بن محمد منهم اربعة عشر رجلا فضربه بالسيف منهم اربعة فى وجهه ، ولزم ابو سعيد الخدرى فى بيته فدخل عليه نفر من

اهل الشام فقالوا ايها الشيخ من انت فقال انا ابو سعيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا مازلنا نسمع عنك فبحظك اخذت في تركك قتالنا وكفك عنا ولزوم بيتك ولكن اخرج الينا ما عندك قال والله ما عندي مال فنتفوا لحيته وضربوه ضربات ثم اخذوا كلما وجدوه في بيته حتى الثوم وحتى زوج حمام كان له . وكان جابر بن عبد الله يومئذ قد ذهب بصره فجعل يمشي في بعض ازقة المدينة وهو يقول تعس من اخاف الله ورسوله فقال له رجل ومن اخاف الله ورسوله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . من اخاف المدينه فقد أخاف ما بين جنبي . فحمل عليه رجل بالسيف ليقتله فترامى عليه مروان فاجاره وامر ان يدخله منزله ويغلق عليه بابه . وكان سعيد بن المسيب رحمه الله لم يبرح من المسجد ولم يكن يخرج الا من الليل الى الليل وكان يسمع اذا جاء وقت الاذان آذانا يخرج من القبر الشريف حتى امن للناس فكان سعيد يقول مارايت خيرا من الجماعة ثم امر وسلم بالاسارى فغلوا بالحديد ثم دعا الى بيعة يزيد . فكان اول من بايع مروان بن الحكم ثم اكابر بني امية حتى اتى على آخرهم ثم دعا بني اسد وكان عليهم حنقاً فقال اتبايعون لعبد الله يزيد بن امير المؤمنين ولمن استخلف عليكم بعده الى ان أموالكم ودمائكم وانفسكم خول له يقضي فيها ما شاء . فقال يزيد بن عبد الله بن زمعة : انما نحن نفر من المسلمين لنا ما لهم وعلينا ما عليهم فقال مسلم والله لا اقيلك ولا تشرب البارد بعدها ابدا فامر به فضربت عنقه . ثم اتى بمعقل بن سنان وكان معقل حاملا لواء قومه اشجع مع رسول الله فما دخل عليه قال أعطشت يامعقل قال اصلح الله الامير قال له حوصوا له شربة من سويق اللوز الذي زودنا به أمير المؤمنين فلما شربها قال له رويت قال نعم . قال له مسلم اما والله لاتبولها من مثانتك ابدا فقدم فضربت عنقه ثم قال ما كنت لادعك بعد كلام سمعته منك تطعن به على امامك وكان معقل قد طعن بعد الطعن على يزيد قبل ذلك فيما بينه وبين مسلم على الاستراحة بذلك ثم امر بمحمد بن ابى الجهم وجماعة من وجوه قريش والانصار وخيار الناس والصحابه والتابعين ثم اتي بعبد الله بن الحارث مغلولا فقال مسلم انت القائل اقتلوا سبعة عشر رجلا من بني امية لاترووا شرا ابداً قال قد قلتها ولكن لايسمع من اسير امر اررسل يدي وقد برئت مني الذمة انا نزلت بعهد الله وميثاقه وايم الله لو اطاعوني ماشرت به عليهم ماتحكمت فيهم ابدا فقال مسلم والله لاقدمنك الى نار تلظى ثم امر به فضربت عنقه فقال مروان قد

والله سقيتنى من دماء هؤلاء القوم الا ماكان من قريش فانك اثخنتها وافنيتها فقال مسلم والله لا اعلم عند احد غشا لامير المؤمنين الا سألت الله ان يسقيني دمه فقال ان عند امير المؤمنين عدوا لهم وحلما عنهم ليس عندك . وجعل مروان يتعذر الى قريش ويقول والله لقد ساءنى قتل من قتل منكم فقالت له قريش انت والله الذى قتلتنا ماعذرك الله ولا الناس لقد خرجت من عندنا وحلفت لنا عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لتردنهم عنا فان لم تستطع لتمضين ولا ترجع معهم فرجعت ودللت على العورة واعنت على الهلكة فالله لك بالجزاء . قال فبلغ عدة قتلى الحرة يومئذ من قريش والانصار والمهاجرين ووجوه الناس الف وسبعمائة وسائرهم من الناس عشرة آلاف سوي النساء والصبيان . قال ابومعشر دخل رجل من اهل الشام على امرأة نفساء من نساء الانصار ومعها صبي لها فقال لها : هل من مال قالت لا والله ما تركوا لي شيئا فقال والله لتخرجن الى شيئا اولاقتلنك وصبيك هذا فقالت له ويحك انه ولد ابن ابى كبشة الانصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه يوم بيعة الشجرة على ان لاازنى ولا اسرق ولا اقتل ولدى ولا آتى ببهتان افتريه فما اتيت شيئا فاتق الله . ثم قالت لابنها يابني والله لو كان عندى شيء لافديتك به قال فاخذ برجل الصبي والثدى فى فمه فجذبه من حجرها فضرب به الحائط فانتثر دماغه في الارض قال فلم يخرج من البيت حتي اسود نصف وجهه وصار مثلا . قال ابومعشر قال لى رجل بينا انا فى بعض اسواق الشام واذا برجل ضخم فقال لى ممن انت قلت رجل من اهل المدينة فقال من اهل الخبيثة قال فقلت له سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم سماها طيبة وسميتها خبيثة قال فبكي فقلت له مايبكيك قال العجب والله : كنت اغزو الصائفة كل عام زمن معاوية فأتيت فى المنام فقيل لى انك تغزو المدينة وتقتل فيها رجلا يقال له محمد بن عمرو بن حزم وتكون فقتله من اهل النار . قال فقلت هذا من شأن المدينة ولا يقع فى نفس مدينة الرسول قال فقلت لعلها بعض مدائن الروم فكنت اغزو ولا اسل فيها سيفاً حتي مات معاوية وولى يزيد فضرب بعث المدينة فاصابتني القرعة قال فقلت هى هذه والله فاردت ان يأخذوا مني بديلا فابوا فقلت فى نفسي اما اذا ابوا فانى لا اسل فيها سيفاً . قال فحضرت الحرة فخرج اصحابى يقاتلون وجلست فى فسطاطى فلما فرغوا من القتال جاءنا اصحابنا فقالوا دخلنا وفرغنا من الناس . فقال بعض اصحابى لبعض تعالوا حتى ننظر الى القتلى فتقلدت سيفي وخرجت فجعلنا ننظر

الى القتلى ونقول هذا فلان وهذا فلان فاذا رجل فى بعض تلك الدارات فى يده سيف وقد ازبد شدقاه وحوله صرعى من اهل الشام فلما ابصرني قال يا كاب احقن عني دمك قال فنسيت والله كل شيء فحملت عليه فقاتلته فقتلته فسطع نور بين عينيه وسقط في يدى قلت من هذا فقيل لى هذا محمد بن عمرو بن حزم فجعلت ادور مع اصحابى فيقولون هذا فلان وهذا فلان فمر انسان لا يعرف فقال من قتل هذا ويحكم يريد محمد بن عمرو بن حزم قتله الله والله لا يري الجنة بعينه أبداً

﴿ عدة من قتل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم ﴾

قال وذكرا انه قتل يوم الحرة من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بدرى بعد ذلك ومن قريش والانصار سبعمائة ومن سائر الناس من الموالى ومعرب ومتابعين عشرة آلاف وكانت الوقعة فى ذى الحجة لثلاث بقين منها سنة ثلاث وستين . قالوا وكان الناس يعجبون من ذلك ان ابن الزبير لم يصلوا اليه الا بعد ستة اشهر ولم يكن مع ابن الزبير الا نفر قليل وكان بالمدينة اكثر من عشرة آلاف رجل والله ما استطاعوا ان يناهضوهم يوما الى الليل

﴿ كتاب مسلم بن عقبة الى يزيد ﴾

قال وذكروا ان مسلما لما فرغ من قتال اهل المدينة ونهبها كتب الى يزيد ابن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله يزيد بن معاوية امير المؤمنين من مسلم بن عقبه سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله فانى احمد الله اليك الذى لا اله الا هو اما بعد تولى الله حفظ امير المؤمنين والكفاية له فانى اخبر امير المؤمنين ابقاه الله انى خرجت من دمشق ونحن على التعبئة التى رأى امير المؤمنين يوم فراقنا بوادى القرى فرجع معنا مروان بن الحكم وكان لنا عونا على عدونا وانا انتهينا الى المدينة فاذا اهلها قد خندقوا عليها بالخنادق واقاموا على انقابها الرجال بالسلاح وادخلوا ماشيتهم وما يحتاجون لحصارهم سنة فيما يقولون وانا اعذرنا اليهم واخبرناهم بعهد امير المؤمنين وما بذل لهم فابوا ففرقت اصحابى على افواه الخنادق فوليت الحصين بن نمير ناحية ذباب وما والاها عليها الموالى ووجهت حبيش بن دجلة الى ناحية بني سلمة ووجهت عبد الله بن مسعدة الى ناحية بقيع الغرقد وكنت ومن معى من قواد امير المؤمنين ورجاله فى وجوه بنى حارثة فادخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار من ناحية عبد الاشهل بطريق فتحه لنا رجل منهم مما دعاه اليه مروان

ابن الحكم الى صنيع امير المؤمنين وقد تضمن له عنه من قرب المكان وجزيل العطاء وايجاب الحق وقضاء الذمام وقد بعث به امير المؤمنين وارجو من الله عز وجل ان يلهم خليفته وعبده عرفان ما اولى من الضنع واسدى من الفضل وكان اكرم الله امير المؤمنين من محمود مقام مروان بن الحكم وجميل مشهده وشديد بأسه وعظيم نكايته لعدو امير المؤمنين مالا اخال ذلك ضائعا عند امام المسلمين وخليفة رب العالمين ان شاء الله . وسلم الله رجال امير المؤمنين فلم يصب احد منهم بمكروه ولم يقم لهم عدوهم ساعة من ساعات نهارهم فما صليت الظهر اصلح الله امير المؤمنين الا في مسجدهم بعد القتل الزريع والانهاب العظيم واوقعنا بهم السيوف وقتلنا من اشرف لنا منهم واتبعنا مدبرهم واجهزنا على جريحهم وانتهبناها ثلاثا كما قال امير المؤمنين أعز الله نصره وجعلت دور بني الشهيد المظلوم عثمان بن عفان في حرز وامان فالحمد لله الذي شفا صدري من قتل اهل الخلاف القديم والنفاق العظيم فطالما عتوا وقديما ماطغوا وكتب الى امير المؤمنين وأنا في منزل سعيد بن العاص مدنفا مريضا ما أراني الا لمابي فما كنت ابالي متي مت بعد يومي هذا وكتب لهلال المحرم سنة ثلاث وستين .

فلما جاء الكتاب ارسل الى عبد الله بن جعفر والى ابنه معاوية بن يزيد فاقرأهما الكتاب فاسترجع عبد الله بن جعفر واكثر وبكى معاوية بن يزيد حتي كادت نفسه ان تخرج وطال بكاؤه فقال يزيد لعبد الله بن جعفر الم اجبك الى ما طلبت واسعفتك فيما سألت فبذلت لهم العطاء واجزلت لهم الاحسان واعطيت العهود والمواثيق على ذلك فقال عبد الله بن جعفر فمن هنالك واسترجعت وتأسفت عليهم اذ اختاروا البلاء على العافية والفاقة على النعمة ورضوا بالحرمان دون العطاء ثم قال يزيد لابنه معاوية : فما بكاؤك انت يابني قال ابكي على قتل من قتل بهم وانما قتلنا بهم انفسنا فقال يزيد هو ذاك قتلت بهم نفسي وشفيتها . قال وسأل مسلم بن عقبة قبل ان يرتحل عن المدينة عن على بن الحسين احاضر هو فقيل له نعم فأتاه على بن الحسين ومعه ابناه فرحب بهما وسهل وقرب وقال ان امير المؤمنين اوصاني بك فقال على بن الحسين وصل الله امير المؤمنين واحسن جزاءه ثم انصرف عنه . ولم يكن احد نصب للحرب من بني هاشم ولزموا بيوتهم فسلموا الا ثلاثة منهم تعرضوا للقتال فاصيبوا

﴿ موت مسلم بن عقبة ونبشه ﴾

قال وذكروا ان مسلم بن عقبة ارتحل عن المدينة وهو عامد بنفسه يريد ابن الزبير بمكة فنزل في بعض الطريق فدعا الحصين بن نمير فقال له يابرذعة الحمار انه كان من عهد امير المؤمنين ان حدث بى حدث الموت ان اعهد اليك فاسمع فانى بك غالم لا تمكن قريشاً من اذنك اذا قدمت مكة فانما هو الوقاف ثم النقاف ثم الانصراف . ثم مات فدفن فى ثنية المشلل فلما تفرق القوم عنه اتته ام ولد ليزيد ابن عبد الله بن زمعة وكانت من وراء العسكر تترقب موته فنبشت عنه فلما انتهت الى لحده وجدت اسود من الاساود منطويا فى رقبته فاتحاه فتهيبته ثم لم تزل به حتى تنحى لها عنه فصابته على المشلل . قال الضحاك : فحدثني من رآه يرمى كما يرمى قبر ابى رغال

﴿فضائل قتلى اهل الحرة رحمهم الله﴾

قال وذكروا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى سفر من اسفاره فلما مر بحرة بني زهرة وقف فاسترجع فقالوا ماهو يارسول الله قال : يقتل في هذه الحرة خيار امتى بعد اصحابي . قال وذكروا ان عبد الله بن سلام وقف بالحرة زمان معاوية بن ابى سفيان فقال اجد فى كتاب يهود الذى لم يبدل ولا يغير انه يكون ههنا مقتلة قوم يحشرون يوم القيامة واضعي سيوفهم على رقابهم حتي يأتوا الرحمن تبارك وتعالى فيقفون بين يديه فيقولون قتلنا فيك. قال وذكروا عن داود ابن الحصين قال عندنا قبور قوم من قتلى الحرة فقل ماحركت الافاح منها ريح المسك . وقال بعضهم عن عبد الله بن ابى سفيان عن ابيه قال رأيت عبد الله بن حنظلة فى منامى باحسن صورة معه لواؤه فقلت يا أبا عبد الرحمن أقتلت قال بلى فلقيت ربى فادخلني الجنة فانا اسرح في ثمارها حيث شئت قلت فاصحابك فما صنع بهم قال هم معي وحول لوائى هذا الذى ترى لم يحل عقدة بعد. وقال الاعرج كان الناس لا يلبسون المصبوغ من الثياب قبل الحرة فلما قتل الناس بالحره استحبوا ان يلبسوها وقد مكث النوح فى الدور على اهل الحرة سنة لا يهدؤن. وقال عبد الله ابن ابى بكر كان اهل المدينة اعز الناس واهيبهم حتي كانت الحرة فاجترأ الناس عليهم فهانوا . قال الزهرى بلغ القتلى يوم الحرة من قريش والانصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبعمائة وسائر الناس عشرة آلاف من اخلاط

الناس والموالي والعبيد واصيب نساء وصبيان وكان . قدوم اهل الشام المدينة الثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين فانتهبوها ثلاثا حتى راوا هلال المحرم ثم امسكوا بعد ان لم يبقوا احداً به رمق. وقتل بها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بعد ذلك بدرى . وقالوا قال عيسى بن طلحة: قلت لعبد الله بن مطيع كيف نجوت يوم الحرة ؟قال: رأيت مارأيت من غلبة اهل الشام وصنع بني حارثة الذى صنعوا من ادخالهم علينا اهل الشام فذكرت قول الحارث بن هشام يوم بدر وعلمت انى لايضر عدوى مشهدى ولاينفع موليى فتواريت ثم لحقت بابن الزبير وكنت اعجب كل العجب ان ابن الزبير لم يصلوا اليه ستة اشهر ولم يكن معه الا نفر يسير قوم من قريش من الخوارج وكان معنا يوم الحرة الفا رجل كلهم ذوو حفاظ فما استطعنا ان نحبسهم يوما الى آخر الليل

(تم الجزء الاول من كتاب الامامة والسياسة ويليه الجزء الثانى)

كتاب



تأليف

(الإمام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم)

(ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠ هـ رحمه الله)

﴿الجزء الثاني﴾

﴿طبعت على نفقة﴾

محمود محمود شعبان

صاحب مطبعة القاهرة

﴿مطبعة «القاهرة» لصاحبها محمود محمود شعبان بشارع منصور بمصر﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

﴿ ذكر اختلاف الرواة في وقعة الحرة وخبر يزيد ﴾

قال وذكروا انه لما بويع يزيد بن معاويه خرج الحسين حتي قدم المدينة فاقام هو وابن الزبير. قال وقدم عمرو بن سعيد بن العاص في رمضان اميراً على المدينة وعلى الموسم وعزل الوليد بن عقبه فلما استوى على المنبر رعف فقال اعرابي مستقبله مه جاءنا والله بالدم فتلقاه بعمامته فقال مه عم والله الناس. ثم قام يخطب فنا وله عصا لها شعبتان فقال مه شعب والله الناس ثم خرج الى مكة فقدمها يوم التروية فصلى الحسين ثم خرج. فلما انصرف عمر بلغه ان الحسين خرج فقال: اركبوا كل بعير بين السماء والارض فاطلبوه. قال فكان الناس يعجبون من قوله هذا قال فطلبوه فلم يدركوه فارسل عبد الله بن جعفر ابنيه عوناً ومحمدا ليرد الحسين فابى ان يرجع وخرج الحسين بابني عبد الله بن جعفر معه ورجع عمر بن سعيد بن العاص الى المدينة فارسل الى بن الزبير فابى ان ياتيه وامتنع برجال معه من قريش وغيرهم قال فبعث عمرو بن سعيد جيشاً من المدينة يقاتلون ابن الزبير قال فضرب على اهل الديوان البعث الى مكة وهم كارهون للخروج فقال لهم اما ان تأتوا ببدل واما ان تخرجوا. قال فجاء الحارث بن مالك بن البرصاء برجل استأجره بخمسمائة درهم الى عمرو بن سعيد فقال قد جئت برجل بدلي فقال الحارث للرجل الذي استأجره هل لك ان ازيدك خمسمائة اخرى وتنكح امك فقال له اما تستحي فقال انما حرمت عليك امك في مكان واحد وحرمت عليك الكعبة في كذا وكذا مكان من القرآن قال فجاء به الى عمرو بن سعيد قال قد جئتك برجل لو أمرته ان ينكح امه لنكحها فقال عمرو لعنك الله من شيخ قال فبعثهم الى مكة يقاتلون ابن الزبير فهزم عمرو بن ز بير وبعث يزيد بن معاوية عبد الله بن مستعدة الفزاري يخطب الناس بالمدينة فقال

في خطبته : أهل الشام جند الله ألاعظم واهل الشام خير الخلق فقال الحارث بن مالك ائذن لي انكلم فقال اجلس لا اجلسك الله قال فتشهد الحارث وقال : لعمر الله لحن خير من اهل الشام مانقمت من اهل المدينة الا لانهم قتلوا اباك وهو سرق لقاح النبي صلى الله عليه وسلم انسيت طعنة ابى قتادة است ابيك بالرمح فخرج منه جعموص مثل هذا واشار الى ساعده ثم جلس .

﴿ولاية الوليد المدينة و خروج الحسين بن على﴾

قال وذكروا ان يزيد بن معاوية عزل عمرو بن سعيد وأمر الوليد بن عقبة وخرج الحسين بن على الى مكة فمال الناس اليه وكثروا عنده واختلفوا اليه وكان عبد الله بن الزبيرفيمن يأتيه . قال فاتاه كتاب اهل الكوفة فيه : بسم الله الرحمن الرحيم : للحسين بن على من سليمان بن صرد والمسيب ورفاعة بن شداد وشيعته من المؤمنين المسلمين من اهل الكوفة أما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي اعتدي على هذه الامة فانتزعها حقوقها واغصبها امورها وغلبها على فيئها وتأمر عليها على غير رضي منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها فبعداً له كما بعدت ثمود انه ليس علينا امام فاقدم علينا لعل الله ان يجمعنا بك على الهدى فان النعمان بن بشير فى قصر الامارة ولسنا نجتمع معه فى جمعة ولا نخرج معه الي عيدولوقد بلغنا مخرجك اخرجناه من الكوفة والحقناه بالشام . قال فبعث الحسين بن على مسلم بن عقيل الى الكوفة يبايعهم له وكان على الكوفة النعمان بن بشيرفقال : لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من ابن بحدل قال فبلغ ذلك يزيد فاراد ان يعزله فقال لاهل الشام اشيروا على من استعمل على الكوفة فقالوا أترضي برأي معاويه قال نعم قالوا فان الصك بامرة عبد الله بن زياد على العراقين قد كتبه فى الديوان قال فاستعمله على الكوفة فقدم الكوفة قبل ان يقدم الحسين وبايع له مسلم بن عقيل أكثر من ثلاثين الفا من أهل الكوفة فنهضوا معه يريدون عبد الله بن زياد فجعلوا كلما أشرفوا على زقاق انسل منهم ناس حتي بقى مسلم فى شرذمة قليلة قال فجعل أناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت فلما راى ذلك دخل دار هانىء بن عروة المرادى وكان له فيهم رأى هانىء بن عروه ان لى من ابن زياد مكانا وسوف اتمارض له فاذا جاء يعودنى فاضرب عنقه فقيل لابن زياد ان هانىء شاك يقىء الدم

قال وشرب المغرم فجعل يتيؤها قال فجاء ابن زياد يعوده وقال هانىء اذا قلت اسقونى فاخرج اليه فاضرب عنقه فابطؤا عليه فقال ويحكم اسقونى ولو كان فيه ذهاب نفسى قال فخرج عبيد الله بن زياد ولم يصنع الآخر شيئا وكان من اشجع الناس ولكنه أخذته كبوة فقيل لابن زياد والله ان فى البيت رجلا متسلحا قال فارسل ابن زياد الى هانىء فقال انى شاك لا أستطيع النهوض فقال ائتونى به وان كان شاكيا قال فاخرج له دابه فركب ومعه عصا وكان اعرج فجعل يسير قليلا ويقف ويقول مالى اذهب الى ابن زياد فمازال كذلك حتى دخل عليه فقال له عبيد الله بن زياد ياهانيء اما كانت يد زياد عندك بيضاء قال بلى قال يدى قال بلى فقال ياهانىء قد كانت لكم عندي يد بيضاء أمنتك على نفسك ومالك فتناول العصا التى كانت فى يد هانىء فضرب بها وجهه حتى كسرها ثم قدمه فضرب عنقه قال وارسل جماعة الي مسلم بن عقيل فخرج عليهم بسيفه فمازال يقاتلهم حتي اخرج وأسر . فلما اسر بعث الرجال فقال اسقونى ماء قال ومعه رجل من بنى معيط ورجل من بنى سليم يقال له شهر بن حوشب فقال شهر بن حوشب لا أسقيك الا من البئر فقال المعيطي والله لانسقيه الامن الفرات قال فامر غلاما فاتاه بابريق من ماء وقدح قوارير ومنديل قال فسقاه فتمضمض فخرج الدم فمازال يمسح الدم ولا يسيغ شيئا حتي قال اخره عني . قال فلما أصبح دعا به عبيدالله بن زياد وهو قصير فقدمه لضرب عنقه فقال دعني حتى اوصي فنظر فى وجوه الناس فقال لعمرو بن سعيد ماأرى هاهنا من قريش غيرك فادن مني حتى أكلمك فدنا منه فقال له هل لك ان تكون سيد قريش ما كانت قريش ان الحسين ومن معه وهم تسعون بين رجل وامرأة فى الطريق فارددهم واكتب اليهم بما أصابني . قال فضرب عنقه والقاه فقال عمرو هو اعظم من ذلك فاى شيء هو قال اخبرنى ان الحسين ومن معه قد اقبل وهم تسعون انسانا بين رجل وامرأة فقالوا أما والله اذ دللت عليه لا يقاتلهم احد غيرك

(قتال عمرو بن سعيد الحسين وقتله)

قال وذكروا ان عبيدالله بن زياد بعث جيشا عليهم عمرو بن سعيد وقد جاء الحسين الخبر فهم ان يرجع ومعه خمسة من بني عقيل فقالوا له ارجع وقد قتل اخونا وقد جاءك من الكتب ما نثق به فقال لبعض اصحابه والله مالى عن هؤلاء من صبر قال فلقيه الحسين على خيولهم بوادى السباع فلقوهم وليس معهم ماء فقالوا يا ابن بنت رسول الله اسقنا فاخرج لكل فارس صحيفة من ماء فسقاهم بقدر ما يمسك برمقهم قالوا يا ابن بنت رسول الله صلى

الله عليه وسلم فمازالوا يرجونه واخذوا به على الجرف حتي نزلوا بكربلاء فقال الحسين اى ارض هذه قالوا كربلاء قال : هذا كرب و بلاء قال فانزلوا وبينهم و بين الماء ربوة فاراد الحسين وأصحابه الماء فحالوا بينهم وبينه فقال له شهر بن حوشب لا تشربوا منه حتي تشربوا من الحميم فقال عباس بن علي يا أبا عبدالله نحن على الحق فنقاتل قال نعم فركب فرسه وحمل بعض اصحابه على الخيول ثم حمل عليهم فكشفهم عن الماء حتي شربوا واسقوا ثم بعث عبيد الله بن زياد عمرو بن سعيد يقاتلهم . قال الحسين يا عمرو اختر مني ثلاث خصال اما ان تتركني ارجع كما جئت فان ابيت هذه فاخرى سيرني الى الترك اقاتلهم حتى اموت او تسيرني الى يزيد فاضع يدي في يده فيحكم فى بما يريد . فارسل الى ابن زياد بذلك فهم ان يسيره الى يزيد فقال له شهر بن حوشب قد امكنك الله من عدوك وتسيره الي يزيد والله لئن سار الى يزيد لا رأي مكروها وليكونن من يزيد بالمكان الذي لا تناله انت منه ولا غيرك من اهل الارض لا تسيره ولا تبلعه ريقه حتي ينزل على حكمك فارسل اليه لا الا ان تنزل على حكمي فقال الحسين انزل على حكم من رايته ثلا والله لا افعل الموت دون ذلك واحلى . قال وأبطأ عمرو بن سعيد عن قتاله فارسل عبيد الله بن زياد الى شهر بن حوشب ان تقدم عمرو يقاتل والا فاقتله وكن انت مكانه قال وكان مع عمرو بن سعيد من قريش ثلاثون رجلا من أهل الكوفه فقالوا يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال لا تقبلون واحدة منها فتحولوا مع الحسين فقاتلوا قال فرأي رجل من اهل الكوفة عبدالله ابن الحسين بن علي على فرس وكان من اجمل الناس قال لا تقتلن هذا الفتى فقيل له ويحك ما تصنع بقتله دعه قال فحمل عليه فضربه فقطع يده ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ثم اقتتلوا جميعا فقتل يومئذ الحسين بن علي وعباس بن علي وعثمان بن علي وابو بكر بن علي وجعفر بن علي وامهم ام البنين بنت حرام الكلابية وابراهيم بن علي وامه ام ولد وعبدالله بن علي وخمسة من بني عقيل وابنان لعبدالله الحسين جعفر عون ومحمد وثلاثة من بنى هاشم ونساء من نسائهم وفيهم فاطمة بنت الحسين بن علي وفيهم محمد بن الحسين بن علي .

(قدوم من أسر من آل علي على يزيد)

قال وذكروا ان ابامعشر قال : حدثني محمد بن الحسين بن علي قال دخلنا على يزيد ونحن اثنا عشر غلاما مغللين في الحديد وعلينا قميص فقال يزيد اخلصتم انفسكم بعبيد اهل العراق وما علمت بخروج ابى عبدالله حين خرج ولا بقتله حين قتل . قال فقال علي بن الحسين : ما اصاب من مصيبة في الارض ولا فى انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما

نا كم والله لايحب كل مختال فخور . قال فغضب يزيد وجعل يعبث بلحيته وقال : وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير. ياأهل الشام ماترون فى هؤلاء. فقال رجل من اهل الشام لا تتخذون من كلب سوء جروا. فقال النعمان بن بشير ياأمير المؤمنين اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رآهم بهذه الحال فقالت فاطمة بنت الحسين يايزيد بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى يزيد حتى كادت نفسه تفيض وبكى اهل الشام حتى علت اصواتها ثم قال حلوا عنهم واذهبوا الى الحمام واغسلوهم واضربوا عليهم القباب ففعلوا وامال عليهم المطبخ وكساهم وأخرج لهم الجوائز الكثيرة من الاموال والكسوة ثم قال لو كان بينهم وبين عاض بطن امه نسب ماقتلهم ارجعوا الى المدينة قال فبعث بهم .

(اخراج بنى امية عن المدينة وذكر قتال اهل الحرة)

قال وذكروا فى قصة اخراج بنى امية عن المدينة قال بعث عثمان بن محمد امير المدينة الى يزيد بقميصه مشقوقا وكتب اليه : واغوثاه ان اهل المدينه اخرجوا قومنا من المدينة قال أبو معشر فخرج يزيد بعد العتمه ومعه شمعتان شمعة عن يمينه وشمعة عن يساره وعليه معصفرتان وقد نقش جبهته كأنما تدهن فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال : أما بعد ياأهل الشام فانه كتب الى عثمان بن محمد ان اهل المدينة أخرجوا قومنا من المدينه والله لان تقع الخضراء على الغبراء احب الى من هذا الخبر . قال وكان معاوية اوصى يزيد فقال له : ان رابك من قومك ريب او تنقص عليك منهم احد فعليك باعور بنى مرة فاستشره يعنى مسلم بن عقبة فلما كانت تلك الليلة قال يزيد ابن مسلم بن عقبه فقام فقال ها انا ذا قال عبىء ثلاثين الفاً من الخيل قال وكان معقل بن سنان الاشجعى نازلا على مسلم بن عقبه فقال له مسلم بن عقبه ان امير المؤمنين امرنى ان اتوجه الى المدينة فى ثلاثين الفاً فقال له استعفه قال لا قال : فاركب فيلا او فيلة وتكون ابا يكسوم فمرض مسلم قبل خروجه من الشام فادنف فدخل عليه يزيد بن معاويه يعوده قال له قد كنت وجهتك لهذا البعث وكان امير المؤمنين معاويه قد اوصانى بك واراك مدنفا فليس فيك سفر . فقال : ياامير المؤمنين انشدك الله ان لاتحرمنى اجراً ساقه الله الى انما انا امرؤ وليس بى بأس قال فلم يطق من الوجع ان يركب سيرا ولا دابة فوضع على سرير وحمله الرجال على اعناقهم حتى جاؤا مكانا يقال له البتراء فارادوا النزول به فقال لهم ماسم هذا المكان فقيل له البتراء فقال لاتنزلوا به ثم سار حتى حاجزه فنزل

به فارسل الى اهل المدينة ان امير المؤمنين يقرأ عليكم السلام و يقول انكم التم الاصل والعشيره والاهل فاتقوا الله وا سمعوا واطيعوا فان لكم عندي فى عهد الله وميثاقه عطاءين في كل سنه عطاء فى الصيف وعطاء في الشتاء ولكم عندى عهد الله وميثاقه ان اجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا والحنطه يومئذ سبع اصع بدرهم واما العطاء الذي ذهب به عنكم عمرو بن سعيد فعلى ان اخرجه لكم وكان عمرو بن سعيد قد اخذ اعطياتهم فاشترى بها عبيدا لنفسه فقالوا لمسلم نخلعه كما نخلع عمائمنا يعنون يزيد و كما نخلع نعالنا قال فقاتلوهم فهزم الناس اهل المدينه.

قال ابو معشر حدثنا محمد بن عمرو بن حزم قال قتل بضعة و سبعون رجلا من قريش وبضعة وسبعون رجلا من الانصار وقتل من الناس نحوا من اربعة آلاف وقتل اثنان لعبد الله بن جعفر وقتل اربعة او خمسة من ولد زيد بن ثابت اصلبيه فقال مسلم بن عقبة لاهل الشام كفوا ايديكم فخرج محمد بن سعد بن ابى وقاص يريد القتال فقاتلهم فقال مسلم بن عقبه انهبها ثلاثا قال فقتل الناس وفضحت النساء ونهبت الاموال فلما فرغ مسلم بن عقبة من القتال انتقل من منزله ذلك الى قصر بني عامر بدومة فدعا اهل المدينه من بقي منهم للبيعه قال فجاء عمرو بن عثمان بن عفان بيزيد بن عبد الله بن زمعه وجدته امسلمه زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمرو قال لام سلمه ارسلى معى ابن بنتك فجاء به الي مسلم فلما تقدم يزيد قال تبايع لعبد الله يزيد امير المؤمنين على انكم خول له ما افاء الله عليه باسياف المسلمين ان شاء وهب وان شاء اعتق وان شاء استرق قال يريد لانا اقرب الى امير المؤمنين منك قال والله لا تستقبلها أبدا فقال عمرو بن عثمان انشدك الله فانى اخذته من امسلمه بعهده وميثاقه ان ارده اليها قال فركضه برجله فرماه من فوق السرير فقتل يزيد بن عبد الله . ثم اتى محمد بن ابى جهم مغلولا فقال له مسلم انت القائل اقتلوا سبعه عشر رجلا من بني اميه لاترو شرا ابداً . قال : قد قلتها ولكن لا يسمع لقصير امر. فارسل يدي وقد برات مني الذمة انما نزلت بعهد الله وميثاقه قال لا والله حتي اقدمك الي النار قال فضرب عنقه وجاء معقل بن سنان الاشجعى وكان جالسا فى بيته فاتاه مائة رجل من قومه فقالوا له اذهب بنا الي الامير حتي نبايعه فقال لهم انى قد قلت له قولا وانا اتخوف فقالوا لا والله لا يصل اليك ابدا فلما بلغوا الباب ادخلوا معقل وحبسوا الاخرين واغلقوا الباب فلما نظر اليه مسلم بن عقبه قال انى ارى شيخا قد تعب وعطش اسقوه من البلبح الذى زودنى به امير المؤمنين قال فخاضوا له

بلحاً بعسل فشربه قال له اشربت قال نعم قال والله لاتبولها من مثانتك ابدا انت القائل اركب فيلا او فيله وتكون ابايكوم فقال معقل اما والله لقد تخوفت ذلك منك وانما غلبتني عشيرتي قال فجعل يفري جبة كانت عليه وكان اكره ان يلبسوها فضرب عنقه ثم سار الى مكة حتى اذا بلغ قفا المشلل ادنف فدعا الحصين بن نمير فقال له يا بن برذعة الحمار والله ماخلق الله احدا ابعض الي منك ولولا ان امير المؤمنين امرني ان استخلفك ما استخلفتك اتسمع قال نعم قال لا تكونن الاعلى الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف ولا تمكن قريشا من اذنك . ثم مات مسلم بن عقبه فدفن بقفا المشلل وكانت ام ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعه على اثره فخرجت اليه فنبشته من قبره ثم احرقت عليه النار واخذت اكفانه وشقتها وعلقتها بالشجرة فكل من مر عليه يرميه بالحجارة وسار الحصين حتي جاء الى مكة فدعاهم الى الطاعة وعبدالله بن الزبير يومئذ بمكة فلم يجيبه فقاتله فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلا من اخوته ومصعب بن عبد الرحمن والمسور بن مخزمه

(حرب ابن الزبير رضي الله عنهما)

قال وذكروا ان مسلم بن عقبه لما فرغ من قتال اهل المدينه يوم الحرة مضي الى مكة المشرفة يريد ابن الزبير حتى اذا كان ببعض الطريق حضره الوفاة فدعا الحصين بن نمير فقال له: أمير المؤمنين عصاني فيك فابى الا استخلافك بعدي فلا ترسلن بينك وبين قريش رسولا تمكنه من اذنيك انما هو الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف . وهلك مسلم بن عقبة ودفن بالثنية قال وسمع بهم عبدالله بن الزبير فاحكم مراصد مكة فجعل عليه المقاتلة وجاءه جند اهل المدينه وأقبل بن نمير حتي نزل على مكة وأرسل خيلا فاخذت اسفلها ونصب عليها العرادات والمجانيق وفرض على اصحابه عشرة آلاف صخرة في كل يوم يرمونها بها فقال الناس انظر ودلئلا يصيبه مااصاب اصحاب الفيل قال عبد الله ابن عمرو بن العاص وكان بمكة معتمراً قدم من الطائف لا تظن ذلك لو كان كافرا بها لعوقب دونها فاما اذا كان مؤمنا بها فسيبلى فيها فكان كما قال وحاصروهم لعشر ليال بقين من المحرم سنة اربع وستين فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهري ربيع يغدون على القتال ويروحون حتى جاءهم موت يزيد بن معاويه فارسل الحصين بن نمير الى ابن الزبير ان ائذن لنا نطوف بالبيت وننصرف عنكم فقد مات صاحبنا وقال ابن الزبير وهل تركتم من البيت الامدرة وكانت المجانيق قد اصابت ناحية البيت فهدمته مع الحريق الذى اصابه فمنعهم ان يطوفوا بالبيت . فارتحل الحصين حتي اذا

كان بعسفان تفرقوا وتبعهم الناس يأخذونهم ان كانت الراعيه في غنمها لتاتى بالرجل منهم مربوطا فيبعث بهم الى المدينه واصاب منهم أهل المدينه حين مروابهم ناسا كثيراً فحبسوا بالمدينه حتى قدم مصعب بن الزبير عليهم من عند عبد الله بن الزبير فاخرجهم الى الحرة فضرب اعناقهم وكانوا اربعمائه واكثر وانصرف ذلك الجيش الى الشام مفلولا وبايع اهل المدينة لابن الزبير بالخلافة وكان ابن عباس بمكة يومئذ فخرج الى الطائف فهلك بها سنة سبعين وهو يومئذ ابن اربع وسبعين سنة رضي الله عنه

(خلافة معاويه بن يزيد)

قال فلما مات يزيد بن معاوية استخلف ابنه معاويه بن يزيد وهو يومئذ ابن ثمانى عشرة سنه فلبث واليا شهرين وليالى محجوبا لا يرى ثم خرج بعد ذلك فجمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس انى نظرت فيما صار الى امركم وقلدته من ولايتكم فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي ان اتقدم على قوم وفيهم من هو خير مني واحق بذلك وأقوى على ماقلدته فاختار وامني احدى خصلتين اما ان اخرج منها واستخلف عليكم من اراه لكم رضي ومقنعا ولكم الله على لا آلوكم نصحاً في الدين والدنيا واما ان تختار والانفسكم وتخرجوني منها . قال فانف الناس لذلك من قوله وابوا من ذلك وخافت بنو اميه ان تزول الخلافة منهم فقالوا ننظر في ذلك يا امير المؤمنين ونستخير الله فامهلنا قال لكم ذلك وعجلوا على قال فلم يلبثوا بعدها الا اياما حتى طعن فدخلوا عليه فقالوا له استخلف على الناس من تراه لهم عند الموت تريدون ذلك لا والله لا أزودها ماسعدت بحلاوتها فكيف اشقى بمرارتها ثم هلك رحمه الله ولم يستخلف أحد فقالوا لعثمان بن عنبسه تقدم فصل بالناس فأبى وقال لا أما أنا فلاحق بخالى عبد الله بن الزبير فقال له ابن زياد ان هذا ليس بزمان خالك ولا عمك فلما دفن معاوية بن يزيد وسوي عليه وبنو أمية حول قبره قال مروان اما والله يابني أمية انه لابو ليلى ثم قال : * الملك بعد ابى ليلى لمن غلبا * وماج أمر بني اميه واختلفوا

(غلبة ابن الزبير رضي الله عنهما وظهوره)

قال وذكروا ان ابا معشر قال حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا قتال ابن الزبير قال : لما نزل الحصين بمكة وغلب عليها كلها الا المسجد الحرام قال فانه لجالس مع ابن الزبير ومعه من القرشيين عبد الله بن مطيع والمختار بن عبيد والمسور بن مخرمه والمنذر ابن الزبير ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف في نفر من قريش قال فقال المختار بن عبيد وهبت رويحة والله انى لاجد النصر فى هذه الرويحه فاحملوا عليهم قال فحملوا عليهم حتى

اخرجوهم من مكة وقتل المختار رجلا وقتل ابن مطيع رجلا فجاءه رجل من اهل الشام في طرف سنان رمحه نار قال وكان بين موت يزيد بن معاويه وبين حرق الكعبه احدي عشرة ليله ثم التحمت الحرب عند باب بني شيبه فقتل يومئذ المنذر بن الزبير ورجلان من اخوته ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف والمسور بن مخرمه وكان الحصين قد نصب المجانيق على جبل ابي قبيس وعلى قيقعان فلم يقدر احد ان يطوف بالبيت واسند ابن الزبير الواحا من الساج الى البيت والقي عليها القطائف والفرش فكان اذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت فكانوا يطوفون تحت تلك الالواح فاذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطائف كبروا وكان طول الكعبة في السماء ثمانية عشر ذراعا. وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطا في ناحية من المسجد فكلما جرح احد من الصحابة ادخله ذلك الفسطاط

﴿حريق الكعبة﴾

قال فجاء رجل من طرف سنان رمحه نار فاستعملها في الفسطاط فوقعت النار على الكعبه فاحترق الخشب وانصدع الركن واحترقت الاستار وتساقطت الى الارض قال ثم قتل اهل الشام اياما بعد حريق الكعبة واحترقت في ربيع الاول سنة اربع وستين. قال فما احترقت جلس اهل مكة في ناحية الحجر ومعهم ابن الزبير واهل الشام يرمونهم بالنبل قال فوقعت بين يديه نبلة فقال: في هذه خير فأخذوها فوجدوا بها مكتوبا مات يزيد بن معاويه يوم الخميس رابع عشر ليلة خلت من ربيع. فلما قرأ ذلك ابن الزبير قال يا اهل الشام يامحرقي بيت الله يامستحلي حرم الله علام تقاتلون وقد مات طاغيتكم يزيد بن معاويه فاتاه الحصين ابن نمير فقال له موعدك بالبطحاء الليلة يا ابا بكر فلما كان الليل خرج ابن الزبير باصحابه وخرج الحصين باصحابه الى البطحاء ينحى كل واحد عن اصحابه وانفرادا فقال الحصين يا ابا بكر قد علمت اني سيد اهل الشام لا ادفع عن ذلك وان اعنة خيلهم بيدي فاذا اهل الحجاز قد رضوا بك فبايعك الساعه على ان تهدر كل شيء اصبناه يوم الحرة وتخرج معي الى الشام فاني لا احب ان يكون الملك في الحجاز. قال لا والله لا افعل لا اؤمن من اخاف الناس واحرق بيته وانتهك حرمة الله فقال الحصين بلى فافعل فعلى الا يختلف عليك اثنان فابى ابن الزبير فقال الحصين لعنك الله ولعن من زعم انك سيد والله لا تفلح ابداً اركبوا يا اهل الشام فركبوا وانصرفوا. قال فحدثني من شهد انصرافهم قال والله لقد كانت الوليده لتخرج فتاخذ الفارس مايمتنع. قال ابو معشر: وذلك ان المنهزم لا فؤاد له. قال فبايع

اهل الشام كلهم ابن الزبير الا اهل الاردن وبايع اهل مصر ابن الزبير وغلب على اهل العراق والحجاز واليمن وغلظ امره وعظم شانه واستخلف ابن الزبير الضحاك ابن قيس على اهل الشام

﴿ اختلاف اهل الشام على ابن الزبير ﴾

قال وذكروا ان ابن الزبير لما استخلف الضحاك على اهل الشام قام ناس من اهل الشام من رؤوس قريش بني اميه واشرافهم وفيهم روح بن زنباع الجذامى فقال بعضهم ان الملك كان فينا اهل الشام افينتقل ذلك الى اهل الحجاز لا نرضى بذلك هل لكم ان تأخذوا رجلا منا فينظر في هذا الامر نعم فجاؤا الى خالد بن يزيد بن معاويه وهو غلام حدث السن فقيل له ارفع راسك لهذا الامر فقال استخير الله وانظر فرأي القوم انه ذو وهل عن القيام في ذلك فخرجوا فاتوا عمرو بن سعيد فقالوا له يا ابا امية ارفع راسك لهذا الامر فجعل يسب ويقول والله لا افعل لا افعل فلما خرجوا من عنده قالوا هذا حديد عاق فاتوا مروان بن الحكم فاذا عنده مصباح واذا هم يسمعون صوته بالقرآن فاستاذنوا ودخلوا عليه فقالوا له يا ابا عبد الملك ارفع راسك لهذا الامر فقال استخير الله واسأله ان يختار لامة محمد خيرها واعدلها ما شاء الله

﴿ بيعه اهل الشام مروان بن الحكم ﴾

قال وذكروا ان روح بن زنباع قال لمروان بن الحكم ان معي اربعمائة رجل من جذام وسآمرهم ان يبتدوا في المسجد غدا فمر ابنك عبد العزيز ان يخطب ويدعوهم اليك وانا آمرهم ان يقولوا صدقت فيظن الناس ان امرهم واحد قال فلما اصبح عبد العزيز خرج على الناس وهم مجتمعون فقام فحمد الله واثني عليه ثم قال : ما احد اولى بهذا الامر من مروان بن الحكم انه لكبير قريش وشيخها وافرطها عقلا وكمالا ودينا وفضلا والذي نفسي بيده لقد شاب شعر ذراعيه من الكبر فقال خالد ابن يزيد : امر قضي بليل . فبايعوا مروان بن الحكم فقال عمرو بن سعيد للضحاك ابن قيس أرضيت ان تكون بريدا لابن الزبير وانت اكبر قريش وسيدها تعالى نبايعك فخرج به الى مرج راهط فلما دعا الى البيعة اقتتلوا فقتل الضحاك بن قيس فقال عمرو بن سعيد لاهل الشام ما صارت ايديكم الا مناديل من جاء ثم مسح يده بها ان مروان سيد قريش واكبرهم سنا فبايعوا مروان بن الحكم وقتل الضحاك بن قيس وهزم اصحابه وكانت قيس مع الضحاك وكانت اليمن مع عمرو ابن سعيد فمكث مروان ماشاء الله ان يمكث ثم قال لاصحابه والله ما نتخوف الا خالد

ابن يزيد بن معاوية وانك ان تزوجت أمه كسرته وامه ابنة بنى هاشم بن عقبة بن ربيعة فخطبها مروان بن الحكم فتزوجها واقام بالشام ثم اراد ان يخرج الى مصر قال لخالد اعرني سلاحا ان كان عندك قال فاعاره سلاحا وخرج الى مصر فقاتل اهل مصر وسبا ناسا كثيرا فافتدوا منه ثم قدم الشام

﴿ موت مروان بن الحكم ﴾

قال وذكروا ان مروان بن الحكم لما قدم الشام من مصر قال له خالد بن يزيد بن معاويه اردد الى سلاحي فابى عليه مروان فالح عليه وكان مروان فاحشا سبابا وقال له يا ابن الربوخ يا اهل الشام ان ام هذا ربوخ يا ابن الرطبه قال فجاء ابنها اليها قال هذا ما صنعت اى سبني مروان على رؤس اهل الشام وقال هذا ابن الربوخ قال وكان مروان استخلف حين خرج الى مصر ابنه عبد الملك وعبد العزيز ابنه ما يكونا بعده وبايع لهما اهل الشام فلبث مروان بعد ذلك ايالى بعدما قال لخالد بن يزيد ما قال ثم جاء الى ام خالد فرقد عندها فامرت جواريها فطوين عليه الوسائد ثم غطته حتي قتلته ثم خرجن يصحن ويشققن جيوبهن يا امير المؤمنين قال فقام عبد الملك فبايع لنفسه ووعد عمرو ابن سعيد ان يستخلفه فبايعه واقاموا بالشام

﴿ بيعة عبد الملك بن مروان وولايته ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان بايع لنفسه ووعد الناس خيرا ودعاهم الى احياء الكتاب والسنة واقامة العدل والحق وكان معروفا بالصدق مشهورا بالفضل والعلم لا يختلف في دينه ولا ينازل فى ورعه فقبلوا ذلك منه ولم يختلف عليه من قريش احد ولا من اهل الشام فلما تمت بيعته خالفه عمرو ابن سعيد الاشدق فوعده عبد الملك ان يستخلفه بعده فبايعه على ذلك وشرط عليه ان لا يقطع شيئا دونه ولا ينفذ امرا الا بحضره فاعطاه ذلك ثم ان عبد الملك بعث حبيش بن دجلة الى المدينه في سبعة آلاف رجل فدخل المدينه وجلس على المنبر الشريف فدعى بخبز ولحم فاكل على المنبر ثم أوتي بماء فتوضأ على المنبر قال ابو معشر فحدثنى رجل من أهل المدينه يقال أبو سلمة قال شهدت حبيش ابن دجله يومئذ وقد ارسل الى جابر بن عبد الله الانصارى فدعاه فقال تبايع لعبد الملك امير المؤمنين بالخلافة عليك بذلك عهد الله وميثاقه واعظم ما اخذ الله على احد من خلقه بالوفاء فان خالفت فاهرق الله دمك على الضلاله فقال له جابر بن عبد الله انك أطوق على ذلك مني ولكني أبايعك ما بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبيه على السمع والطاعة قال ثم ارسل الى عبد الله بن عمر فقال له تبايع لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين على

السمع والطاعة فقال ابن عمر اذا اجتمع الناس عليه بايعت له ان شاء الله ثم خرج ابن دجله من يومه ذلك نحو الربذه وقام في اثره رجلا احدهما على اثر الاخر مع كل واحد منهما جيش وكل واحد منهما يصعد المنبر ويخطب ثم خرجوا جميعا الى الربذه وذلك في رمضان سنة خمس وستين فاجتمعوا بها واميرهم ابن دجلة وكتب ابن الزبير الى عباس بن سهل الساعدي بالمدينة ان اسر الى حبيش بن دجلة واصحابه في ناس فصار حتى لقيهم بالربذة فى شهر رمضان وبعث الحارس بن عبد الله بن ربيعه من البصرة مددا الى ابن الزبير حنيف بن السجف في تسعمائة رجل فساروا حتى انتهوا الى الربذة فبات اهل البصرة يقرأون القرآن ويصلون ليلتهم حتى اصبحوا وبات الاخرون فى المعازف والخمور فلما اصبحوا قال لهم حبيش بن دجله اهريقوا ماءكم حتى تشربوا من سويقكم المتقد فاهرقوا الماء وغدوا الى القتال فقتل حبيش ومن معه من اهل الشام خمسمائة رجل على عمود الربذة وهو الجبل الذي بها. قال وكان يوسف ابو الحجاج مع ابن دجله قال واحاط بهم عباس ابن سهل فقال انزلوا على حكمى فنزلوا على حكمه فضرب اعناقهم

﴿غلبة ابن الزبير على العراقين وبيعتهم﴾

قال وذكروا ان عباس بن سهل لما فرغ من قتال اهل الشام رجع المدينه فجدد البيعه لابن الزبير فسارعوا اليها ولم يتثبطوا وقدم اهل البصرة على ابن الزبير بمكة فكانوا معه وكان عبد الله ابن الزبير استعمل الحارث بن عبد الله أبى ربيعه على البصرة فلما قدمها قيل له ان الناس يقطعون الدراهم حتى يجعلونها كانها اصغار فقال لهم هلم سبعة ثقالا فاتوه بسبعة ثقال فقال هذه بعشرة فزنوا كيف شئتم قال فأتوا بالمكيال الذي يكيلون به فقال هذا قريب صالح ثم قيل له ان أهل البصرة لا يصلحهم الا القتل. فقال لان تفسد البصرة أحب الي من ان يفسد الحرث والنسل قال فبعث ابن الزبير حمزة بن عبد الله بن الزبير الى البصرة عاملا فاستحقره اهل البصرة فبعث مصعب بن الزبير فقدم عليهم فقال أهل البصرة لا يقدم عليكم احد الا لقيتموه وانا القب لكم نفسي انا القصاب ثم صار الي المختار فقتله

﴿بيعة أهل الكوفة لابن الزبير وخروج ابن زياد عنها﴾

قال وذكروا عن بعض المشيخة من أهل العلم بذلك قالوا كان ابن زياد أول من ضم اليه الكوفة والبصرة وكان ابوه زياد كذلك قبله فلم يزل عبيد الله يتبع الخوارج ويقتلهم ويأخذ على ذلك الناس بالظن ويقتلهم بالشبهة واستعمد الى عامتهم وكان بعضهم له على ما يحب. قال فلما اختلف أمر الناس ومات يزيد واستعمد سلطان ابن الزبير وغلظ شاتة وعظم

امره وخلع اهل البصرة طاعة بني امية وبايعوا ابن الزبير خرج عبيد الله ابن زياد الى المسجد فقام خطيباً فحمد الله واثنى عليه وقال : أيها الناس ان الذى كنا نقاتل على طاعته قدمات واختلف أمر الناس و تشتت كلمتهم وانشقت عصاهم فان امرتموني عليكم حبيت فيكم وقاتلت عدوكم وحكمت بينكم وأنصفت مظلومكم وأخذت على يد ظالمكم حتى يجتمع الناس على خليفة. فقام يزيد بن الحارث بن رويم اليشكري وقال الحمد لله الذى اراحنا من بني أمية وأخرى من ابن سمية لا والله ولا كرامة فامر به عبيد الله فلبب ثم انطلق به الى السجن فقامت بكر بن وايل فحالت بينه وبين ذلك ثم خرج الثانية عبيد الله بن زياد الى المنبر فخطب الناس فحصبه الناس ورموه بالحجارة وسبوه وقام قوم فدنوا منه فنزل فاجتمع الناس فى المسجد فقال نؤمر رجلا حتى يجتمع الناس على خليفة فاجتمع رأيهم على ان يؤمر واعمرو بن سعد بن ابى وقاص وكان الذين قاموا بامره هذا الحى الذى من كندة فبيناهم على ذلك اذا اقبل النساء يبكين وينعين الحسين واقبلت همدان حتى ملؤا المسجد فأطافوا بالمنبر متقلدين بالسيوف واجمع رأى أهل البصرة والكوفة على عامر بن مسعود ابن أمية بن خلف فامروه عليهم حتى يجتمع الناس وكتبوا الى عبد الله بن الزبير يبايعونه بالخلافه فاقر عبد الله بن الزبير عاملا عليهم نحواً من سنة واستعمل العمال فى الامصار فبلغ أهل البصرة ماصنع اهل الكوفة فاجتمعوا واخرجوا الرايات فلم يبق احد الا خرج وذلك لسوء اثار عبيد الله بن زياد فيهم يطلبون قتله ثم قام ابن ابى ذؤيب فقال : ياهؤلاء من ينصر الله ينصر الكعبة من يغار على ابن سمية سارعوا ايها الناس الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض واجتنبوا هذه الدعوة واقيموا اودهذه البيعة فانها بيعة هدى فانه من قد علمتم عبد الله بن الزبير خواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته وان اسماء بنت ابى بكر الصديق اما والله لوان ابابكر علم انه بقي على الارض من هو خير منه واولي بهذه البيعة مامديده ولا نازعته اليها نفسه اما والله لقد علمتم ما احد على وجه الارض خير ولا احق بها الا هذا الشيخ عبد الله بن عمر والمتبريء من الدنيا المعتزل عن الناس الكاره لهذا الامر ثم خرجت الخوارج من سجون عبيد الله بن زياد واجتمعوا على حدة والقبائل كل قبيلة فى المسجد معتزلة على حدة وعبيد الله بن زياد فى القصر وقد اخذ بابوابه وقد منع ان يدخل القصر احد وقد اخذ العرب بافواه السكك والدروب وكان عبيد الله أول من جفا العرب وأخذ منهم المحاربة اثني عشر الفا ليعتز بهم فوالله مازادوه الا ذلا فلما راي ذلك عبيد الله ابن زياد لم يدر كيف يصنع رخاف تميما وبكر بن وائل ان يستجير بهم

ولم يامن غدرهم فارسل الى الحارث بن قيس الجهمي من الازد فدخل عليه الحارث قال ياحارث قد اكرمتم زياداً وحفظتم منه ما كنتم أهله وقد استجرت بكم فاشدكم الله في قال الحارث اخاف ان لا تقدر على الخروج اليها لما راي من سوء راى العامة فيك مع سوء آثارك في الازد قال فهيا عبيد الله فلبس لبس امرأة في خمرتها وعقيصتها فاردفه الحارث خلفه فخرج به على الناس فقالوا ياحارث ما هذه قال تنحو رحمكم الله هذه امرأة من اهلي كانت زائرة لاهل ابن زياد أتيت اذهب بها فقال عبيد الله للحارث اين نحن قال في بني سليم فقال سلمنا الله قال ثم سار قليلا ثم قال اين نحن قال في بني ناجية من الازد قال نجونا ان شاء الله قال وأتى به مسعود بن عمرو وهو يومئذ سيد الازد فقال يا أبا قيس قد جئتك بعبيد الله مستجيراً قال ولم جئتني بالعبد قال انشدتك الله قد اختارك على غيرك فلما رآهم عبيد الله يتراضون ويتناشدون قال قد بلغني الجهد والجوع فقال مسعود ياغلام ائت البقال فاتنا من خبزه وتمره قال فجاء به الغلام فوضع قال فاكل وانما اراد ابن زياد ان يتحرم طعامه ثم قال أدخل فدخل ومنارات الناس يومئذ من القصب وكان منزل مسعود يومئذ قاصية قال وكان عبيد الله خاف فقال ياغلام اصعد الى السطح بحزمة من قصب فاشعل اعلاه ناراً ففعل ذلك في جوف الليل فاقبلت الازد على الخيل وعلى اوجالها حتى شحنوا السكك وملؤها فقالوا ما لسيدنا قال شيء حدث في الدار قال فعرف عبيد الله عزته ومعرفته وماهو عليه قال هذا والله العز والشرف فاقام عنده اياما وعنده امرأتان امرأة من الازد وامرأة من عبد قيس فكانت العبدية تقول اخرجوا العدو وكانت الازدية تقول استجار بك على بغضه اياك وجفوته لك وتحدث الناس انه لجأ الى مسعود بن عمرو فاجتمعت القبائل في المسجد والخوارج وهم في اربعة آلاف فقال ابن مسعود ما أظنني الا خارجا الى البصرة معتذراً اليهم من أمر عبيد الله ثم قال وكيف آمن عليه وهو في منزله ولكني أبلغه مأمنه ثم اعتذر اليهم قال وكان مسعود قد اجار عنده ابن زياد أربعين ليلة . قال فاقبل مسعود يوما على برذون له وحوله عدة من الازد عليهم السيوف وقد عصب رأسه بسير احمر قال الهيثم فقلت لابن عباس لم عصب رأسه بسير أحمر قال قد سألت عن ذلك قبلك شيخ من الازد ضخم الهامه وكانت له صفيرتان فعصب لذلك بالسير . قال ابن عباس فذكرت ذلك لعمرو بن هرم وكان معنا بواسط فقال : حدثك من لا يعرف ، هذا شيء كانت العرب تصنعه اذا أراد الرجل الاعتذار من الذنب عصب السير ليعلموا انه معتذر قال فاقبل مسعود حتى انتهى الى باب المسجد ومعه اصحابه رجاله بين يديه وخلفه وكان كبيراً فلم يستطع النزول والقبائل في المسجد باجمها فدخل المسجد بدابته فبصرت به الخوارج فظنوا انه

عبيدالله فاقبلوا نحوه متقلدين السيوف وجال الناس جولة فضربوه باسيافهم حتى مات . قتله نفر من بني حنيفه من الخوارج وجال الناس ونهضوا من مجالسهم وبلغ ذلك الازد فاقبلوا على كل صعب وذلول وأقبل عباد ابن الحصين لينظر الى عبيدالله فاذا هو بمسعود فقال . مسعود ورب الكعبه انالله وانا اليه راجعون اباقيس قد وفيت ما كان اغني اهل مصر لك بما صنعت من ذلك فحملتهم بنفس ثم القي عليه كساء ثم اقبلت الازد فكان بينه وبين مضر ماوقع ذكره في غير هذا الكتاب حتى اصطلحوا وتراضوا على بيعة ابن الزبير قال الهيثم قال ابن عباس حدثني عوكل اليشكري قال : انا مع عبيدالله ابن زياد في الليلة التي هرب فيها فاذا نحن بنار من بعد فقال عبيدالله ياعوكل كيف الطريق قال اجعل النار على حاجبك فحول على حاجبك . قال عوكل : فوالله انا نسير بالسماوه اذ قال عبيدالله قد كرهت البعير فابغوا لي ذا حافر قال فاذا نحن باعرابي من كلب معه حمار أقمر ضخم فقلت تبيعه بكم قال بار بعمائه درهم لا انقصكم درهما فاشار الينا عبيدالله ان خذوه قال حملنا ننقده الدراهم قال لست ادرى ماهذه ولكن بيني وبينكم هذا المولي يعني عبيدالله ابن زياد وكان عبيدالله احمر أقمر شبيها بالموالي قال فاخذناه منه فقال عبيدالله ارحلوا الى علبا فرحلنا له عليه فلما قدم ليركب قال الاعرابي أنا أقسم بالله ان لكم شأنا وما أظن صاحبكم الا المارق فتقفاه عبيدالله بالعصا فضربه بها فوقع ثم شدوه وثاقا قال وجعلوا يتجنبون المياه قال عوكل ثم ان عبيدالله بيناهو على راحلته اذ هجعت عينه فقلت له اراك نائما قال لا ما كنت بنائم فقلت له ما اعلمني بما كنت تحدث به نفسك قال وباي شيء كنت احدث به نفسي قال قلت : ليتني لم ابن البيضاء ولم استعمل الدهاقين وليتني لم تحذ الخارجه . قال ماخطر لي هذا على بال اما قولك ليتني لم أبن البيضاء فما كان على منها ما اهلها يبرونه من مئله واما استعمال الدهاقين فقد استعملهم ابي ومن كان قبله وامن لحارثه فبينة ما المختمين الا عن ناية لاني كنت أقتل بهم اهل المعصيه فلو امرت عشائرهم بقتلهم ولثقل ذلك عليهم فجعلت ذلك بيني وبينهم من الى بينه وبينهم ولكني كنت احدث نفسي اني ندمت على ترك اربعة آلاف في السجن من الخوارج فوددت اني كنت اضربت البيضاء عليهم حتى اتي على آخرهم ووددت اني جمعت آل بيتي ومواليي ونابذت اهل المصر على سواء حتي يموت الاعجل ووددت اني قدمت الشام ولم يبايع اهلها بعد.

﴿قتل المختار عمرو بن سعيد﴾

قال وذكروا ان بن المختار بن ابي عبيد كتب الى عبد الله بن الزبير من الكوفه وقال لرسوله : اذا جئت مكة فدفعت كتابي الي عبدالله بن الزبير فات المهدي محمد بن علي وهو ابن الحنفيه فاقريء عليه مني السلام وقل له يقول لك اخوك ابواسحق اني احبك واحب

اهل بيتك قال فاتاه الرسول فقال له ذلك فقال كذبت وكذب ابو اسحاق معك كيف يحبني ويحب اهل بيتي وهو مجالس عمرو بن سعد بن ابي وقاص على وسادة وقد قتل الحسين بن علي اخي . قال فلما قدم عليه رسوله اخبره بما قال محمد بن علي ، فقال المختار لابن عمرة صاحب حرسه استأجر لي نوائح يبكين الحسين على باب عمرو بن سعد بن ابي وقاص قال ففعل فلما جئن يبكين الحسين قال عمرو لابنه حفص يا ابني قل له ما شان النوائح يبكين الحسين . قال فأتاه فقال له ذلك فقال له هل لا كان تبكي عليه فقال اصلحك الله انههن عن ذلك قال نعم . ثم دعا بأبي عمرة فقال له اذهب الى عمرو بن سعد فأتني براسه قال فاتاه فقال قم الى ابا حفص فقام اليه وهو متحف فجلله بالسيف ثم جاء براسه الى المختار وحفص جالس عنده على الكرسي فقال هل تعرف هذا الراس قال نعم رحمة الله عليه ، قال اتحب ان الحقك به قال وما خير الحياة بعده . قال فضرب راسه فقتله قال ثم ارسل عبدالله ابن الزبير يزيد بن زياد على العراق فكان بالكوفة حتى مات يزيد واحرقت الكعبة ورجع الحسين هاربا الى الشام . قال ثم ارسل عبد الله ابن مطيع الى الكوفة ثم بعث المختار ابن ابي عبيد على الكوفة وعزل عبدالله بن مطيع وسيره الى المدينة وسار عبيدالله بن زياد بعد ذلك الى المختار . وجه عبد الملك بن مروان اميراً على العراق وندب معه جيشاً عظيما من اهل الشام فاقبل الى الكوفة يريد المختار فلقيهم المختار فاقتتلوه فقتل المختار عبيد الله بن زياد ومن معه وقتل معه الحصين بن نمير وذا الكلاع وغابة من كان معه ممن شهد وقعة الحرة من رؤوسهم

﴿ قتل مصعب ابن الزبير المختار بن ابي عبيدالله ﴾

قال وذكروا ان ابا معشر قال لما قتل عبيد الله بن زياد ومن معه ارتضى اهل البصرة عبدالله ابن الحارث بن نوفل فامروه على انفسهم ثم اتى عبدالله بن الزبير وام عبد الله ابن الحارث هند بنت ابي سفيان وكانت امة تنقذه وهو صغير ببه فلقب ببه ثم بعث عبد الله بن الزبير الحارث بن عبيدالله بن ابي ربيعة عاملاً على البصرة ثم بعث حمزة بن الزبير بعده ثم بعث مصعب بن الزبير اخاه وضم اليه العراقين جميعا الكوفة والبصرة فلما ضم اليه الكوفة وعزل المختار عبدالله بن الزبير بالكوفة ودعا الى آل الرسول فاراد ان يعقد البيعة لمحمد بن الحنفية ويخلع عبدالله ابن الزبير فكتب عبدالله الى اخيه مصعب ان سر الى المختار بمن معك ثم لا تبلعه ريقه ولا تمهله حتى يموت الاعجل منكما فاتاه مصعب بمن معه فقاتله ثلاثة ايام حتى هزمه وقتله وبعث مصعب براس المختار الى اخيه وقتل مصعب اصحاب المختار . قتل منهم ثمانية آلاف صبراً ثم قدم حاجا في سنة احدى وسبعين فقدم على عبد الله بن الزبير ومعه رؤساء أهل العراق ووجوههم واشرافهم فقال . يا أمير المؤمنين قد جئتك برؤساء اهل العراق واشرافهم كل مطاع في قومه وهم

الذين سارعوا الى بيعتك وقاموا باحياء دعوتك ونابذوا اهل معصيتك وسعوا فى قطع عدوك فاعطهم من هذا المال . فقال له عبد الله بن الزبير : جئتني بعبيد اهل العراق وتأمرني ان اعطيهم مال الله لا افعل ، وايم الله لوددت اني اصرفهم كما تصرف الدنانير بالدراهم عشرة من هؤلاء برجل من اهل الشام . قال فقال رجل منهم علفناك وعلقت اهل الشام ثم انصرفوا عنه وقد يئسوا مما عنده لا يرجون رفده ، ولا يطمعون فيما عنده فاجتمعوا واجمعوا على خلعه فكتبوا الى عبد الملك ابن مروان ان اقبل الينا.

﴿خلع ابن الزبير﴾

قال وذكروا ان ابا معشر قال لما اجمع القوم على خلع ابن الزبير وكتبوا الي عبد الملك بن مروان ان سر الينا فلما اراد عبد الملك ان يسير اليهم وخرج من دمشق فاغلق عمرو ابن سعيد باب دمشق فقيل لعبد الملك ماتصنع اتذهب الي اهل العراق وتدع دمشق ، اهل الشام اشد عليك من اهل العراق فاقام مكانه فحاصر اهل دمشق اشهر حتي صالح عمرو ابن سعيد على انه الخليفة بعده ففتح دمشق ثم ارسل عبد الملك الى عمرو وكان بيت المال فى يد عمرو ان اخرج للحرس ارزاقهم فقال عمرو ان كان لك حرس فان لنا حرسا فقال عبد الملك اخرج لحرسك ارزاقهم أيضاً

﴿قتل عبد الملك عمرو بن سعيد﴾

قال وذكروا ان ابا معشر قال : لما اصطلح عبد الملك وعمرو بن سعيد على انه الخليفه بعده ارسل عبد الملك الى عمرو بن سعيد نصف الليل ائتني ابا امية قال فخرج ليأتيه فقالت له امرأته لا تذهب اليه فاني اتخوفه عليك واني لاجد ريح دم مسفوح قال فما زالت به حتى ضربها بقائم سيفه فشجها فتركته فأخرج معه اربعة آلاف رجل من اهل دولته لا يقدر على مثلهم متسلحين فاحدقوا بخضراء دمشق وفيها عبد الملك بن مروان فقالوا لعمرو واذا دخلت على عبد الملك يا ابا امية ورابك منه شيء فاسمعنا صوتك فقال لهم اني اختي عليكم صوتي ولم تسمعوه فالزوال بيني وبينكم ميعاد . ان زالت الشمس ولم اخرج اليكم فاعلموا اني مقتول او مغلوب فضعوا اسيافكم ورماحكم حيث شئتم ولا تغمدوا سيفا حتي تأخذوا بثاري من عدوي قال فدخل وجعلوا يصيحون يا ابا امية اسمعنا صوتك وكان معه غلام اشحم شجاع فقال له اذهب الى الناس فقل لهم ليس عليه باس ليسمع عبد الملك ان وراءه ناس فقال له عبد الملك امكر يا ابا امية عند الموت خذوه فاخذوه فقيل له ان امير المؤمنين

قد اقسم ليجعلن فى عنقك جامعة منه ثم نشروه الى الارض لشرة فكسرت ثنيته قال فجعل عبد الملك ينظر اليه فقال عمرو لاعليك ياأمير المؤمنين عظم انكسر فقال عبد الملك لاخيه عبد العزيز اقتله حتى ارجع اليك قال فلما اراد عبد العزيز ضرب عنقه قال له عمرو وتمسك بالرحم ياعبد العزيز انت تقتلني من بينهم فتركه فجاء عبد الملك فرآه جالساً فقال له لم لا تقتله لعنه الله ولعن اما ولدته قال فانه قال تمسك بالرحم فتركته قال فامر رجلا عنده يقال له ابن الزويدع فضرب عنقه ثم أدرجه فى بساط وادخله تحت السرير فدخل عليه قبيصة بن ذؤيب الخزاعى وكان احد الفقهاء وكان رضيع عبد الملك بن مروان صاحب خاتمه ومشورته فقال له عبد الملك كيف رأيك فى عمرو بن سعيد قال رقبيصة رجل عمرو تحت السرير فقال اضرب عنقه ياأمير المؤمنين فقال له عبد الملك جزاك الله خيراً ما علمتك الا ناصحا امينا موافقا قال له فما ترى في هؤلاء الذين احدقوا بنا واحاطوا بالقصر قال قبيصة: اطرح رأسه اليهم ياامير المؤمنين ثم اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها فامر عبد الملك برأس عمرو ان تطرح اليهم من اعلى القصر فطرحت اليهم وطرحت الدنانير ونثرت الدراهم ثم هتف عليهم الهاتف ينادي : ان امير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والامر النافذ ولكم على امير المؤمنين عهد الله وميثاقه ان يحمل راجلكم ويكسو عاريكم ويغني فقيركم ويبلغكم الى اكمل مايكون من العطاء والرزق ويبلغكم الي المائتين فى الديوان فاعترضوا على ديوانكم واقبلوا امره واسكنوا الى عهده يسلم لكم دينكم ودنياكم . قال فصاحوا نعم نعم سمعاً وطاعة لامير المؤمنين . قال فلما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بالشام أراد ان يخرج الي مصعب فجعل يستفز أهل الشام فيبطؤن عليه فقال له الحجاج بن يوسف وكان يومئذ في حرس ابان بن مروان :ياأمير المؤمنين سلطني عليهم فاعطاه ذلك فقال له عبد الملك اذهب قد سلطتك عليهم قال فكان لايمر على بيت رجل من أهل الشام تخلف الا احرق عليه بيته فلما رأى ذلك اهل الشام خرجوا قال فاصابهم من ذلك غلاء فى الاسعار وشدة من الحال وصعوبة من الزمان قال وكانوا يصنعون لعبد الملك بن مروان الارز . فسار باهل الشام الى العراق ومعه الحجاج ابن يوسف

﴿مسير عبد الملك الى العراق وقتله﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما سار باهل الشام ومعه الحجاج بن يوسف الى العراق خرج مصعب ابن الزبير باهل البصرة والكوفة فالتقيا بين الشام والعراق وكان

عبد الملك ومصعب قبل ذلك متصافين وصديقين متحابين لا يعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الاخاء والصداقة فبعث اليه عبد الملك ان ادن مني اكلمك قال فدنى كل واحد من صاحبه وتنحى الناس عنهما فسلم عبد الملك عليه وقال له يا مصعب قد علمت ما جرى الله بيني و بينك منذ ثلاثين سنة و ما اعتقدته من اخائي وصحبتي والله لأنا خير لك من عبد الله وانفع منه لدينك ودنياك فثق بذلك مني وانصرف الى وجوه هؤلاء القوم وخذ لي بيعة هذين المصرين والامر أمرك لا تعصي ولا تخالف وان شئت اتخذتك صاحباً لاتخفي ووزيراً لا تعصي . فقال له مصعب ما ماذكرت في من ثقتي بك ومودتي واخائي فذاك كما ذكرته ولكنه بعد قتلك عمرو بن سعيد لايطمأن اليك وهو اقرب رحما مني اليك واولى بما عندك فقتلته غدراً ، ووالله لو قتلته في ضرب محاربة لملك عاره ولما علمت من اثمه . وأما ما ذكرت من انك خير لي من اخي فقد عنك ابا بكر واياك واياه لاتتعرض له واتركه ما تركك وان شئت عاجل عاقبته ، و نرجو الله في السلامة من عافيته فقال له عبد الملك : لا تخوفني به فوالله اني لاعلم منه مثل ما تعلم ان فيه لثلاث خصال لا يسود بها ابدا: عجب قد ملاه واستغناء برأيه وبخل الزمه فلا يسود بها ابدا

﴿ قتل مصعب بن الزبير ﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما ايس من مصعب كتب الى الناس من رؤساء أهل اهل العراق يدعوهم الى نفسه و يجعل لهم امور الاعامة وشروطاً وعهوداً ومواثيق وعقوداً وكتب الى ابراهيم بن الاشتر يجعل له وحده مثل جميع ماجعل لاصحابه على ان يخلعوا عبد الله بن الزبير اذا التقوا . فقال ابراهيم بن الاشتر لمصعب ان عبد الملك قد كتب الي هذا الكتاب وكتب الى اصحابه كلهم فلان وفلان بذلك فادع بهم في هذه الساعة فاضرب اعناقهم واضرب عنقي معهم فقال مصعب : ما كنت لافعل ذلك حتى يستبين لي ذلك من أمرهم قال ابراهيم فأخرى قال وما هي قال احبسهم في السجن حتى يتبين ذلك فأبى فقال له ابراهيم بن الاشتر عليك السلام ورحمة الله وبركاته ولا تراني والله بعد في مجلسك هذا ابدا وقد كان قال له قبل ذلك دعني ادعو أهل الكوفة بدعوة لا يخلعونها ابدا وهي ما شرطه الله فقال له مصعب لا والله لا افعل لا اكون قتلتهم بالامس واستنصر بهم اليوم قال فما هو الا ان التقوا فحولوا برؤسهم ومالوا الى عبد الملك بن مروان قال فبقي مصعب في شرذمة قليلة قال فجاءه عبيد الله بن ظبيان فقال اين الناس ايها الامير فقال غدر كم يا أهل العراق قال فرفع عبيد الله سيفه ليضربه فبدره مصعب بالسيف على البيضة فنشب فيها فجعل

يغلب السيف ولا ينتزع من البيضة قال فجاء غلام لعبيد الله بن ظبيان فضرب مصعب بالسيف فقتله ثم جاء عبيد الله برأسه الى عبد الملك يدعي انه قتله. فطرح رأسه وقال :

نطيع ملوك الارض ماقسطوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم

قال فوقع عبد الملك ساجدا فتحامل عبيد الله على ركابه ليضرب عبد الملك بالسيف فرفع عبد الملك رأسه وقال والله ياعبيد الله لولا منتك لالحقتك من بها به قال فبايعه الناس ودخل الكوفة فبايعه اهلها

﴿ذكر حرب ابن الزبير وقتله﴾

قال وذكروا انه لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان من أهل العراق واتاه الحجاج ابن يوسف فقال . ياأمير المؤمنين انى رأيت في المنام كانى اسلخ عبد الله بن الزبير. قال له عبد الملك انت له فاخرج اليه فخرج اليه الحجاج في الف وخمسمائة رجل من رجال اهل الشام حتي نزل الطائف وجعل عبد الملك يرسل اليه الجيوش رسلا حتى يوافى الناس عنده قدر مايظن انه يقدر فتال عبد الله ابن الزبير وكان ذلك في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين فسار الحجاج من الطائف حتى نزل منى فحج بالناس وعبد الله بن الزبير محصور بمكة ثم نصب الحجاج المنجنيق على ابي قبيس ونواحي مكة كلها فرمى اهل مكة بالحجارة. فلما كانت الليلة التي قتل فى صبيحتها جمع عبد الله من معه من القرشيين فقال لهم ماترون فقال رجل منهم من بني مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقاتلا والله لئن صبرنا معك ماتريد على ان نموت معك انما هي احدى خصلتين اما ان تأذن لنا فنأخذ الامان لانفسنا ولك واما ان تأذن لنا فنخرج فقال عبد الله قد كنت عاهدت الله ان لا يبايعني احد فاقيله بيعته الا ابن صفوان قال ابن صفوان وانا والله اقاتل معك ووفيت لما عاقات ولكن تاخرني الحفيظة ان ادعك عند مثل هذه حتى اموت معك فقال رجل آخر اكتب الى عبد الملك فقال له عبد الله وكنت اكتب اليه من عبد الله أبي بكر أمير المؤمنين فوالله لا يقبل هذامني ابدا او اكتب اليه لعبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن الزبير فوالله لاان تقع الخضراء على الغبراء احب الى من ذلك قال عروة اخوه: ياأمير المؤمنين قدجعل الله لك أسوة فقال له عبد الله من هو أسوتي قال الحسن بن علي ابن ابي طالب خلع نفسه وبايع معاوية فرفع عبد الله رجله وضرب عروة حتى القاه وقال ياعروة قلبي اذا مثل قلبك والله لو قبلت ماتقولون ماعشت الا قليلا وقد اخذت الدنية وما ضربة بسيف الا مثل ضربة بسوط لااقبل شيئا مما تقولون قال فلما اصبح دخل على بعض نسائه فقال اصنعي لى طعاما فصنعت له كبداً وسناما قال فاخذ منها لقمة

فلا كها ساعة فلم يسغها فرماها وقال اسقوني لبنا فأتي بلبن فشرب ثم قال صبوا علي غسلا قال فاغتسل ثم تحنط وتطيب ثم تقلد سيفه وخرج وهو يقول:

ولا الين لغير الحق اسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم دخل على امه اسماء بنت ابي بكر الصديق وهي عمياء من الكبر قد بلغت من السن مائة سنه فقال لها : ياأماه ما ترين قد خذلني الناس وخذلني اهل بيتي. فقالت يا بني لايلعبن بك صبيان بني امية عش كريما ومت كريما فخرج واسند ظهره الى الكعبة ومعه نفر يسير فجعل يقاتل بهم اهل الشام فيهزمهم وهو يقول ويل امه فتح لو كان له رجال . قال فجعل الحجاج يناديه قد كان لك رجال ولكن ضيعتهم قال فجاءه حجر من حجارة المنجنيق وهو يمشي فاصاب قفاه فسقط فما دري أهل الشام انه هو حتى سمعوا جارية تبكي وتقول واامير المؤمنين فاحتزوا رأسه فجاؤا به الى الحجاج وقتل معه عبد الله بن صفوان بن أمية وعمارة بن عمرو بن حزم ثم بعث برؤسهم الى عبد الملك وقتل لسبع عشرة ليلة مضين من جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين . قال ابو معشر . ثم اقام الحجاج بالمدينة عاملا عليها وعلى مكة والطايف ثلاث سنين يسير بسيرته فيما يقولون . قال فلما مات بشر بن مروان وكان على الكوفة والبصرة كتب اليه عبد الملك ان سر الى العراقين واحتل بقتلهم فانه قد بلغني عنهم ما اكره . واستعمل عبد الملك على المدينة يحيى ابن حكيم بن ابي العاص

﴿ولاية الحجاج على العراقين﴾

قال وذكروا ان عبد الملك لما كتب الي الحجاج يامره بالمسير الي العراقيين ويحتال لقتلهم توجه ومعه الفا رجل من مقاتلة اهل الشام وحملتهم اربعة آلاف من اخلاط الناس وتقدم بالفي رجل وتحرى دخول البصرة يوم الجمعة في حين اوان الصلاة فلما دنى من البصرة امرهم ان يتفرقوا على ابواب المسجد على كل باب مائة رجل باسيافهم تحت ارديتهم . وعهد اليهم ان اذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد والوقيعة فيهم فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه الى الارض وكان المسجد له ثمانية عشر بابا يدخل منها اليه . فافترق القوم عن الحجاج فبدروا الى الابواب فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة ودخل الحجاج وبين يديه مائة رجل وخلفه مائة كل رجل منهم مرتد بردائه وسيفه قد افضي به الى داخل ازاره . فقال لهم اني اذا دخلت فساكلم القوم في خطبتي وسيحصبوني فاذا رايتموني قد وضعت عمامتي على ركبتي فضعوا اسيافكم واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع

الصابزين . فلما دخل المسجد وقد حانت الصلاة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال . أيها الناس ان امير المؤمنين عبدالملك امير استخلفه الله عز وجل في بلادة وارتضاه اماما على عباده وقد ولاني مصركم وقسمة فيئكم وامرني بانصاف مظلومكم وامضاء الحكم على ظالمكم وصرف الثواب الى المحسن البرىء والعقاب الى العاصي المسيء ، وانا متبع فيكم امره ومنفذ عليكم عهده ، وارجو بذلك من الله عز وجل المجازاة ، من خيفته المكافاة واخبركم انه قلدني بسيفين حين توليته اياي عليكم سيف رحمة وسيف عذاب ونقمة فاما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق واما سيف النقمة فهو هذا ، فحصبه الناس فلما اكثروا عليه خلع عمامته فوضعها على ركبتيه فجعلت السيوف تبري الرقاب فلما سمع الخارجون الكائنون على الابواب وقيعة الداخلين ورأوا تسارع الناس الى الخروج تلقوهم بالسيوف فاردعوا الناس الى جوف المسجد ولم يتركوا خارجاً يخرج فقتل منهم بضعاً وسبعين الفاً حتى سالت الدماء الى باب المسجد والى السكك . قال ابو معشر : لما قدم الحجاج البصرة صعد المنبر وهو معتجر بعمامته متقلد سيفه وقوسه قال فنعس على المنبر وكان قد حيي الليل ثم تكلم بكلام فحصبوه فرفع رأسه . ثم قال : انى اري رؤساً قد اينعت وحان قطافها . فهابوه وكفوا ثم كلمهم فحصبوه واكثروا فامر بهم جندا من اهل الشام وكانوا قد احاطوا به من حوله ومن حول ابواب المسجد فلما فرغ منهم واحكم شأنه فيهم بعث عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الى سجستان عاملا ومعه جيش . فكتب اليه الحجاج ان يقاتل حصن كذا وكذا فكتب الى الحجاج : انى لا ارى ذلك صوابا ان الشاهد يري مالا يرى الغائب . فكتب اليه الحجاج : أنا الشاهد وانت الغائب فانظر ما كتبت به اليك فامض له والسلام

« خروج ابن الاشعث على الحجاج »

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث لما خرج على الحجاج جمع اصحابه فيهم عبدالرحمن بن ربيعة بن الحارث بن نوفل وبنو عون بن عبدالله وعمرو بن موسى ابن معمر بن عثمان بن عمرة وفيهم محمد بن سعد بن ابي وقاص فقال لهم ماترون قالوا نحن معك فاخلع عدو الله وعدو رسوله فان خلعه من افضل اعمال البر فخلعه واظهر خلعه فلما اظهر ذلك قدم عليهم سعيد بن جبير فقالوا له انا قد حبسنا انفسنا عليك فما الرأى قال الرأي ان تكفوا عما تريدون فان الخلع فيه الفتنة والفتنة فيها سفك الدماء واستباحة الحرم وذهاب الدين والدنيا فقالوا انه الحجاج وقد فعل مافعل فذكروا اشياء ولم يزالوا به حتى صار معهم وهو كاره . قال وانتهى الخبر الى الحجاج فقيل له ان

عبد الرحمن قد خذلك ومن معه فقال ان معه سعيد بن جبير وانا اعلم ان سعيدا لا يخرج
وان ارادوا ذلك سيكفيكم عنه فقيل له انه رام ذلك ثم لم يزالوا به حتى فتنوه وصار
معهم . فبعث الحجاج الغضبان الشيبانى ليأتيه بخبر عبد الرحمن بن الاشعث بن كرمان
وتقدم اليه ان لا يكتمه من امره شيئا فتوجه الغضبان الى عبد الرحمن قال له عبد الرحمن
ما وراءك ياغضبان قال :شر طويل تغدى الحجاج قبل ان يتعشاك. ثم انصرف من
عنده فنزل رملة كرمان وهى ارض شديده الحر فضرب بها قبة وجلس فيها فبينا
هو كذلك اذ ورد اعرابى من بكر بن وائل على قعود فوقف عليه وقال: السلام عليك
فقال: له الغضبان : السلام كثير وهى كلمة مقولة، قال الاعرابى من اين اقبلت قال :
من الارض الزلول قال واين تريد قال. امشي في منا كبها وآكل من رزق الله الذى
اخرج لعباده منها، قال الاعرابى فمن عرض اليوم قال الغضبان المنقول قال ومن سبق
قال حزب الله الفائزون قال الاعرابى ومن حزب الله قال هم الغالبون. فعجب الاعرابى
من منطقه وحضور جوابه. ثم قال اتقرض قال الغضبان انما تقرض الفارة قال
افتنشد قال، انما تنشد الضالة قال افتسجع قال انما تسجع الحمامه قال افتنطق قال انما
ينطق كتاب الله قال افتقول قال انما يقول الامير، قال الاعرابى تالله ما رأيت مثلك
قط ،قال الغضبان بلى ولكنك نسيت ، قال الاعرابى فكيف اقول قال اخذتك
الغول فى الماقول وانت قائم تبول ،قال الاعرابى اتأذن لى ان ادخل عليك قال
الغضبان وراءك اوسع لك، قال الاعرابى قد احرقتني الشمس قال الغضبان الآن
يفيء عليك الفيء اذا غربت قال الاعرابى ان الرمضاء قد احرقت قدمى قال الغضبان
بل عليها يبردان قال الاعرابى ان الوهج شديد قال الغضبان مالى عليه سلطان قال
الاعرابى انى والله ما اريد طعامك ولا شرابك قال الغضبان لا تعرض بهما فوالله
لا تذوقهما قال الاعرابى وما عليك لو ذقتهما قال الغضبان نا كل ونشبع فان فضل
شيء من الاكرياء والغلمان والكلب احق به منك قال الاعرابى سبحان الله قال
الغضبان نعم من قبل ان يطلع راسك فاو اضراسك الي الدنيا قال الاعرابى ما عندك
الا ما ارى قال الغضبان بلى عندى هراوتان اضرب بهما رأسك حتى تنتثر دماغك
قال الاعرابى انا لله وانا اليه راجعون قال الغضبان اظلمك احد قال الاعرابى ما ارى
ثم قال الاعرابى يا آل حارث بن كعب فقال الغضبان بئس الشيخ ذكرت قال
الاعرابى ولم ذلك قال الغضبان لان ابليس يسمى حارثا قال الاعرابى انى لا احسبك
مجنونا قال الغضبان اللهم اجعلني من خيار الجن قال الاعرابى انى لاظنك حرورياً قال
الغضبان اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير قال الاعرابى انى لاراك منكرا قال الغضبان

اني لمعروف فيما اوتي. فولي عنه وهو يقول: انك لبذخ احمق وما انطق الله لسانك ألا عا انت لاق وعما قليل تلتف ساق بالساق. فلما قدم الغضبان على الحجاج قال له أنت شاعر؟ قال لست بشاعر ولكني حائر قال اعراف انت قال بل وصاف قال كيف وجدت ارض كرمان؟ قال الغضبان: ارض ماؤها وشل وسهلها جبل، وثمرها دقل ولصها بطل، وان كثر الجيش بها جاعوا وان قل بهم ضاعوا. قال صدقت اعلمت من كان الاعرابي. قال لا قال كان ملك خاصمك فلم تفقه عنه لبذخك اذهبوا به الى السجن فانه صاحب المقالة. تغدى الحجاج قبل ان يتعشاك وانت ياغضبان قد انذرك خصمك على نطق لسانك فما الذي به دهاك قال الغضبان جعلني الله فداك يا امير المؤمنين اما انها لا تنفع من قيلت له ولا تضر من قيلت فيه فقال الحجاج: اجل ولكن اتراك تنجو مني بهذا والله لاقطعن يديك ورجليك ولاضربن بلسانك عينيك قال الغضبان. اصلح الله الامير قد آذاني الحديد واوهن ساقي القيود فما يخاف من عدلك البريء ولا يقطع من رجائك المسيء. قال الحجاج انك لسمين قال الغضبان القيد والرقعة ومن يك ضيف الامير يسمن قال انا حاملوك على الادهم قال الغضبان مثل الامير اصلحه الله يحمل على الادهم والاشقر. قال الحجاج. انه لحديد قال الغضبان لان يكون حديداً خير من ان يكون بليداً قال الحجاج اذهبوا به الى السجن قال الغضبان «فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون» فاستمر في السجن الي ان بني الحجاج خضراء واسط فقال لجلسائه كيف ترون هذه القبة قالوا ما رأينا مثلها قط قال الحجاج اما ان لها عيباً فما هو؟ قالوا ما نرى بها عيباً قال سأبعث الى من يخبرني به فبعث فاقبل بالغضبان وهو يرسف في قيوده فلما مثل بين يديه قال له ياغضبان كيف ترى قبتي هذه قال اصلح الله الامير نعمت القبة حسنة مستوية قال اخبرني بعيبها قال. بنيتها في غير بلدك لا يسكنها ولدك ومع ذلك فانه لا يبقى بناؤها ولا يدوم عمرانها وما لا يبقى ولا يدوم فكانه لم يكن. قال الحجاج صدق ردوه الى السجن فقال الغضبان اصلح الله الامير قد اكلني الحديد واوهن ساقي القيود وما اطيق المشي قال احملوه فلما حمل على الايدي قال. سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين» قال انزلوه قال «رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين» قال الحجاج جروه قال الغضبان وهو يجر «بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم» قال الحجاج اضربوا به الارض فقال: «منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخري» فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه ثم قال ويحكم قد غلبني والله هذا الخبيث اطلقوه الى صفحي عنه قال الغضبان «فاصفح عنهم

وقل سلام فنجا من شره باذن الله وكانت براءته فيما انطلق على لسانه.

﴿ حرب الحجاج بن الاشعث وقتله ﴾

قال وذكروا ان الحجاج لما قدم العراق أميرا زوج ابنه محمدا ميمونة بنت محمد ابن الاشعث بن قيس الكندي رغبة في شرفها مع ماكانت عليه من جمالها وفضلها في جميع حالاتها واراد من ذلك استمالة جميع أهلها وقومها الى مصافاته ليكونوا له يدا على من ناوأه ، وكان له أخ يقال له عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الكندي له ابهة في نفسه وكان جميلا بهيا منطقيا مع ماكان له من التقدم والشرف فازهاه ذلك وملاه كبرا وفخرا وتطاولا فالزمه بنفسه والحقه بافاضل أصحابه وخاصته وأهل سره واجري عليه العطايا الواسعة صلة بصهره وحبا الانعام الصنيعة اليه والى جميع أهله فأقام عبد الرحمن كذلك حينا مع الحجاج لا يزيده الحجاج الا اكراماً ولا يظهر له الا قبولا وفي نفس الحجاج من عجبه مافيها لتشمخه زاهيا بانفه حتى انه كان يقول اذا رآه مقبلا: اما والله ياعبد الرحمن انك لتقبل على بوجه فاجر وتدبر عني بقفاء غادر وايم الله لتبتلين حقيقة أمرك الى ذلك . فمكث بهذا القول منه دهرا حتي اذا عيل صبر الحجاج على ما يتطلع من عبد الرحمن أراد ان يبتلي حقيقة مايتفرس فيه من الغدر والفجور وأن يبدى منه مايكتم من غائلته فكتب اليه عهده على سجستان فلما بلغ ذلك اهل بيت عبد الرحمن فزعوا من ذلك فزعا شديدا فأتوا الحجاج فقالوا أصلح الله الامير انا اعلم به منك فانك به غير عالم ولقد ادبته بكل أدب فابى ان ينتهي عجبه بنفسه ونحن نتخوف ان يفتق فتقا او يحدث حدثا يصيبنا فيه منك مايسوءنا فقال الحجاج القول كما قلتم والرأى كالذي رأيتم ولقد استعملته على بصيرة فان يستقم فلنفسه نظر وان يفترج سبيله عن بصائر الحق يهدى ان شاء الله فلما توجه عبد الرحمن الى عمله توجه وهو مصر لخلعان طاعة الحجاج وسار بذلك مسيره اجمع حتي نزل مدينة سجستان ثم مر على خلعانه عاما كاملا فلما أجمع عبد الرحمن على اظهار خلعان الحجاج كتب الى أيوب بن القرية التميمي وهو مع الحجاج في عسكره خاص المنزلة منه وكان مفوها كلما يساله ان يصدر اليه رسالة الى الحجاج يخلع فيها طاعة الحجاج فكتب له ابن القرية رسالة فيها : بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث الي الحجاج بن يوسف سلام على أهل طاعة الله واوليائه الذين يحكمون بعدله، ويوفون بعهده ، ويجاهدون فى سبيله ويتورعون لذكره ولا يسفكون دما حراما ، ولا يعطلون للرب احكاما ولا يدرسون له اعلاما ولا ينتكبون النهج ولا يبرمون السيء ولا يسارعون فى الغي، ولا يدللون الفجرة ولا يرضون الجورة، بل يتمكنون

عند الاشتباه ويتراجعون عند الاساءة ، اما بعد فانى احمد الله حمدا بالغا في رضاه منتهيا الى الحق فى الامور الحنيفية لله علينا . وبعد فان الله انهضني لمصاولتك وبعثني لمناضلتك حين بحرت أمورك وتهتكت ضورتك فاصبحت عريان حيران مهينا لا توافق وفقا ولا ترافق رفقا ، ولا تلازم صدقا أؤمل من الله الذي الهمني ذلك ان يصيرك في حبالك وان يجيء بك فى القرن ويسحبك للذقن وينسف منك من لم تنصفه من نفسك ويكون هلاكك بيدى من اهمته وعاديته . فلعمرى لقد طال ماتطاولت وتمكنت واخطيت وخلت ان لن تبور ، وأنت في فلك الملك تدور ، واظن مصداق ماأقول ستخبره عن قريب فسر لامرك ولاق عصابة خلقك من حيالها خلفها نماها وتدرعت حلالها تدرعها مظالها لا يحذرون منك جهدا ولا يرهبون منك وعيدا يتاملون خزايتك ويتجرعون امارتك عطاشا الى دمك يستطعمون لله لحمك وأيم الله لينافقنك منهم الابطال الذين بيتهم فيما يحاولونك به على طاعة الله شروا انفسهم تقربيا الى الله فاعص عن ذلك يا ابن أم الحجاج فستحمل عليك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله والسلام على أهل طاعة الله. فلما قدم الكتاب على الحجاج خرج موائلا قد اخذ بطرف ردائه والقي الطرف الاخر يجره من خلفه حتي صعد المنبر ونودى الصلاة جامعة فاجتمع الناس . ثم قال :

نقاتلهم ولا نشتم عدواً ٭ وشر عداوة المرء السباب

امرؤ وعظ نفسه بنفسه ، امرؤ تعاهد غفلة نفسه وتفقدها جهده ، امرؤ وعظ بغيره فاتعظ ،قد تبين لكم ماتأتون وما تبغون العجب العجب وماهو أعجب من العير الا بترابى وجهته ومن معه من المنافقين سبعمائة وزن سبعة سواء فانطلقوا في نحور العدو ثم اقبلوا على راياتهم لقتال أهل الاسلام من أجل عير ابتر ومن كيده ما هو أعجب العجب على حين اننا قد امنا الخوارج وأطفأنا الفتن وتتابعت اليهم فكان من شكركم يا أهل العراق ليد الله فيكم ونعمته عليكم واحسانه اليكم جرأتكم على الله وانتهاككم حرمتة واغترار كم بنعمة الله ألم يأتكم شبيب مهزوما ذليلا فهلا توجهت اليه منكم خمسة وعشرون أمير جيش ليس منهم من امير جيش الا وهو فى جنده بمنزلة العروس التى يزف بها الى خدرها فيقتل اميرهم وهم وقوف ينظرون اليه لا يرون له حرمة فى صحبة وذماما فى طاعة فقبحت تلك الوجوه فما هذا الذى تخوف منكم يا أهل العراق اما هذا الذي يتقي والله لقد اكرمنا الله بهوانكم وهانكم بكرامتنا فى مواطن شتى تعرفونها وتعرفون اشياء حرمكم الله اخذها وما الله بظلام للعبيد ؟ ثم خذلانكم لهذه الملوحاء المقصصة انحرافا او لهذه الملوحاء

واخلاطها من اهل العراق ، لقد هممت. ان اترك بكل سكك منها جيفا منتفخين شائلة ارجلهم تنهشهم الطير من كل جانب . ياأهل الشام احدوا قلوبكم واحدوا سيوفكم ثم قال ،

قد جد اشياعكم فجدوا * والقوس فيها وتر عرد

* مثل ذراع البكر او اشد *

هيهات ترك الخداع من اجرى من المائة ، ومن لم يرد عن حوضه يهدم ، واري الحزام قد بلغ الطبيين ، والتقت حلقتا البطان ، ليس سلامان كهمدان ، انا ابن العرفة وابن الشيخ الاغر ، كذبتم ورب الكعبة ماالرأى كما رأيتم ولا الحديث كما حدثتم فاظنوا لعيونكم واياكم ان اكون انا وانتم كما قال القائل .

انك ان كلفتني مالم اطق * ساءك ماسرك مني من خلق

والخبربالعلم ليس كالراجم بالظنون ، فالتقدم قبل التندم ، واخو المرء نصيحته ، ثم قال

لذي العلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

ثم قال . احمدوا ربكم وصلوا على نبيكم صلى الله عليه وسلم . ثم نزل وقال .

اكتب يانافع وكان نافع مولاه وكاتبا يكتب بين يديه : بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج ابن يوسف الى عبد الرحمن ابن الاشعث سلام على اهل النزوع من النزيع واسباب الرداء لا الى معادن السيء والتقحم في الغي فاني احمد الله الذي خلالك في حيرتك اذ بهتك في السيرة . ووهلك للضرورة . حتي اقحمك اموراً اخرجك بها عن طاعته . وجانب ولايته ، وعسكرت بها في الكفر ، وذهلت بها عن الشكر ، افلا تشكر في السراء ، ولا تصبر في الضراء ، اقبلت مستنا بحريم الحرة وتستوقد الفتنة لتصلي بحرها وجلبت لغيرك ضرها وقلت وثاق الاحتجاج ، ومبارزة الحجاج ، الا بل لامك الهبل وعزة ربك لتكبن لنحرك ، ولتلبن لظهرك ، ولتتخبطن فريصتك ولتدحضن حجتك . ولتذمن مقامك . ولتشغلن سهامك . كاني بك تصير الى غير مقبول منك الا السيف هوجا هوجا عند كشوف الحرب عن ساقها ومبارزة ابطالها والسلام على من اناب الي الله وسمع واجاب . ثم قال . من ها هنا من فتية بني الاشعث بن قيس ؟ قيل سعيد بن جبير قال فأتى به فقال له انطلق بهذا الكتاب الى هذه الطاغية الذي قد فتن فاردعه عن قبيح ما دخل فيه وعظيم ما اصر عليه من حق الله وحرمة ما انتهك عدو الله الى ما في ذلك من سفك الدماء واباحة الحريم وانفاق الاموال فاني لولا معرفتي بانك قد حويت علماً واصبت فقها اخاف ان يكون عليك لا لك لاعهدت لك به عهدا تقفل به ولكن انطلق من تلك هذه قبل الكتاب

اليه واحمله على البريد . فخرج سعيد به متوجها حتى انتهى اليه . فلما قرأ عبدالرحمن الكتاب تبينت رعشته جزعا منه وهيبة له وسمع بذلك من كان يبايعه وهوى كالذى هوى وضم سعيد بن جبير فلم يظهره للناس وكتم الكتاب وجعل يستخلى بابن جبير فى الليل فيسمر معه ويسأله عبدالرحمن الدخول معه فيما رأى هو من خلع الحجاج فابى سعيد ذلك عليه فمكث بذلك شهرا كريتا فاستمعه سعيد بن جبير بطلبه وسارع معه فى رغبته وخلعان طاعة الحجاج ثم ان عبدالرحمن تجهز من سجستان مقبلا يقود من يقوده من اهل هواه واهل رأيه وخرج الحجاج اليه بمن معه من اجناده من اهل الشام وبمن معه يومئذ من اهل الطاعة من اهل العراق حتى لقيه بدير من ادبار الاهواز يسمى بنيسابور فناصبه للقتال ستة اشهر كريتة لا له ولا عليه حتى اذا كان فى جوف ليلة من الليالى خلا الحجاج بعنبسة بن سعيد بن العاص ويزيد بن ابى مسلم مولاه وحاجبه على ماوراء بابه واما يحيى فوكله بالقيام خلف ظهره اذا هو نسي او غفل نخسه نخسة ثم قال اذكر الله ياحجاج فيذكر ما بدا له ان يذكره واما زياد فكان ذا رأى ومشورة وادب وفقه ونصيحة . واما عنبسة فكان بعيد الهمة طويل اللسان يديه الجواب فاصل الخطاب موفق الرأى فاستشارهم لما طال به وبعبد الرحمن القتال لم يظفر واحد منهما بصاحبه ومع عبد الرحمن سعيد بن جبير والشعبي فكان هذا فقيه اهل الكوفة وهذا فقيه اهل البصره في ان يبيته فكره ذلك مواليه واشار عنبسة ان يبيته فقال الحجاج اصبت اصاب الله بك الخير وما الامر الا النصيحة والرأى شعوب فمخطيء منها ومنها مصيب غدا الاثنين فصوموا ونصوم واستعينوا الله بالخيرة ونبيتهم الليلة المقبلة ليلة الثلاثاء فسوف اترجل ويترجل اهل مودتى واصيحتى من ولدي وغيرهم ففعل . واصبح صائما وبيتهم ليلة الثلاثاء وهو يقول . اللهم ان كان الحق لهم فلا تعنا على الضلالة وان كان الحق لنا فانصرنا عليهم . فحمل عليهم والنيران توقد فاصاب منهم واصيب منه وانهزم ابن الاشعث فى سواد الليل واصاب الحجاج عسكره واسر سعيد ابن جبير وافلت عامر بن سعيد الشعبى مع بن الاشعث فلما اتى الحجاج بسعيد بن جبير قال له : ويحك ياسعيد اما تستحى منى ومدك الشيطان فى طغيانك ألا استحيت من المراقب لى ولك والحافظ علي وعليك فقال . اصلح الله الامير وامتع به هى بلية وقعت وعذاب نزل والقول كما قال الامير وكما نسبه به واضافه اليه الا انى اتيت رجلا قد ازهى وطغي ، لبسته الفتنة وركب الشيطان كتفيه ونفث فى صدره واملى على لسانه فخفته وانفيته بالذى فعلت فان تعاقب فبذنب وان تعف فسجية منك فقال له الحجاج فانا قد عفونا عنك ونردك اليه

ثارة اخرى. ثم كتب كتاباً وجهه مع سعيد بن جبير الى عبد الرحمن فلما كان سعيد ببعض الطريق خرق الكتاب وقدم على عبد الرحمن فاخبره فنفر عبد الرحمن وخرج موائلا الى اهل البصرة وقد قدمت عليه كتبهم يستبطؤنه ويستعجلونه حتى قدم عليهم وبلغ ذلك الحجاج فسبقه الى البصرة فدخل الحجاج المسجد متنكباً قوساً فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه وحرض الناس على قتال ابن الاشعث وحضهم على طاعة عبد الملك وتكلم رجل من اهل البصرة يقال له سلمة المنقرى من بني تميم وكان رجلا منطقيا وله هوى في الخوارج وكان الحجاج به خابرا فلما رآه عرف انه يريد الكلام فقال ادن يا سلمة فدنى فقال له قل فقال: قد رضينا بالله ربا وبمحمد نبياً وبالاسلام ديناً وبالقرآن اماما وبامير المؤمنين خليفة وبالحجاج بن يوسف والياً والله لو كنا زمعاً وبني زمع مارضينا ان نكون تبعا لهذا الحائك ، امير المؤمنين اعزه الله واعز امره اقرب قرابة واوجب حقا ونحن ألزم لطاعة الامير اكره من ان نسارع له في معصية او نبطيء عنه في طاعة. فاجابه الحجاج فقال يا سلمة هذا قول حسن لا أدخله صدري ولاردنه في تحرك حتى نبتلي حقيقته ان شاء الله . وكان قوله هذا على المنبر وقد عسكر باجناده بالزاوية والزاوية في طرف من ناحية البصرة في طرف بني تميم. ثم انه خرج من المسجد وحشد الناس من كان في الطاعة يومئذ من اهل العراق وقد كان انهزم لابن الاشعث غير ما مرة وقتل له ابن الاشعث خلقاً لا تحصى كثرة قبل هذه المرة حتي يئس من نفسه وقال اترون العجوز ابنة الرجل الصالح كذبتني يعني اسماء بنت ابي بكر الصديق لئن صدقت اسماء لا اقتل اليوم وكان الحجاج لما فرغ من قتال عبد الله بن الزبير بعث الى امه اسماء بنت ابي بكر الصديق ان تأتيه فابت ان تأتيه فقال والله لئن لم تاتني لابعثن اليها من يجر بقرون راسها ويسحبها حتى تصل الى فقيل ذلك لها فقالت والله لا اسير اليه حتى يبعث الى من يجر بقرون راسي .فاقبل الحجاج حتى وقف عليها فقال لها كيف رايت ما فعل الله تعالى بابنك عدو الله الشاق لعصا المسلمين المفني لعباده والمشتت لكلمة امة نبيه . فقالت: رايته اختار قتالك فاختار الله له ما عنده اذ كان الرامه خيرا من اكرامك ولكن ياحجاج بلغني انك تنتقصني نطاقى هذين او تدري ما نطاقي اما النطاق هذا فشددت به سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم غزوة بدر واما النطاق الآخر فاوثقت به خطام بعيره فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان لك به نطاقان في الجنة ، فانتقص على بعد هذا اودع ولكن لا خالك ياحجاج ابشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول منافق ثقيف يملأ الله به زاوية من زوايا جهنم يبيد الخلق ويقذف الكعبة باحجارها الا لعنة الله عليه ، فافحم الحجاج ولم يجد

جوابا قال وسار ابن الاشعث بعدما هزم الحجاج مراراً الى الكوفة حتى نزل دير الجماجم فقتل للحجاج فيه خلق كثير وكتب الى عبدالملك بن مروان ان امدني بالرجال فامده بمحمد بن مروان في اناس من بني أمية كثير وجعل الحجاج اميرا عليهم فسار الحجاج ابن الاشعث فقاتلوا اياما بدير الجماجم حتى كثر القتل في الفريقين جميعا ثم ان ابن الاشعث لما حشدوا لحجاج البصرة عسكر على مسيرة ثلاثة ايام من البصرة على نهر يقال له نهر ابن عمر وكتب ابن الاشعث يسأله ان يتنحى عنهم لما كرهوا ولايته حتى يستعمل عليهم امير المؤمنين غيره من هو احب اليهم منه فلما انتهى اليه رسوله قال الحجاج ادخلوه فلما دخل سلم عليه بالامارة قال من انت قال رجل من خزاعة قال من اهل البصرة انت ام من اهل الكوفة قال لا بل من اهل سجستان قال هل تأخذ لامير المؤمنين ديوانا قال لا قال افمن وزراء ابن الاشعث انت عابنا في هذه الفتنة يا اخا خزاعة قال والله ما هو بنوا واقد جلبني اليك مكرها قال فكيف تسليمك على صاحبك اذا انصرفت اليه قال الامرة قال فهل ترى في ذلك انك صادق قال الله اعلم اي الامرين هو في ذلك على الصواب ام على الخطأ قال الله اعلم اي الامرين في نفسي قال ما اكيا اخا خزاعة قد رددت الامر اليه وهو تعالى اعلم انطلق الى صاحبك كما جئت وأعلمه بالذي كان من ردنا عليك فانه جوابه عندنا ونحن مناجزوه القتال ومحاكموه الي الله من يوم الاربعاء ان شاء الله. فليعد وليستعد لذلك فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وذلك يوم الاحد. فلما انصرف رسوله اليه ووله الكتاب فلما رآه بخاتمه (اي مثل مافعله) كيف فعل يساله اماء من حضر حتى ارتفع الناس ثم دعاه فاخبره الخبر قال وما وراء ظهرك الا هذا قال له في دون ما حدثتك به ما يكفيك فقد رأيت امراً صعبا ليس وراءه الا المناجزة ثم ان الحجاج هتف هتفة ان اجتمعوا للعطية ففرق العطية في ثلاثة مواضع وكان قواده يومئذ ثلاثة: سفيان بن الابرد الكلبي على ميمنته وسعيد بن عمر والحرشي على القلب وعبدالرحمن بن عبدالله الحكمي على ميسرته فاعطي الناس على هذا واقام في معسكره متربصا منتظراً ليوم الاربعاء. فلما رأى ابن الاشعث انه لا يتقدم لقتاله وانه متربص ليوم الاربعاء بعث رجلا من معسكره حتى دنى من معسكر الحجاج فنزل قريباً منه على مقدار حضر الفرس رجاء ان يتحرش له احد من معسكر الحجاج فينشب القتال قبل يوم الاربعاء فراراً منه وتطيرا به فلما راي الحجاج ذلك علم ما اراده والذي توقع فتقدم الى امراء اجناده وقواده

والي اهل عسكره عامة الا يكلم احد منهم احداً من عسكر ابن الاشعث ولا يعرضه نفسه وان امكنته الفرصة منه الى يوم الاربعاء . فلما كان صبيحة يوم الاربعاء وهو يوم يتطير به اهل العراق فلا يتناكحون ولا يسافرون فيه ولا يدخلون من سفر ولا يبايعون فيه بشيء ولا بالبغل الاغر الاشقر فدعا الحجاج ببغلة شقراء محجلة فركبها خلافا لرايهم واستشعاراً بطيرتهم وتوكلا على الله ونادى مناديه فى عسكره ان انهضوا الى قتال ابن الاشعث وامر خاصته فركبوا معه وقدم رجالته واخر خاصته مقاتلته حتى اذا كانوا من عسكر ابن الاشعث على مثال السهم وقف نصف اصحابه وعبأهم للقتال فعل مثل ذلك ابن الاشعث وترجل الحجاج وخاصته ووضع له منبرا من حديد فجلس عليه وتراءى الناس حتي اذا كان القتال ينشب خرج رجل من اصحاب ابن الاشعث وهو ينادى ألا مبارز فقام اليه عنبسة بن سعيد القرشي وهو يمشي مشية كان قد لامه الحجاج عليها وكرهها له فلما رآه الحجاج وهو يمشي تلك المشية قال الحجاج ظلمتك ياعنبسة لو كنت تاركها يوماً من دهرك لتركها يومك هذا فلما دنى من الرجل قال له عنبسه فمن انت ياشيخ فقال له رجل من بني تميم ثم من بني دارم فحمل عليه عنبسة فبدره بالضربة فقتله ثم انصرف الي مجلسه فجلس وقد تبين للناس حسن صنعه ثم زحف الفريقان بعضهم الى بعض واشتد قتالهم وانتحى سفيان على مركزه لم يرم والجرشي على مركزه لم يرم وكانت ميلتهم على الميسرة فنحوا عبد الرحمن العكى فلما رأي الحجاج قد انكسرت ناحية وزال عنها بعث اليه ابن عمه الحكم بن ايوب فى خيل فقال انطلق الى عدو الله فاضرب وجهه بالسيف حتي ترده الى مقامه ففعل وبعث لى سفيان بن الابرد يامره بقتال القوم ويحار بتهم فحمل عليهم سفيان وهم مشغولون بالميسره قد طمعوا فيها وكان باذن الله الفتح والغلبة من ناحية سفيان وقد بعث اليه الجرشي يستاذنه للقتال فمنعه الحجاج وقال له لا الا ان ترى امرا مقبلا وتمكننا من فرصة فاجتمع الامر وثاب العكي وانهزم ابن الاشعث واستحقت هزيمته فدعا الحجاج بدابته فركبها وركب من كان مرتحل معه بعد سجود ودعاء وشكر كان منه على ما صنع الله به ومن كان معه وحمدوا الله تعالى كثيرا وكبروه تكبيرا عالياً ثم انتهوا الى ربوة فاوما اليها ثم استقبل ناحيتهم والسيوف تاخذهم وحسر بيضته عن رأسه فجعل يقرع راسه بخيزران فى يده وهو يتمثل بهذه الابيات وهى من قول عبيد ابن الابرص او من قول اليشكرى

كيف ترجون سقوطى بعد ما جلل الرأس بيضاء وصلع

ساء ما ظنوا وقد اوريتهم . عند غايات الذى كيف اقع
رب من انضجت غيظاً قلبه قد تمني لى موتاً لم يطع
ويراني كالشجى فى حلقه عسرا مخرجه ما ينتزع
مزبد يهدر مالم يرنى فاذا اسمعته صوتى انقمع
ويحييني اذا لاقيته واذا يخلوا له لحمى رتع
ورث البغضاء عن والده حافظاً منه الذى كان قد استمع
ولسانى صيرفي صارم كذباب السيف ما مس قطع

قال فلما فرغ الحجاج من هذه الابيات كبر ثم حمد الله بما هو اهله للذى كان من صنعه فبينما هو كذلك اذ اتاه من يخبره ان ابن الاشعث قد انخذل من أصحابه فى نفر يسير متوجهاً الى ناحية خراسان فدعا الحجاج ابن عم له كان يعرف له النصيحة والهوي فنظم معه ليلا وامره في طلب ابن الاشعث الي موضع شتى وعهد اليهم ان لا يدركوا احدا الا اتوا به أو براسه اذ يموت فوقف طويلا في مكانه ذلك المرتفع ينظر الى معسكر ابن الاشعث واصحابه ينتهبونه ثم رجع الى معسكره فنزل ودخل فسطاطه فجلس واذن لاصحابه يدخلو عليه فقام كل واحد منهم يهنئه بالفتح وجعل ابن جبلة يأتيه بالاسرى فكل أوتي باسير امر به فضربت عنقه وكان ذلك فعله ذلك الى الليل فلما اصبح وتراجع اليه اكثر خيله امر مناديه ينادى بالقفل فقفل وقفلت معه اجناده وسرح اصحابه الى مدينة واسط وكان فيها وهو الذى بناها وضرب ابن الاشعث طهرا لبطن ليلا ونهارا حتي لحق بخراسان ورجا في لحوقه بها النجاة من الحجاج والحذر لنفسه ولم يشعر بالخيل التي فى طلبه حتي غشيته فلم تزل تطلبه من موضع الي موضع حتى استغاث بقصر منيف فحصره ابن عم الحجاج فيه واحاطت به الخيل من كل جانب حتي ضيق عليه ودعا بالنار ليحرقه فى القصر فلما رأى ابن الاشعث انه لا محيص له ولا ملجا وخاف النار فرمى بنفسه من بعض علالى القصر وطمع ان يسلم ولا يشعر به فيدخل فى غمار الناس فيخفى امره ويكتم خبره فسقط فانكسرت ساقه وانخذل ظهره ووقع مغشياً عليه فشعر به اصحاب الحجاج فاخذوه وقد أفاق بعض الافاقة ولا يقدر على النهوض فاتوا به الى ابن عم الحجاج فلما رآه بتلك الحال ايقن انه لا يقدر على ان يبلغ الحجاج حتى يموت فامر به فضربت رقبته وانطلق برأسه الى الحجاج فلما قدم عليه احدث لله شكرا وحمدا فيما كان من تمام الصنع وما هيا له من التاييد والظفر واقام كذلك لا يمر عليه يوم الا وهو يؤتى فيه بالاسرى فلما رأى كثرتهم ازداد حنقا

وغيظا لمسارعتهم فى اتباع ابن الاشعث ومخالفتهم عن الحجاج فيأمر بقتلهم حردا على الخوارج ورجاء ان يستاصلهم فلا يخرج عليه خارجى بعده فلما رأي كثرة من يؤتى به من الاسري تحرى فجعل اذا اوتى باسير يقول له : أمؤمن انت ام كافر ليعرف بذلك الخوارج من غيرهم فمن باء على نفسه بالكفر والنفاق عفي عنه ومن قال انا مؤمن ضرب عنقه . واسر عامر بن سعيد الشعبي فيمن اسر وكان مع ابن الاشعث فى جميع حروبه وكان خاص المنزلة منه ليس لاحد منه مثلها للذى كان عليه من حاله الا سعيد بن جبير، وافلت سعيد بن جبير ولحق بمكة واوتى بالشعبي الى الحجاج في سورة غضبه وهو يقتل الاسرى الاول فالاول الا من باء على نفسه بالكفر والنفاق فلما سار عامر بن سعيد الشعبي الى الدخول عليه لقيه رجل من صحابة الحجاج يقال له يزيد بن ابى مسلم وكان مولاه وحاجبه فقال: ياشعبي لهفي بالعلم الذى بين دفتيك وليس بيوم شفاعة اذا دخلت على الامير فبوءله بالكفر والنفاق عسى ان تنجو فلما دخل على الحجاج صادفه واضعا راسه لم يشعر فلما رفع راسه رآه قال له وانت ايضا ياشعبي فيمن اعان علينا والب قال . اصلح الله الامير انى أمرت باشياء اقولها لك ارضيك واسخط الرب ولست افعل ولكني اقول اصلح الله الامير واصدقك القول فان كل شيء يقع بين يديك فهو في الصدق ان شاء الله احزن بنا المنزل واجدب الجناب واكتحلنا السهر واستجلسنا الخوف وضاق بنا البلد المريض فوقعنا فى حرب لم يكن فيه بررة اتقياء، ولا فجرة اقوياء، فقال له الحجاج كذلك قال نعم أصلح الله الامير وامتع به قال فنظر الحجاج الى اهل الشام فقال صدق والله ياأهل الشام ماكانوا برره اتقياء فيتورعوا عن قتالنا ولا فجره اقوياء فيقووا علينا ثم قال . انطلق ياشعبي فقد عفونا عنك فأنت احق بالعفو ممن يأتينا وقد تلطخ بالدماء ثم يقول كان وكان . قال وكان قد أحضر بالباب رجلان احدهما من بكر بن وائل والاخر من تميم وكانا سمعا ماقيل للشعبي بالباب ان يقوله فلما ادخلا قال الحجاج للبكرى امنافق أنت قال نعم اصلح الله الامير لكن اخو بني تميم لايبوء على نفسه بالنفاق . قال التميمي : انا على دمى اخدع اصلح الله الامير منافق ومشرك . فتبسم الحجاج وامر بتخلية سبيلهما فقال الشعبي فوالله ما اتى لذلك الامر الا نحو من شهر بن حتى رفعت اليه فريضة اشكلت عليه وهى ام وجد واخت فقال من هاهنا نسأله عنها قال فدل على فارسل الى وقال ياشعبي ماعندك في هذه الفريضة ام واخت وجد . فقلت : اصلح الله الامير قال فيها خمسة من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال : من قال فيها ؟ قلت قال فيها على ابن ابي طالب

وامير المؤمنين عثمان بن عفان وعبد الله بن عباس وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت قال: هات ماقال فيها علي فاخبرته قال فما قال فيها ابن مسعود فاخبرته قال فما قال فيها ابن عباس فوالله لقد كان متفقها فاخبرته . قال فما قال فيها امير المؤمنين عثمان فاخبرته قال فما قال فيها زيد بن ثابت قلت اخذها من تسعة اسهم وأعطى الجد اربعة أسهم وأعطى الاخت سهمين فلما سمع ماكان من قول كل واحد منهم وعرف رايهم فيها قال ياعلام قل للقاضي عضيها على ماقال أمير المؤمنين عثمان . قال الشعبي ودخلت عليه بترك قد شدوا اوساطهم بعمائمهم وانتزعت السيوف من اعناقهم واخذوا الطوامير بايمانهم فدخل عليه رجل من قبل أمير المؤمنين عبد الملك فقال له الحجاج كيف تركت أمير المؤمنين واهله وولده وحشمه فانبأه عنه وعنهم بصلاح فقال ماكان وراءك من غيث قال نعم اصلح الله الامير اصابتني سحابة في موضع كذا فواد سائل وواد نازع ، فارض مدبرة وارض مقبلة حتى صدعت عن الكمأة اماكنها فما اتيتك الا في مثل مجرى الضب فقال للحاجب ائذن للناس فدخل رجل اتاه من قبل نجد فقال له ما كان وراءك من غيث فقال كثير الاعصار واغبر البلاد واكل ماشرف من الحشيشة فاستيقنا انه عام سنة . فقال بئس المخبر انت قال اخبرتك بالذي كان فقال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل اتاه من قبل اليمامه فقال هل كان وراءك من غيث قال نعم وسمعت الرواد يدعون الى ريادها وسمعت رايد يقول هلموا اطعمكم محلة تطفوا فيها النيران وتشتكي فيها النساء وتنافس فيها المعز فقال له ويحك انما تحدث اهل الشام فافهمهم فقال اصلح الله الامير اما تطفو النيران فيه فتكثر فيها الزبد واللبن والتمر فلا توقد نارا واما ان يشتكي النساء فانه من جذبها على ابريق لبنها فتظل تمخض لبنها فتبيت ولها انين من عضديها واما تنافس المعز فانها ترأم من نوار النبات والوان الثمر مايشبع بطونها ولا يشبع عيونها فتبيت وقد امتلات اكراشها من الكظة شرة تنزل به الدرة . ثم قال للحاجب ائذن للناس فدخل عليه رجل من الموالى كان اشجع الناس فى زمانه يقال له عمرو ابن الصلت فقال له الحجاج هل كان وراءك من غيث قال نعم اصلح الله الامير اصابتني سحابة بموضع كذا وكذا فلم ازل اطاب أثرها حتى دخلت على الامير فقال له الحجاج اما والله لئن كنت في المطر اقصرهم خطبة انك بالسيف لاطولهم خطوة . ولما انهزم ابن الاشعث قام بعده عبد الرحمن بن عياش بن ربيعة فقاتل الحجاج ثلاثة ايام ثم انهزم فوقع بارض فارس ثم صار الي السند فمات هناك وتحصن ناس من اصحاب بن الاشعث فى قلعة بأرض فارس منهم عبد الرحمن

ابن الحارث بن نوفل والفضل بن عياش وعمرو بن موسى التيمي ومحمد بن سعيد ابن ابي وقاص وعبيد الله ومحمد واسحاق وعون بنو عبد الله بن الحارث بن امرء من قريش ولحق سعيد ابن جبير بمكة وشمر به الحجاج فغفل عنه ولم يهيج فبعث الحجاج يزيد ابن المهلب فحصرهم بفارس . قال ابو معشر حدثني عون قال كتب الينا يزيد ابن المهلب ان اخبروني بآية بيني وبينكم حتى اخرجكم فكتب اليه عبد الله بن الحارث يوم كذا وانا في دار ا قال فاخرجته بنيه فكتناه عمان واسر من بقي واسروا اثني عشر رجلا من وجوه الناس عامتهم من قريش منهم عمرو بن موسى التيمي ومحمد بن سعيد بن ابي وقاص فبعث بهم الى الحجاج وحبسهم عنده وكتب الى عبد الملك يخبره بامرهم وجعل يذكر في كتابه ان سعيدا قد انكر الخروج مع هؤلاء القوم فكتب اليه عبد الملك يامره بضرب اعناقهم ويقول في كتابه لم ابعثك مشفعا وانما بعثتك منفذا لاهل الخلاف والمعصية . فابرزهم الحجاج فقال لعمرو ابن موسى ياعاتق قريش وكان شابا جميلا لعمالك بت وللخروج فالت عاتق صاحب ثياب ولعب فقال عمرو ... الرجل ... زلت ... شرقه فال شئت فارسل يدي ... برئت مني الذمة فقال الحجاج ... حتى اقدمك الى النار فضربت رقبته ثم جيء بمحمد بن سعد ... الشيطان وكان رجلا طويلا السمت بعد حب كل موطن انت صاحب الجرة وصاحب يوم الزاوية وصاحب الجماجم ... له انما نزلت بعهد الله ... وقد برئت مني الذمة قال لا حتى اقدمك الى النار ثم قال لرجل من اهل الشام اضرب لي مفرق رأسه فضرب فمال نصفه هاهنا ونصفه هاهنا وقتل الباقين

﴿ ذكر قتل سعيد بن جبير ﴾

قال وذكروا أن مسلمة بن عبد الملك كان والياً على أهل مكة فبينما هو يخطب على المنبر اذ أقبل خالد بن عبد الله القسري من الشام واليا عليها فدخل المسجد فلما قضي مسلمة خطبته صعد خالد المنبر فلما ارتقي في الدرجة الثالثة تحت مسلمة أخرج طومارا مختوما ففضه ثم قرأه على الناس فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين الى أهل مكة أما بعد فاني وليت عليكم خالد بن عبد الله القسري فاسمعوا له واطيعوا ولا يجعلن امرؤ على نفسه سبيلا فانما هو القتل لا غير وقد برئت الذمة من رجل آوى سعيد بن جبير والسلام . ثم التفت اليهم خالد : وقال : والذي يحلف به ويحج اليه لا أجده في دار أحد الا قتلته وهدمت داره ودار كل من جاوره واستبحت حرمته وقد أجلت لكم فيه ثلاثة

أيام : ثم نزل ودعا مسلمة برواحله ولحق بالشام : فأتى رجل الى خالد فقال له ان سعيد بن جبير بواد من أودية مكة مختفيا بمكان كذا فارسل خالد في طلبه فاتاه الرسول فلما نظر اليه الرسول قال انما أمرت باخذك وأتيت لاذهب بك اليه واعوذ بالله من ذلك فالحق باى بلد شئت وانا معك قال له سعيد بن جبير . ألك ها هنا أهل وولد قال نعم قال انهم يؤخذون وينالهم من المكروه مثل الذى كان ينالنا قال الرسول فانى أكلهم الى الله فقال سعيد لا يكون هذا . فاتى به خالد فشده وثاقا وبعث به الى الحجاج وقال له رجل من أهل الشام . ان الحجاج قد انذربه وأشعر قبلك فما عرض له ولو جعلته فيما بينك وبين الله لكان أزكى من كل عمل يتقرب به الى الله : فقال خالد وقد كان ظهره الى الكعبة قد استند اليها . والله لو علمت ان عبد الملك لا يرضى عني الا بنقض هذا البيت حجرا حجرا لنقضته فى مرضاته . فلما قدم سعيد على الحجاج قال له ما اسمك قال سعيد قال ابن من قال ابن جبير قال بل انت شقى ابن كسير قال سعيد أمى أعلم فاسمى واسم ابى قال الحجاج شقيت وشقيت أمك قال سعيد الغيب يعلمه غيرك قال الحجاج لاوردنك حياض الموت قال سعيد أصابت اذاً أمى اسمي فقال الحجاج لابدلنك بالدنيا نارا تلظى قال سعيد ولو اعلم ان ذلك بيدك لاتخذتك الها قال الحجاج فما قولك فى محمد قال سعيد نبي الرحمة ورسول رب العالمين الى الناس كافة بالموعظة الحسنة ، فقال الحجاج فما قولك فى الخلفاء قال سعيد لست عليهم بوكيل كل امرىء بما كسب رهين قال الحجاج اشتمهم ام أمدحهم قال سعيد لا أقول مالا أعلم انما استحفظت أمر نفسي . قال الحجاج أيهم أعجب اليك قال . حالاتهم يفضل بعضهم على بعض قال الحجاج صف لى قولك في على افى الجنة هو ام فى النار قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت اهلها علمت ولو رأيت من في النار علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجب ، قال الحجاج فاى رجل انا يوم القيامة ؟ فقال سعيد انا اهون على الله من ان يطلعني على الغيب . قال الحجاج ابيت ان تصدقني قال سعيد بل لم اود ان اكذبك فقال الحجاج فدع عنك هذا كله اخبرنى مالك لم تضحك قط قال . لم ار شيئاً يضحكني وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه الى الجزاء واليوم يصبح ويمسي في الابتلاء ، قال الحجاج فانا اضحك فقال سعيد كذلك خلقنا الله اطوارا قال الحجاج هل رايت شيئا من اللهو ؟ قال لا اعلمه . فدعا الحجاج بالعود والناى قال ولما ضرب بالعود ونفخ فى الناى بكى سعيد قال الحجاج ما يبكيك قال . يا حجاج ذكرتني امرا عظيما

والله لا شبعت ولا رويت ولا اكتسيت ولا زلت حزينا لما رايت قال الحجاج وما كنت رايت هذا اللهو فقال سعيد . لى هذا والله الخرق اما هذه النفخه فذكرتني يوم النفخ في الصور واما هذا المصران فمن نفس ستحشر معك الى الحساب واما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق ، فقال انا قاتلك قال سعيد قد فرغ من تسبب موتي قال الحجاج انا احب الى الله منك قال سعيد لا يقدم احد على ربه حتى يعرف منزلته منه والله بالغيب اعلم ، قال الحجاج كيف لا اقدم على ربي في مقامي هذا وأنا مع امام الجماعة وانت مع امام الفرقة والفتنة قال سعيد ما انا بخارج عن الجماعة ولا انا براض عن الفتنة ولكن قضاء الرب نافذ لا مرد له ، قال الحجاج كيف ترى ما نجمع لامير المؤمنين قال سعيد لم ار فدعا الحجاج بالذهب والفضة والكسوة والجوهر فوضع بين يديه قال سعيد : هذا حسن ان قمت بشرطه قال الحجاج وما شرطه قال : ان تشتري له بما تجمع الامن من الفزع الاكبر يوم القيامة والا فان كل مرضعة تذهل عما ارضعت وتضع كل ذي حمل حمله ولا ينفعه الا ما طاب منه قال الحجاج فترى جمعنا طيبا ؟ قال برأيك جمعته وأنت أعلم بطيبه قال الحجاج اتحب ان اتى منه شيئا قال لا أحب ما لا يحب الله قال الحجاج ويلك قال سعيد الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار قال الحجاج اذهبوا به فاقتلوه قال اني أشهدك ياحجاج ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله استحفظكهن ياحجاج حتى القاك . فلما ادبر ضحك فقال الحجاج ما يضحكك ياسعيد قال عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك قال الحجاج انما اقتل من شق عصا الجماعة ومال الى الفرقة التي نها الله عنها اضربوا عنقه قال سعيد حتى اصلي ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ، قال الحجاج . اصرفوه عن القبلة الى قبلة النصارى الذين تفرقوا واختلفوا بغيا بينهم فانه من حزبهم ، فصرف عن القبلة فقال سعيد فاينما تولوا فثم وجه الله الكافي بالسرائر ، . قال الحجاج لم نوكل بالسرائر وانما وكلنا بالظواهر قال سعيد : اللهم لاتترك له ظلمي واطلبه بدمي واجعلني آخر قتيل يقتل من أمة محمد فضربت عنقه . ثم قال الحجاج هاتوا من بقي من الخوارج فقرب اليه جماعة فامر بضرب أعناقهم وقال ما اخاف الا دعاء من هو في ذمة الجماعة من المظلومين فاما أمثال هؤلاء فانهم ظالمون حين خرجوا من جمهور المسلمين وقائد سبيل المتوسمين . وقال قائل ان الحجاج لم يفرغ من قتله حتى خولط في عقله وجعل يصيح . قيودنا قيودنا يعني القيود التي كانت في رجل سعيد بن جبير ويقال

متي كان الحجاج يسأل عن القيود او يعبأ بها وهذا يمكن القول فيه لاهل الاهواء في الفتح والاغلاق

﴿ ذكر بيعة الوليد وسليمان ابني عبد الملك ﴾

قال وذكروا انه لما فرغ الحجاج من قتل الخوارج وتم له أمر العراق فاستقر ملك عبد الملك كتب اليه الحجاج ان يبايع للوليد ابنه ويكتب له عهده للناس فابى ذلك عبد الملك لان اخاه عبد العزيز كان حيا وكان قد استعمله عبد الملك على مصر وكتب اليه الحجاج يوبخه ويقول له مالك انت والتكلم بهذه وكانت البيعة بالشام لهما جميعا اذا مات مروان وكان عبد العزيز نظير عبد الملك في الحزم والرأي والعقل والزكاء وكان عبد الملك لايفضل عبد العزيز في شيء الا باسم الخلافة حتى لربما كان عبد الملك يامر بالشيء فيريد عبد العزيز غيره ويرى خلافه فيرد الى رأيه ولا يمضيه وكان لاينكر ذلك عبد الملك فلما كانت سنة احدي وثمانين عقد عبد الملك لموسي بن نصير على افريقية وما حولها ووجه الى من بها من البربر يقاتلهم وضم اليه برقه فلما قدم موسي ابن نصير متوجها انتهي ذلك الى عبد العزيز فرده من مصر الى الشام وبعث قرة بن حسان الثعلبي فانصرف موسي ابن نصير الي الشام لعبد الملك وذكر امتهانا ناله من عبد العزيز وما استقبله من كلام كثير فقال له عبد الملك ان عبد العزيز صنو امير المؤمنين وقد امضينا فعله . فتوجه قره بن حسان الي افريقيه فهزم بها وقتل غالب اصحابه فلما كانت سنة اربع وثمانين توفي عبد العزيز بن مروان بمصر ثم ولي محمد بن مروان الى سنة ست وثمانين فلما توفي عبد العزيز اجمع عبد الملك على بيعة الوليد ثم من بعد الوليد سليمان فكتب الى الحجاج ببيعة الوليد وسليمان فبايع لهما الحجاج بالعراق فلم يختلف عليه احد وبويع لهما بالشام ومصر واليمن وكتب عبد الملك الى هشام بن اسماعيل وهو عامله على المدينة ان ياخذ بيعة أهل المدينة فلما أتت البيعة لهما كره ذلك سعيد بن المسيب وقال لم اكن لابايع بيعتين في الاسلام بعد حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « اذا كانتا بيعتين في الاسلام فاقتلوا الاحدث منهما » فاتاه عبد الرحمن بن عبد القاريء فقال اني مشير عليك بثلاث خصال اخترايها شئت قال وما هي قال له انك تقدم حيث يراك هشام بن اسماعيل فلو غيرت مقامك قال ما كنت لاغير مقاما قمته منذار اربعين سنة لهشام بن اسماعيل قال فثانية قال وما هي قال اخرج معتمرا قال سعيد ما كنت لاجهد نفسي وانفق مالي في شيء ليس لي فيه نية قال له فثالثة قال وما هي قال تبايع للوليد ثم لسليمان قال سعيد ارأيت ان كان الله قد

اعمى قلبك كما اعمى بصرك فما على قال وكان اعمى قال فدعاه هشام بن اسماعيل الى البيعة وكان ابن عم سعيد بن المسيب فلما علم بذلك القرشيون اتوا هشاما وقالوا له لا تعجل على ابن عمك حتى نكلمه ونخوفه القتل فعسى به ان يبايع ويجيب قال فاجتمع القرشيون فارسلوا الى سعيد مولى له كان فى الحرس فقالوا له اذهب اليه فخوفه القتل واخبره انه مقتول فلعله يدخل فيما دخل فيه الناس فجاءه مولاه فوجده قائما يصلى فى مسجده فبكى مولاه بكاء شديدا فقال له سعيد ما يبكيك ويحك قال ابكى مما يراد بك قال له سعيد وما يراد بى ويحك قال جاء كتاب من عبد الملك ابن مروان الى هشام بن اسماعيل ان لم تبايع والا قتلت فجئتك لتتطهر وتلبس ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك ان كنت لا بد ان تبايع فقال له سعيد لا أم لك قد وجدتني اصلى فى مسجدى افتراني كنت أصلي ولست بطاهر وثيابى غير طاهرة وأما ما ذكرت من ان افرغ من عهدي بعد ما حدثني عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال: ما حق امرئ مسلم يبيت ليلة له شيء يوصي به الا ووصيته مكتوبة. فاذا شاؤا فليفعلوا فانى لم اكن لابايع بيعتين فى الاسلام قال فرجع اليهم فأخبرهم بما ذكر فكتب صاحب المدينة هشام بن اسماعيل الى عبد الملك يخبره ان سعيد بن المسيب كره ان يبايع لهما (للوليد وسليمان) فكتب عبد الملك اليه : مالك ولسعيد وما كان علينا منه أمر نكرهه وما كان حاجتك ان تكشف عن سعيد وتاخذه ببيعة ما كنا نخاف من سعيد فاما قد ظهر ذلك وانتشر فى امره للناس فادعه الى البيعة فان ابى فاجلده مائة سوط او احلق رأسه ولحيته والبسه ثيابا من شعر واوقفه فى السوق على الناس لكيما يجترىء علينا احد غيره . قال فلما وصل الكتاب ارسل اليه هشام فانطلق سعيد اليه فلما اتاه دعاه الى البيعة فابى ان يجيبه فلبسه ثيابا من شعر وجرده وجلده مائة سوط وحلق رأسه ولحيته واوقفه فى السوق وقال لو انه ليس الا هذا ما نزعت ثيابى طائما ولا اجبت الى ذلك قال بعض الايليين الذين كانوا فى الشرط بالمدينة. لما علمنا انه لا يلبس الثياب طائعا قلنا له يا ابا محمد انه القتل فاستر بها عورتك قال فلبس فلما تبين له انا خدعناه قال : يامعلجة أهل ايلة لولا انى ظننت انه القتل مالبسته قال فكان هشام بن اسماعيل بعد ذلك اذا خطب الناس يوم الجمعة تحول اليه سعيد ابن المسيب ان يقبل عليه بوجهه مادام يذكر الله حتى اذا وقع فى مدح عبد الملك وغيره اعرض سعيد عنه بوجهه فلما فطن هشام لذلك أمر حرسيا يحصب وجه سعيد اذا تحول عنه ففعل ذلك به فقال سعيد انما هى ثلاث واشار بيده. قال فما مر به الا ثلاثة اشهر حتى عزل هشام

(موت عبد الملك وبيعة الوليد)

قال وذكروا ان عبد الملك بن مروان لما حضرته الوفاة جمع بنيه فقال لهم. اتقوا الله ربكم واصلحوا ذات بينكم وليجل صغيركم كبيركم وكبيركم صغيركم انظروا اخاكم مسلمة فاستوصوا به خيرا فانه شيخكم ومجنكم الذي به تستجنون وسيفكم الذي به تضربون، اوصيكم به خيرا وانظروا الى ابن عمكم عمر بن عبد العزيز فاصدروا عن رأيه ولا تخلوا عن مشورته اتخذوه صاحبا لا تجفوه ووزيرا لا تعصوه، فانه ما علمتم فضله ودينه وذكاء عقله فاستعينوا به على كل مهم وشاوروه في كل حادث. قال ثم دخل عليه خالد وعبد الرحمن ابنا يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان فقال لهما أتحبان ان اسالكما بيعة الوليد وسليمان فقالا يا أمير المؤمنين معاذ الله من ذلك قال فاوسا بيده الى وصلى كان مضجعا عليه فاخرج من تحته سيفا مصلتا فقال لهما والله لو قلتما غير ذلك لضربت اعناقكما بهذا السيف ثم خرجا من عنده ودخل عليه عمر بن عبد العزيز فقال له عبد الملك. يأبا حفص استوص خيرا باخويك الوليد وسليمان ان زلا فثقفهما وان مالا فاقمهما وان غفلا فذكرهما وان ناما فايقظهما وقد اوصيتهما بك وعهدت اليهما ان لا يقطعا شيئا دونك. فقال عمر بن عبد العزيز يا امير المؤمنين اوصيتهما بكتاب فليقيماه في عباده وبلاده وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فليحيياها ويحملا الناس عليها فقال عبد الملك قد قلت وولى فيكم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم قال وقد علمت يا عمر مكان فاطمة مني ومحلها من قلبي واني آثرتك بها على جميع آل مروان لفضلك وورعك فكن عند ظني لك ورجائي فيك وقد علمت انك غير مقصر ولا مضيع حقها ولكن الله قد قضى ان الذكرى تنفع المؤمنين قوموا عصمكم الله وكفاكم ثم خرجوا من عنده. قال ثم دعا عبد الملك بالوليد وسليمان فدخلا عليه فقال الوليد: اسمع يا ليدحضر الوداع، ذهب الخداع، وحل القضاء قال فبكي الوليد فقال له عبد الملك لا تعصر عينيك على كما تعصر الامة الوكساء. اذا انامت فاغسلني وكفني وصل علي واسلمني الى عمر بن عبد العزيز يدليني في حفرتي واخرج انت الى الناس والبس لهم جلد نمر واقعد على المنبر وادع الناس الى بيعتك فمن مال بوجهه عنك كذا فقل له بالسيف كذا وتنكر للصديق والقريب واسمع للبعيد واوصيك بالحجاج خيرا فانه هو الذي وطأ لكم المنابر وكفاكم تقحم تلك الجرائم. قال فلما توفي عبد الملك ومات من يومه ذلك خرج الوليد الى الناس وقعد على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال. نعمة الله ما اجلها ومصيبة ما اعظمها وانا لله وانا اليه راجعون نقل الخلافة وفقد الخليفة ثم دعا الناس الى البيعة فلم

يختلف عليه احد ثم كان اول ما ظهر من أمره وتبين من حكمه ان امر بهدم كل دار ومنزل من دار عبد الملك الى قبره فهدمت من ساعتها وسويت بالارض لئلا يعرج بسرير عبد الملك يمينا وشمالا وليكون النهوض به الى حفرته تلقاء منزله ثم كتب ببيعته الى الآفاق والامصار والى الحجاج بالعراق فبايع له الناس ولم يختلف عليه أحد فدخل عليه سليمان بن عبد الملك فقال يا أمير المؤمنين اعزل الحجاج بن يوسف عن العراقين فان الذي افسد الله به اكثر مما اصلح فقال له الوليد ان عبد الملك قد اوصاني به خيرا فقال سليمان عزل الحجاج والانتقام منه من طاعة الله وتركه من معصية الله فقال الوليد سنرى في هذا الامر وترون ان شاء الله . ثم كتب الحجاج الى الوليد . اما بعد فان الله تعالى استخلفك يا امير المؤمنين في حداثة سنك بما لا أعلمه استقبل به خليفة قبلك من التمكين في البلاد والملك للعباد والنصر على الاعداء فعليك بالاسلام فقوم اوده وشرائعه وحدوده ودع عنك محبة الناس وبغضهم وسخطهم فانهم قل ما يؤتى الناس من خير وشر الا اذشوه في ثلاثة ايام والسلام .

﴿ تولية موسى بن نصير على البصرة ﴾

قال وحدثنا يزيد بن سعيد مولى مسلم ان عبد الملك بن مروان لما اراد ان يولي اخاه بشر بن مروان على العراق كتب الى اخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر وبشر معه يقود الجنود وكان يومئذ حديث السن . اني قد وليت اخاك بشر البصرة فاشخص معه موسى بن نصير وزيرا ومشيرا وقد بعثت اليك بديوان العراق فادفعه الى موسى وأعلمه انه المأخوذ بكل خلل وتقصير فشخص بشر من مصر الى العراق ومعه موسى بن نصير حتى نزل البصرة فلما نزلها دفع الى موسى بن نصير خاتمه وتخلى عن جميع العمل فلبث موسى مع بشر ما لبث ثم ان رجلا من اهل العراق دخل على بشر بن مروان فقال له هل لك ان اسقيك شرابا لا تشيب معه ابدا بعد ان اشترط عليك شروطا قال بشر وما هي قال . لا تغضب ولا تركب ولا تجامع امرأة في أربعين ليلة ولا تدخل حماما فقبل ذلك بشر واجابه وشرب ما اسقاه واحتجب عن قريب من الناس وبعيدهم وخلا مع جواريه وخدامه فكان كذلك حتى أتته ولاية الكوفة وقد ضمت اليه مع البصرة فاتاه من ذلك مالم يحمل فرحه ولا السرور به فدعا بركاب ليركبها فأتاه الرجل فناشده لا يخرج ولا يركب وان لا يتحرك بحركة من مكانه فلم يلتفت بشر الى كلامه ولم يقبل ما أمره به فلما راي الرجل عزمه قال له فاشهد لي على نفسك بانك قد عصيتني

ففعل بشر ذلك واشهد انه قد اراد فركب وهو يريد الكوفة فلم يسر الا اميالا حتى وضع يده على لحيته فاذا هو فى كفه قد سقطت من وجهه فلما رأى ذلك انصرف الى البصرة فلم يلبث الا قليلا حتي هلك فلما بلغ عبد الملك موته وجه الحجاج بن يوسف واليا عليها فقال له موسى بن نصير فاتك قلا يفوتك وكان عبد الملك قد اراده لامر عتب عليه منه . فكتب خالد بن أبان من الشام الي موسى بن نصير : انك معزول وقد وجه اليك الحجاج بن يوسف وقد امر فيك باغلظ امر فالنجاة النجاة والوحا الوحا فاما ان تلحق بالعرض فتأمن واما ان تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجيرا به ولا تمكن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك . فلما اتاه الكتاب ركب النجائب ولحق بالشام وبها يومئذ عبد العزيز بن مروان قد وفد بأموال مصر فكتب الحجاج من العراق يا امير المؤمنين انه لاقدر لما اقتطعه موسى بن نصير عن اموال العراق بليس بالعراق فاحدث به الى

﴿ دخول موسى بن نصير على عبد الملك بن مروان ﴾

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سالم حدثهم عن ابيه انه حضر يومئذ شأن موسى بن نصير ودخوله على عبد الملك قال وكانت لموسى يد عظيمة عند عبد العزيز ابن مروان يطول ذكرها قال سالم قال لي موسى لما قدمت الشام لقيت بها عبد العزيز وكان ذلك من صنع الله فادخلني على عبد الملك فلما رآني عبد الملك قال موسى قال ما تزال تعرض لحيتك علينا قال قلت لم يا امير المؤمنين قال لجراءتك علي واقتطاعك الفيء قال فقلت ما فعلت يا امير المؤمنين وما الوتك نصحا واجتهادا واصلاحا قال اقسم لتؤدين ديتك خمسين مرة قال قلت لم يا امير المؤمنين قال فما تركني اتمها حتى قال قم لتؤدينها مائة مرة فذهبت لاتكلم فأشار الي عبد العزيز ان قل نعم فقلت نعم يا امير المؤمنين ثم فاعانني عبد العزيز بخمسين الفا واديت خمسين الفا في ثلاثة أشهر تحملها علي

﴿ تولية موسى بن نصير على افريقية ﴾

قال وذكروا ان عبد العزيز لما رجع الى مصر سار موسى معه فكان من اشرف الناس عنده فاقام بها ما اقام حتي قدم حسان بن النعمان من افريقية يريد الشام الى عبد الملك وقد فتح له بها فتحا وقتل الكاهنة فاجازه عبد الملك وزاده رقه ورده اليها (الى افريقية) واليا فاقبل حتى نزل مصر وبعث معه بعثا من هناك فاخذوا اعطياتهم منه ثم ساروا حتى نزلوا ذات الجماجم قال فبلغ ذلك عبد العزيز ان حسان ابن نعمان يطلب رقة من عند عبد الملك وانه قد ولاه اياها فبعث اليه فقال

له اولاك امير المؤمنين برقة قال نعم فقال له عبد العزيز لاتعرض وكان عليها مولى لعبد العزيز فقال حسان ما انا فاعل فغضب عبد العزيز وقال له انت بعهدك عليها ان كنت صادقا قال فاتى به حسان فلما اقراه عبد العزيز وجدها فيه فالتفت الى حسان فقال ما انت بتاركها قال و الله لا انزل عنها ولا نيه امير المؤمنين قال فاقعد في بيتك وسيولي هذا الامر من هو خير منك واولى به منك في تجربته ومعرفته وسياسته ويغني الله امير المؤمنين عنك ثم اخذ عبد العزيز عهده ومن قبله يدعى موسى ابن نصير فعقد له على افريقية يوم الخميس في صفر سنة تسع وسبعين فتجهز موسى ابن نصير وحمل الاموال الى ذات الجماجم وبها الجيوش ينتظرون قدومهم فقدم عليهم موسى بن نصير فلما صار على الجيش الاول أتى عصفور حتى وقع على صدره فأخذه موسى فدعا بسكين فذبحه موسى واطخ بدمه صدره من فوق ثيابه ونتف ريشه وطرحه على صدره وعلى نفسه ثم قال الفتح ورب الكعبة والظفر ان شاء الله

﴿ خطبة موسى بن نصير رحمه الله ﴾

قال يذكروا ان موسى لما قدم ذات الجماجم وقد توافت الجيوش بها جمع الناس فقام خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ايها الناس ان امير المؤمنين اصلحه الله رأى رايا في حسان بن النعمان فولاه ثغركم ووجهه اميرا عليكم وانما الرجل في الناس بما اظهر والراي فيما اقبل وليس فيما ادبر فلما قدم حسان بن النعمان على عبد العزيز اكرمه الله كفر للنعمة وضيع الشكر ونزع الامر اهله غير الله ما به : وانما الامير اصلحه الله صنو امير المؤمنين وشريكه ومن لا يتهم في عزمه ورأيه وقد عزل حسان عنكم وولاني مكانه عليكم ولم آل ان اجهد نفسه في الاختيار لكم وانما انا رجل كاحدكم فمن رأى مني حسنة فليحمد الله وليحض على مثلها ومن راى مني سيئة فلينكرها فاني اخطيء كما تخطئون واصيب كما تصيبون وقد امر الامير اكرمه الله لكم بعطايا كم وتضعيفها ثلاثا فخذوها هنيئا مريئا ومن كانت له حاجة فليرفعها الينا وله عندنا قضاؤها على ما عز وهان مع المواساة ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله .

﴿ دخول موسى بن نصير افريقية ﴾

قال وذكروا ان موسى لما سار متوجها الى المغرب بقية صفر ثم ربيع وربيع ودخل في جمادي الاولى يوم الاثنين لخمس خلون منه سنة تسع وسبعون فأخذ سفيان بن مالك الفهري وابا صالح فغرم كل واحد منهما عشرة آلاف دينار ووجههما الى عبد الملك في الحديد . قال وكان قدوم موسى افريقية وما حولها تخوف بحيث

لا يقدر المسلمون ان يبرزوا فى الميدين لقرب العدو منهم وان عامة بيوتها الخصوص وأفضلها القباب وبناء المسجد يومئذ بالحظير غير انه قد سقف ببعض الخشب وقد كان بن النعمان بني القبلة و بناها بالمدر بنياناً ضعيفاً وكانت جبالها كلها محاربة لا ترام وعامة السهل

﴿خطبة موسى بافريقيا﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم افريقية ونظر الى جبالها والى ماحولها جمع الناس ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه : ثم قال . أيها الناس انما كان قبلى على افريقية أحد رجلين مسالم يحب العافية و يرضى بالدون من العطية و يكره ان يكلم و يحب ان يسلم او رجل ضعيف العقيدة قليل المعرفة راض بالهوينا . وليس اخوالحرب الا من اكتحل السهر واحسن النظر وخاض الغمر وسمت به همته ولم يرض بالدون من المغنم لينجو و يسلم دون ان يكلم او يكلم و يبلغ النفس عذرها فى غير خرق يرديه ولا عنف يقاسيه متوكلا فى حزمه جازما فى عزمه متزيداً في علمه مستشيراً لاهل الرأى فى احكام رأيه متحنكا بتجاربه ليس بالمتجانن اقحاما ولا بالمتخاذل حجاما ، ان ظفر لم تزده الظفر الا حذراً ، وان نكب أظهر جلاده وصبراً راجياً من الله حسن العاقبة فذكر بها فؤنس رجالهم اياها لقول الله تعالى ان العاقبة للمتقين أي الحذرين . وبعد فان كل من كان قبلى كان يعمد الى العدو الاقصى و يترك عدوا منه ادنى ينتهز منه الفرصة و يدل منه على العورة ويكون عونا عليه عند النكبة وايم الله لاار يم هذه القلاع والجبال الممتنعة حتى يضع الله ارفعها و يذل امنعها و يفتحها على المسلمين بعضها او جميعها او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين

﴿فتح زعوان﴾

قال وذكروا انه كان بزعوان قوم من البربر يقال لهم عبدوه عليهم عظيم من عظمائهم يقال له ورقطان فكانوا يغيرون على سرح المسلمين و يرصدون غرتهم والذى بين زعوان وبين القيروان يوم الى الليل فوجه اليهم موسى خمسمائة فارس عليهم رجل من خشين يقال له عبد الملك فقاتلهم فهزمهم الله وقتل صاحبهم ورقطان وفتحها الله على موسى فبلغ سبيهم يومئذ عشرة الاف رأس وانه كان فى اول سبى دخل القيروان فى ولاية موسى وجه ابنا له يقال عبد الرحمن بن موسى الى بعض نواحيها فأتاه بمائة الف رأس ثم وجه ابنا له يقال له مروان فاتاه بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين الف رأس

ستين الف رأس

﴿ قدوم كتاب فتح على عبد العزيز بن مروان ﴾

قال وذكروا ان موسي بن نصير كتب الى عبد العزيز بن مروان بمصر يخبره بالذي فتح الله عليه وامكن له ويعلمه ان الخمس بلغ ثلاثين الفا وكان ذلك وهما من الكاتب فلما قرأ عبد العزيز الكتاب دعا الكاتب قال له ويحك اقرأ هذا الكتاب فلما قرأه قال هذا وهم من الكاتب فراجعه فكتب اليه عبد العزيز انه بلغني كتابك وتذكر فيه انه قد بلغ خمس ما افاء الله عليك ثلاثين الف راس فاستكثرت ذلك وظننت ان ذلك وهم من الكاتب فاكتب الى بعد ذلك على حقيقة واحذر الوهم ، ولما قدم الكتاب على موسي كتب اليه : بلغني ان الامير ابقاه الله يذكر انه استكثر ما جاءه من العدة التى افاء الله علي وانه ظن ان ذلك وهم من الكاتب فقد كان ذلك وهما على ما ظنه الامير والخمس ايها الامير ستون الفا حقا ثابتا بلا وهم ، قال فلما اتى الكتاب الي عبد العزيز وقراه ملاه سروراً

(انكار عبد الملك تولية موسي بن نصير)

وذكروا ان عبد العزيز لما ولى موسي وعزل حسان كما تقدم وفتح الله لموسي بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكره ذلك وانكره ثم كره رد رأى عبد العزيز ثم هم بعزل موسي لسوء رايه فيه ثم راى ان لا يرد ماصنع عبد العزيز فكتب عبد الملك الى عبد العزيز : اما بعد فقد بلغ امير المؤمنين ما كان من رايك في عزل حسان وتوليتك موسي مكانه وعلم الامر الذى له عزلته وقد كنت انتظر منك مثلها في موسي وقد امضي لك امير المؤمنين من رأيك ما امضيت وولايتك من وليت فاستوص بحسان خيراً فانه ميمون الطائر والسلام .

(جوابه)

فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب الى اخيه عبد الملك : اما بعد فقد بلغني كتاب امير المؤمنين في عزل حسان وتوليتي موسي بن نصير وقد كان لمثلها مني منتظرا فى موسي ويعلمني انه قد امضي لي من رأيى فيما امضيت وولايتى من وليت وقد علمت ان امير المؤمنين يتفاءل بحسان للذى فتح الله على يديه ولم اعد مع نظرى لامير المؤمنين بان عزلت حسان ووليت موسي فى يمن طائره وحسن اثره واما قول أمير المؤمنين قد كنت انتظرها منك فلعمري لقد كنت لها فيه مرصداً ولامير المؤمنين ان يسبق بها اليه منتظرا حتى حضر امر جهدت فيه تقصي لامير المؤمنين ولنفسي الرأي والنصيحه والسلام

(كتاب عبد العزيز بالفتح الى عبد الملك)

قال وذكروا ان عبد العزيز كتب الى عبد الملك : اما بعد فاني كنت وانت يا أمير المؤمنين في موسى وحسان كالمراهنين ارسلا فرسيهما الى غايتهما فاتياهما وقدمدت الغاية لاحدهما ولولك عنده مزيد ان شاء الله وقدجاءني ياامير المؤمنين كتاب من موسي وقد وجهته اليك اقرأه وتحمد الله عليه والسلام

(جوابه)

فكتب اليه عبد الملك : اما بعد فقد بلغ امير المؤمنين كتابك وفهم المثل الذى مثلته فى حسان وموسى و يقول لك عند احدهما مزيد وكل قد عرف الله على يده خيرا ونصرا وقد اجريت وحدك وكل مجر بالخلاء مسرورا والسلام . ثم وجه عبد الملك رجلا الى موسي ليقبض ذلك منه على ماذكر موسي وعلى ما كتب به فلما قدم الرسول على موسي دفع اليه ماذكر وزيادة الفا للوفاء

(فتح هوارة . وزناتة . وكتامة)

قال وذكروا ان موسي ارسل عياش بن اخيل الى هوارة وزناتة فى الف فارس فأغار عليهم وقتلهم وسباهم فبلغ سبيهم خمسة آلاف راس وكان عليهم رجل منهم يقال له كامون فبعث به موسي الى عبد العزيز في وجوه الاسري فقتله عند البركة التي عند قرية عقبة فسميت بركة كامون فلما اوجع عياش فيهم دعوا الى الصلح فقدم على موسى بوجوههم فصالحوهم واخرجوهم وكانت كتامة قدقدمت على موسي فصالحته وولى عليهم رجلا منهم واخذ منهم رهونهم وكتب احدهم الى موسى انما نحن عبدانك قتل احدنا صاحبه وانا خير لك منه فلم يشك موسى ان ذلك انما كان عن ممالاة من كتامة وقد كانت رهون كتامة استاذنوا موسي قبل ذلك بيوم ليتصيدوا فاذن لهم فلما اتاه ما اتاه تحقق ظنه فيهم وانهم انما هربوا فوجه الخيول فى طلبهم فاتى بهم فاراد صلبهم فقالوا لاتعجل ايها الامير بقتلنا حتي يتبين امرنا فان ابائنا وقومنا لم يكونوا ليدخلوا في خلاف ابدا ونحن فى يدك وانت على البيان اقدر منك على استحيائنا بعد القتل فاوقرهم حديدا واخرجهم معه الي كتامه وخرج هو بنفسه فلما بلغهم خروج موسي تلقاه وجوه كتامة معتذرين فقبل منهم وتبينت له براءتهم واستحيى رهونهم .

(فتح صنهاجة)

قال وذكروا ان الجواسيس اتوا موسي فقالوا له ان صنهاجة بغرة منهم وغفلة وان ابلهم تنتج ولا يستطيعون براحا فاغار عليهم موسي باربعة آلاف من اهل

الديوان والذين من المتطوعة ومن قبائل البربر وخلف عياشا على اثقال المسلمين وعيالهم بطنجة في الف فارس وكان على مقدمة موسي عياض بن عقبة وعلى ميمنته المغيرة بن ابي بردة وعلى ميسرته زرعة بن ابي مدرك فسار موسي حتي غشي صنهاجة ومن كان معهم من قبائل البربر وهم لا يشعرون فقتلهم قتل الفناء فبلغ سبيهم مائة الف رأس ومن الابل والبقر والغنم والخيل والحرث والثياب مالا يحصي ثم انصرف قافلا الى القيروان وهذا كله في سنة ثمانين فلما سمعت الاجناد بما فتح الله على موسي وما أصاب معه المسلمون من الغنائم رغبوا في الخروج الى المغرب فخرج نحو ممن كان معه قالوا في المغيرة وصنهاجة واقتتلوا قتالا شديدا ثم ان الله منحهم اكتافهم وهزمهم فبلغ سبيهم ستين الف رأس ثم انصرف قافلا

(فتح سجوما)

قال وذكروا انه لما كانت سنة ثلاث وثمانين قدم على موسى بجدة بن موسى في طائفة اهل مصر فلما قدم عليه امر الناس بالجهاز والتأهب ثم سار يريد سجوما وما حولها واستخلف عبد الله بن موسى على القيروان ثم خرج وخرج معه عشرة آلاف من المسلمين وعلى مقدمته عياض بن عقبة وعلى ميمنته زرعة بن ابي مدرك وعلى ميسرته المغيرة بن ابي بردة القرشي وعلى ساقته جنده بن مسلم فاعطي اللواء ابنه مروان فسار حتي اذا كان بمكان يقال له سجوما نزل فخلف الاثقال وتجرد في الخيول وخلف على الاثقال عمرو بن أوس في الف فارس ثم مضى حتي انتهى الى نهر يقال له ملويه فوجده حاملا فكره دخول الماء على خيل من ثقل الزاد وان يبلغ الماء مخرجه ومكانه فاحدث مخاضة غير مخاضة نسب اليه فلم يمكنه ان يجوز عليهم فلما اجاز اليهم وانتهى اليهم وجدهم قد انذروا به فتأهبوا واستعدوا للحرب فاقتتلوا قتالا شديدا في جيش منيع لا يوصل اليهم الا من ابواب معلومة فقتلوا يوم خميس ويوم الجمعة ويوم السبت الى العصر فخرج اليهم رجل من ملوكهم مرافق والناس عنده يرون فنادى بالمبارزة فلم يخرج اليه احد فالتفت موسى الى مروان ابنه فقال له اخرج اليه اي بني فخرج اليه مروان ودفع اللواء الى أخيه عبد العزيز ابن موسي فلما رآه البربري ضحك ثم قال له ارجع فاني لا اريد ان اقتلك ابالك وكان حديث السن قال فحمل عليه مروان فكره حتي ألجأه الى جبله ثم انه زرق مروان بالمزراق فتلقاه مروان بيده وأخذه ثم حمل مروان عليه وزرقه به زرقة وقعت في جنبه ثم خرجت حتي وصلت الى جوف برذونه فمال فوقع به البرذون ثم التقي عليه الناس فاقتتلوا قتالا شديدا أنساهم ما كان قبله ثم ان الله هزمهم

وفتح للمسلمين عليهم وقتل ملكهم كسيلة ابن لمزم وبلغ سبيهم مائتى الف رأس فيهن بنات كسيلة وبنات ملوكهم وما لا يحصى من الذهب والملسات اللاتى ليس لهن ثمن ولا قيمة قال فلما وقفت بنات الملوك بين يدى موسي قال على بن عمروان انى قال فاتى به قال ايتهن ابنة ملكهم قال فاخذ ابنة كسيلة فاستسرها فهى أم عبد الملك بن مروان هذا . قال قاتل يومئذ زرعة بن ابى مدرك قتالا شديداً أبلى فيه حتي اندقت يمينه قال فامر موسى ان لا يحمل الا على رقاب الرجال حتى يدخل بالقيروان فحمله خمسون رجلا كل قوم يتعاقبونه بينهم ثم انصرف موسى وقد دانت له البلاد بما جمع فكتب الى عبد العزيز فتح بعد فتح وملات سباياه الآفاق وتنافس الناس فيه ورغبوا فيما هنالك لديه فكان عبد الملك بن مروان كثيرا ما يقول اذا جاءه فتوح موسى . انه ذلك تغلبة ابا الاصبع ثم يقول وعسي ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا . قال وبعث موسى الي عياض وعثمان والى عبيدة ابن عقبة فقال اشتفوا انفسكم فكم من ولده قال فقتل منهم عياض ستمائة رجل صبرا من خيارهم ... قال له موسي ان امسك فقال . اما والله لو تركتني ما امسكت ... طرف

﴿ قدوم الخمس على عبد الملك بن مروان ﴾

قال وذكروا ان موسي لما قدم وجه ذلك الخمس الي عبد العزيز بن مروان مع علي بن رباح ... حتى قدم على عبد العزيز بمصر فاجازه ووصله ووجهه الى عبد الملك بن مروان اخيه فلما قدم عليه اجازه ايضاً وزاده فى عطائه عشرين فلما انصرف قال له عبد الملك بكم زادك امير المؤمنين قال عشرين قال ولولا اكره ان افضى مثل ما فعل لزدتك مثلها ولكن تعدلها زيادة عشره وكتب عبد الملك الى موسى يعلمه انه قد فرض لجميع ولده فى مائة وبلغ به هو الى الثلاثين وفرض فى مواليه من اهل الجزية والبلاء ... خمسمائة رجل ثلاثين ثلاثين وكتب اليه ان أمير المؤمنين قد امر لك بمائة الف التى اغرمها لك فخذها من قبلك من الاخماس قال فلما قدم على موسى كتاب عبد الملك بن مروان يأمر باخذ المائة الف مما قبله قال فانى اشهدكم انها صدقة على المساكين ... وفي الرقاب وكان موسى اذ افاء الله عليه شيئا اشترى من ظن منهم انه يقبل الاسلام وينجب فيعرض عليه الاسلام فان رضي قبله من بعد ان يمحص عقله ويجرب فطنة فهمه فان وجده ماهرا امضي عتقه وتولاه وان لم يجد فيه مهارة رده فى الخمس والسهام . قال وكتب موسي الى عبد العزيز ببلاء زرعة بن ابى مدرك وما اوصله وانه لولا ذلك اوفده الى امير

المؤمنين ففرض له عبد العزيز فى مائة وفرض لثلاثين رجلا من قومه وانصرف موسي قافلا وذلك فى سنة اربع وثمانين

(عزوة موسي فى البحر)

قال وذكروا ان موسى اقام بالقيروان بعد قفله شهر رمضان وشوال فامر بدار صناعة بتونس وجرى البحر اليها فعظم عليه الناس ذلك وقالوا له هذا امر لا نطيقه فقام الي موسي رجل من مسالمة البربر ممن حسن اسلامه فقال له . ايها الامير قد مر على مائة وعشرون سنة وان ابي حدثني ان صاحب قرطاجنة لما اراد بناءها اتاه الناس يعظمون عليه ذلك فقام اليه رجل فقال له ايها الملك انك ان وضعت يدك بلغت منها حاجتك فان الملوك لا يعجزها شيئا افوتها وقدرتها فضع يدك بها الامير فان الله تعالى سيعينك فيما نويت ويؤجرك فيما توليت . فسر بذلك موسى واعجبه قول هذا الشيخ فوضع يده فبني دار صناعة بتونس وجرى البحر اليها مسيرة اثني عشر ميلا حتي اقحمه دار الصناعة فصارت مشتا للمراكب اذا هبت الانواء والارياح ثم امر بصناعة مائة مركب فاقام بذلك سنة اربع وثمانين وقدم عطاء بن ابي نافع الهذلى فى مراكب اهل مصر وكان قد بعثه عبد العزيز يريد سردانية فارسي بسوسة فاخرج اليه موسى الاسواق وكتب اليه ان ركوب البحر قد فات فى هذا الوقت وفي هذا العام فاقم لا تغرر بنفسك فانك فى تشرين الاخر فاقم بمكانك حتى يطيب ركوب البحر ، قال فلم يرفع عطاء لكتاب موسى راسا وشحن مراكبه ثم رفع فصار حتي اتى جزيرة يقال لها سالسلة وافتتحها واصاب فيها مغانم كثيرة واشياء عظيمة من الذهب والفضة والجواهر ثم انصرف قافلا فاصابته ريح عاصف فغرق عطاء واصحابه واصيب الناس ووقعوا بسواحل افريقية فلما بلغ ذلك موسي وجه يزيد بن مسروق فى خيل الى سواحل البحر يفتش على ما يلقي البحر من سفن عطاء واصحابه فاصاب تابوتا منحوتا قال فمنه كان اصل غناء يزيد بن مسروق قال ولقد اتيت شيخا متوكئا على قصبة فذهبت لافتشه فنازعني فاخذت القصبة من يده فضربت بها عنقه فانكسرت فتناثر منها اللؤلؤ والجواهر والدنانير ، ثم ان موسي امر بتلك المراكب ومن نجا من النوتية فادخلهم دار الصناعة بتونس . ثم لما كانت سنة خمس وثمانين امر الناس بالتاهب لركوب البحر واعلمهم انه راكب فيه بنفسه فرغب الناس وتسارعوا ثم شحن فلم يبق شريف ممن كان معه الا وقد ركب حتى اذا ركبوا فى الفلك ولم يبق احد الا ان يرفع دعا برمح فعقده لعبد الله بن موسي ابن نصير وولاه عليهم وامره ثم امره ان يرفع

من ساعته وانما اراد موسى بما اشار من مسيره ان يركب اهل الجلد والنكاية والشرف فسميت غزوة الاشراف ، ثم سار عبد الله بن موسى فى مراكبه وكانت تلك اول غزوة غزيت فى بحر افريقية قال فاصاب فى غزوته صقلية فافتتح مدينة فيها فاصاب مالايدري فبلغ سهم الرجل مئة دينار ذهبا وكان المسلمون ما بين الالف الى التسعمائة ثم انصرف قافلا سالما وأتت موسى وفاة عبد العزيز بن مروان واستخلاف الوليد بن عبد الملك سنة ست وثمانين فبعث اليه بالبيعة وبفتح عبد الله بن موسى وما افاء الله على يده ثم ان موسى بعث زرعة بن مدرك الى قبائل البربر فلم يلق حربا منهم ورغبوا في الصلح فوجه رؤسهم الى موسى فاعطاهم الامان وقبض رهونهم وعقد لعياش بن اخيل على مراكب اهل افريقية فشتا فى البحر واصاب مدينة يقال لها سركوسة ثم قفل فى ست وثمانين . ثم ان عبد الله بن مرة قام بطالعة اهل مصر على موسى فى سنة تسع وثمانين فعقد له موسى على بحر افريقية فاصاب سردانية وافتتح مدائنها فبلغ سبيها ثلاثة آلاف رأس سوى الذهب والفضة والحرث وغيره

(غزوة السوس الاقصى)

قال وذكروا ان موسى وجه مروان ابنه الى السوس الاقصى وملك السوس يومئذ مزدانة الاسوارى فسار فى خمسة آلاف من اهل الديوان ، فلما اجتمعوا ورأى مروان ان الناس قد تعجلوا الى قتال العدو وان في يده اليمنى القناة وفي يده اليسرى الترس وانه ليشير بيده الى الناس كما انتم . فلما التقى مروان ومزدانه اقتتل الناس اذ ذاك قتالا شديدا ثم انهزم مزدانة ومنح الله مروان اكتافهم فقتلوا قتلة الفناء فكانت تلك الغزوة استئصال اهل السوس على ايدى مروان فبلغ السبي اربعين الفا وعقد موسى على بحر افريقية حتى نزل ميورقه فافتتحها

(قدوم الفتوحات على الوليد بن عبد الملك)

قال وذكروا ان خادما للوليد بن عبد الملك بن مروان اخبرهم قال : انى لقريب من الوليد ابن عبد الملك وبين يديه طشت من ذهب وهو يتوضا منه اذ اتى رسول من قبل قتيبة بن مسلم من خراسان يفتح من فتوحها فاعلمته قال خذ الكتاب منه فاخذه فقراه فما اتى على آخره حتى اتى رسول آخر من قبل موسى بن نصير بفتح السوس من قبل مروان ابن موسى . فاعلمته قال هاته فقراه فحمد الله وخر ساجدا لله حامدا ثم التفت الى قال امسك الباب لا يدخل احد قال وكان عنده ابن له يحبوا بين يديه فلما خر الوليد ساجدا شاكرا لله جاء الصبى الى الطشت فاضطرب فيه وصاح فما التفت اليه قال وصرت لا استطيع

ايه موسى وخرج موسى بن نصير والناس معه حتي اتى المجاز فاجاز بمن زحف معه فى جموعه وعلى مقدمته طارق مولاه فوجد الجموع قد شردت اليه من كل مكان فسار حتي افتتح قرطبة وما يليها من حصونها وقلاعها ومدائنها فنفل الناس يومئذ غلولا لم يسمع بمثله ولم يسلم من الغلول يومئذ الا ابو عبد الرحمن الجبلى ثم ان موسى سار لا يرفع له شيء الا هذه يفتتح له المدائن يمينا وشمالا حتى انتهى الى مدينة الملوك وهى طليطلة فوجد فيها بيتا يقال له بيت الملوك وجد فيها اربعة وعشرين تاجا تاج كل ملك ولي الاندلس كان كلما هلك ملك جعل تاجه فى ذلك البيت وكتب على التاج اسم صاحبه وابن كم هو ويوم مات ويوم ولى ووجد فى ذلك البيت ايضا مائدة عليها اسم سليمان بن داود عليه السلام ومائده من جزع فعمد موسى الى التيجان والآنيه والموائد فقطع عليها الاغشية وجعل عليها الامناء ليس منها شيء يدرى ما قيمته، فاما الذهب والفضة والمتاع فلم يكن يحصيه احد

﴿ اتهام الوليد موسى بالخلع ﴾

قال وذكروا ان الوليد بن عبد الملك بن مروان لما بلغه مسير موسي بن نصير الى الاندلس ظن انه يريد ان يخلع ويقيم فيها ويمتنع بها وقيل ذلك له وابطات كتب موسي عليه لاشتغاله بما هنالك من العدو وتوطئه لفتح البلاد فامر الوليد القاضى ان يدعو على موسي اذا قضي صلاته وان موسي لما دخل طليطلة بعث على ابن رباح بفتحها واوفد معه وفدا فسار حتى قدم دمشق صلاة العصر فدخل المسجد فالفى القاضي يدعو على موسي فقال : ايها الناس الله الله فى موسي والدعاء عليه والله ما نزع يدا من طاعة ولا فارق جماعة وانه لفي طاعة امير المؤمنين والذب عن حرمات المسلمين والجهاد للمشركين وانى لا حدثكم عهدا به وما قدمت الان الا من عنده وان عندى خبره بما افاء الله على يده لامير المؤمنين وما ايد به المسلمين ما يقر به اعينكم ويسر به خليفتكم

(دخول وفد موسى على الوليد بن عبد الملك)

قال وذكروا ان الوليد لما بلغه خبر هذا المتكلم الوافد من عند موسي ارسل اليه فادخل عليه ثم قال له ما وراءك فقال كل ما تحب يا أمير المؤمنين تركت موسي ابن نصير فى الاندلس وقد أظهره الله ونصره وفتح على يديه مالم يفتح على يد احد وقد اوفدنى الى امير المؤمنين فى نفر من وجوه من معه بفتح من فتوحه فدفع اليه الكتاب من عند موسي فقرأه الوليد فلما أتى على آخره خر ساجدا فلما رفع رأسه اتاه فتح آخر فخر ايضاً ساجداً ثم رفع رأسه . فاتاه آخر بفتح آخر وخر ساجدا حتي ظننت انه لا يرفع رأسه

﴿ ذكر ما وجد موسى فى البيت الذي وجد فيه المائدة مع صور العرب ﴾

قال وذكروا ان هرم بن عياض حدثهم عن رجل من اهل العلم انه كان مع موسى بالاندلس حين فتح البيت الذى كانت فيه المائدة التي ذكروا أنها كانت لسليمان بن داود عليه السلام فقال: كان بيتاً عليه أربعة وعشرون قفلا كان كلما تولى ملك جعل عليه قفلا اقتداء منه بفعل من كان قبله حتى اذا كانت ولاية لوذريق القرطبي الذي افتتحت الاندلس على يديه وفى ملكه قال والله لاموت بغم هذا البيت ولافتحنه حتى اعلم مافيه فاجتمعت اليه النصرانية و لاساقفة والشمامسة وكل منهم معظم له فقالوا له ما تريد بفتح هذا البيت فقال والله لا اموت بغمه ولا علمت ما فيه فقالوا اصلحك الله انه لا خير في مخالفة السلف الصالح وترك الاقتداء بالاولياء فاقتد بمن كان قبلك وضع عليه قفلا كما صنع غيرك ولا يحملك الحرص على ما لم يحملهم عليه فانهم اولى بالصواب منا ومنك فابى الا فتحه فقالوا له انظر ما ظننت ان فيه من المال والجواهر وما خطر على قلبك فانا ندفعه اليك ولا تحدث علينا حدثا لم يحدثه فيه من كان قبلك من ملوكنا فانهم كانوا اهل معرفة وعلم : فابى الا فتحه ففتحه فوجد فيه تصاوير العرب ووجد كتابا فيه . اذا فتح هذا البيت دخل هؤلاء الذين هيئاتهم هكذا هذه البلاد فملكوها ، فكان دخول المسلمين من العرب اليه في ذلك العام

﴿ ذكر ما افاء الله عليهم ﴾

قال وذكروا عن الليث بن سعد ان موسى لما دخل الاندلس ضربوا الاوتاد لخيولهم فى جدار كنيسة من كنائسها فانفلتت الاوتاد فلم تلج فنظروا فاذا بصفائح الذهب والفضة خلف بلاط الرخام قال وذكروا أن رجلا كان مع موسي ببعض غزواته بالاندلس وانه رأي رجلين يحملان طنفسة منسوجة بالذهب والفضة والجوهر والياقوت فلما اثقلتهما انزلاها ثم حملا عليها الفاس فقطعاها نصفين فاخذا نصفا وتركا الاخر قال فلقد رأيت الناس يمرون يمينا وشمالا مايلتفتون اليها استغناء عنها بماهو انفس منها وارفع قال واقبل رجل الى موسى فقال ابعث معي ادلكم على كنز فبعث معه موسى رجالا فقال الذي دلهم انزعوا ها هنا فنزعوا فسال عليهم من الزبرجد والياقوت مالم يروا مثله قط فلمارأوه بهتوا وقالوا لا يصدقنا موسي ارسلوا اليه. فارسلوا حتى جاء ونظر قال وكانت الطنفسة قد نظمت بقضبان الذهب والفضة المسلسلة باللؤلؤ والياقوت والزبرجد قال وكان البربريان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتي يأتيا بالفاس فيضربا وسطها ويأخذ منها ما امكنهما اشتغالا بغير ذلك مما هو انفس منه قال

الليث وبلغني ان رجلا غل في غزوة عطاء بن رافع فحمل ماغله حتى جعله في مزادة بين كتفيه وصدره فحضره الموت فجعل يصيح المزادة المزادة وحدثنا ابن ابي الحجبي عن حميد عن ابيه انه قال لقد كانت الدابة تطلع في بعض غزوات موسى في ظرف حافرها فيوجد فيه مسامير الذهب والفضة . قال وكتب موسى حين افتتح الاندلس الى امير المؤمنين انها ليست كالفتوح يا امير المؤمنين ولكنه الحشر . واخبرني عن عبد الحميد بن حميد عن ابيه انه قال قدمت الاندلس امرأة عطارة فخرجت بخمسمائة راس فاما الذهب والفضة والآنية والجوهر فذلك لا يحاط بعلمه قال وحدثني ياسين بن رجاء انه قدم عليهم رجل من اهل المدينة شيخ كبير يحدثنا عن الاندلس وعن دخول موسى اياها وعماله فقيل له وكيف علمت هذا قال اني والله من سببه والا اخبركم بعجيب والله ما اشتراني الذي اشتراني الا بقبضة من فلفل لمطبخ موسى بن نصير فعلمت انه ما قدم ملك وقال اني كنت من وجوه الاندلس فلما سمع موسى بن نصير عمد الى عين ماله من الذهب والفضة والجوهر وغير ذلك فدفنته في موضع قد عرفته فتقدمت للخروج الى ذلك الموضع لاستخراجه فقلنا له كم لك منذ فارقته قال سبعون سنة قلنا له افنسيته قال نعم فلم ندر بعد ما فعل

(غزو موسى بن نصير البشكنس والافرنج)

قال وذكروا ان موسى خرج من طليطلة بالجموع غازيا يفتتح المدائن جميعا حتى دانت له الاندلس وجاءه وجوه جليقية فطلبوا الصلح فصالحهم وغزا البشكنس فدخل في بلادهم حتى اتى قوما كالبهائم ثم مال الى افرنجة حتى انتهى الى سرقسطة فافتتحها وافتتح ما دونها من البلاد الى الاندلس قال واصاب فيها ما لا يدرى هو ثم سار حتى جاوزها بعشرين ليلة وبين سرقسطة وقرطبة شهرا او اربعين ليلة قال وذكروا ان عبد الله بن المغيرة ابن ابي بردة قال كنت ممن غزا مع موسى الاندلس حتى افتتح سرقسطة وكانت من اقصى ما بلغنا مع موسى الا يسيرا من ورائها فاذا مدينة على بحر ولها اربعة ابواب قال فبينا نحن محاصروها اذ اقبل عياش بن اخيل صاحب شرطة موسى قال ايها الامير انا قد فرقنا الجيش ارباعا على نواحي المدينة وقد بقي باب الاقصى وعليه رتبة قال له موسى بن نصير دع ذلك الباب فانا سننظر فيه ثم ان موسى التفت الي قال لي كم معك من الزاد قلت ما بقي معي غير مليس قال فانت لم يبق معك غير ايسر وانت في امراء الجيش فكيف غيرك اللهم اخرجهم من ذلك الباب قال المغيرة فاصبحنا في ثلث الليلة وقد خرجوا من ذلك الباب فدخلها موسى منه ووجها ابنه مروان في طلبهم فادركهم فاسرع القتل فيهم واصابوا مما كان معهم ومما في المدينة شيئا عظيما قال وذكروا ان جعفر بن الاشتر قال كنت فيمن غزا الاندلس مع موسى فحاصرنا حصنا من حصونها عظيما بضعا وعشرين ليلة ثم لم نقدر عليه فلما

طال ذلك عليه نادى فينا ان اصبحوا على تعبئة وظننا انه قد بلغه مادة من العدو وقد دنت منا وانه يريد التحول عنهم قال بحنا لي تعبئة فقام فحمد الله ثم قال: ايها الناس انى امام الصفوف فان رأيتموني قد كبرت وحملت فكبروا واحملوا فقال الناس سبحان الله اترى فقد سلبه ام عزب عنه رايه يامرنا نحمل على الحجارة ومالا سبيل اليه: قال فقدم بين يدي الصفوف حيث يراه الناس ثم رفع يديه واقبل على الدعاء والرغبة فاطال ونحن ركوب منتظرين تكبيره فاستعددنا ثم ان موسي كبر وكبر الناس وحمل وحمل الناس فانهدت ناحية الحصن التى تلينا فدخل الناس منها ومار اعنى الا خيل المسلمين تمرع فيها وفتحها الله علينا واصبنا من السبي والجوهر مالا يحصى قال وحدثني رجل لعبد الله بن موسي وكانت من اهل الصدق والصلاح ان موسي حاصر حصنا الذى كانت من اهله وكان لمقاده حصن اخر قالت واقام لنا حاصرا حيناً ومعه اهله وولده وكان لا يعزو الا بهم لما يرجو في ذلك من الثواب قالت ثم ان اهل الحصن خرجوا الي موسي فقاتلوه قتالا شديدا فتح الله عليه قالت فلما كان ذلك اهل الحصن الاخر نزلوا على حكمه ففتحها موسي في يوم واحد فلما كان فى اليوم الثالث اتي حصنا ثالثا فالتقى الناس فقتلوا قتالا شديدا أيضاً حاتى ل المسلمون حوله قال فامر موسي بسرادقه فكشطه عن نسائه وبناته حتى برزن قال فلقد كسرت بين يديه من اغماد السيوف مالا يحصى المسلمون واحتدم القتال ثم ان الله فتح عليه ونصره وجاء العاقبة له وقال عبد الرحمن بن سلام كنت فيمن عزا مع موسى في غزواته كلها فما رد له راية قط ولا هزم له جمع قط حتى مات وقال ابن صخر لما قدم موسى الاندلس قال أسقف من اساقفتها انا لنجدك في كتب الحدثان عن دانيال بصفتك صيادا بشبكتين رجل لك فى البر ورجل فى البحر تضرب بهما ها هنا وها هنا فتصيد. قال فسر بذلك موسي واعجبه قال عبد الحميد بن حميد عن ابيه ان موسي لما وغل وجاوز سرقسطة اشتد ذلك على الناس وقالوا أين تذهب بنا حسبنا ما في ايدينا وكان موسي قال حين دخل افريقيا وذكر عقبة بن نافع اما كان غرر بنفسه حين وغل فى بلاد العدو والعدو عن يمينه وعن شماله وامامه وخلفه اما كان معه رجل رشيد فسمعه حبيش الشيبانى قال فلما بلغ موسي ذلك المبلغ قام حبيش فاخذ بعنانه ثم قال: ايها الامير انى سمعتك وانت تذكر عقبة بن نافع تقول غرر بنفسه ومن معه اما كان معه رجل رشيد وانا رشيدك اليوم اين تذهب تريد ان تخرج من الدنيا او تلتمس اكثر او اعظم مما اتاك الله عز وجل واعرض ما فتح الله علينا ويدوخ لك انا سمعت من الناس ما لم تسمع وقد ملؤا ايديهم واحبوا الدعة. قال فضحك موسي ثم قال ارشدك الله وكثر فى المسلمين مثلك ثم انصرف قافلا الى الاندلس

فقال موسى يومئذ أما والله لو انقادوا الى لقدتهم الى رومية ثم يفتحها الله على يدى ان شاء الله

(خروج موسى بن نصير من الاندلس)

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام أخبرهم وكان مع موسى بن نصير بالاندلس قال اقام موسى بقية سنته تلك واشهرا من سنة اربع وتسعين ثم خرج وافدا الى الوليد بن عبد الملك وكان ما اقام بها موسى عشرين شهرا واستخلف عبد العزيز ابن موسى فجاز موسى البحر على الاندلس فنزا بالناس حتى بلغوا اربونة ومعه ابناء الملوك من الافرنج وبالتيجان والمائدة والآنية والذهب والفضة و الوصفاء الوصائف ومالا يحصي من الجوهر والطرائف وخرج معه بوجوه الناس قال وذكروا عن صفة المائدة عن عبد الحميد انه قال . كانت مائدة خوان ليست لها ارجل قاعدتها منها وكانت من ذهب وفضة خليطين فهي تتلون صفرة وبياضاً مطوقة بثلاثة اطواق طوق لؤلؤة وطوق ياقوت وطوق من زمرد قال قلت فما عظمها قال . كنا بموضع والناس معسكرون اذ قلت بغل لرجل من موالي موسى يقال له صالح ابو ريشة على رمكة فكردها في العسكر فقام الناس اليه باعمدة الاخبية وجال في العسكر جولة فتطلع موسى قال ماهذا وتطلع الجواري فاذا هو بالبغل يكرد الرمكة وقد ادلى فغار موسى وقال احملوا عليه المائدة فلم يبلغ بها الامنقلة حتى تفتحت قوائمه لكثرة ثقلها على هذا البغل القوى

(قدوم موسى افريقية)

قال وذكروا ان يزيد بن مسلم مولى موسى اخبرهم انه لما جاز موسى الحصن امرهم بصناعة العجل فعملت له ثلاثون ومائة عجلة ثم حمل عليها الذهب والفضة والجوهر واصناف الوشي الاندلسي حتى اتى افريقية فلما قدمها بنى بها سنة اربع وتسعين ثم قفل واستخلف ابنه عبد الله على افريقية وطنجة والسوس وخرج معه ولده مروان بن موسى وعبد الاعلى بن موسى وعبد الملك بن موسى وخرج معه مائة رجل من اشراف الناس من قريش والانصار وسائر العرب ومواليها منهم عياض بن عقبة وعبد الجبار بن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف والمغيرة بن ابي بردة وزرعة بن ابي مدرك وسليمان بن نجد ووجوه من وجوه الناس واخرج معه من وجوه البربر مائة رجل فيهم بنو كسيلة وبنو قصدر وبنو ملوك البربر وملك السوس مزدانة ملك قلعة ارساف وملك ميورقة وخرج بعشرين ملكا من ملوك جزائر الروم وخرج معه مائة من ملوك الاندلس ومن الافرنجيين ومن القرطبيين

وغيرهم ويخرج معه ايضاً باضعاف ما في كل بلد من بزها ودوابها ورقيقها وطرائفها وما لا يحصي واقبل يجر الدنيا وراءه جرا لم يسمع بمثله ولا بمثل ما قدم به

﴿ قدوم موسى الى مصر ﴾

قال وذكروا ان يزيد بن سعيد بن مسلم قال لما اتى موسى مصر وانتهى ذلك الى الوليد بن عبد الملك كتب الى قرة بن شريك ان ادفع الى موسى من بيت مال مصر ما اراد فاقبل حتى اذا كان في بعض الطريق لقيه خبر موت قرة بن شريك ثم قدم مصر سنة خمس وتسعين فدخل المسجد فصلى عند باب الصوالي وكان قرة قد استخلف بن رفاعة على الجند حتى توفى فلما سمع بموسى خرج مبادرا حتى لحقه حين استوى على دابته فلقيه فسلم عليه فقال له موسى من انت يا ابن اخي فانتسب له فقال مرحباً واهلا فسار معه حتى نزل منية عمرو بن مروان فعسكر بها موسى فكلمه حينئذ رفاعة في المال الذي كان استخرجه من سفيان بن مالك الفهري وذلك بعد مهلك سفيان فقال هو لك قال فامر بدفع عشرة آلاف دينار الى ولد سفيان بن مالك قال فاقام موسى ثلاثة ايام تأتيه اهل مصر في كل يوم فلم يبق شريف الا وقد اوصل اليه موسى صلة ومعروفا كثيرا واهدي لولد عبد العزيز ابن مروان فاكثر لهم وجاءهم بنفسه فسلم عليهم ثم سار متوجها حتى اتى فلسطين فتلقاه آل روح بن زنباع فنزل بهم فبلغني انهم نحروا له خمسين جزورا واقام عندهم يومين وخلف بعض اهله وصغار ولده عندهم واجاز آل مروان وآل روح بن زنباع بجوائز من الوصائف وغير ذلك من الطرف

﴿ قدوم موسى على الوليد رحمهما الله تعالى ﴾

قال وذكروا ان محمد بن سليمان وغيره من مشايخ اهل مصر اخبروهم ان موسى لما قدم على الوليد وكان قدومه عليه وهو في آخر شكايته التي توفي منها وقد كان سليمان بن عبد الملك بعث الى موسى من لقيه في الطريق قبل قدومه على الوليد يأمره بالتثبط في مسيره وان لا يعجل فان الوليد بآخر رمقه . فلما اتى موسى بالكتاب من سليمان وقرأه قال : خنت والله ماغدرت وما وفيت والله لا تربصت ولا تأخرت ولا تعجلت ولكني اسير بمسيري فان اوافيه حيا لم اتخلف عنه وان عجلت منيته فامره الى الله فرجع الرسول الى سليمان فاعلمه فقال لئن ظفرت بموسى ليصلبنه اوليأتين على نفسه فلما قدم موسى على الوليد وكان الوليد لما بلغه قدوم موسى واقترابه منه وجه اليه كتابا يأمره اليه بالعجلة في مسيره خوفا ان تعجل به منيته قبل قدوم موسى عليهم وانه اراد ان يراه وان يحرم سليمان ما جاء به فلم يكن

لموسى شيء يشبطه حين اتاه كتاب الوليد فاقبل حتى دخل عليه وقدم اليه الطرائف من الدر والياقوت والزبرجد والوصفاء والوصائف والوشي ومائدة سليمان بن داود عليه السلام ومائدة ثانية من جزع ملون والتيجان قال فقبض الوليد الجميع وامر بالمائدة فكسرت وعمد الى خير ما فيها والتيجان واخرج خمسه وبيت الله الحرام وفرق غير ذلك ولم يلبث الوليد ان مات رحمه الله .

{ خلافة سليمان بن عبد الملك وما صنع بموسى بن نصير }

قال وذكروا ان عبد الرحمن بن سلام اخبرهم ان سليمان بن عبد الملك لما افضت الخلافة اليه بعث الى موسى فاوقفه ... وكان فيما قال له بوشك أعلى اجرأت وامرى خالفت والله لاقلن عددك ولاوفرقن جمعك ... منك ما كان يرفعه غيرى ممن كنت تمنيه الاماني الغرور وتخدعه من آل مروان . فقال له موسى : الله يا امير المؤمنين ما تعلم على من سوء اني وفيت للخلفاء قبلك وحافظت على ولي النعمة عنده فيه فاما ما ذكر امير المؤمنين من انه يقل عددي ويفرق جمعي ويبدد مالي ويخفض حالي فذلك بيد الله والى الله وهو الذى يتولى النعمة على الاحسان الى وبه استعين ويرفع الله عز وجل امير المؤمنين ويعصمه ان يجرى على يديه شيئا من المكروه لم استحقه ولم يرتفع ... فامر به سليمان فوقف فى يوم صائف شديد الحر على طريقه ... نسمة فلما اصابه حر الشمس واتعبه الوقوف هاجت عليه ... فما زال كذلك حتى سقط وعمر بن عبد العزيز حاضر ... سليمان الى موسى وقد وقع مغشيا عليه قال عمر بن عبد العزيز : فما مر بى يوم كان اعظم عندي ولا كنت فيه اكرب من ذلك اليوم لما رأيت من الشيخ موسى وما كان عليه من بعد اثره فى سبيل الله وما فتح الله على يديه . قال فالتفت الى سليمان فقال يا أبا حفص ما اظن الا قد خرجت من يميني قال عمر . فاغتنمت ذلك منه فقلت يا امير المؤمنين شيخ كبير بادن وبه نسمة قد اهلكته وقد كانت على ما فيه من السلامة لك من يمينك وهو موسى البعيد الاثر فى سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين قال عمر والذى منعني من الكلام فيه ما كنت اعلم من يمينه وحقده عليه فخشيت ان ابتدأته ان يلج عليه وهو لحوح قال فلما قال لى ما قال حمدت الله على ذلك وعلمت ان الله قد احسن اليه وان سليمان قد ندم فقال سليمان من يضمه فقال يزيد بن المهلب انا اضمه يا أمير المؤمنين قال وكانت الحال بين يزيد وموسى لطيفة خاصة قال سليمان فضمه اليك يا يزيد ولا تضيق عليه قال فانصرف به يزيد وقد قدم اليه دابة ابنه

مخلد فركبها موسي فاقام اياما ثم انه تقارب ما بين موسي وسليمان في الصلح حتى افتدى منه موسي بثلاثه الاف الف دينار

(عدد موالي موسي بن نصير)

قال وذكروا عن بعض البصريين ان رجلا منهم اخبرهم ان يزيد قال لموسي ذات ليلة وقد سهر سهرا طويلا يا أبا عبد الرحمن كم تعد مواليك واهل بيتك فقال كثيرا قال يكونون الفا قال له موسي نعم والفا والفا حتى ينقطع النفس لقد خلفت من الموالي ما ظن ان احدا خلف مثلهم قال له يزيد انك لعلى مثل ما وصفت وتلقي بيدك ألا أقمت بدار عزك وموضع سلطانك وبعثت بما قد قدمت به فان اعطيت الرضا اعطيت الطاعه والا كنت في التخيير من امرك فقال موسي والله لو اردت ذلك ما نالوا طرفا من اطرافي الى ان تقوم الساعة ولكني آثرت حق الله ولم ار الخروج من الطاعة والجماعة ثم خرج يزيد من عنده فذكر اليه موسي قال لي عنده والله لو في رأس ابن خالد لنفرة وليأتين عليها

(ذكر ما راى موسي بالمغرب من العجائب)

قال وذكروا عن محمد بن سليمان عن مشائخ اهل مصر قال لما بعث موسي رحمه الله بالخمس الذي افاء الله عليه وكان مائة الف رأس فنزلوا بالاسكندرية ونزل بعضهم كنيسة فيها فسميت كنيسة الرقيق الى اليوم ونزلوا موضعا بالفسطاط فسمو قوافيه فسمي سوق بربر الى اليوم قال محمد بن سليمان وحدثنا ابن عبد الملك ان موسي اتخذ لنفسه دارا بمكة حتى كان من امر سليمان ما قد ذكر وهو الذي اخرجه واهله من المغرب قال وحدثنا بعض اهل افريقية ان موسي ركب يوما حتى خرج من القيروان فوقف قريباً من افريقية على راس اميال فأخذ بيده ترابا فشمه ثم امر بحفر بئر واتى دارا واتخذ فيها خيلا فسميت بئر منستير الخيل فليس يعلم بالمغرب بئر اعذب منها وحدثنا ابو بكر عبد الوهاب ابن عبد الغفار شيخ من مشائخ تونس قال ان موسى انتهى الى صنم يشير باصبعه خلفه ثم تقدم الى صنم امام الصنم الاول فاذا هو يشير باصبعه الى السماء ثم تقدم فاذا بصنم على نهر ماء جار يشير باصبعه تحت قدميه فلما انتهى موسي الى الصنم الثالث قال موسي احفروا فاذا بصحف مختوم الرأس قد اخرج فامر به موسي فكسر فخرجت ريح شديدة فقال موسي للجيش اتدرون ماهذا قالوا لا والله ايها الامير ما ندري قال ذلك شيطان من الشياطين التي سجنها نبي الله سليمان بن داود قال وحدثنا بعض مشائخ اهل المغرب ان موسي ارسل ناسا في مراكب وامرهم ان يسيروا حتى ينتهوا الى صنم يشير باصبعه امامه في جزيرة في

البحر ثم يسيروا حتى يأتوا صنما آخر فى جزيرة يشير باصبعه امامه ثم يسيروا الليالى والايام ويجدوا فى السير حتى يأتوا صنما آخر فى جزيرة فى البحر فيها ناس لا يعرفوا كلامهم قال فاذا بلغتم ذلك فارجعوا وذلك فى اقصى المغرب ليس وراءه احد من الناس الا البحر المحيط وهو اقصى المغرب فى البر والبحر. قال وحدثنا بعض المشائخ من اهل المغرب ان موسى بلغ نهراً من اقصى المغرب فاذا عليه فى الشق الايمن صنام ذكور وفي الايسر اصنام اناث وان موسى لما انتهى الى ذلك الموضع خاف الناس فلما رأى ذلك منهم رجع الناس ثم مضى في وجهه ذلك حتى انتهى الى ارض تميد باهلها ففزع الناس وخافوا فرجع بهم. قالوا وحدثنا عبد الله بن قيس قال بلغني ان موسى لما جاوز الاندلس اتى موضعا فاذا فيه قباب من نحاس فامر بقبة منها فكسرت فخرج منها شيطان فنفخ ومضى فعرف موسى انه شيطان من الشياطين التي سجنها سليمان ابن داود فامر موسى بالقباب فتركت على حالها وسار بالناس قال وحدثنا عمارة راشد قال بلغنا ان موسى كان يسير فى بعض غزواته وهو باقصى المغرب اذ غشي الناس ظلمة شديدة فجبن الناس منها وخافوا وسار بهم موسى فى ذلك اذ هجم على مدينة عليها حصن من نحاس فلما اتاها اقام عليها وطاف بها فلم يقدر على دخولها فامر بنبل ورماح وندب الناس فجعل يقول من يصعد هذه وله خمسمائة دينار فصعد رجل فلما استوى على سورها تردى فيها ثم ندب الناس موسى ثانية وقال من يصعد وله الف دينار فصعد آخر ففعل به مثل ذلك ثم ندب الناس ثالثة قال من يصعد وله الف وخمسمائة دينار فصعد رجل ثالث فاصابه ما اصاب صاحبيه فكلم الناس موسى فقالوا هذا امر عظيم اصيب اخواننا وغررت بهم حتى هلكوا فقال لهم على رسلكم ياتيكم الامر على ما تحبون ان شاء الله ثم امر موسى بالمنجنيق فوضعت على حصن المدينة ثم امر ان يرمى الحصن فلما علم من فى الحصن ما عمل موسى ضجوا وصاحوا وقالوا يا ايها الملك لسنا بغيتك ولا نحن ممن تريد نحن قوم من الجن فانصرف عنا فقال لهم موسى اين اصحابى وما فعلوا قالوا هم عندنا على حالهم فقال اخرجوهم الينا قالوا نعم فاخرج الثلاثة فسالهم موسى عن امرهم وما صنع بهم فقالوا ما درينا ما كنا فيه وما اصابتنا شوكة حتى اخرجنا اليك فقال موسى الحمد لله كثيرا ثم تقدم بالناس سائرا يفتتح كل ما مر به. ثم نرجع الى حديث سليمان بن عبد الملك

(تولية سليمان بن عبد الملك اخاه مسلمة وما اشار به موسى عليه)

قال وذكروا ان سعيد بن عبد الله اخبرهم قال ان سليمان بن عبد الملك بعث مسلمة الى ارض الروم ووجه معه خمسمائة وثلاثين الف رجل وخمسمائة رجل ممن

قد ضمه الديوان واكتتب العطاء وتقلب فى الارزاق ثم دعا سليمان موسى بعد الرضى عنه على يد عمر بن عبد العزيز فقال له سليمان أشر علي ياموسي فلم تزل مبارك الغزوة في سبيل الله سعيد الاثر طويل الجهاد فقال له موسى ارى ياامير المؤمنين ان توجه بمن معه فلا يمر بحصن الا يصير عليه عشرة آلاف رجل حتى يمرق نصف جيشه ثم يمضي بالباقى من جيشه حتى يأتي القسطنطينية فانه يظفر بمن يريد ياأمير المؤمنين . قال فدعا سليمان مسلمة فامره بذلك من مشورة موسى واوعز اليه فلما علم مسلمة بالمشورة فكانه كره ذلك وكان فى مسلمة بعض الاباءة ثم رجع الى قول موسى وبما صنع بارض الروم حين ظهر بطريق من البطارقة لملك الروم فقال البطريق لمسلمة آمني على نفسي واهلي ومالي وولدي وانا آتيك بالملك فامنه ومضي البطريق الى الملك الاعظم فاعلمه بما فعل مسلمة وبما تظاهر به منه ومن حصون الروم فلما رأى ذلك ملك الروم اعظم ذلك وقطع في يده فقال البطريق له عند ذلك مالي عليك ان صرفت مسلمة عنك بجميع من معه فقال الملك اجعل تاجي على رأسك وأقعدك مكاني فقال البطريق انا اكفيك ذلك فرجع البطريق الى مسلمة فقال اخرني ثلاثا حتى آتيك بالملك فبعث البطريق الى جميع الحصون فامرهم بالتقدم الى الجبال بحمل ماقدروا عليه من الطعام وامر باحراق الزرع ... ذلك مما يؤكل وينتفع به مما كان خلفه مسلمة وجنده وما بين المسلمين وملك الروم فلما فعلوا ما امروا به وعلم انه احكم امره بعث الى مسلمة فقال له لو كنت امرأة لعملت بك كما يعمل الرجل بامرأته . قال فتغيظ مسلمه وآلى ألا يبرح حتى يظفر بملك الروم

﴿ سؤال سليمان موسي عن المغرب ﴾

قال وذكروا ان محمد بن سليمان اخبرهم ان سليمان بن عبد الملك قال لموسى من خلفت على الاندلس قال له عبد العزيز بن موسي قال ومن خلفت على افريقية وطنجة والسوس قال عبد الله ابني . فقال له سليمان لقد انجبت ياموسى فقال موسي ومن انجب مني ياأمير المؤمنين ان ابني مروان اتى بملك الاندلس وابني عبد الله اتى بملك ميورقة وصقلية وسردانية وان ابني مروان اتى بملك السوس الاقصي فهم متفرقون فى الامصار وغيرهم يغيرون فيأتون من السبي بما لا يحصى فمن انجب مني ياأمير المؤمنين قال فغضب سليمان وقال ولا امير المؤمنين ليس بانجب منك فقال موسي شأن أمير المؤمنين شأن ليس فوقه شأن وكل شأن وان عظم دونه لانه به ومنه وعلى يديه وأمره . قالوا وحدثنا عبد الله ابن شريح قال بلغني ان موسي لما نزل الحيرة عند قدومه من المغرب اتاه رجلا من بني امية فقال له ياموسى انت ملك

المغرب واعلم الناس تخرج الى الوليد وتعلم من سليمان فقال له موسى : يا ابن أخي حسبك من قريش ثم من بني امية ما تعلم الا ترى يا بن أخي ان الصبي يأخذ العظم فيعقفه بحبل ثم ينصبه ويهيء ويضع فيه حبة بر او ذرة فينصب للهدهد العالم بما تحت الارض ثم تدفعه المقادير الى الوقوع فيه فاحذر يا ابن اخي ان تراك الشام او تراها . فخرج موسى الى الوليد بدمشق فمات الوليد وا ستخلف سليمان اخاه فلقي منه موسى ماذكرنا واخرج القرشي الى الشام فضربت عنقه .

﴿ ذكر قدوم موسى على الوليد ﴾

قال وذكروا ان موسى لما قدم على الوليد وذلك يوم الجمعة في حين جلوس الوليد بن عبد الملك على المنبر وكان موسى قال لبعض من وفد معه بان يلبس كل رجل من الاسرى تاجا وثياب الملك ذلك التاج ثم يدخلوا معه المسجد قال فالبس ثلاثين رجلا ثلاثين تاجا وهيأهم هيئة الملوك وامر بابناء ملوك البربر فهيئوا وامر ابناء ملوك الجزائر والروم فهيئوا كذلك والبسوا التيجان وامر بابناء ملوك الاسبان فهيئوا بمثل ذلك وامر بالاموال والجوهر واللؤلؤ والياقوت والزبرجد والجزع والوطاء والاكسية المنسوج بالذهب والفضة الحرير باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فوضع الجميع بباب الوليد وابناء ملوك افرنجة واقبل موسى بالذين البسهم التيجان حتى دخل مسجد دمشق والوليد على المنبر يحمد الله وهو موهون قد اثرت فيه العلة واسهكه المرض وانما كان يتحمل لاجل قدوم موسى ومن معه فلما رآهم بهت اليهم وقال الناس موسى موسى ثم اقبل حتى سلم على الوليد ووقف الثلاثون بالتيجان عن يمين المنبر وشماله فاقبل الوليد واخذ في حمد الله والثناء عليه والشكر لما ايده الله من نصره فتكلم بكلام حسن حتى جاء وقت الجمعة ثم صلى بالناس فلما فرغ جلس موسى معه فسجد الوليد لله ثلاث مرات واجازه بخمسين الف دينار وفرض لولده وفرض خمسمائة من مواليه ثم ادخل عليه موسى ملوك البربر والروم وملوك الاسبان وملوك افرنجة ثم ادخل عليه رؤوس اهل الذمة من قريش والعرب فاحسن جوائزهم وفرض لهم في الشرف ثم اقام موسى بالشام اياما ثم ان الوليد هلك .

﴿ ذكر ما نقم سليمان على موسى ﴾

قال وان سليمان قد كان اخذ البيعة بعد اخيه الوليد فكان احنق الناس على الحجاج ومن كان يتولى موسى وكان يحلف لئن ظفر بهما ليصلبنهما وكان عنده عليهما امر يطول ذكره ثم قال فارسل سليمان الى عمر بن عبد العزيز فاتاه فقال اني طالب

غداً موسي بن نصير فبعث عمر الى موسي فأتاه فقال له : يا ابن نصير انى احبك لاربع خصال الواحده بعد اثرك في سبيل الله وجهادك لعدو الله والثانية حبك لآل محمد صلى الله عليه وسلم والثالثة حبك عياض بن عقبة لما تعلم من حسن رأيي فيه وكان من عباد الله الصالحين والرابعة أن لابي عندك يداً وصنيعته حيث كانت وقد سمعت أمير المؤمنين يذكر انه صائلك غدا فاحدث عهدك وانظر فيما أنت فيه ناظر من أمرك فقال له موسى قد فعلت وأسندت ذلك اليك فقال له عمر لو قبلت ذلك من أحد قبلته منك ولكن أسند الى من أحببت فانصرف فلما أصبح اغتسل وتحنط وراح ولم يشك في حتفه فلما انتصف النهار واشتد الحر وذلك في حمارة الصيف دعا سليمان بموسي فادخل عليه منعبا وكان بادنا جسيما به نسمة لا تزال تعرض له فلما وقف بين يديه شتمه ووبخه وتوعده فقال له موسي أما والله يا أمير المؤمنين ماهذا بلائي ولا قدر جزائي انى البعيد الاثر في سبيل الله العظيم الغناء عن المسلمين مع قديم آبائي مع آبائك والنصح لهم. قال فيقول له سليمان كذبت قتلني الله ان لم اقتلك فلما اكثر على موسى قال له أما والله لمن في بطن الارض أحب الى ممن على ظهرها فقال سليمان ومن ذلك واستعظم فقال له موسى مروان وعبد الملك والوليد أخوك وعبد العزيز عمك. قال وكاد سليمان ينكسر ثم يقول قتلني الله ان لم أقتلك فقال له موسى ما انت بفاعل يا امير المؤمنين فيقول ولم لا أم لك فيقول له موسى انى لارجو ان لا يكرم موسى بهوان امير المؤمنين وموسى حينئذ قائم في الشمس قد ارعى نفسه عظم جهده ثم التفت سليمان الى عمر بن عبد العزيز فقال ما أرى يميني الا قد برئت يا عمر قال عمر فعظمتها منه ولم آمن ان يحنث باحياء رجل من المسلمين فقلت احلل يا أمير المؤمنين امرؤ كبرت سنه وكثر لحمه وبه نسمة وبهر وسقم فما اراه الا ميتا قال ثم التفت سليمان الى جلسائه فقال من يأخذ هذا الشيخ فيستخرج منه هذه الاموال فقال يزيد بن المهلب انا يا امير المؤمنين قال فخذه ولا تمسه وضم العذاب على ابنه مروان وعبد الاعلى فخرج به يزيد فحمله على دابة ابنه ثم انصرف به الى منزله فاكرمه وبرد وقال له يا ابا عمرو واجب امير المؤمنين الى مقاضاته عن نفسك وعن ابنيك وحماني كلما قاضيته عليه . فقال له موسى اما اذا كنت انت صاحب هذا الشأن فانا غير مخبرك فيما ضمنت لامير المؤمنين وايم الله لو امر سواك بي وامره فبسط على لكان احب الى ان القى الله عز وجل واقرب الى من ان يأخذ مني دينارا واحدا ولكن اديا يا بني عن انفسكما وعن ابيكما فقالا نعم فغدا يزيد بن المهلب الى سليمان فاعلمه بذلك وبرضا موسى بمقاضاته فادخله سليمان عليه فقال موسى

ارايت لو لم اقاضك ماكنت فاعلا فقال سليمان اضع العذاب عليك وعلى ابنيك حتى ابلغ ما اريد او آتى على نفسكم فقال موسى الآن طابت نفسك يا امير المؤمنين فاعطني اربع خصال ولك ما دعوتك اليه من هذا المال فقال وما هي قال لا تعزل عبدالله بن موسى عن افريقية نرجيء عمله سنتين وان كل ما جباه عبد الله بافريقية وعبد العزيز بالاندلس فهو لي فما تاضيت عليه امير المؤمنين وان تدفع الى طارقا مولاي فاكون اعلاه عينا وعاله فقال له سليمان اما ما سألت من اقرار عبد العزيز وعبد الله على مكانهما فذلك لك واما ما سألت من دفع طارق اليك فتكون اعلا عينا به وعاله فليس هذا جزاء اهل النصيحة لامير المؤمنين قال مت فاعل ولا نخلي بينك وبين عدوه ولا آخذ ماله فقضاه موسى على مال فاجله في ذلك وخلى سبيله

﴿نسخة القضية﴾ هذا ماقاضى عليه عبد الله سليمان امير المؤمنين موسى ابن نصير قاضاه على اربعة آلاف الف دينار وثلاثين الف دينار وخمسين دينارا ذهبا طيبة يؤديها الى امير المؤمنين وقد قبض منها امير المؤمنين الف الف وبقى على موسى سائر ذلك اجله امير المؤمنين الى مقدم رسول امير المؤمنين الى ابن موسى الذي بالاندلس عكث شهرا بالاندلس وليس له ان عكث بعد ذلك اوما واحدا حتى يقبل راجعا بالمال الا ما كان من افريقية وادها وليس لموسى ان يتكثر بشيء مما كان عليه من العمل منذ استخلف الله امير المؤمنين من دهقان او امانة فهو لامير المؤمنين يأخذه ويقصيه ولا يحسبه موسى من غرامته فان ادى موسى الذي سمى امير المؤمنين في كتابه هذا من المال الى ماقد سمى امير المؤمنين من الاجل فقد برىء موسى وبنوه واهله ومواليه وليست عليهم تبعة ولا طلبة في المال ولا في العمل يقرون حيث شاؤا وما كان قبض موسى او بنوه من عمال موسى الى قدوم رسول امير المؤمنين افريقية فهو من الذى على موسى من المال يحسب له من الذى عليه مالم يقبض قبل وصول رسول امير المؤمنين فليس منه في شيء وقد خلى امير المؤمنين بين موسى وبين اهله ومواليه ليس له ظلم احد منهم غير ان امير المؤمنين لا يدفع اليه طارقا مولاه ولاشيئا من الذى قداباه عليه اول يوم شهد ايوب بن امير المؤمنين وداود بن امير المؤمنين وعمر بن عبدالعزيز وعبد العزيز ابن الوليد وسعيدبن خالد ويعيش بن سلامه وخالد بن الريان وعمر ابن عبد الله ويحيي بن سعيدوعبد الله بن سعيدوكتبه جعفر بن عثمان في جمادى سنة تسع وتسعين فلما تقاضيا امر سليمان يزيد بن المهلب بتحلية موسى وابنيه والكف عنه فاعانه يزيد بن المهلب بمائة الف دينار فاهدى اليه موسى حقاً فيه ثلاث خرزات فبعث

بعث الى ابن المهلب فقومهن فقوبلن ثلاثمائة الف دينار فقال ابن المهلب لموسى اتدري لم قمت لامير المؤمنين انا اصممه قال لاقال خفت ان يجيبه قبلي من لا يرى فيك ما انا عليه لك وكانت لك يد عند المهلب رحمه الله فاحببت ان اجزيك بها عندكم وبالله لو لم تفعل ورايت عين القضاة ماتا كنت عندي شركة حتى لا يبقى لآل المهلب مال ولا ثوب. قال فجزاه موسى خيرا

﴿ ذكر يد موسى الى المهلب ﴾

قال وذكروا ان شيخا اخبرهم من شيوخ الشام ممن ادرك القوم وصحبهم قال كانت اليد التي اسداها موسى الى المهلب ان عبد الملك بن مروان لما ولي العراق بشراً اخاه جعل معه موسى بن نصير وزيرا ومدبر الامر وقد كانت الازارقة افسدت ماهنالك فامر عبد الملك بشر بن مروان ان يولى المهلب قتالهم وكان بشر للمهلب مبغضا فلما قدم بشر العراق علم المهلب برأيه اعتزل بشرا فلم يأته فولى بشر بن مروان قتال الازارقة الوليد بن خالد فانهزم وافتضح ثم ولي بشر رجلا آخر فلم يصنع شيئا وكتب عبد الملك الى بشر اخيه يفند رايه فيما صنع ويوبخه لما خالف رأيه وصمم بشر على رأيه فلما استغلظ امر الازارقة استشار بشر بن مروان واسماء بن خارجة وعكرمة بن ربعي وموسى بن نصير في امر المهلب فاما عكرمة واسماء فوافقا هواه فيه واما موسى فقال له ان امير المؤمنين لا يحتملك على المعصية وليس مثل المهلب في فضله وشرفه وقدره في قومه ومعرفته اقصيت اوجفوت فان كان ما بلغك امر يقال انه اتاه فاكشفه عنه حتى تعلم عذره فيه او ذنبه فلم يزل موسى يردد امر المهلب على بشر ويعطيه عليه بعد ان كان هم بقتله ان ظفر به حتى ارسل اليه بشر فجاءه المهلب فتنصل اليه المهلب فقبل منه بشر وولاه ما كان يلي. فبعث اليه موسى بخمسين فرسا وبمائة بعير وقال له استعن بها على حربك ثم لم يزل موسى قائما بامره عند بشر حتى هلك بشر. قالوا واخبرنا محمد ابن عبد الملك ان المهلب في الايام التي كان يخاف فيها بشر بن مروان على نفسه خرج الى مال له فكان فيه وحده فاتى رجل الى بشر وعنده موسى فقال له ان كانت لك ايها الامير بالمهلب حاجة فابعث خيلا الى موضع كذا وكذا فانه فيه في غار وحده وليس معه فيه رجل من قومه فبعث بشر خيلا قال فنهض من مجلسه موسى فوجه اليه غلاما له ثم قال له انت حر لوجه الله ان انت سبقت هذه الخيل حتى تنتهي الى موضع كذا وكذا فاتى المهلب فتقول له ان موسى يقول لك النجا بنفسك فخرج غلام موسى حتى انتهى الى المهلب فاعلمه فاستوى على فرسه فذهب وأتت الخيل فلم تجد احدا هنالك فانصرفوا

راجعين الى بشر فاعلموه بذلك

{ ذكر قتل عبد العزيز بن موسى بالاندلس }

وذكروا ان محمد بن عبد الملك اخبرهم قال اقام موسى بن نصير مع سليمان بن عبد الملك يطلب رضاه حتى رضي عنه وابنه عبد الله بن موسى على افريقية وطنجه والسوس وابنه عبد العزيز على الاندلس كما هو فلما بلغ عبد العزيز الذي فعل سليمان بابيه موسى تكلم بكلام خفيف حملته عليه حمية لما صنع بابيه على حسن بلائه فنميت الى سليمان فخاف سليمان ان يخلع فكتب الى حبيب ابن عبيد وابن وعلة التميمي وسعد بن عثمان بن ياسر وعمرو بن زياد اليحصبي وعمر بن كثير وعمرو ابن شرحبيل كتب الى كل رجل منهم كتابا يعلمه بالذي بلغه عن عبد العزيز بن موسى وما هم به من الخلع وانه قد كتب الى عبد الله بن موسى يامره باشخاصهم الى عبد العزيز واعلمه انما دعاه الى ذلك الذي احب من مكانفتهم لانه بازاء العدو واعطاهم العهود ان من قتله منهم فهو امير مكانه . وكتب الى عبد الله ابن موسى انى نظرت فاذا عبد العزيز بازاء عدو يحتاج فيه الى الغناء والبلاء فسأل امير المؤمنين فاخبر ان معك رجالا منهم فلان وفلان فاشخصهم الى عبد العزيز ابن موسى . وكتب سليمان الى عبد العزيز اما بعد فان امير المؤمنين علم ما انت بسبيله من العدو وحاجتك الى الرجال اهل النكاية والغنا فذكر له ان بافريقية رجالا منهم فكتب امير المؤمنين الى عبد الله بن موسى يامره باشخاصهم اليك فولهم اطرافك وثغورك واجعلهم اهل خاصتك وكتب اليهم سليمان انى قد بعثت اليكم بكتاب الى اهل الاندلس بالسمع والطاعة لكم والنفاذ من قبله فاذا وليكم اطرافه فاقروا عهدي على من قبلكم من المسلمين ثم ارجعوا اليه حتى تقتلوه فلما قدم الكتاب على عبد الله بن موسى بافريقية اشخص القوم فخرجوا حتي قدموا على عبد العزيز بالاندلس بكتاب سليمان فى الطافهم واكرامهم فقربهم عبد العزيز واكرمهم وحياهم وقال لهم اختاروا اى نواحي ونحو ى شئتم فضربوا الرأى فقالوا انكم ان فعلتم ما انتم فاعلون ثم رجعتم اليه من اطرافه لم نأمن ان يميل معه عظيم الناس فان فى يديه الاموال والقوه من مواليه وغيرهم ولكن اعملوا رايكم فى الفتك به قالوا فان ها هنا رجلا ان دخل معنا استقام لنا الامر ووصلنا الى ما اردنا وهو ايوب ابن حبيب بن اخت موسى قال فلقوه فدعوه الى ان من قتله فهو مكانه فقبل وبايعوه على ذلك ثم انهم اتوا عبد الله بن عبد الرحمن الغافقي وكان سيد اهل الاندلس صلاحا وفضلا فاعلموه ثم اقرأوه كتاب سليمان فقال لهم

قد علمتم ان موسى عند جميعكم صغيركم وكبيركم وانما بلغ امير المؤمنين امر [illegible]
عليه فيه ان الرجل لم ينزع يده من الطاعة ولم يخالف فيه توجب القتال وانما [illegible]
وامير المؤمنين لا يرى قاطعين ودعوا هذا الامر فابوا ومضوا على رايهم [illegible]
على قتله ورقبوا له فلما خرج لصلاة الصبح ودخل القبلة واحرم وقرا [illegible]
الكريم واستفتح (اذا وقعت الواقعة) ضربه حبيب ابن ابى عبيده [illegible]
ولم يصنع شيئا وعلم عبد العزيز الصلاة وخرج وتبعوه فقتله ابن [illegible]
واصبح الناس فعظموا ذلك فاخرجوا كتاب سليمان بذلك فلم [illegible]
وولوا عليهم عبد الله بن عبد الرحمن الغافقي وبعد حبيب بن ابى عبيده [illegible]
العزيز بن موسى رحمهما الله [illegible]

﴿ قدوم رأس عبد العزيز بن موسى على سليمان ﴾ [illegible]

وذكروا ان سليمان لما ظن ان القوم قد دخلوا الاندلس وفعلوا ما [illegible]
عزل عبد الله بن موسى عن افريقيه وطنجه والسوس في آخر [illegible]
ذى الحجه واقبل هؤلاء حتى قدموا على سليمان وموسى [illegible]
قتل عبد العزيز ابنه فلما دخلوا على سليمان ووضع الراس [illegible]
الى موسى فاتاه فلما جلس وراء القوم قال له سليمان اتعرف هذا [illegible]
فقال نعم هذا راس عبد العزيز بن موسى فقام الوفد فتكلم [illegible]
ثم ان موسى قام فحمد الله ثم قال : وهذا راس عبد العزيز [illegible]
فرحمه الله تعالى عليه فلعمر الله ما علمته نهاره الا صواما [illegible]
لله ورسوله بعيد الاثر في سبيله [illegible] الطاعة لامير المؤمنين [illegible]
ولية [illegible] فان يك عبد العزيز قضى نحبه فغفر الله له ذنبه [illegible]
شحيحا ولا من الموت هذا وليه على عبد الملك وعبد العزيز والوليد ان يصرعوه
هذا المصرع ويعملوا به ما اراك تفعل ولهو كان اعظم رغبة فيه [illegible]
ان يسموا فيه كاذبات الاقاويل ويعملوا به هذه الافاعيل [illegible] قال
بل انك المارق من الدين والشاق عصا المسلمين المنابذ لامير المؤمنين فمهلا [illegible]
الشيخ الخرف فقال موسى . والله ما بي من خرف ولا انا عن الحق [illegible]
وان رد محاورا الكلام مواضع الحمام [illegible] اقول كما قال [illegible] فصبر جميل
والله المستعان على ما تصفون ؟ واذن لي رأسه يا امير المؤمنين [illegible]
فقال له سليمان نعم فخذه فقام موسى فاخذه [illegible] طرف [illegible] الذي كان
عليه ثم ادبر في السماطين فرق الطرف الاخر [illegible]

يرفعه فقال له خالد ابن الريان ارفع ثوبك يابن نصير فالتفت موسي وقال ما انت وذاك ياخالد قال سليمان دعه حسبه ما فعلنا به فلما توارى موسى قال سليمان ان في الشيخ لبقية بعد . ثم ان موسى التفت الي حبيب بن ابي عبيده فكلمه بكلام غليظ حتى ذكر امرا خفيا من نسبه فافحمه ثم ان سليمان كشف عن امر عبدالعزيز فالفي ذلك باطلا وان عبد العزيز لم يزل صحيح الطاعة مستقيم الطريقة فلما تحقق عند سليمان باطل ما رفع اليه عن عبد العزيز ندم وامر بالوفد فخرجوا ولم ينظر في شيء من حوائجهم واهدر عن موسي بقية الفصية التي كان سليمان فاضاها عليها وكان سليمان قد آلي قبل خلافته لئن ظفر بالحجاج بن يوسف وموسي بن نصير ليعزلنهما ثم لا يليان معه من امور الناس شيئا فلما رضي عن موسي جعل يقول ما ندمت على شيء ندامتي لا كنت خرجا من اليمين على موسى وان لا اوليه شيئا ما مثل موسى استغني عنه . قال وان موسى دخل على سليمان في آخر يوم من شعبان عند المغرب وهو مستشرف على سطح وعنده الناس فلما رآه سليمان قال عندكم والله من ان سالتموه عن الهلال ليخبرنكم انه قد رآه وقد غمي يومئذ عن سليمان والناس فلما دنى موسى وسلم قال له سليمان أرأيت الهلال بعد يا موسى قال نعم يا امير المؤمنين ها هو ذاك واشار باصبعه الى ناحية وهو مقبل على سليمان بوجهه فرمى الناس بابصارهم حيث اشار موسي فابصروا الهلال فلما جلس موسى قال اني والله لست باحدكم بصرا ولكني اعلمكم بمطالعه ومناسقه قال وخرج فلقيه يزيد ابن المهلب فقال له : ياابا عبد الرحمن بينا انت ادهى الناس واعلمهم اقبلت تسوق نفسك حتي تضعها في يد سليمان فقال له موسى اما علمت يا اباخالد ان الهدهد يهندس الماء ويعرفه من الارض القفصاء ومن الحزونة والسهل ويبصر القريب منه والبعيد ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة وما أشبهها فلا يبصر ذلك حتي يقع فيه فيؤخذ وذلك انه لاحذر ينجي من قدر ولا رأي ولا بصر وكذلك كنت وسليمان بن عبد الملك . قال وذكروا ان سليمان خرج يوما الى بعض امواله متنزها فخرج معه موسي ابن نصير فعرضت عليهم غنم حلب نحو من الف راس فاعجب سليمان ما رأى منها والتفت الى موسي قال له هل رأيت مثلها قط قال نعم فرددها سليمان كالمغضب عليه قال موسي نعم ياامير المؤمنين وما هذا فيما افاء الله عز وجل علي يدى لقد كانت الالف تباع بعشرة دراهم او دونها ولقد كانت في بعض المواطن وما لها قيمة ولا يلتفت اليها احد يا امير المؤمنين ولغير ذلك مما افاء الله عليهم ولقد رايت العلج العتل والوصيف الفاره والجارية الحسناء وان اكثر ما تبلغ خمسين درهما لكثرة ذلك

من صتوفه كلها ولقد رايت الذود من الابل لا تبلغ قيمته عشرين درهما الكثير يا امير المؤمنين ما اعلمتك فيما تسمع قال سليمان لا وحمد الله . وذكروا ان موسى دخل على سليمان يوما وعنده الناس فلما رآه سليمان قال ذهب سلطان الشيخ وابصره موسى حين تكلم فلم يفهم ما قال فلما سلم قال يا امير المؤمنين رايتك لما نظرتني داخلا تكلمت بكلام ظننتك عنيتني به قال نعم قلت ذهب سلطان الشيخ قال له موسى اما والله لئن ذهب سلطان الشيخ لقد اثر الله في دينه اثرا حسنا ولقد كنت طويل الجهاد في الله حريصاً في اظهار دين الله حتى اظهره الله وكنت ممن تم الله به موعده لابيه ولئن أدبر معك لمد كان مع آبائك ناضر الغصن ميمون الطائر. فقال سليمان هو ذاك فقال موسى وهو ذاك فلم يزل يرددها سليمان ويرددها موسى حتى سكت سليمان

﴿ سؤال سليمان بن عبد الملك موسى عن أخباره وأفعاله ﴾

وذكروا أن سليمان قال لموسى . ما الذي كنت تفزع اليه في مكان حربك من أمور عدوك ؟ قال التوكل والدعاء الى الله يا أمير المؤمنين . قال له سليمان هل كنت تمتنع في الحصون والخنادق أم كنت تخندق حولك قال كل هذا لم أفعله قال فما كنت تفعل قال كنت أنزل السهل واستشعر الخوف والصبر وأتحصن بالسيف والمغفر واستعين بالله وارغب اليه في النصر قال له سليمان فمن كان من العرب فرسانك قال حمير قال فأي الخيل رأيت في تلك البلاد أصبر قال شقرها قال فاي الامم كانوا أشد قتالا قال هم يا أمير المؤمنين أكثر مما اصفهم قال له أخبرني عن الروم قال اسود في حصونهم عقبان على خيولهم نساء في مواكبهم ان رأوا فرصة انتهزوها وان خافوا غلبة فاوعال ترقل في اجبال لا يرون عاراً في هزيمة تكون لهم منجاة . قال فاخبرني عن البربر قال هم يا أمير المؤمنين اشبه العجم بالعرب لقاء ونجدة وصبراً وفروسية وسماحة وبادية غير انهم يا أمير المؤمنين غدر ، قال فاخبرني عن الاسبان قال ملوك مترفون وفرسان لا يجبنون قال فاخبرني عن الافرنج قال . هناك يا أمير المؤمنين العدد والعدة والجلد والشدة وبين ذلك أمم كثير ومنهم العزيز ومنهم الذليل وكل قد لقيت شكله فمنهم المصالح ومنهم المحارب المقهور والعزيز المبذوخ . قال فاخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت عقبا قال لا يا أمير المؤمنين ماهزمت لي راية قط ولا فض لي جمع ولا نكب المسلمين معي نكبة مذ اقتحمت الاربعين الى ان شارفت الثمانين قال فضحك سليمان وقال فاين الراية التي حملتها يوم مرج راهط مع الضحاك قال تلك يا أمير المؤمنين زبيرية وأنا عنيت المروانية فقال صدقت وأعجبه

قوله وذكروا ان محمد بن عبد الملك حدثهم عن رياذ بن عبد العزيز بن مروان قال انا لجلوس عند سليمان وهو على سطح فسيح والناس يدخلون حتى دخل موسى من الباب فتحرك بنا سقف سطح من شدة وطئه فسلم ثم جلس فذكر سليمان بيت الذهب الذى فتحه قتيبة بن مسلم فجعل يردد فيه فقال له موسى وما هذا يا امير المؤمنين بيت لا يكون فيه عشرة آلاف دينار والله لقد بعثت الى أخيك الوليد بتور من زمرد أخضر يصب فيه اللبن فيخضر وانه لمن ادنى ما بعثت به اليه . ولقد اصبت كذا وكذا واصاب المسلمون كذا وكذا فجعل يحدث سليمان بالعجائب قال ربان حتى والله بهته فلم يزل موسى بباب سليمان عظيم المنزلة عنده فلما كانت سنة ثمان وتسعين تجهز سليمان للحج وامر موسى بالشخوص والحج معه فذكر له انه ضعيف فامر له سليمان بثلاثين نجيبا وفورة جهازا بحجره من حجره وجائزة فحج سليمان وحج معه موسى فبينما هو يسير يوما اذ دعا بموسى فناداه خالد بن الريان وكان موسى يسايره رجلا فلم يلتفت موسى الى ندائه ثم عاد فناداه خالد ايضا فلم يلتفت اليه فقال له الرجل غفر الله لك الم تسمع دعاء امير المؤمنين انى اخافه واخاف ان يغضب فقال موسى ذاك لو كان عبد الملك او الوليد فاما هذا فانه يرضيه ما يرضي الصبي ويسخطه ما يسخطه وستري ذلك ثم تقدم موسى حتى لحق والصق بسليمان فقال له اين كنت يابن نصير فقال له يا امير المؤمنين اين دابتنا من دوابك انى لمنذ دعانى امير المؤمنين انى كد حتى لحقت امير المؤمنين فضحك سليمان وامر له بدواب من مراكبه فسايره وحادثه ثم انصرف عنه فلحق الرجل اليه فقال له موسى كيف رايت قال انت كنت اعلم به فسار سليمان حتى نزل المدينة فى دار يزيد بن رومان قال فحدثني بعض اهل المدينة ان موسى قال يوما لبعض من يثق به ليموتن الى يومين رجل قد بلغ ذكره المشرق والمغرب فلم نظن الا انه يعني الخليفة فلما كان اليوم الثانى لم اشعر وانا في مسجد الرسول حتى سمعت الناس يقولون مات موسى بن نصير فاذا هو وصلى سليمان عليه ودفن رحمه الله. وذكروا ان عبد الله بن صخر اخبرهم قال بينما موسى يسير يوما على دابة له وكان رجلا جسيما فمر به رجلان من قريش وقد نزلت رجلاه وانحنتا وهما لا يعرفانه فقالا ادبر والله الشيخ فسمعها موسى فقال لهما من انتما فانتسبا له فقال أنا والله أن ابيكما لما افاه الله على يدى هذا الشيخ فاهديهما الى أبويكما فقالا له ومن أنت يرحمك الله قال موسى بن نصير فقالا مرحبا اهلا صدقت وبررت والله ماعرفناك فقالا لا عليكما قد والله أدبر عني وبقي مني . وذكروا أن

ابراهيم بن سليمان أخبرهم عن من حدثه عن موسى أن الناس قحطوا بافريقيا عاما
فخرج موسى بالناس فاستسقى فامر رجلا فقص على الناس ورققهم فجعل يذكر
ثم انه انتحى في الدعاء للوليد بن عبد الملك فاكثر فارسل اليه موسى . اما لم تأت
هاهنا للدعاء للوليد فاقبل على ماله جئنا فمدنا . فلم يلتفت ورجا أن يبلغ الوليد فامر
به فسحب حتى خرج من الناس ثم قام موسى ودعا بالناس فما برحنا حتى انصبت
السماء بمثل القرب فرقى موسى الدابة من دوابه فقال والله لا ركبت ولكن أخوض
الطين وانصرف ماشيا ومشى الناس فسمعته يومئذ يردد في دعائه . اللهم الشهادة
في سبيلك أو موتا في مدينة رسولك قال فذكروا ان عروة بن عكرمة حدثهم عن
مشايخ من مراد عن رجل منهم كان مع موسى بالاندلس قال كنت ابصر من مجاري
الشمس والقمر شيئا فوقع في عند موسى وقيل له عنده علم فوالله ماشعرت حتى
تبعت واخذت فادخلت عليه فاذا بين يديه عصفور مذبوح متقوق البطن قال لي
ادخل يدك فانظر قلت اصلح الله الامير طلقت امرأتي البتة ان كان يعلم قليلا او
كثيرا الا ما يعلم الناس من مجاري الشمس والقمر قال فامر بي فنحيت ثم
دعا برجل من الاعاجم قال ادخل يدك فانظر ماذا ترى وكان من الاسارى
فادخل يده في جوف العصفور فحركه طويلا ثم قلبه ثم قال للترجمان بلسانه انه
ليس بموت هاهنا ولكنه يموت بالمشرق في بلاد العرب فنظر اليه موسى ثم قال له
قاتلك الله ما اعلمك قال ثم امر به فقتل ثم دعاني فاخذ علي الايمان ان لا اتكلم به
ما بقي ففعلت وكان دخول موسى المغرب سنة تسع وسبعين في جمادى الاولى وكان
يومئذ ابن ستين سنة واقام بافريقية ست عشرة سنة وقفل منها سنة خمس وتسعين
ومات سنة ثمان وتسعين وولى عبد الله بن موسى بافريقيا وطنجة والسوس بعد
موسى ابيه . [illegible] وكان عزله عنها في ذي الحجة سنة سبع وتسعين وقيل سنة تسع وتسعين .

﴿ ذكر ولاة الاندلس بعد موسى بن نصير ﴾

وذكروا أن عبد العزيز بن موسى ولي الاندلس بعد ابيه سنة ثم قتل وولي بعده
ايوب بن حبيب ستة اشهر ثم الحارث بن عبد الرحمن ثلاث سنين ونصف
ثم عنبسة سنتين وتسعة اشهر ثم يحيى بن سلمة سنة وثلاثة اشهر ثم الهيثم بن عبيد
سنة وشهرين ثم عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي اربع سنين ثم عبد الملك ابن قطن
القرشي ايضا سنة ثم ابن بشر القسري ستة اشهر ثم ثعلبة بن سلام العاملي خمسة
اشهر ثم عبد أبو الخطار بن ضرار الكلبي ثلاث سنين ثم ثوابة بن مسلمة سنة وشهرا
فلما وهى سلطان بني امية بالمشرق ولوا على انفسهم يوسف ابن عبد الرحمن القرشي

الفهري من غيرهما من الخلفاء قبلك الا انه لبس عشر سنين الى ان دخل عليه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وذكروا انه لما حج سليمان ابن عبد الملك ومعه عمر بن عبد العزيز وذلك في سنة ثمان وتسعين فلما انتهى الى عقبة بن عسفان نظر سليمان الى السرادقات قد ضربت له ما بين احمر واخضر واصفر وكان يوسف بن عمر قد عمل له باليمن ثلاث سرادقات فكان الذي يلي منها الناس من خز اخضر والذي يليه من خز اصفر ثم الذي يكون هو فيه من وشي احمر محبر من حبرات اليمن مزرر بالذهب والفضة وفي داخله فسطاط فيه اربعة افرشة من احمر مرافقها من وشي اصفر وضربت حجب نسائه من وراء فسطاطه وحجر بنيه وكتابه وحشمه قرب ذلك فلما استوى سليمان في قبة العقبة ونظر الى ما نصب له قال يا عمر كيف ترى هاهنا؟ قال ارى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضا انت المسؤول عنها والمأخوذ بما فيها فبينما هما كذلك اذ طار غراب من سرادق سليمان في منقاره كسرة فصاح الغراب فقال سليمان ما يقول هذا الغراب يا عمر قال عمر: ادري ولكن ان شئت اخبرتك بعلم قال سليمان اخبرني فقال عمر: هذا غراب طار من سرادقك بكسرة هو ياكلها وانت المأخوذ بها والمسئول عنها من اين دخلت واين اخرجت قال سليمان انك لتجيء بالعجائب يا أبا حفص فقال عمر افلا اخبرك باعجب من هذا يا امير المؤمنين قال اخبرني قال: من عرف الله تعالى كيف يعصاه ومن عرف الشيطان كيف يطيعه ومن ايقن بالموت كيف يهنئه العيش ويسوغ له الطعام ومن ايقن بالنار كيف يضحك. فقال سليمان نغصت علينا ما نحن فيه يا ابا حفص ومن يطق ما تطيق انت يا عمر انت والله الموفق المطيع

﴿ ما قال طاووس اليماني لسليمان بمكة ﴾

قالوا ان ابراهيم بن مسلم اخبرهم عن رجاء بن حيوة انه نظر الى طاووس اليماني يصلي في المسجد الحرام فانصرف رجاء الى سليمان بن عبد الملك وهو يومئذ بمكة قد حج ذلك العام فقال اني رايت طاووس في المسجد فهل لك ان ترسل اليه فارسل اليه سليمان فلما اتاه قال رجاء لسليمان يا امير المؤمنين لا تسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يتكلم فلما قعد طاووس سكت طويلا ثم قال. ما اول شيء خلق فقلنا لا ندري فقال خلق القلم ثم قال اتدرون اول شيء كتب قلنا لا قال قال اول ما كتب. بسم الله الرحمن الرحيم: كتب القدر خيره بشره الى يوم القيامة ثم قال اتعلمون من ابغض الخلق الى الله قلنا لا فقال انه عبد اشركه الله في سلطانه فعمل فيه بمعصيه ثم نهض. قال رجاء فاظلم علي البيت فما زلت خائفا عليه حتى توارى فرايت سليمان يحك رأسه بيده حتى

خشيت ان تخرج اظفاره لحم رأسه

﴿ ماقال ابو حازم لسليمان ﴾

قالوا وان يحيى بن المغيرة اخبرهم عن عبد الجبار بن عبد العزيز بن ابي حازم قال لما حج سليمان ودخل المدينة زائرا القبر رسول الله ومعه ابن شهاب الزهري ورجاء بن حيوة فاقام بها ثلاثة ايام فقال اما ههنا رجل ممن ادرك اصحاب رسول الله فقيل له بلى ههنا رجل يقال له ابو حازم فبعث اليه فجاءه وهو اقور اعرج فدخل عليه فوقف ينتظر الاذن فلما نظر اليه سليمان ازدرته عينه فقال له يا ابا حازم ما هذا الجفاء الذي ظهر منك وانت توصف برؤية اصحاب رسول الله مع فضل ودين تذكر به فقال ابو حازم واي جفاء رأيت مني يا امير المؤمنين فقال سليمان انه اتاني وجوه اهل المدينة وعلماؤها وخيارها وانت معدود فيهم ولم تاتني فقال ابو حازم اعيذك بالله ان تقول مالم يكن ما جرى بيني و بينك معرفة آتيك عليها قال سليمان صدق الشيخ فقال يا ابا حازم ما لنا نكره الموت فقال لانكم اخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فانتم تكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال سليمان صدقت فكيف القدوم على الآخرة قال نعم اما المحسن فانه يقدم على الاخرة كالغائب يقدم على اهله من سفر بعيد واما القدوم المسيء فكالعبد الآبق يؤخذ فيشد كتافه فيؤتى به الى سيد فظ غليظ فان شاء عفى وان شاء عذب فبكى سليمان بكاء شديدا وبكى من حوله ثم قال ليت شعري ما لنا عند الله يا ابا حازم فقال اعرض نفسك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال سليمان يا ابا حازم واين اصيب تلك المعرفة في كتاب الله قال عند قوله تعالى «ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم» قال يا ابا حازم فاين رحمة الله قال رحمة الله قريب من المحسنين قال يا ابا حازم من اعقل الناس قال اعقل الناس من تعلم العلم والحكمة وعلمها الناس قال فمن احمق الناس فقال من حط في هوى رجل وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره قال فما اسمع الدعاء قال ابو حازم دعاء المخبتين الخائفين فقال فما ازكي الصدقة عند الله قال جهد المقل قال فما تقول فيما ابتلينا به قال اعفنا عن هذا وعن الكلام فيه اصلحك الله قال نصيحة تلقيها فقال ما تقول في سلطان استولى عنوة بلا مشورة من المؤمنين ولا اجتماع من المسلمين فسفكت فيه الدماء الحرام وقطعت به الارحام وعطلت به الحدود ونكثت به العهود وكل ذلك على تنفيذ الطينة وجمع لمتاع الدنيا الدنيئة ثم لم يلبثوا ان ارتحلوا عنها فياليت شعري ما تقولون وماذا يقال لكم فقال بعض جلسائه بئس ما قلت يا اقور امير المؤمنين يستقبل بهذا فقال ابو حازم اسكت يا كاذب فانما اهلك فرعون هامان وهامان فرعون ان الله قد اخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه اي لا ينبذونه وراء ظهورهم

قال سليمان يا ابا حازم كيف لنا ان نصلح ما فسد منا فقال المأخذ في ذلك قريب يسير فاستوى سليمان جالساً من اتكائه فقال كيف ذلك فقال تأخذ المال من حله وتضعه في اهله وتكف الا كف عما نهيت وتمضيها فيما امرت به قال سليمان ومن يطيق ذلك فقال ابو حازم من هرب من النار الى الجنة وبذ سوء العادة الى خير العبادة . فقال سليمان اصحبنا يا ابا حازم وتوجه معنا تصب منا ونصيب منك قال ابو حازم اعوذ بالله من ذلك قال سليمان ولم يا ابا حازم قال اخاف ان اركن الى الذين ظلموا فيذيقني الله ضعف الحياة وضعف الممات فقال سليمان فتزورنا قال ابو حازم : انا عهدنا الملوك يأتون الى العلماء ولم يكن العلماء يأتون الملوك فصار في ذلك صلاح الفريقين ثم صرنا الان في زمان صار العلماء يأتون الملوك والملوك تقعد عن العلماء فصار في ذلك فساد الفريقين جميعاً قال سليمان فاوصنا يا ابا حازم وأوجز . قال اتق الله لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك من حيث امرك قال سليمان ادع لنا بخير فقال ابو حازم . اللهم ان كان سليمان وليك فبشره بخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ الى الخير بناصيته قال سليمان زدني قال قد اوجزت فان كنت وليه فاغنيك ان كنت عدوه فاتعظ فان رحمته في الدنيا مباحه ولا يكتبها في الاخرة الا لمن اتقى في الدنيا ولا تقع في قوس يرمى بلا وتر فقال سليمان هات يا غلام الف دينار فاتاه بها فقال خذها يا ابا حازم فقال لا حاجة لي بها لاني وغيري في هذا المال سواء فان سويت بيننا وعدلت اخذت والا فلا لاني اخاف ان يكون ثمنا لما سمعت من كلامي وان موسى بن عمران لما هرب من فرعون ورد ماء مدين وجد عليه الجاريتين تذودان فقال مالكما معين قالتا لا فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال « رب اني لما أنزلت الي من خير فقير » ولم يسأل الله اجرا فلما أعجل بالجاريتين الانصراف انكر ذلك ابوهما فقال لهما ما اعجلكما اليوم قالتا وجدنا رجلا صالحا قويا سقى لنا قال ما سمعتماه يقول قالتا تولى الى الظل وهو يقول « رب اني لما انزلت الي من خير فقير » فقال ينبغي لهذا ان يكون جائعاً تنطلق احداكما له فتقول له . ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فاتته احداهما تمشي على استحياء (اى على اجلال له) قالت ان ابي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا فجزع موسى من ذلك وكان طريداً في الفيافي والصحراء فقال لها قولي لابيك ان الذي سقى يقول لا اقبل اجرا على معروف اصطنعته فانصرفت الى ابيها فاخبرته فقال اذهبي فقولي له انت بالخيار من قبول ما يعرض عليك ابي وبين تركه فاقبل فانه يحب ان يراك ويسمع منك فاقبل مع الجارية بين يديه فهبت الريح فوصفتها له وكانت ذات خلق كامل فقال

لها كوني ورائي وارينو سمت الطريق فلما بلغ الباب قال استأذني لنا فدخلت على ابيها فقالت ان معي فتى لا امير فقال شعيب ونحوه مثلت ذلك فاخبرته ما كان من قوله عند هبوب الريح عليها فقال ادخليه ودخل فاذا شعيب قد وضع الطعام فلما سلم رحب به وقال اصب من طعامنا يا فتي فقال موسي اعوذ بالله قال شعيب لم قال لاني من بيت قوم لا نبيع ديننا بملء الارض ذهبا قال شعيب لا والله ما طعامي لما تظن ولكنه عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسي فاكل . وهذه الدنانير ياامير المؤمنين ان كانت ثمنا لما سمعت من كلامي فان اكل الميتة والدم في حال الضرورة احب الى من ان آخذها فاعجب سليمان امره عجبا شديداً فقال بعض جلسائه يا امير المؤمنين ان الناس كلهم مثله قال لا قال الزهري انه لجاري منذ ثلاثين سنة ما كلمته قط فقال ابو حازم صدقت لانك نسيت الله ونسيتني ولو ذكرت الله لذكرتني قال الزهري اتشتمني قال له سليمان بل انت شتمت نفسك اوما علمت ان للجار على الجار حقا . قال ابو حازم ان بني اسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الامراء تحتاج الى العلماء وكانت العلماء تفر بدينها من الامراء فلما رؤي قوم من اراذل الناس تعلموا العلم واتوا به الامراء استغنت الامراء عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وهلكوا ولو كان علماؤنا هؤلاء يصونون علمهم لكانت الامراء تهابهم وتعظمهم فقال الزهري كانك اياي تريد وبي تعرض قال هو ما تسمع . قال سليمان يا ابا حازم : عظني واوجز قال حلال الدنيا حساب وحرامها عذاب والي الله المآب فاتق عذابك او دع . قال لقد اوجزت فاخبرني ما مالك قال الثقة بالله والتوكل على كرمه وحسن الظن به والصبر الى اجله والياس مما في ايدي الناس قال ياابا حازم ارفع الينا حوائجك قال رفعتها الى من لا تخذل دونه فما اعطاني منها قبلت وما امسك عني رضيت مع اني قد نظرت فوجدت امر الدنيا يؤول لي شيئان احدهما لي والاخر لغيري فاما ما كان لي فلو احتلت عليه بكل حيلة ما وصلت اليه قبل اوانه وحينه الذى قد قدر لي واما الذى لغيري فذلك لا طمع فيه فكما منعني رزق غيري كذلك منع غيري رزقي فعلى م اقتل نفسي في الاقبال و الادبار . . . .

وذكروا ان غلاما لسليمان نازع غلاما لعمر بن عبد العزيز فتعدى غلام عمر على غلام سليمان فرفع ذلك الى سليمان واغري بعمر فقال له سليمان الا انصفت غلامي وهو كالمحتسب بما فعل بهم فقال عمر ما علمت بهذا قبل هذا الوقت والمتعدي حيلة الا في مقامي هذا فقال سليمان كذبت لما علمته فقال عمر ما كذبت قط . كانت

ولا لعمدت كذبا منذ شددت مئزرى على نفسي وان فى الارض عن مجلسك
لسعة . ثم خرج عمر فتجهز وارادهو يريد مصر ان يسكنها فبلغ ذلك سليمان فندم على ما كان
من قوله وارسل اليه ان يرجع وامر رجلا يقول له لا تعتب امير المؤمنين على قوله ولا
يذكر هذا فترك عمر الخروج وجلس واقبل الاختلاف الى سليمان

﴿ذكر وفاة سليمان واستخلافه عمر بن عبد العزيز﴾

قال وذكروا ان خالد بن ابى عمران اخبرهم وكان قد ادرك القوم قال مرض
سليمان مرضه الذى مات فيه وذلك فى شهر صفر سنة تسع وتسعين فدخل عليه
عمر بن عبد العزيز عائداً فدعا سليمان بنين له صغاراً وملدهم السيوف فرفع واسه الارض
فقال سليمان قد افلح من كان له بنون كبار فقال عمر ليس هكذا قال الله فقال سليمان
وكيف قال الله فقال عمر قال الله تعالى «قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى»
فقال سليمان انى اريد ان اعهد اليك واوليك امور الناس بعدى فقال عمر لا حاجة
لى بذلك فقال سليمان ولم ذاك فقال لانى لا اريد اخذهم ولهم فان لم ترد اخذهم بها لهم
فما الذى يدعونى الى ضرب ظهورهم فقال سليمان لابد من هذا فقال عمر ولم ذاك
واك فى ولد عبد الملك سعة فاعفني من هذا يعف الله عنك فقال له سليمان والله
لا اوليها غيرك بعدى فقال عمر وما الذى يدعوك الى هذا فقال سليمان انى رايت
في منامى قائلا لى يقول : ان عمر بن عبد العزيز لك جنة ووقاية تجسر تتخطاه
فاولت ذلك ان شاء الله ان اوليك الامر من بعدي لتكون توليتي ان جنة من النار
وجسرا اركبه لانجو عليه من عذاب يوم القيامة ثم ابريد بعدك فانه ارشد ولد عبد الملك
فسكت سليمان . وظن ان عمر رضي عما قال له ثم دعا سليمان بصحيفة ثم كتب
ويده ترعش من شدة العلة لا يعلم احد ما يخط فكتب عهد عمر ثم من بعد عمر ليزيد
ثم ختم عليه بيده متحاملا لذلك وعمر لا يشك ان الامر فيه قد صار لغيره ثم دعا
سليمان برجاء بن حيوة فقال له خذ هذا الكتاب فانه عهدي فاجمع اليك قريشا
وامراء الاجناد واعلمهم انه عهدى وان من كان اسمه فى كتابى هذا فهو الخليفة
بعدى فمن نزع عن ذلك واباه فالسيف السيف والقتل . ثم رفع سليمان يديه الى
السماء فقال اللهم ان ذنوبي قد عظمت وجلت وهى صغيرة يسيرة فى جانب عفوك فاعف
عني يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اعف عني ما بيني وبينك من الذنوب
واحمل عني ما بيني وبين خلقك وارضهم بما شئت ياارحم الراحمين اللهم ان كنت
تعلم مني وتطلع من ضميرى انى انما اردت بعهدى هذا وتوليتي من وليت فيه وجهك
ورضاك فاغفر لى وارحمني ثم تخلخل لسانه فلم يقو على الكلام من ثقل العلة ثم

سكت واغمى عليه . قال رجاء فخرجت وعمر معي فقلت له ماراك الا صاحب الامر فقال عمر ما احسب ذلك فقلت ومن عسى ان يكون فى آل مروان من يريد سليمان توليته غيرك فقال عمر ماأراه عهد الا لاحد الرجلين اما القاسم او سالم قال رجاء فقلت له اسمعت ذلك منه فقال عمر ماسمعته ولكنه دار بيني و بينه كلام آنفا قبل دخلتك لاشك انه اراد احدهما قال رجاء فقلت والله هذا الاختلاف فى امة محمد والفتن الظاهرة القاصمة للظهور الفانيه للانفس فقال عمر ولم ذلك فقال رجاء لان قريشا وعوها لا ترضي بهذا ولا تصير اليه ولا آل امية وعبد شمس حيث كانت من الارض فقال عمر ان الامر لله من قبل ومن بعد يؤتى الملك من يشاء فقال رجاء فخرجت الى الناس واعلمتهم بعهد امير المؤمنين فقالوا سمعا وطاعة ثم اعلمتهم بابتهاله ورغبته الى الله وما قال فلم يشك الناس ان عمر بن عبد العزيز صاحبهم فارادوا ان يسلموا عليه بالخلافه وذلك لما ايقنوا بهلاك سليمان فقلت لهم لاتعجلوا فان عمر قال لى ارى سليمان ماأراد الا القاسم او سالماً وهذا افطن مني بهذا الامر لانه كان حاضرا وسليمان يكتب العهد بيده فضج الناس من ذلك واختلفوا . فقالت فرقة سمعنا واطعنا لمن استخلف علينا كان من كان وقالت فرقة لا والله لا نقر بهذا ولا نطيعه ولا يستخلف علينا الامر وانى ولا نبقى منا عين تطرف فى الدنيا . فقال رجاء لعمر كيف تري قولى والله لئن كان هذا انه لهو البلاء المبين وانها الفتنه قد فتح بابها فقال عمر ارجو الله ان يدفعه ان شاء الله قال رجاء فقلت لعمر ما نحن صانعون ان كان هذا فقال عمر لاأدرى ماأقول في موقفي هذا قال رجاء ولم فقال عمر : لانى والله ماوقفت موقفاً قط لا رأى لى فيه ولا بصيرة الا موقفي هذا فانى قد أجدنى قد ذهب روعى وفقدت رأيى ولا أدرى مااستقبل من أمري ولا مااستدبر ولو استطعت الفرار لفررت من موضعى هذا حيث لاأدرك ولا أرى . قال رجاء فلما قاولني بهذا علمت انه الذى اريد من فقده لرأيه وبصيرته قال رجاء فقلت له ياأبا حفص فاين نحن من المفزع الى الله والرغبة في الصلاح علينا وعلى المسلمين ويعزم لنا على مافيه الخير والخيره فقال عمر بلى والله هذا الملجأ وهذا الحصن والمعقل الشديد قال رجاء فبتنا ليلتنا لانالوا على أنفسنا فى الدعاء والاستخاره لله فلما اصبحنا قلت لعمر ماترى ياابا حفص فقال أرى أن اسمع واطيع لمن فى هذا الكتاب فان كان أحد الرجلين سمعت له وأطعت ورددت من أدبر عنه عن أقبل عليه حتى أموت فبينما هما كذلك اذ أقبل

وصيف يسعى اليهما يقول قد قضى امير المؤمنين نحبه فخرجا فاذا بالعويل والنوح فرجعا الى المسجد ترعد فرائصهما والناس يسلمون على عمر بالخلافة وهو يقول لست به لست به حتى دخل المسجد وقد اجتمع الناس وهم مستعدون للفتنة والقتال ان خالف العهد ما يريدون فقام رجاء الى جانب المنبر فحمد الله وحض الناس على الطاعة ولزوم الجماعة واعلمهم بما في الفرقة والاختلاف من ذهاب الدين والدنيا ثم اخرج العهد ففضه بمحضر منهم فقراه عليه فاذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماعهد به عبد الله سليمان بن عبد الملك امير المؤمنين وخليفة المسلمين عهد انه يشهد لله بالربوبيه والوحدانية وان محمداً عبده ورسوله بعثه الي محسني عباده بشيراً والي مذنبيهم نذيرا وان الجنة والنار مخلوقتان حق ، خلق الجنة رحمة لمن اطاعه والنار عذابا لمن عصاه وواجب العفو لمن عفي عنه وان سليمان مقر على نفسه عما يعلم الله من ذنوبه موجبا على نفسه استحقاق ماخلق من النقمه واجيا لنفسه ماخلق من الرحمة ووعد من المغفرة راج لما وعد من الرحمة وان المقادير كلها خيرها وشرها من الله وانه هو الهادى لم يستطع أحد لمن خلق الله لرحمته غواية ولا لمن خلق لعذابه هداية ، وان الفتنة فى القبور بالسؤال عن دينه ونبيه الذي ارسل الى امته لامنجي لمن خرج من الدنيا الى الاخرة من هذه المسألة وسليمان يسأل الله بواسع فضله وعظيم منه الثبات على الحق عند تلك المسالة والنجاة من هول تلك الفتنة وان الميزان حق يقين يضع الموازين القسط ليوم القيامة «فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون» ومن خفت موازينه فاولئك هم الخاسرون . وان حوض محمد صلى الله عليه وسلم يوم الحشر والموقف حق عدد آنيته كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وسليمان يسال الله برحمته ان لايرده عنه عطشان . وان أبا بكر وعمر خير هذه الامة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم والله يعلم بعدهما حيث الخير وفيمن الخير من هذه الامة . وان هذه الشهادة المذكورة في عهده هذا يعلمها من سره واعلانه وعقد ضميره وان بها عبدربه فى سالف ايامه وماضي عمره وعليها اتاه يقين ربه وتوفاه اجله وعليها يبعث بعد الموت ان شاء الله وان سليمان كانت له بين هذه الشهادة بلايا وسيئات لم يكن له عنها محيص ولا دونها مقصر بالقدر السابق والعلم النافذ في محكم الوحى فان يعف و يصفح فذلك ماعرف منه قديما ونسب اليه حديثا وذلك الصفة التي وصفت به نفسه فى كتابه الصادق وكلامه الناطق وان يعاقب و ينتقم فيما قدمت يداه وما الله بظلام للعبيد واني اخرج على من قرأ عهدى وسمع مافيه من حكمه ان ينتهي اليه فى امره ونهيه بالله العظيم وبمحمد صلى الله عليه وسلم وان يدع الاحن ويأخذ بالمكارم ويرفع يديه الى

السماء بالابتهال الصحيح والدعاء الصريح يسأله العفو عني والمغفرة لي والنجاة من فزعي والمسألة في قبري لعل الودود أن يجعل منكم مجاب الدعوة عسى علي من صفحه ان يعود إن شاء الله . وان ولي عهدي فيكم وصاحب امري بعدموتي في كل من استخلفني الله عليه الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز بن عمي لما لوت من باطن امره وظاهره ورجوت الله ذلك واردت رضاه ورحمته ان شاء الله ثم يزيد بن عبد الملك من بعده فاني ما رايت منه الا خيرا ولا اطلعت له على مكروه وصغار ولدي وكبارهم الى عمر إذ رجوت الا يألوهم رشدا وصلاحا والله خليفتي عليهم وهو ارحم الراحمين واقرأ عليكم السلام ورحمة الله ، ومن أبى عهدي هذا وخالف امري فالسيف ، ورجوت ان لا يخالفه احد ومن خالفه فهو ضال مضل يستعتب فان اعتب والا فالسيف (والله المستعان) ولا حول ولا قوة الا بالله القديم الاحسان .

﴿ أيام عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا عن خالد بن ابي عمران انه قال : اني لحاضر يوم قرىء عهد سليمان في المسجد بدمشق على الناس فما رأيت يوما اكثر باكيا ولا داعيا له بالرحمة من ذلك اليوم فلم يبق محب ولا مبغض ولا خارجي ولا حروري الا اخذ الله له قلوبهم وابتهلوا بالدعاء واخلصوا له بالسؤال بالعفو من الله ورضي الناس اجمعون فعله . قال خالد ثم بايع الناس لعمر في المسجد بيعة تامة جامعة طيبة بها النفوس لا يشوبها غش ولا يخالطها دنس . قال خالد وسمعت رجاء يقول لما تمت البيعة اني مها شككت في شيء فاني لم اشك يوم البيعة لعمر بالنجاة والرحمة لسليمان ان شاء الله واستفتح عمر ولايته ببيع اموال سليمان ورباعه وكسوته وجميع ما كان يملكه فبلغ ذلك اربعة وعشرين الف دينار فجمع ذلك كله وجعله في بيت المال ثم دخل على زوجته فاطمة ابنة عبد الملك فقال لها يا فاطمة فقالت لبيك يا امير المؤمنين فجعل يبكي وكان لها محباً وبها كلفا ثم استفاق من بكائه فقال لها اختاريني أو اختاري الثوب الذي عمل لك ابوك وكان قد عمل لها ابوها عبد الملك ثوبا منسوجا بالذهب منظوما بالدر والياقوت انفق عليه مائة الف دينار فقال لها ان اخترتيني فاني آخذ الثوب فاجعله في بيت المال وان اخترت الثوب فلست لك بصاحب فقالت اعوذ بالله يا امير المؤمنين من فراقك لا حاجة لي بالثوب فقال عمر وانا افعل لك خصلة اجعل الثوب في آخر بيت المال وانفق مادونه فان وصلت اليه انفقته في مصالح المسلمين وانما هو من اموال المسلمين انفقت فيه وان بقي الثوب ولم احتج اليه فلعل ان يأتي بعدي من يرده اليك قالت افعل ما بدا لك ثم دخل عليه ابن له وعليه قميص قد تذعذع فقال له عمر رقع قميصك يا بني

فوالله ما كنت قط باحوج اليه منك اليوم

﴿ ذكر قدوم جرير ابن الخطفي على عمر بن عبد العزيز ﴾

ذكروا عن عبد الاعلى بن ابي المشاور انه اخبرهم قال قدم جرير شاعر اهل العراق واهل الحجاز على عمر ابتل الاستخلاف فدخل عليه وقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله ثم قال . ان الخلفاء كانت تتعاهدني فيما مضى بجوائز وصلات . ثم انشأ يقول

قد طال قولي اذا ماقمت مبتهلا يارب اصلح قوام الدين والبشر

انا لنرجو اذا ما الغيث اخلفنا من الخليفة ما نرجو من المطر

أأذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم قد كفاني ما بلغت من خبر

مازلت بعدك في هم تؤرقني قد طال في الحي اصعادي ومنحدري

لا ينفع الحاضر المجهود باديه ولا يعود لنا باد على حضر

كم بالمدامة من شعثاء ارملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

يدعوك دعوة ملهوف كأن به خبلا من الجن او مسا من البشر

فان تدعهم فمن يرجون بعدكم او تنج منها فقد اجيت من ضرر

هذي الارامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

خليفة الله ماذا تأمرون بنا لسنا اليكم ولا في دار منتظر

أنت المبارك والمهدي سيرته تعصي الهوى وتقوم الليل بالسور

قال فبكى عمر وهملت عيناه وقال ارفع حاجتك الينا يا جرير قال جرير ماعودتني الخلفاء قبلك قال وما ذلك قال اربعة آلاف دينار وتوابعها من الحملان والكسوة . قال عمر أمن ابناء المهاجرين انت قال لا قال افمن ابناء الانصار انت قال لا قال فقير انت من فقراء المسلمين قال نعم قال فاكتب لك الي عامل بلدك ان يجري عليك مايجرى على فقير من فقرائهم . قال جرير اني ارفع من هذه الطبقة يا امير المؤمنين قال فانصرف جرير فقال عمر ردوه علي فلما رجع قال له عمر قد بقيت خصلة اخرى عندي نفقة وكسوة اعطيك بعضها ثم وصلها بأربعة دنانير فقال وان تقع مني هذه يا امير المؤمنين فقال عمر انها والله لمن خالص مالي واما جهدت لك نفسي فقال جرير والله يا امير المؤمنين انها لاحب مال كسبته . ثم خرج فلقيه الناس فقالوا له ماوراءك قال : جئتكم من عند خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء واني عنه لراض

﴿ دخول الخوارج على عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا ان ابن حنظلة اخبرهم قال بعثني وعون بن عبدالله عمر بن عبدالعزيز الى خوارج خرجت عليهم بالحيرة رأسهم رجل من بني شيبان يقال له شوذب وكتب

معنا كتابا اليهم فقدمنا عليهم فبعثوا معنا اليه رجلين احدهما من العرب فاتينا بهما عمر فدخلنا عليه ورد اهما بالباب قال فتشوهما الا يكون معهما حديد اوشيء فعلنا ثم اننا ادخلناهما عليه. فلما دخلا قالا السلام عليكم قال وعليكم السلام اجلسا. فلما جلسا قال لهما عمر ما الذي اخرجكم علينا فقال العربي وكان اشدهما كلاما وانهما ءتلاامنا انا لم ننكر عليك عدالك ولا سيرتك ولكن بيننا وبينك امر هو الذي يجمع ويفرق بيننا فان اعطيتناه فنحن منك وانت منا وان لم تعطناه فلسا منك ولست منا. فقال عمر وما هو فقال. خالفت اهل بيتك وسميتهم الظالمة وسميت اعمالهم المظالم فان زعمت انك على الحق وانهم على الباطل فالعنهم وتبرأ منهم فقال عمر. انكم لم تتركوا الاهل والعشائر وتعرضتم للقتال الا وانتم في انفسكم مصيبون ولكنكم اخطأتم وضللتم وتركتم الحق اخبراني عن الدين اواحدا وثنان قالا بل واحد قال افيسعكم في دينكم شيء يعجز عني قالا لا قال فاخبراني عن ابي بكر وعمر ما حالهما عندكم قالا افضل الناس ابو بكر وعمر قال. الستما تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي ارتدت العرب فقاتلهم ابو بكر فقتل الرجال وسبى النساء والذرية قالا بلى قال عمر فلما ولي ابو بكر قام عمر ورد تلك النساء والذراري الى عشائرهم فهل تبرا عمر من ابي بكر ولعنه بخلافه اياه قالا لا قال فتولونهما على خلاف بينهما قالا نعم فقال عمر فهؤلاء الذين اختلفوا بينهم في السيرة والاحكام لم يتبرأ بعضهم من بعض ولا لعن بعضهم بعضاً وانتم تتولونهم على خلاف سيرتهم فهل وسعكم في دينكم ذلك ولا يسعني حين خالفت اهل بيتي في الاحكام والسيرة حتى العنهم واتبرأ منهم. اخبراني عن اللعن فرض على العباد قالا نعم فقال عمر متى عهدك بلعن فرعون قال ما ابالي به من عهد منذ زمان قال عمر هذا راس من رؤوس الكفار ليس لك عهد بلعنه منذ زمان وانا لا يسعني ان العن من خالفتهم من اهل بيتي ألستم انتم الذين تؤمنون من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفه وتخيفون من كان رسول الله يؤمنه فلا تبرا الى الله تعالى من هذه العصمة. فقالا بلى فاخبرنا عن ذلك الستما تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج والناس اهل كفر فدعاهم ان يقروا بالله ورسوله فمن ابى قاتله وخوفه ومن اقر بهما امنه وكف عنه؟ وانتم اليوم من مر بكم مقر بهما قتلتموه ومن لم يقر بهما امنتموه وخليتم سبيله فقال العربي تالله ما رايت حجة اقرب ماخذا ولا اوضح منها جاءمنك اشهد انك على الحق وانا على الباطل وقال الآخر: لقد قلت قولا حسنا وانا كنت لا فتات على اصحابي حتى افاهم فلحق اصحابه وقام الآخر عند عمر فاجرى عليه العطاء والرزق حتى مات عنده

﴿ وفاة عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا ان عبد الرحمن بن يزيد اخبرهم قال كتب عمر بن عبد العزيز الى ابن ابي زكريا

أما بعد فاذا نظرت في كتابي فاقدم دقدم عليه فقال مرحبا يا ابن ابي ذكريا قال وبك يا امير المؤمنين قال حاجة لى قبلك قال بين الانف والعين حاجتك يا امير المؤمنين ان قدرت عليها قال لست اكلفك الا ما تقدر عليه قال نعم قال احب ان تثني على الله بمبلغ علمك حتى اذا فرغت سالت الله ان يقبض عمر فقال «انا لله وانا اليه راجعون» بئس وافد امة محمد انا هذا لا يحل لي قال فاني اعزم عليك بحق الله وبحق رسوله وبحقي ان كان لى عليك حق الا فعلته فبكى ثم استرجع ثم اقبل يثني على الله وانه ليبكي حتى اذا فرغ قال. اللهم ان عمر سالني بحقك وبحق رسولك وبحقه على ان ادعوا في قبضه اليك فاقبض عمر اليك كما سال ولا تبقني بعده وجاء حينئذ بني لعمر فسقط في حجره فقال وهذا اي رب مني فاني احبه. قال فما كانوا كخرزات في خيط فانقطع الخيط فاتبع بعضها بالسقوط بعضا

﴿ ذكر رؤيا عمر بن عبد العزيز ﴾

وذكروا أن مزاحم مولى عمر قال اخبرتني فاطمة ابنة عبد الملك امرأة عمر قالت كان لعمر بن عبد العزيز مكان يخلو فيه فابطأ على ذات ليلة فملت لآتينه فوجدته نائما فهبته ان ايقظه فما لبث الا قليلا حتى رفع راسه فقال من هذا فقلت انا فاطمة فقال يا فاطمة لقد رأيت رؤيا ما رايت احسن منها فقلت حدثني بها يا امير المؤمنين قال. رايت كانى فى ارض خضراء لم ار احسن منها ورايت فى تلك الارض قصراً من زبرجد ورايت جميع الخلائق حول ذلك القصر فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادى فقال اين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقام النبي عليه السلام فدخل القصر فقلت سبحان الله انا فى جمع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم اسلم عليه فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادى فنادي أين ابو بكر ابن ابى قحافة فقام ابو بكر فدخل فما لبثت الا قليلا حتي خرج المنادي فنادى أين عمر بن الخطاب ابن الفاروق فقام عمر فدخل فقلت سبحان الله انا فى ملا فيهم جدي لم اسلم عليه فما لبثت الا يسيرا حتى خرج المنادى فقال اين عثمان بن عفان فقام عثمان فدخل فما لبثت الا قليلا حتي خرج المنادى فنادى اين على ابن ابى طالب فقام فدخل فما لبثت الا قليلا حتى خرج المنادى فنادى اين عمر بن عبد العزيز فقمت فدخلت فلما صرت في القصر رايت النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر عن يمينه وعمر عن شماله وعثمان وعلى امامه فقلت اين اقعد لا اقعد الا جانب عمر قال فرايت فيما بين النبى صلى الله عليه وسلم وابى بكر شابا حسن الوجه حسن الهيئة فقلت لعمر من هذا قال هذا عيسي بن مريم عليه السلام فما لبثت الا قليلا حتى خرج عثمان بن عفان وهو يقول الحمد لله الذى نصرنى ربى ثم خرج على وهو يقول الحمد لله الذى غفر لى ربى ثم نودي لى فقمت فصرت بين يدي ربى فحاسبني فلقد سالني عن النقير والفتيل والقطمير حتى خفت ان لا

النجوم ثم قمت فخرجت فقيل لي اثبت وتمسك على ما انت عليه فبينما انا سائر فاذا بجيفة قد علا نتنها الخلائق فضربتها برجلي وقلت لمن هذه الجيفة فقيل لي هذا الحجاج بن يوسف فضربته برجلي فقلت له ما فعل الله بك يا حجاج قال يا امير المؤمنين والله لقد قتلت بكل قتيل قتلته قتلة بسيف من نار ولقد قتلت بسعيد بن جبير اثنين وسبعين قتلة. فقلت فآخر امرك ما هو قال انا هاهنا انتظر ما ينتظر من وحد الله وآمن برسله .قالت فاطمة فلم يبق عمر بعد هذه الرؤيا الا يسيرا حتى مرض مرضه الذي مات فيه فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فقال له يا امير المؤمنين انك لتترك ولدك عالة على الناس فاوص بهم الى اكفك امرهم فانك لم تمولهم شيئا ولم تعطهم فقال عمر .يا ابا سعيد ان ولدي لهم الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ثم دعاهم عمر وهم اربعة عشر غلاما فنظر اليهم عمر وقد لبسوا الخشن من قباطي مصر فاغرورقت عيناه بالدموع .قال لهم. اوصيكم بتقوى الله العظيم وليجل صغيركم كبيركم وليرحم كبيركم صغيركم . ثم قال لمسلمة يا ابا سعيد انما ولدي على احد امرين اما عامل بطاعة الله فلن يضيعه الله واما عامل بمعصيته فلا احب ان يعينه بالمال قوموا عصمكم الله ووفقكم . ثم دعا رجاء بن حيوة فخلا به فقال يا رجاء ان الموت قد نزل وانا اعهد اليك عهداً لا اعهده الى غيرك اذا انا مت فكن ممن يقبرني فاذا سويت على اللبن فارفع لبنة ثم اكشف عن وجهي وانظر اليه فاني قبرت ثلاثة رجال بيدي وكشفت عن وجوههم فنظرت وجوههم قد اسودت وعيونهم قد برزت من وجوههم فاكشف عن وجهي يا رجاء وانظر اليه فان رايت شيئا من هذا فاستر علي ولا تعلم به احداً وان رايت غير ذلك فاحمد الله عليه قال رجاء ففعلت ذلك فلما سوينا عليه اللبن رفعت لبنة وكشفت وجهه فاذا وجهه مثل القمر ليلة البدر واذا على صدره صك فيه خط ايدي من كتابة الادميين . بسم الله الرحمن الرحيم كتاب بالقلم الجليل من الله العزيز العليم براءة لعمر بن عبد العزيز من العذاب الاليم.

﴿ما علم به موت عمر رحمه الله في الامصار﴾

وذكروا ان رجلا من اهل المدينة قال وفد قوم من اهل المدينة الى الشام فنزلوا برجل في اوائل الشام موسع عليه ابل كثيرة وابقار واغنام فنظروا الى شيء لا يعلمونه غير ما يعرفون من غضارة العيش اذ اقبل بعض رعاته وقال ان السبع عدا اليوم على غنمي فذهب منها بشارة فقال الرجل انا لله وانا اليه راجعون ثم جعل يتأسف اسفا شديدا فقلنا بعضنا لبعض ما عند هذا خير يتاسف ويتوجع من شاة اكلها السبع فكلمه بعض القوم قال له . ان الله تعالى قد وسع عليك فما هذا التوجع والتاسف

قال انه ليس مما ترون ولكني اخشي ان يكون عمر ابن عبد العزيز قد توفى الليلة والله ما تعدى السبع على الشاة الا لموته فاثبتوا ذلك اليوم فاذا عمر توفي في ذلك اليوم وذكروا انهم سمعوا رجلا يحدث ويقول بينا رجل باليمن نائم على سطح له ذات ليلة اذ تسور عليه كلب فسمعه وهو يقول لهرة له أي جنة هل من شيء اصيبه فاني والله اكال فقالت له الهرة ما ثم شيء لقد غطوا الاناء واكفؤا الصحفة فقال لها هل تدنيني من يد صبي اوقدر لم تغسل اشمها لترتد لي روحي قالت الهرة ما كنت لاخونهم اماني ثم من ابن اقبلت تشكو الكلل والجوع قال من الشام شهدت وفاة عمر بن عبد العزيز وحضرت جنازته قالت انا لله وانا اليه راجعون نور كان في الدنيا فطمس ثم زالت عنه وتنحت وفرت منه وهابته خوفا من ان يعدو عليها ثم انسل الكلب ذاهبا فلما اصبح الرجل جعل يقول للهرة أي جنة جزاك الله عنا خيرا قال فاستوبرت الهرة وذهبت فلم ترجع فكتب ذلك اليوم فجاءهم موت عمر في ذلك اليوم

﴿ولاية يزيد بن عبد الملك بن مروان﴾

وذكروا ان الامر صار بعد عمر بن عبد العزيز الى يزيد بن عبد الملك بعهد سليمان أخيه اليه بذلك والى عمر وكان يزيد قبل ولايته محبوبا في قريش بجميل مأخذه في نفسه وهديه وتواضعه وقصده وكان الناس لايشكون اذا صار اليه الامر أن يسير بسيرة عمر لما ظهر منه فلما صارت اليه الخلافة حال عما كان يظن به وسار بسيرة الوليد اخيه واحتذى على مثاله واخذ ماخذه حتى كان الوليد لم يمت فعظم ذلك على الناس وساروا من ذلك الى احوال يطول ذكرها حتى هموا بخلعه وجاءهم بذلك قوم من اشراف قريش وخيار بني أمية وكانت قلوبهم قد سكنت الى هدى عمر واطمأنت الى عدله بعد النفار والانكار لسيرته وعاد ذلك من قلوبهم الى الرضا بامره والقنوع بقصده عليهم وتقصيره في ادراك المطامع والعطايا عليهم وانهم منهم نفر بالخلع والخروج فاخذهم عمه محمد بن مروان بن الحكم فاسكنهم السجن عشرين شهراً ثم دس لهم السم فماتوا جميعا واقصي من سائر قريش ثلاثين رجلا بعد ان اغرمهم مائة الف الف رباع عقر اموالهم ورباعهم وحمل العذاب عليهم والنكال حتى اصارهم عالة يتكففون الناس متفرقين في كور الشام وآفاق البلاد وصلب من الناس جملة ممن الف هؤلاء القوم وانهم بعصابتهم ومصاحبتهم وكانت ولايته في ربيع الاول سنة احدى ومائة ومات سنة ست ومائة

﴿ولاية هشام بن عبد الملك﴾

وذكروا ان عبد الملك بن مروان بينما هو يوما في بعض بوادي الشام يتطوف

اذ نظر الى ساع بسعي اليه فوقف منتظراً له فلما قاربه قال له ما وراءك فقال ولدت المخزومية غلاما قال فما سميته قال هشاما قال هشم الله رأسها فقال له قبيصة بن ذؤيب ولم يا امير المؤمنين قال اخبرني ابي مروان انه سمع بسرة بنت صفوان تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . راحة اصحابي معاوية ولا راحة لهم بعد معاوية وراحة العرب هشام ولا راحة لهم بعد هشام . وذكروا ان هشاما صارت اليه الخلافة في سنة ست ومائة فكان محمود السيرة ميمون النقيبة وكان الناس معه في دعة وسكون وراحة لم يخرج عليه خارج ولم يقم عليه قائم الا ما كان من قيام زيد ابن علي بن الحسين في بعض نواحي الكوفة فبعث اليه بن هبيرة وكان عامل الكوفة فاخذ زيد فاتى به ابن هبيرة فامر بقتله من دون رأى هشام فلما بلغ ذلك هشام عظم عليه قتله واعظم فعل ابن هبيرة واجترائه على قتل قرشي دون مشورة حتى جعل يقول . قتل زيد بن علي في شرفه وفضله يقتله ابن هبيرة وما كان عليه من قيامه ان هذا لهو البلاء المبين ما يزال ابن هبيرة مبغضا لاهل هذا البيت من آل هاشم وآل عبد المطلب ووالله لا زلت لهم محبا حتى اموت ثم عزل بن هبيرة عن الكوفة واغرمه الف الف ولم يدع له شيئا حتى مات وكانت ايام هشام عشرين سنة وولي سنة ست ومائة وتوفي سنة ست وعشرين ومائة بعد ان حج احدي عشر حجة وهو خليفة

﴿ قدوم بن صفوان بن الاهتم على هشام ﴾

وذكروا ان شبيب بن شيبة اخبرهم عن خالد بن صفوان بن الاهتم قال اوفدني يوسف بن عمر الي هشام في وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج منتدبا في قرابته واهله وحشمه وحاشيته من اهله الي بعض بوادي الرصافة فنزل في ارض قاع صحصح افيح في عام قد بكر وسميه وقد البست الارض انواع زهرتها واخرجت الوان زينتها ، وقد ضرب له سرادقات من حبرات اليمن مزرورة بالذهب والفضة وضرب له فسطاطه في وسطه فيه اربعة افرشة من خز احمر مثلها مرافقها وعليه دراعة خز احمر وعمامة مثلها وضربت حجر نسائه من وراء سرادقه وعنده اشراف قريش وقد ضربت حجر بنيه وكتابه وحشمه بقرب فسطاطه ثم امر الربيع حاجبه فاذن للناس اذنا عاما فدخلوا عليه واخذ الناس مجالسهم قال خالد فادخلت راسي من ناحيه السماط فاطرق ثم رفع راسه ونظر الى شبه المستنكر وكنت قد حليت عنده ببلاغة وفهم وحكمة فقلت اقر الله نعمته عليك يا امير المؤمنين وكرامته وسوغك شكره يا امير المؤمنين ومد لك في المزيد بفضله ثم وصلها بعد بطول العمر وتتابع

الكرامة الباقية التي لا انقطاع لها .لا تقاد لشيء منها حتى يكون آجلى ذلك خيراً من عاجله وآخره فضل من اوله وعاقبته خيراً من ابتدائه وما اجد يا امير المؤمنين جعلني الله فداك شيئا ابلغ في حقك وتوفير مجلسك اذ من الله على بمجالستك والنظر الى وجهك مني وما اجد فيما اظهر ذلك الا في مذاكرتك نعم الله التي انعم بها عليك واحن فيها اليك ونبهك الي شكرها . ثم اني لا اجد شيئا هو ابلغ في ذلك ولا اعم من ذكر حديث لملك خلا من الملوك كان في سالف الامم فان اذن امير المؤمنين اكرمه الله حدثته قال وكان هشام منكئاً فاستوي جالسا وقال هات يابن الاهتم .

قال : قلت يا امير المؤمنين ان ملكا كان فيما خلا مجتمعا له فيها فتاء السن واعتدال الطبائع وتمام الجمال وكثرة المال وتمكين الملك، وكان له ذلك الى البطر والمرح داعيا وعلى الغفلة والذهول معينا فخرج متنزها الى بعض منازله فصعد جوسقا له فاشرف على ارض قد اخضلها ربيع عامه كان شبيها بعامك هذ يا امير المؤمنين في خصبه وعشبه وكثرة زهره وحسن منظره ، فنظر فرجع اليه بصره كليلا عن بلوغ اقصي امواله من الضياع والابل والخيل والنعم فقال لنفر من ناديه لمن هذا قيل له لك فاعجبته نفسه وما بسط له من ذلك حتى اظهر فرحه وزهوه ثم قال لجلسائه هل رأيتم مثل ما انا فيه أم هل أوتي احد مثل ما اوتيت . وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والعلم والمضى على ادب الحق ومنهاج الصدق في الضمير والمقالة . وقد قيل ان الله الجليل لم يخل الارض منذ اهبط آدم من قائم بقوم بحجة الله فيها وكان ذلك الرجل ممن يسامره قال . ايها الملك قد سالت عن أمر أفتأذن لي بالجواب فيه قال نعم قال : ارايتك هذا الذي اعجبك مما عليه اطلعك نظرك واستطال ملكك وسلطانك أشيء لم يزل لك ولم يزل عنك ام شيء كان لغيرك فزال عنه اليك ثم هو صائر الى غيرك كما صار اليك ؟ قال الملك . بل كما ظننت ومثلت قال : فاني اراك اعجبت بما يفني وزهدت فيما يبقي وسررت بقليل وحسابه غداً طويل قال ويحك فكيف المطلب واين المهرب وما الحيلة في المخرج قال احدى خصلتين اما ان تقيم في ملكك فتعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك وامضك واما ان تضع تاجك ونجادك وتذكر ذنوبك وتلحق في الخلاء بمن يغفر لك فتتعبد فيه ربك حتى يوافيك اجلك تنقضي مدتك وانت عامل لربك فيما يعطيك قال فاذا فعلت ذلك فمالي فقال ملك خالد لا يفني ونعيم لا ينقضي ومزيد وكرامه وصحة لا تسقم ابدا وسرور لا ينصرم وشباب لا يشوبه هرم ، وقرار لا يخالطه هم ، قال الملك سانظر الى نفسي في الاختيار لها مما ذكرت لي فاذا كان وقت السحر فاقرع على بابي لتعرف

رأيي فاني مختار احدي المنزلتين فان اقمت فى ملكي واخترت ما انا فيه كنت وزيراً لا تعصي وان خلوت كنت رفيقا لا تجفي فلما كان السحر قرع عليه بابه فاذا هو قد وضع تاجه ولبس اطماره فلحق بالجبل فلم يزالا يعبدان الله فيه حتي بلغ اجلهما وانقضى عمرهما . فبكى هشام حتي بل لحيته ثم نكس رأسه طويلا ثم امر بنزع ابنيته وانتقاله فاقبلت العامة من الموالي على بن الاهتم فقالوا له ما اردت لامير المؤمنين افسدت عليه لذته و نغصت عليه شهوته وقد حرمتنا ما املنا فيه . قال اليكم عني فاني عاهدت الله ربي اني لا اخلو بملك الا ذكرته الله ونبهته ورشدته. ثم رجع خالد الى فسطاطه كئيبا حزينا متخوفا يظن انه هلك وكان للربيع صديقا فبينما هو كذلك اذ اتاه رسول الربيع فقال ياصفوان يقول لك اخوك الربيع : من كان في حاجة الله كان الله فى حاجته . انك ما وليت امير المؤمنين جمل يقول الله در بن الاهتم اى رجل دنيا واخري من ديار بيم فليرفع حوائجه وليفد الينا بها نقضها له فقال الربيع فاغد علينا بحوائجك رحمك الله واحمده على ما صنع واذهب من مخافتك . فغدا عليه بحوائجه فقضيت: و ذكر انه لم يكن فى بني امية ملك اعظم من هشام ولا اعظم قدرا ولا اعلى صوتا منه دانت له البلاد وملك جميع العباد واديت اليه الجزية من جميع الجهات من الروم والفرس و الترك والافرنج والزنج والسند والهند وكان قريبا من الضعفاء مهتما باصلاح الادواء لم يجتري احد منهم على ظلامه ولم يدلك احد منهم الا سبيل الاستقامة وكان له موضع بالرصافة افيح من الارض يبرز فيه فتضرب فيه السرادقات فيكون فيه ستير بارز للناس مباحا للخلق لا يغني ايامه تلك الا برد المظالم والاخذ على يد الظالم من جميع الناس واطراف البلاد ويصل الى مخاطبته بذلك الموضع داعي السوام والامة السوداء فمن دونها . قد وكل رجالا ادباء عقلاء بادناء الضعفاء والنساء واليتامى منهم وامرهم باقضاء اهل القوة والكفاية عنه حتي يأتي على آخر ما يكون من امره فيما يرفع اليه لا ينضم اليه رجل يريد الوصول اليه فينظروا الاوضع منه الا ادنوا الاوضع وابعدوا الارفع حتي ينظر فى شانه و يعرف امره و ينفذ فيه ما امر ولا يرفع اليه ضعيف ولا امرأة امرا وظلامة على غطريف من الناس من تقم القدر ولا مستخدم به الا امر باقتضاء عينه واغداه عطلبه لا يقبل لهم حجة ولا يسمع لهم من بينة حتى لربما عبر به المرأة والرجل اوعابر سبيل لا حاجة له فيامر به فيقال له ما حاجتك وما قصتك وما ظلامتك فيقول انما سلكت اريد موضع كذا اروم لمكذا فيقول له الملك ظلمك احد من آل الخليفة تهاب أمره وتتوقع سطوته فذلك الذي منعك عن رفع ظلامتك الى امير المؤمنين فيقول لا والله لا ابغى الا ما قلت فيقال له اذهب بسلام . حتى لربما انت عليه تارات من الليل وساعات من النهار لا ينظر فى شيء ولا ياتيه احد في خصومة لاستغناء

الناس عن المطالب وتعففا من المظالم ووقاية من سطواته وتخوفا من عقوبته وقد وسع العباد امنه واشعرهم عدله وصارت البلاد المتنائية الشاسعة كدار واحدة ترجع الى حاكم قاضي يرقبه الناس في المواضع النائية عنه كما يرقبه من معه وقد وضع العيون والجواسيس من خيار الناس وفضلاء العباد في سائر الامصار والبلدان يحصون اقوال الولاة والعمال ويحفظون اعمال الاخيار والاشرار قد صار هؤلاء اعماله متعاقبون ينهض قوم باخبار ما بلوا في المصر الذي كانوا فيه ويقبل آخرون يدخلون مسترقين ويخرجون متفرقين لا يعلم منهم واحد ولا يرى لهم عابر فلا خبر يكون ولا قصة تحدث من مشرق الارض ولا مغربها الا وهو يتحدث به في الشام ينظر فيه هشام، وقد اقصر نفسه على هذه الحال وحببت اليه هذه الافعال، فكانت ايامه عند الناس احمد ايام سيرت بهم واعماها وارجاها قد لبس جلباب الهيبة على اهل العنود والكبور وارتدى برداء التواضع الى اهل الخشوع والسكون. وكان قد حبب اليه الكثير من الدنيا والاستمتاع بالكساء لم يلبس ثوبا قط يوما فعاد اليه حتى لقد كان كساء ظهره وثياب مهنته لا يستقل بها ولا يحملها الا سبعمائة بعير من اجلد ما يكون من الابل واعظم ما يحمل عليه من الجمال وكان مع ذلك يتقلل ايطالت ايامه واستبطأ صاحب العهد موته فناوأه وعاداه وانتقل عن الموضع الذي كان به هو والوليد بن يزيد بن عبد الملك فمات هشام والوليد غائب فاتاه موته فامر بقفل الخزائن فلم يجدوا لهشام ما يكفنونه به واستؤذن الوليد في اقباله فلم يدفن هشام حتي قدم الوليد وذلك في ثلاثة ايام

﴿ بدء الفتن والدولة العباسية ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدي اخبرهم قال اختلفت روايات القوم الذين عنهم حملنا وروينا ذكر الدولة فحملنا عنهم ما اختلفوا فيه واتفقنا فكان اول ما اختلفت فيه الرواية ولم تلائمه الحكاية اشياء سنذكرها في مواضعها من هذا الكتاب ان شاء الله واقتصرنا على معانيها وقيد بعض الفاظها لطول اخبارها واجتنبنا الجزل السمين من اللفظ ورددنا هزيله لمر رقائده وقلة عائدته وقد اختصرنا واشبعنا اذ لم نترك من المعاني المتقدمة شيئا والله الموفق للصواب. فكان مما الفنا بدأ من ذكر الدولة ما اخبرنا عن الهيثم بن عدي عن الرجال الذين حدثوه قالوا: لما سلم الحسن بن علي الامر الى معاوية بن أبي سفيان قامت الشيعة من اهل المدينة واهل مكة واهل الكوفة واليمن واهل البصرة وارض خراسان في ستر وكتمان فاجتمعوا الى محمد بن علي وهو محمد بن الحنفية فبايعوه على طلب الخلافة ان امكنه ذلك وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقوها يوم الوثوب على فرصته فيما يحتاج من النفقة على مجاهدته فقبلها وولى على شيعة كل بلد رجلا منهم وأمره باستدعاء

من قبله منهم في سر وتوصية اليهم الا يبوحوا بكتومهم الا لمن يوثق به حتى يرى للقيام موضعا . فاقام محمد بن الحنفية امام الشيعة قابضا لزكاتهم حتى مات . فلما حضرته الوفاة ولى عبد الله ابنه من بعده وأمره بطلب الخلافة ان وجد الى ذلك سبيلا واعلم الشيعة بتوليته اياه فاقام عبد الله بن محمد بن على وهو امير الشيعة فبلغ ذلك سليمان بن عبد الملك فى أول خلافته ان الشيعة قد بايعت عبد الله بن محمد بن على بعد ابيه فبعث اليه وقد اعد له فى افواه الطرق رجالا معهم اشربة مسمومة وأمرهم اذا خرج من عنده ان يعرضوا عليه الشراب . فلما دخل على سليمان اجلسه الى جنبه ثم قال له بلغني ان الشيعة بايعتك على هذا الامر فجحده عبد الله وقال بلغك الباطل وما زال لنا اعداء يبلغون الائمة قبلك عنا مثل ما بلغك ليغروهم بنا فيدفع الله عنا كيد من نأوأنا وأنا بما يلزمني من مؤنتي اشغل مني بطلب هذا الامر ثم خرج من عنده في وقت شديد الحر . فكان لا يمر بموضع الا قام اليه الرجل بعد الرجل فيقول له هل لك فى شربة سويق اللوز وسويق كذا وكذا يا ابن بنت رسول الله فيقول بارك الله لكم حتى اذا خرج الى آخر الطريق خرج اليه رجل من خبائه وبيده عس فقال هل لك فى شربة من لبن يا ابن بنت رسول الله فوقع فى نفسه ان اللبن مما لا يشم فشرب منه ثم مضي فلم يلبث ان وجد للسم حسا فاستدل على الطريق الى الحميمة وبها جماعة آل عباس وقال لمن معه ان مت ففي اهلي ثم توجه فنزل على محمد بن على بن عبد الله بن عباس فاخبره الخبر وقال له اليك الامر والطلب للخلافة بعدي فولاه واشهد له من الشيعة رجالا ثم مات . فاقام محمد بن على بن عبد الله بن عباس بدعوة الشيعة له حتى مات فلما حضرته الوفاة ولى محمد بن ابراهيم الامر فاقام وهو امير الشيعة وصاحب الدعوة بعد ابيه

(دخول محمد بن على على هشام)

وذكروا ان محمد بن على بن عبد الله بن عباس دخل وهو شيخ كبير قد غشي بصره على هشام بن عبد الملك متوكئا على ولديه أبى العباس وأبى جعفر فسلم ثم قال له هشام ما حاجتك ولم يدنه في الجلوس فذكر قرابته وحاجة به ثم استجداه . فقال له هشام ماهذا الذى بلغني عنكم يابني العباس ثم يأتى أحدكم وهو يرى انه احق بما فى ايدينا والله لا اعطيتك شيئا فخرج محمد بن على فقال هشام كالمستهزيء ان هذا الشيخ ليرى ان هذا الامر سيكون لولديه هذين او لاحدهما فرجع محمد نحوه فقال . اما والله انى اري ذلك على رغم من رغم . فضحك هشام وقال أغضبنا الشيخ ثم مضى محمد بن على

(ولاية الوليد بن يزيد وفتق الدولة)

وذكروا ان الوليد بن يزيد لما تولى الامر بعد هشام أساء السيرة والتجني على اهله وجماعة قريش واحدث الاحداث العظيمة وسفك الدماء وأباح الحريم وكانت ولايته في ست وعشرين ومائة فلما استولى على الامر بعث الى اشراف الاجناد فقدموا عليه وقدم خالد فيمن قدم فلم يأذن لواحد منهم وكان مشتغلا بلهوه ولعبه ومرض خالد فاستؤذن له في الانصراف فاذن له فانصرف الى دمشق فاقام بها اشهراً. ثم كتب اليه الوليد ان أمير المؤمنين قد علم الخمسين الف الف التي تعلم فاقدم بها على امير المؤمنين مع رسوله فقد امره ان لا يعجلك عن جهازك فبعث خالد الى عدة من ثقاته فيهم عمارة ابن ابي كلثوم فاقرأهم كتاب الوليد وقال اشيروا علي برأيكم . فقالوا ان الوليد ليس بمأمون فالرأي ان ندخل مدينة دمشق فنأخذ بيوت الاموال وتدعو الي من احببت والناس قومك ولن يختلف منا عليك اثنان فقال لهم وماذا قالوا تأخذ بيوت الاموال وتجمع اليك قومك حتي تتوثق لنفسك قال وماذا قالوا تتوارى . فقال اما قولكم ان ادعو الى من احببت فاني اكره ان تكون الفرقة على يدي واما قولكم ان آخذ بيوت الاموال حتي اتوثق لنفسي فانتم لا تأمنوني عليها ولا ذنب لي فكيف لي ترجون وفاة عما يعطيني وقد فعلت ما فعلت واما قولكم في التوارى فوالله ما قنعت رأسي خوفا من احد قط فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت، ولكني امضي واستعين بالله تعالى

(قتل خالد بن عبد الله القسرى)

وذكروا ان خالد بن عبد الله القسري شخص الى الوليد بن يزيد حتى قدم على معسكره فلم يدع به الوليد ولم يكلمه وهو يختلف اليه غدوة وعشية حتي قدم برأس يحيي ابن يزيد بن علي بن الحسين من خراسان فجمع الناس الاذن فحضر الاشراف وجلس الوليد وجاء خالد الى الحاجب فقال ان حالى كما ترى لا اقدر على المشي وانما احمل في الكرسي قال الحاجب ما يدخل احد على امير المؤمنين على هذه الحال ثم اذن له نحمل على كرسيه ثم دخل على الوليد وهو جالس في سريره والمائدة موضوعة فلما دخل عليه قال له الوليد أين ولدك يزيد بن خالد فقال قد اصابه من هشام ظفر فخلى سبيله ثم طلب فهرب فكنا نراه عند امير المؤمنين حتي استخلفه الله فقال له الوليد لكنك خلفته طالبا للفتنة فقال خالد قد علم امير المؤمنين انا اهل بيت طاعة أنا وابي وجدي فقال له الوليد لتأتيني بابنك او لازهقن نفسك فقال له خالد : هذا الذى تدور عليه وهو الذى تريد والله لو كان انى تحت قدمى ما رفعتهما لك فاصنع ما بدا لك . فامر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه والاخذ له وقال له اسمعني صوته فذهب به غيلان الى

رحله فعذبه بالسلاسل والحديد فلم يتكلم كلمة فرجع غيلان الى الوليد فقال له والله لا اعذب انسانا لا يتكلم فقال له كف عنه واحتبسه ففعل فقام يوسف بن عمر فقال انا اشتريه بخمسين الف الف فارسل الوليد الى خالد ان يوسف بن عمر قد سال ان يشتريك بخمسين الف الف فان ضمنتها لامير المؤمنين والا دفعتك اليه . قال خالد ما عهدنا العرب تباع فدفعه الى يوسف بن عمر فنزع ثيابه والبسه عباءة وألحقه أخرى وحمله على محمل ليس تحته وطاء فبسط عليه وعذبه وخالد لا يكلمه بكلمة ثم ارتحل حتي اذا كان ببعض الطريق عذبه يوما ثم وضع المصرسة على صدره فقتله في الليل فدفن في الحيرة وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين ومائة

﴿ وثوب اهل دمشق على الوليد بن يزيد وقتله ﴾

وذكروا ان يزيد بن خالد دب في اهله يحمل في عشائره فاجتمع امرهم على الوليد بن يزيد فبينما هم يدبرون امرهم اذ انطلق ساع الي الوليد فقال له ادلك على يزيد ابن خالد قال نعم فبعث الوليد مولي له وامره ان يكمن النهار ويسير الليل حتى اتى دمشق ليلا ويزيد مختف بدمشق في منزل رجل عند باب السوق فاقتحم عليه المنزل فاخذه وشخص به من ساعته حتي قدم الوليد فامر بالبعث به الى يوسف بن عمر بالعراق قال له يزيد يا امير المؤمنين انا ادفع لك الخمسين الف الف التي طلبت من خالد في ثلاث سنين على ان تكتب الى الآفاق بامان من كانت لي عنده وديعة وامان فيها ذمتي وموالي فقبل منه الوليد ذلك فامر بالكتب الى العراق والحجاز وكور الشام في ذلك واحتبس يزيد عنده وجعل عليه القيود والحرس ثم ارتحل الوليد ومعه خدمته وشرطته وتواعد اهل اليمن ان يثوروا اذا صلوا العتمة في المسجد وكانت العلامة بينهم ان يلتمس احدهم صاحبه. فلما تفرق اهل المسجد خرجوا فاستخرجوا يزيد بن الوليد من منزله ثم اتوا به القصر وعلى دمشق يومئذ رجل من بني الحجاج وكان قد خرج من الطاعون واستخلف رجلا من قيس فدخلوا عليه فاوثقوه كتافا وأوثقوا كل من خافوا خلافه فتسلل رجل حتي اتى الوليد بن يزيد فاخبره الخبر فلما أصبحوا غدوا الي الوليد فبعث الوليد في طلب يزيد بن خالد وهو عنده في الحديد فقال له ان قومك قد خرجوا بين يدي الوليد فارددهم عن امير المؤمنين ولك الله ان اوليك العراق وادفع اليك يوسف فتقتله بابيك فقال له يزيد بن خالد وتوثق في يا امير المؤمنين قال نعم فتوثق به وحلف قال فارسلني اليهم حتى اردهم عنك فقال له الوليد بل اكتب اليهم قال ان كتابي لا يغني شيئا وقد علموا ان في يديك واني سأكتب بما تريد فامر باطلاقه من

الحديد ورده الى حبسه وأمر الحرس يتحفظون به ثم ارتحل الوليد بيزيد بن خالد معه فلما كان الفجر صبحته أوائل الخيل خيل اهل اليمن فارسل الوليد الى يزيد ابن خالد فقال له يزيد بدخل عني حتى اردهم عنك فبينما هم على ذلك اذ التقى القوم فشدت الميمنه وقد طلعت الشمس واختلط الناس وكثر القتل وتخلص يزيد بن خالد من الحرس فهرب فاتوه يبرذون من راذين الوليد واتى بسيف فتقلده ثم نادى مناديه من جاء برأس الوليد فله مائة الف دينار ونودي فى العسكر من دخل رحله فهو آمن. فنادى الوليد يااهل الشام ألم احسن اليكم ألم افعل كذا افعل كذا احسانه . فقال عبد السلام بلى قد فعلت ولكنك عمدت الى شيخنا وسيدنا خالد بن عبد الله قد عزله لخليفة قبلك واخذ امواله ثم خلاعنه فدفعته الى يوسف بن عمر اليهودي فادرعه ثم حمله على محمل بلا وطاء ثم انطلق به فعذبه حتي قتل شر قتل يكون فقال لهم الوليد فاخلعوني قميصي هذا وولوا من شئتم فانصرفوا الى قومهم فاعلموهم بما رضي من الخلع فقالوا الا راسه فتدلى القوم الى القصر وانتهى يزيد بن خالد الى الباب وعليه سلسلة فامر بها فكسرت وكسر الباب وخرج الوليد يسعى حتى دخل بيتا من بيوت القصر ودخل عليه نحو من ثلاثين رجلا وهو قائم بيده السيف منكسا راسه لا ينظر اليهم وهو يذب عن نفسه فضربه رجل ضربة فصرعه ثم اكب عليه فاحتز راسه فخرج به وانصرف الناس الي دمشق . فبايع الناس ليزيد بن لوليد بن عبد الملك وذلك في ذى الحجه من سبع وعشرين ومائة وكان خليفة ستة اشهر ثم مات فى جمادى الاولى ثم ولى ابراهيم بن الوليد فبويع له فى جمادى الاولى فمكث ثلاثة اشهر ثم خلع وهرب

﴿ ولاية مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ﴾

وذكروا انه لما خلع ابراهيم بن الوليد خرج مروان بن محمد فى صفر سنة سبع وعشرين ومائة ومعه اهل الجزيره واهل حمص فدعا الى نفسه بالبيعة ووعد الناس خيرا فرضي به اكثر الناس لشجاعة كانت فيه وسخاء يوصف به فملك الشام واستقل له الامر وغلظ شانه واستعلى سلطانه وبايع له اهل العراق والحجاز وهابه الناس وخافوه واستعمل العمال فى الافاق والامصار وكانت الشيعة تتكاتب على الكتمان لذلك وتتلاقى على السر فلما كانت سنة ثمان اجتمعت الشيعة

﴿ خروج ابى مسلم الخراسانى ﴾

وذكروا أن الشيعة لما اجتمعت وغلظ امرهم بخرسان قدم منهم .سليمان بن كثير وقحطبة بن شبيب فلقوا ابراهيم بمكة فقالوا قد قدمنا بمال قال وكم هو قالوا عشرين الف دينار ومائتي الف درهم وبمسك ومتاع قال ادفعوه الى عروة مولى

محمد بن علي ففعلوا فكان يحيى بن محمد يتبعهم ويسألهم فيقول ما قصتكم وفي أي شيء جئتم فلا يخبرونه فذكر ذلك لابراهيم فقال احذروه فانه قليل العقل ضعيف الرأي فجاء الى ابراهيم فقال له ان علي دينا والله لئن لم تعطني قضاء ديني لارفعن أمرك الى عبد العزيز بن عمر وهم يومئذ على الموسم فاعطاه خمسة آلاف درهم وقدموا بابي مسلم معهم وقد خرج اصحابه من السجن فاعلموا ابراهيم انه مولاه فقال ان سليمان قدر بي أمركم فانت على الناس فاخرج الى خراسان وقد كان ابو مسلم قدم على ابراهيم قبل ان يصرف اصحابه فرأى عقله ونظرفه . فكتب الى اصحابه اني قد أمرته على خراسان وما غاب عليها فأتاهم فلم يقبلوا قوله وخرجوا من قابل فالتقوا بمكة فاعلمهم ابو مسلم انهم لم ينفذوا كتابه قال ابراهيم انه قد اجمع رأيه على هذا فاسمعوا له وأطيعوا ثم قال لابي مسلم يا أبا عبد الرحمن انك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي : انظر هذا الحي من اليمن فاكرمهم فان الله لا يتم هذا الامر الا بهم وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم وانظر هذا الحي من مضر فانهم العدو القريب الدار فاقتل من شككت في أمره ومن وقع في نفسك منه تهمة. فقال انها الامام فان وقع في انفسنا من رجل هو على غير ذلك أحبسه حتى تتبينه قال لا السيف السيف لا تنفي العدو بطرف ثم قال للشيعة من اطاعني فليطع هذا يعني أبا مسلم ومن عصاه فقد عصاني ثم قال له ، ان استطعت ان لا تدع بخراسان ارضا فيها عربي فافعل وايما غلام بلغ خمسة اشبار فاتهمته فاقتله ولا تخاف هذا الشيخ يعني سليمان ابن كثير ولا تعصه فشخصوا الى خراسان ووقعت العصبية بخراسان بين نصر بن سيار كان عامل مروان عليها وبين الكرماني فدخل على نصر بن سيار رجل فقال له ان مروان بن محمد قد خالف ماظن به الناس وقد كان رجي وامل وما أرى أمره الا وقد انتقض واجترأت عليه الخوارج وانتقضت عليه البلاد وخرج عليه ثابت ابن نعيم ورأي الاشتغال بالذاته اهم عليه فلو اجتمعت كلمتك مع الكرماني فاني خائف ان يوقعك هذا الخلاف فيما تكره وأنت شيخ العرب وسيدها وأري والله في هذه الكور شيئا واسمع أمورا أخاف ان تذهب او تذهل منها العقول فقال نصر بن سيار والله ما اتهم عقلك ولا نصيحتك ولكن اكفف عن هذا القول فلا يسمعن منك فالتحم ما بين الرجلين وهاجت الحرب وتقاتلوا وجعلت رجال الشيعة تجتمع في الكور الالاف والالفان فيجتمعون في المساجد ويتعلمون أي يتعارفون بينهم فبلغ ذلك نصر واغتنم لذلك وخاف أن وجه اليهم من يقاتلهم ان يتجاوزوا

الى الكرماني فلما استفحل امر القوم وقام بامرهم ابو مسلم الخراساني ثم اجتمعوا واظهروا امرهم . فكتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد.

اري خلل الرماد وميض نار * ويوشك ان يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب اولها الكلام
اقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ امية ام نيام
فان كانوا لحينهم نياما * فقل قوموا فقد حان القيام
ففري عن رحالك ثم قولي * على الاسلام والعرب السلام

فكتب اليه مروان : ان الشاهد يرى مايرى الغائب فقال نصر لما قرا الكتاب اما صاحبكم فقد اعلمكم ان لا نصر عنده وجعل ابو مسلم يكتب الكتب ثم يقول للرسل مروا بها على اليمانية فانهم يتعرضون لكم وياخذون كتبكم فاذا راوا فيها اني رايت المضرية لاوفاء لهم ولا خير فيهم فلا تثق بهم ولا تطمئن اليهم فاني ارجو ان يريك الله في اليمانية ماتحب ويرسل رسولا آخر يعثر ذلك على اليمانية فيقول مر على المضرية فكان الفريقان جميعاً معه . وجعل يكتب الى نصر بن سيار والى الكرماني : ان الامام قد اوصاني بكم واست اعدوا رايه فيكم فجعل نصر يقول . ياعباد الله هذه والله الذلة رجل بين اظهرنا يكتب الينا بمثل هذا لانقدر له على ضر ولا نفع فلما تبين القوم ان لا نصير لهم كتب ابو مسلم الي اصحابه في الكور ان اظهروا امركم فكان اول الناس من سود اسيد بن عبد الله فنادى يامحمد يامنصور وسود معه العكي ومقاتل بن حكيم وعمر بن غزوان واقبل ابو مسلم حتي نزل الخندقين فهابه الفريقان جميعا فقال لست اعرض لواحد منكم انا ندعوا الى آل محمد فمن تبعنا فهو منا ومن عصانا فالله حسيبه . فلما جعل اصحابه يكثرون عنده وهو يطمع الفريقين جميعاً في نفسه كتب نصر بن سيار الى مروان بن محمد يذكر استعلاء أمر ابي مسلم ويعلمه بحاله وخروجه وكثرة شيعته وانه قد خاف ان يستولى على خراسان وانه يدعو الي ابراهيم بن محمد فاتى مروان الكتاب وقد اتاه رسول ابى مسلم بجواب ابراهيم فأخذ جواب ابراهيم وفيه لعن ابراهيم لابي مسلم حين ظفر بالرجلين الا يدع بخراسان عربيا الا قتله فانطلق الرسول بالكتاب الى مروان فوضعه في يده. فكتب مروان الى الوليد بن معاوية وهو على دمشق : ان اكتب الى عاملك بالبقاء فليأخذ ابراهيم بن محمد فليشده وثاقا ثم ببعث به اليك ثم وجه به الي فاتي اليه وهو جالس في مسجد القرية فاخذ الى دمشق ودخل على مروان فانبه وشتمه فاشتد لسان ابراهيم عليه ثم قال ياامير المؤمنين ماأظن مايرى الناس عنك الاحقاً في بعض

بني هاشم فقال : ادركك الله باعمالك اذهب به فان الله لا ياخذ عبداً عند اول ذنب اذهب به الى السجن . فقال ابو عبيدة فكنت آتيه في السجن ومعه عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز فوالله اني ذات ليلة في سقيفة السجن بين النائم واليقظان اذا مولى لمروان قد استفتح ومعه عشرون رجلا من موالي مروان من الاعاجم ومعه صاحب السجن ففتح لهم فدخلوا واصبحوا فاذا عبد الله بن عمر وابراهيم بن محمد ميتان فانكسر لذلك ابو مسلم بخراسان اذ لقنه موت ابراهيم وانكسرت الشيعة واستعلى امر الكرماني فلما راي ابو مسلم ذلك قال له انا معك ودارت الاحوال بين نصر والكرماني حتي غدر نصر بالكرماني فقتله وصلبه فخاف نصر على نفسه من ابي مسلم

﴿ ذكر ما امال اصحاب الكرماني الى ابي مسلم ﴾

وذكروا ان ابا مسلم كتب الى نصر : انه قد جاءنا من الامام كتاب فهلم يعرضه عليك فان فيه بعض ما تحب فدخل عليه رجل فقال . ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين. فقال نصر ادخل فالبس ثيابي فدخل بيتا له وقد قدم الى صاحب دوابه فاتاه بدواب فركب وهرب معه داود بن ابي داود وهرب معه بنوه وتفرق اصحابه وجاء القوم الى ابي مسلم فاعلموه انه قد خرج ولا يدرون أين توجه فاستولى ابو مسلم على خراسان فاستعمل عليها عماله ثم وجه اتباعون في ثلاثين الفا الى مروان فلما بلغ مروان الخبر خرج حتي اتى حران فتحمل بعياله وبناته واهله وقد كان يتعصب قبل ضد اهل اليمن واهل الشام وغيرهم وقتل ثابت ابن نعيم والسمط بن ثابت وهدم مدائن الشام وتحول الى الجزيرة . قال اسماعيل ابن عبد الله القسري . دعاني مروان فقال يا أبا هاشم وما كان يكنيني قبلها قد ترى ما حل من الامر وانت الموثوق به ولا مخبأ بعد بؤس ما الراى فقلت يا امير المؤمنين على ما اجمعت قال على ان ارتحل بموالي وعيالي واموالي ومن تبعني من الناس حتى اقطع الدرب ثم اميل الي مدينة من مدائن الروم فانزلها واكاتب صاحب الروم واستوثق منه فلا يزال ياتيني الخائف والهارب حتي ينتظم امري قال اسماعيل : وذلك والله الرأى فلما رأيت ما اجمع عليه ورأيت سوء آثاره في قومي وبلائه القبيح عندهم قلت له اعيذك بالله يا امير المؤمنين من هذا الرأى ان تحكم فيك اهل الشرك وفي بناتك وحرمك وهم الروم لا وفاء لهم ولا ندرى ما تأتي به الايام فان انت حدث عليك حادث بالروم ولا يحدث الا خير ضاع اهلك من بعدك ولكن اقطع الفرات ثم استدعى الشام جندا جندا فانك في كنف وجماعة وعزة واكفاء كل جند صارم يسيرون معك حتي تأتي مصر فانها اكثر ارض الله مالا ورجالا ثم الشام امامك وافريقية خلفك فان رايت ما تحب

انصرفت الي الشام وان كانت الاخري مضيت الى افريقية قال صدقت استخار الله وقطع الفرات فمر بكور من كور الشام فوثبوا عليه فاخذوا مؤخر عسكره فانتهبوه ثم مر بحمص فصنعوا له مثل ذلك ثم مر باهل دمشق فوثبوا عليه ووثب به الوليد بن معاوية وكان عامل مروان على دمشق ثم مضي الى الاردن فوثب به هاشم بن عمر ثم مر بفلسطين فوثب به الحكم ثم مضي الى مصر فاتبعه الحجاج بن زمل السكسكي فقيل له اتتبعه وقد عرفت بغضه لقومك فقال ويحكم انه اكرمني لمثل هذا اليوم لا اخذله وتبعه ايضا ابو سلمة الخلال وثعلبة بن سلامة وكان عامله على الاردن وتبعه ايضا الرماحس فقال انى لاسير مع مروان حيث جزنا فلسطين فقال يارماحس انا رجت على قيس انفراج الراس ما بقي منهم احد وذلك انا وضعنا الامر في غير موضعه واخرجناه من قوم ايدنا الله بهم وخصصنا به قوما والله ارايناهم وفاء ولا شكراً

﴿ تولية ابى مسلم قحطبة بن شبيب قتال مروان ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدي اخبرهم عن رجال ادركوا الدولة وصحبوا اهلها قالوا لما استولى ابو مسلم على خراسان ولى قحطبة الطائي قتال مروان بن محمد وبعث معه ثلاثين الفاً من رجال اليمن واهل الشيعة وفرسان خراسان وخرج مروان وهو يريد ابا مسلم بخراسان ومعه مائة الف فارس سوي اصحاب الحمولة فهرب من بين يديه ابو العباس وابو جعفر وعيسي بن على بن عبد الله بن عباس فلحقوا بالكوفة فبعث ابو العباس الي ابى سلمة الخلال واسمه حفص بن سليمان وكان واليا لابراهيم بن محمد على الشيعة بالكوفة فامره ان بلغه امر فيه قوة لابى مسلم بخراسان ان يظهر امره بالكوفة ويدعو اليه ويناهض صاحب الكوفة ففعل ذلك ابو سلمة فلما غلظ امر ابى مسلم بخراسان واستولى عليها وبعث الجيوش الى مروان اظهر امره بالكوفة وطرد عامل الكوفة فخرج هاربا.

(ذكر البيعة لابى العباس بالكوفة)

وذكروا ان ابامسلم لما بلغه ان اباسلمة قد اظهر امره بالكوفه ودعا الى محمد وجه رجلا من قواده الى الكوفة فى الفى فارس وامره ان يسرع السير حتى يأتيهما فاقبل ذلك القائد حتي دخل الكوفة فلقي غلاما اسود لابي العباس فقال له اين مولاك قال هو في دار هاهنا قال دلني عليه فدله على الدار فاستفتح الباب ثم دخل عليه فسلم عليه بالخلافة وكان ابو سلمة يريد صرف الخلافة الى ولد على بن ابى طالب وكان ينهي ابا العباس عن الخروج ويقول له ان الامر لم يتم وان موالى بنى امية قائمون بالحرب والامر اشد مما كان فقال ابو العباس ان اباسلمة منعنى عن الخروج حتى يولي العمال ويعمل الخراج فقال القائد لعن الله اباسلمة والله لا اجلس حتى تخرج الى الناس فخرج له مع رجاله الى المسجد

ونودى الصلاة جامعة فصعد ابو العباس المنبر فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه ثم ذكر بني امية وسوء آثارهم وذكر العدل فحض عليه ووعد الناس خيرا ورجالهم الاصلاح وقسمة الفيء على وجهه ثم دخل دار الامارة وجلس الناس فلما بلغ ابا سلمة خروجه اتاه يعتذر فقبل منه واراه المكانة منه والخاصة به وقد كان علم ابو العباس الذي اراده ابو سلمة من صرفه الخلافة الى ولد على بن ابى طالب

(حرب مروان بن محمد وقتله)

وذكروا ان قحطبة بن شبيب لما انتهى الى بعض ثغور الشام التقى بمروان فقاتله فانهزم مروان فاقتحم قحطبة فى طلب مروان فرسه فى الفرات فحمله الماء فمات فيه وقد اصاب اهل عسكر قحطبة من اموال مروان وامتعة عسكره مالا يحصي كثرة فتناول اللواء حميد بن قحطبة وعبر الفرات حتى الشام فقيل له ان مروان ترك الطريق الى دمشق وذهب صالح بن على بن عبد الله بن عباس وكان بناحية من الشام وقد اجتمع اليه الناس لما علموا من قرابته لامير المؤمنين فلما اجتمع مع حميد بن قحطبة سلم اليه الامر وقال الناس انه خرج باظهار الدعوة لابى العباس من غير امره فلما سلم الامر الى صالح بن على اتاه كتاب ابى مسلم ان يرجع بن قحطبة ببعض عساكره الى العراق فيكون فيها حتى ياتيه امره فاتى صالح بن على كتابه بانه قد صير اليه الشام وما وراءها الى المغرب ويامره فيه ببعثه الجيوش فى طلب مروان فولى صالح بن على رجلا من الازد يقال له ابا عون على مصر وامره بطلب مروان فى ارض المغرب وبعثه فى عشرين الفا وكان سليمان بن هشام قد نافر مروان وقاتله مرارا قبل ان يشتد امر ابى مسلم فى ارباعة آلاف وذلك بعد خروج قحطبة من عند ابى مسلم فنزل به سليمان وكانت بينه وبين ابي العباس مودة وقد عة فبايع ابا مسلم على طاعة ابى العباس فسر به ابو مسلم وشيعته ثم سيره فى طلب قحطبه ممداً له وقد قاتل مروان قحطبة قبل قدوم سليمان بيومين فلما اغاظ مروان الى دخول سليمان بن هشام فى عسكر قحطبة وكثرة من جاء معه انهزم فمضى سليمان مع حميد ابن قحطبة فى طلبه ولم يكن مروان انهزم عنه غلبة ولكنه كان نظر فى كتب الحدثان فوجد فيها ان طاعة المسودة لا تجاوز الزاب فقال ذلك لوزرائه فقال له ان بمصر زابا آخر قال فاليها اذهب اذاً والزاب الذى اراد علمه هو بارض المغرب فاقبل مروان وهو يريد مصر فالتفت الخيل فانهزم خيل ابي عون واسر القوم وصاحب ابراهيم فاتى مروان بالاسارى فقال مروان شدوا ايديكم بالاسرى فقد اجنا الليل وبات مسرورا فلما اصبح جمل يهيء اصحابه للقاء القوم فاقبل سليمان بن هشام وابو عون وكان مروان قد ارخي حبال الجسر وتوسط اصحابه فيما هنالك وهم آمنون فقال ابو عون

للقبط هل لهذا النهر من مخاضة فقالوا له ماعلمنا ذلك ولا بلغنا ان أحدا خاضه قط فقطع عما قصد واراه . فكتب الى صالح بن على بذلك و يسأله ان يبعث اليه بمراكب ساحل البحر عاجلا فبينما هو في ذلك اذ اتاه رجل من القبط فقال له ان أبي كان يقرأ الكتاب وكان يحدثنا بامور تكون بعده و يصف لنا موضعا يجعله الله لكم تخوض فيه الخيل عند تلك الامور وقد اختبرت ذلك الليلة . فسر بذلك ابو عون ثم بعث معه الخيل الى ذلك الموضع بعد ان وصله ووعده خيرا وكان مروان نظر الي الرايات السود بناحية مصر و نظر الى الخيل تعدو النهر ولا يشك انهم لايجدون سبيلا الى عبوره فلم ينشب اهل عسكر مروان ان نظروا الى خيل ابي عون قد جاوزت النيل فجاء مروان اصحابه واهل بيته ثم خطبهم وحضهم على الصبر وقال لهم . ان الجزع لايزيد في الاجل وان الصبر لاينقص الاجل واقبل القوم فاقتتلوا من وقت صلاة الصبح الى ان مالت الشمس فاصيب عبد الله و محمد ابنا مروان و بنو ابيهما اكثرهم وولد عبد العزيز وصار القوم فلما لم يبق حوله الا قدر الثلاثين حمل على القوم فاكردهم ورجع فجعل اصحابه يفترقون عنه . فلما رأى ذلك نزل عن فرسه وانشا يقول متمثلا

ذل الحياة وهو الممات وكلا أراه وخيما و بيلا
فان كان لابد من ميتة فسيرى الى الموت سيرا جميلا

فوثب رجل الي فرسه فاخذه فقال له مروان اكرمه فانه اشقر مروان ثم كسر غمد سيفه وقاتل قتالا شديدا ثم اصيب فنزل ابو عون فامر بضرب قبابه وامر سليمان بن هشام بطلب المنهزمين حتى اصيب عامتهم واستاسر منهم من استاسر وكان فيمن اسر منهم عبد الحميد كاتبه وحكم المكى مؤذنه فاستبقاهما ابو عون وبعث بهما الى صالح بن على ثم امر ابو عون بطلب جثة مروان على شاطىء النيل فلما كان من الغد ركب ابو عون وسليمان بن هشام لينظر مروان فنظر اليه ثم تحول ابو عون الى سليمان فقال . الحمد لله الذى شفى صدرك قبل الموت من مروان فهل لك يا ابا ايوب ان تذهب الى امير المؤمنين بكتابي و بما هيا الله على يديك وشفي به صدرك فيفعل بك خيراً و يعرف من قرابتك ونصحك ما انت اهله فرضي بذلك سليمان فكتب وصار فلما قدم سليمان بن هشام على ابى العباس امير المؤمنين رحب به وقربه واستلطفه وانزله بعض دور الكوفة و فعل به مالم يفعل باحد سواه من البر والاكرام وكان سليمان يختلف الى مائدة ابي العباس في كل يوم فيتغدى معه و يتعشي وكان كاحد وزرائه وفوقهم وكان يجلس ابا جعفر عن يمينه وسليمان عن يساره

﴿قتل ابي سلمة الخلال﴾

وذكروا ان ابا العباس لما تمت له الامور واستوثقت استشار وزراءه في قتل ابي سلمة فادار القوم الراى فيه وكان أبو سلمة يظهر الادلال والقدرة على أمير المؤمنين وكان يقيم عنده في كل ليلة الى حين من الليل فاذا اراد الخروج والرجوع الي منزله قربت اليه دابته الى المجلس فيركب منه دون غيرة ثم يخرج الي داره. فقالوا له انك ان قتلته ارتاب ابو مسلم ولكن الراى ان تكتب اليه بامره اليه فلما قدم الكتاب الى ابى مسلم كتب الى ابى العباس ان كان رابك منه ريب فاضرب عنقه فلما اتاه الكتاب قال له وزراءه لا تامن ان يكون ذلك غدرا من ابى مسلم وان يكون انما يريد ان يجد السبيل الى ماتتخوف منه ولكن اكتب اليه ان يبعث اليك برجل من قواده يضرب عنقه فكتب اليه بذلك وذكر فى كتابه اني لا اقدم ولا اؤخر الا براك فبعث اليه برجل يقال مرار الضبي فلما قدم على ابا العباس امر ذلك الضبى ان يقعد له فى الظلمة فى داخل دار الامارة بالكوفة فاذا خرج ضربه بالسيف ثم ياتيه براسه، فقتله ثم امر بصلبه فلما اصبح الناس اذ هم بابى سلمه مصلوبا على دار الامارة

﴿قتل رجال بني امية بالشام﴾

وذكروا ان ابا العباس ولى عمه عبد الله بن على الذى يقال له السفاح وامره ان يسكن فلسطين وان يجد السير نحوها وهناه بما اصاب من اموال بني اميه وكتب الي صالح بن على ان يلحق بمصر واليا عليها . فقدم السفاح فلسطين وتقدم صالح الى مصر فاتاها بعد قتل مروان بيومين وان السفاح بعث الى بني اميه واظهر للناس ان امير المؤمنين وصاه بهم وامره بصلتهم والحاقهم في ديوانه ورد اموالهم عليهم فقدم عليه من اكابر بني اميه وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلا وكان فيهم عبد الواحد ابن سليمان بن عبد الملك وابان بن معاوية بن هشام وعبد الرحمن بن معاوية وغيرهم من صناديد بني امية . فاما عبد الرحمن بن معاوية فلقيه رجل كان صنع به براً واسداه خيراً واولاده جميلا فقال له : اطعني اليوم فى كلمة ثم اعصني الى يوم القيامة. فقال له عبد الرحمن وما اطيعك فيه اليوم فقال له الرجل : ادرك . وضع سلطانك وقاعدتك المغرب ، النجا النجا فان هذا غدر من السفاح . يريد قتل من بقى من بني امية فقال له عبد الرحمن ويحك انه كتاب ابى العباس قدم علينا بامره فيه بصلتنا ورد اموالنا الينا و الحاقنا بالعطاء الكامل والرزق الموفور . فقال له الرجل ويحك اتعقل والله لا يستقر ملك بني العباس ولا يستولون على سلطان ومنكم عين تطرف . فقال له عبد الرحمن ذكرت والله عالما بهذا الامر اما لئن قلت ذلك لقد وقفت بين

بديه وانا غلام يوم توفى ابى معاوية وهشام يومئذ خليفة فكشفت عن ظهرى فنظر الى مانظرت اليه فقال لهشام جدى وهو يبكي : هذا اليتيم ياامير المؤمنين صاحب ملك المغرب فقال له هشام وما الذى ابكاك ياابا سعيد فهذا تبكي فقال ابكي والله على نساء بني امية و صبيانهم كانى بهم والله وقد ابدلوا بعد اساورة الذهب والفضة الاغلال والحديد وبعد الطيب والدهن البقل والعقار وبعد العز الذل والصغار فقال هشام احان زوال ملك بني امية ياابا سعيد فقال مسلمة اى والله حان وان هذا الغلام يعمر منهم ثم يصير الى المغرب فيملكها . فقال له الرجل فاقبض مني هذا المال واخرج بمن تثق به من غلمانك فقال عبد الرحمن والله ان هذا الوقت مايوثق فيه باحد فولى ذاهبا وخرج لايدرى متي خرج فلحق بالمغرب واقبل القوم من بني امية وقد اعد لهم السفاح مجلسا فيه اضعافهم من الرجال ومعهم السيوف والاجرزه فاخرجهم عليهم فقتلهم واخذ اموالهم واستصفى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وكان عبد الواحد قد بذ العابدين فى زمانه وسبق المجتهدين فى عصره فركب السفاح الي موال عبد الواحد وكان عبد الواحد قد اتخذ اموالا معجبة تطرد فيها المياه والعيون فامره السفاح ان يصيرها اليه فابى عليه واختفي منه فاخذ رجالا من اهله فتواعدهم السفاح وامر بحبسهم حتي دلوه عليه فلما قبضه امر بقتله ثم استقصي ماله فبلغ ذلك ابا العباس اميرالمؤمنين وكان ابو العباس يعرفه قبل ذلك وكان عبد الفاضل افضل قرشي كان في زمانه عبادة وفضلا . فقال ابو العباس رحم الله عبد الواحد اما والله كان يقاتل المقاتلة ولا ممن يشار اليه بفاحشة. وما قبلته الا امواله ولو ان السفاح عمي و ذمامه ورعاية حقه علي واجب لاقدت منه ولكن الله طالبه وقد كنت اعرف عبد الواحد برا تقيا صوااقوااما. ثم كتب الى عمه السفاح الا يقتل احداً من بني امية حتى يعلم به امير المؤمنين فكان هذا اول مانقم ابو العباس على عمه السفاح

﴿ ذكر قتل سليمان بن هشام ﴾

وذكروا ان عيسي بن عبدالبر اخبرهم قال كان سليمان بن هشام اكرم الناس على ابى العباس امير المؤمنين لحسن بلائه مع قحطبة وقيامه معه على مروان بن عمه وكان هو الذى تولى كبره وقتل على يديه فكان لذلك اخص الناس بابي العباس فبينما هما يوما وقد تضاحكا وتداعبا اذ اتى رجل من موالى ابى العباس يقال له سديف فناول ابا العباس كتابا فيه :

اصبح الملك ثابت الاساس ❋ بالبها ليل من بني العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل نخلة وغراس
ذلها اظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسي
ولقد غاظني وغاظ سوائي قربهم من منابر وكراسي
اذكرن مقتل الحسين وزيدا وقتيلا بجانب المهراس

فقرأه ابو العباس ثم قال له نعم ونعما عين وكرامة سننظر في حاجتك ثم ناول الكتاب ابا جعفر ثم سلم سليمان بن هشام ثم قام وخرج فتطلع رجل من موالي بني امية كانت له خاصة وخدمه في بني العباس فعرف بعض ما في الكتاب فلما خرج من عند امير المؤمنين مر بسليمان بن هاشم في غرفة له بالكوفة فسلم ثم قال لسليمان من عندك يا ابا ايوب فقال له ما عندي غير ولدي قال له: ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين . فخرج سليمان من ليلته هاربا فلحق ببعض نواحي الجزيرة وكتب الى مواليه وصنائعه فاجتمع اليه منهم خلق كثير فبعث اليه ابو العباس بعثاً يقاتله فانهزم ذلك البعث ثم بعث اليه بعثا آخر فهزمه ايضا قال فتنقل سليمان عن ذلك الموضع الى غيره ثم بعث اليه بعثا آخر فاسر سليمان وولده فاتى بهما اسيرين الى ابى العباس فامر فقطعت لهما خشبتان وقدمتا اليهما فامر بضرب رقابهما وصلبهما فقال سليمان لولده تقدم يابني على مصيبتي بك فتقهقر الفلام ثم تقدم فقتل ثم قتل سليمان وصلبا على باب دار الامارة بالكوفة

﴿ خروج السفاح على ابى العباس وخلعه ﴾

وذكروا ان الهيثم بن عدى اخبرهم قال لما ولي السفاح الشام واستصفى اموال بني أمية لنفسه اعجبته نفسه وحسد ابن اخيه على الخلافة فاظهر الطعن على ابى العباس والتنقص له فلما بلغ ذلك ابا العباس كتب اليه يعاتبه على ما كان منه فزاده ذلك عجبا وحسدا وعافيه فحبس الخراج ودعا الى نفسه وخلع طاعته ثم قرب موالي بني امية واطمعهم وسد ثغورهم وابدى العزم واظهره على محاربة ابى العباس فلما انتهت اخباره الى ابى العباس كتب الى ابى مسلم يستغيثه ويذكر عظيم يده عنده ويسأله القدوم عليه لامر السفاح فقدم ابو مسلم فاقام عنده اياما ثم خرج الى السفاح ومعه اجناده وقوادة فلقي السفاح على الفرات فهزمه واستباح عسكره واخذه اسيرا فقدم به على ابى العباس فلما قدم اليه وادخل عليه قال: ياعمي احسنا وواسينا فحسدت وبغيت وقد رايت تعطفا عليك وصلة لرحمك ان احبسك حبسا رقيقا حتى تؤدب نفسك ويبدو ندمك ثم امر فبني له بيت جعل اساسه قطع الملح فحبسه فيه فلما كان بعض ايام

أرسل الماء حول البيت فذاب الملح وسقط البيت عليه فمات فيه ورد ابا مسلم الى عمله بخراسان فاقام فيها بقية عامه ثم اخرج ابو العباس ابى جعفر والياعلى الموسم وخرج ابومسلم ايضا حاجا من خراسان

﴿ اختلاف ابى مسلم على ابى العباس ﴾

وذكروا ان العباس وجه اباجعفر فى ثلاثين رجلا الى ابى مسلم وكان فيهم الحجاج ابن ارطاة الفقيه والحسن بن الفضل الهاشمي وعبد الله بن الحسين فلما توجه ابوجعفر الي ابى مسلم بخراسان وقدم عليه استخف به بعض الاستخفاف ولم يزد الاجلال له وجعل يعظم فى كلامه وفعله الخليفة ولم يزل ابومسلم يتخوف ان يصنع به مثل ماصنع بابي سلمة الخلال وكان لا يظهر ذلك لاحد. فلما قدم ابوجعفر عليه ومعه الثلاثون رجلا وفيهم عبدالله بن الحسين قام اليه سليمان بن كثير فقال ياهذا انا كنا نرجو ان يتم امركم فاذا شئتم فادعوا الى ما تريدون فظن انه دسيس من ابى مسلم فخاف ذلك فبلغ ابا مسلم ان سليمان بن كثير سامر عبدالله بن الحسين بن على فقال لسليمان بلغني انك سامرت هذا الفتى قال اجل له قرابة وحق علينا وحرمة فسكت فاتي عبد الله بن الحسين ابا مسلم فذكر له ذلك وظن انه ان لم يفعل اغتاله ابو مسلم فبعث ابو مسلم الى سليمان بن كثير فقال له انحفظ قول الامام من اتهمته فاقتله قال نعم قال قد اتهمتك فقال ناشدتك الله قال لا تناشدني وانت منطو على غش الامام فامر فضربت عنقه وكتب ابو مسلم الى محمد بن الاشعث ان ياخذ عمال ابى سلمة فيضرب اعناقهم واستعمل ابو العباس عيسي بن على على فارس فاخذه محمد فهم بقتله فقيل لمحمد ان هذا لا يسوغ لك قال امرني ابومسلم ان لا يقدم على احد الا ضربت عنقه فقال ما كان ابو مسلم ليفعل شيئا الا بامر الامام فلما قدم ابوجعفر من عند ابى مسلم قال لابى العباس لست بخليفة ولا آمرك بشيء ان لم تقتل ابامسلم فقال ابوالعباس وكيف ذلك قال لا والله ما يعبا بنا ولا يصنع الا ما يريد فقال له ابو العباس اسكت واكتمها

﴿ قتال ابن هبيرة واخذه ﴾

وذكروا ان أبا العباس وجه اباجعفر الى مدينة واسط فقدم على الحسين بن قحطبة وهو على الناس وكتب ابو العباس الى الحسين بن قحطبة ان العسكر عسكرك والقواد قوادك فان احببت ان يكون اخى حاضرا فاحسن مؤازرته ومكانفته وكتب الى ابى نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك وذكروا ان ابن هبيرة كان قد نصب الجسور بين المدينتين فقال اليمانية الذين مع ابن هبيرة لا والله لا نقاتل على دعوة بني امية ابدا لسوء رأيهم فينا وبغضهم لنا وقالت القيسية لا والله لا نقاتل حتى يقاتل اليمانية فلم يكن يقاتل مع ابن هبيرة

الا صعاليك الناس واهل العطاء . وكان من رأي بن هبيرة ان لا يعطي طاعة لبني العباس وكان رأيه ان يدعوا الى محمد بن عبدالله بن الحسين فاطلع على ذلك ابو العباس وخاف ان يثور اليمانية مع ابن هبيرة في ذلك . فكاتبهم ابوجعفر وقال في كتابه لهم السلطان سلطانكم والدولة دولتكم وكتب الى زياد بن صالح الحارثي بذلك وكان عامل ابن هبيرة في المدينة وكان عامله قبل ذلك على الكوفة فاجاب زياد بن صالح وذلك لما خاف ان يدخل المدينة فيقتل بها فلما كان مغيب الشمس قاموا اليه فلما صلى المغرب ركب فطاف في مسالحه وابوابه فرجع عتمة فتعشى ثم صلى فاقبل على بن الهيثم فقال والله ما اتخلف غصه اعظم ولا اهم الي منك لانك مع هؤلاء واست ادري مايكون بعد اليوم وارى الامر قد استتب لهؤلاء القوم في المشرق والمغرب ولكن ان لقيت اباالعباس اعلمته من امري قال ما اخاف تقصيرك ثم قال لست اثق بولد ولا بغيره ثقتي بك فهاك يدان اوطده، تأخذ مفاتيح هذه المدينة حتي تصبح فتأتي بها ابن هبيرة فقلت انظر ماتصنع في خروجك اتثق بالقوم قال قد جرى بيني و بينهم مااثق به واتاني كتاب ابي العباس بكل مااحب وكتاب ابي جعفر فقلت ياابا الربيع اخاف ان لا يوفي لك . فلما ادهم الليل وانتصف قام فصلى ركعات وامر غلمانه فحملوا متاعه ثم اخرج اربعة غلمان له وابنه ثابت على برذون له وخرج واغلق الباب فلما انتهى الخبر الى ابن هبيره بكى وقال ما يوثق باحد بعد زياد بن صالح بعد ايثاري إياه واكرامي وتفضيلي له وماصنعت به قلت هو هنالك والله خير لك منه ها هنا. قال وترى ذلك ؟ قلت نعم ثم مشت الكتب والرسل بينهم اي بين ابي جعفر وابن هبيرة حتى صار امرهم الى ان يلقاه ونهض ابن هبيرة لهم وتخلى مما بيده لهم .

﴿ كتاب الامان ﴾

وذكروا ان رجلا من قيس يقال له ابو بكر بن مصعب العقيلي سعى في كتاب الصلح والامان عند ابي جعفر حتى تم له فاتي به ابن هبيرة . وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن على ابي جعفر ولي امر المسلمين ليزيد بن هبيرة ومن معه من اهل الشام والعراق وغيرهم في مدينة واسط وارضها من المسلمين والمعاهدين ومن معهم من وزرائهم . اني امنتكم بامان الله الذي لا اله الا هو الذي يعلم سرائر العباد و يعلم ماتخفي الصدور واليه الامر كله ، امانا صادقا لا يشوبه غش ولا يخالطه باطل على انفسكم وذراريكم واموالكم واعطيت يزيد بن عمر بن هبيرة ومن امنته في اعلا كتابي هذا بالوفاء بما جعلت لهم من عهد الله وميثاقه الذي واثق به الامم الماضية من خلقه واخذ عليهم به امره عهدا خالصا وذمة الله وذمة محمد ومن مضى من خلفائه الصالحين واسلافه الطيبين التي لا يسع العباد نقضها ولا تعطيل

شيء منها ولا الاحتقار بها ، وبها قامت السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها تعظيما لها وبها حقنت الدماء ، وذمة روح الله وكلمته عيسي بن مريم وذمه ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط واعطيتك ماجعلت له من هذه العهود والمواثيق ولمن معك من المسلمين واهل الذمة بعد استئماري فيما جعلت لك منه عبد الله بن محمد امير المؤمنين اعز الله نصره وامر بانفاذه لكم . فاطمئن الي ماجعلت لك من الامان والعهود والمواثيق وثق بالله وبامير المؤمنين فيما سلم منه ورضي به وجعلته لك ولمن معك على نفسي ولك على الوفاء بهذه العهود والمواثيق والذمم اشد ما اخذ الله وحرمه وما انزل الله تبارك وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانه جعله كتابا مبينا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونورا وحجة على العباد حتي القى الله وانا عليه ، وانا اشهد الله وملائكته ورسله ومن قريء عليه كتابي هذا من المسلمين والمعاهدين بقبول هذه العهود والمواثيق واقراري بها على نفسي وتوكيدي فيها وعلى تسليمي لك ماسالت ولا يغادر منه شيء ولا ينكث عليك فيها ، وادخلت في امانك هذا جميع من قبلي من شيعة امير المؤمنين من اهل خراسان ومن لامير المؤمنين عليه طاعة من اهل الشام والحرب واهل الذمة وجعلت لك ان لاتري مني انقباضا ولا مجانبة ولا ازورارا ولا شيئا تكرهه في دخولك على الى مفارقتك اياي ولا ينال احد من معك امر يكرهه واذنت لك ولهم في المسير والمقام . جعلت لهم امانا صحيحا وعهدا وثيقا وان عبد الله بن محمد ان نقض ما جعل لكم في امانكم هذا فنكث او غدر بكم او خالف الى امر تكرهه او تابع على خلافه احد من المخلوقين في سراءه علانية او اضمر لك في نفسه غير ما اظهر لك او ادخل عليك شيئا في امانه وماذكر لك من تسليم امير المؤمنين التماس الخديعة والمكر بك وادخال المكروه عليك او نوى غير ما جعل لك من الوفاء لك به فلا قبل الله منه صرفا ولا عدلا وهو بريء من محمد بن علي وهو يخلع امير المؤمنين ويتبرأ من طاعته وعليه ثلاثون حجة يمشيها من موضعه الذى هو به من مدينة واسط الي بيت الله الحرام الذى بمكة حافيا راجلا . وكل مملوك يملكه من اليوم الى ثلاثين حجه بشراء اوهبة احرار لوجه الله وكل امرأة له طالق ثلاثا وكل ما يملكه من ذهب او فضة اومتاع اودابة اوغير ذلك فهو صدقة على المساكين وهو يكفر بالله وبكتابه المنزل على نبيه والله عليه فيما اكده وجعل على نفسه في هذه الايمان راع وكفيل وكفى بالله شهيدا قالوا وكان من راى ابي جعفر الوفاء لابن هبيرة واصحابه

﴿ قدوم ابن هبيرة على ابى العباس ﴾

وذكروا ان ابن هبيرة واصحابه لما جاءهم الكتاب بالايمان ترددوا فيه اربعين يوما

يتدبرونه ويستخيرون الله في الخروج اليهم ثم عزم الله له في القدوم على ابي العباس وابي جعفر وكان ابو مسلم كثيرا ما كتب لابي العباس انه قل طريق سهل يلقي فيه حجارة الاضر ذلك باهله ولا والله يصلح طريق فيه ابن هبيرة واصحابه. وكان ابو الجهم ابن عطية عين ابي مسلم على ابي العباس فكان يكتب اليه بالاخبار وكان ابو العباس لا يقطع امرا دون راي ابي مسلم وقد كان ابن هبيرة في تلك الارب بين ليلة يجمع لذلك الكتاب ممن يبصر الكلام والفقه طرفي النهار فيترددون فيه حتى بلغوا فيه الغاية التي يريدون . ثم خرج ابن هبيرة الي ابي جعفر في الف وثلاثمائة فلما قدم اراد ان يدخل دار الامارة على دابته فقام الاذن فقال مرحبا بك ابا خالد انزل راشدا وقد طاف بالدار يومئذ نحو من عشرة آلاف رجل من اهل خراسان مستلئمين في السلاح اعينهم تزهوا من تحت المغافر على عواتقهم السيوف مشهورة وعمد الحديد بايديهم . فاتى ابن هبيرة بوسادة فطرحت له فجلس عليها ثم دعا الحاجب بالقواد فدخلوا على ابي جعفر ثم خرج سلام بن سلام فقال ادخل ابا خالد قال ومن معي ؟ قال انما استأذنت لك فدخل فوضعت له وسادة فجلس فحدثنا وجعفر طويلا ثم نهض فركب فاتبعه ابو جعفر بصره حتي انصرف

﴿ قتل ابن هبيرة ﴾

وذكروا ان ابا العباس كتب الى ابي جعفر . ان اقتل ابن هبيرة فراده ابو جعفر بالكتاب فكتب اليه ابو العباس . والله لتقتلنه او لابعثن اليك من يخرجه من عندك ويتولى ذلك عليك . وكان بن هبيره اذا ركب الى ابى جعفر ركب في ثلاثمائة فارس وخمسمائة رجل فقدم يزيد بن حاتم على ابى جعفر فقال اصلح الله الامير ما ذهب من سلطان ابن هبيره شيء يأتينا فيتضعضع له العسكر فقال ابو جعفر يا سلام قل لابن هبيرة يركب في مثل تلك الجماعة وليأتنا في حاشيته . قال عدي فاصبحنا فخرج بن هبيرة ايضاً في مثل هذه الجماعة الذين كانوا يركبون معه فخرج اليه سلام فقال يقول لك الامير ما هذه الجماعة لا تسير الا في حاشيتك فتغير وجه ابن هبيرة فلما اصبح اتى في نحو من ثلاثين رجلا قال له ابن سلام كانك انما تاتينا مباهيا فقال ابن هبيرة ان احببتم ان نمشي اليكم فعلنا فقال سلام ما نريد بذلك استخفافا بك ولكن اهل العسكر اذا رأوا جماعة من معك غمهم ذلك فكان هذا من الامير نظراً لك فمكث طويلا جالسا في الرواق فقيل له ان الامير محتجم فانصرف راشداً فلم يزل يركب يوما ويقيم آخر لا يجيء الا في رجلين او غلامه وقد ختموا على الخزائن وبيوت الاموال وجعل القواد

يدخلون على ابى جعفر فيقولون ماننتظر به فيقولون مااريد الا الوفاء له حتى اذا
اجتمع امرهم على قتله بعث الى الحسين بن قحطبة فاتاه فقال لو سرت الى هذا
الرجل فأرحتنا منه فقال لا تريد ذلك ولكن ابعث اليه رجلا من قدمه من مضر
حتى يقتله فتتفرق كلمتهم عند ذلك فدعا حازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة قال لهم
ابو جعفر ائتوا الى ابن هبيرة فجددوا على بيوت المال الختم وعلى الخزائن وبعث
معهما من المضرية والقيسية ان يحضروا الاذن وان يحونا من الرجل ففعلوا ثم دخلوا
رحبة القصر في مائة رجل فارسلوا الي ابن هبيرة انا نريد حمل مابقي في الخزائن
فقال ادخلوا فدخلوا الخزائن فطافوا بها ساعة وجعلوا يخلفون عند كل باب عدة
حتي دخلوا عليه فقالوا ارسل معنا من يدلنا على المواضع وبيوت الاموال فقال
باعثمان ارسل معهم من يريدون فطاف حازم واصحابه فى القصر ساعة وابن هبيرة
عليه قميص له مصرى وملاءة موردة وهو مستند ظهره الى حائط المسجد فى
رحبة القصر ومعه ابنه داود وحاجبه وكاتبه عمر بن ايوب وعدة من مواليه وبنيه
وفي حجر ابن هبيرة ولد صغير ، فلما توثقوا من كل شيء اقبلوا نحوه فلما رآهم قد
اقبلوا اليه قال والله ان فى وجوه القوم لشراً . فلما دنوا منه قام ابو عثمان فقال ماوراءكم
فنصحه الهيثم بالسيف فاصاب حبل عاتقه فصرعه وقام ابنه داود فقاتل فتفرقوا
عليه فقتلوه ومواليه ثم مضوا نحو ابن هبيرة فخر ساجداً وقال ويحكم نحوا عني هذا
الصبى لايرى مصرعى قال فضرب حتى مات ساجداً ثم أخذوا رؤسهم فأتوا بها
اباجعفر ونادى المنادى بواسط أمن الامير خلق الله جميعاً الا الحكم بن بشير وعمرو
ابن ذر قال فضاقت على والله الارض بما رحبت حتي خرجت على دابتي مالى
هجير الا آية الكرسي اتلوها والله ماعرض لى أحد حتي تواريت فلم أزل خائفاً
حتي استامن لى زياد بن عبد الله بن العباس فامنه وهرب الحكم بن عبد الله بن
بشير الى عسكره وضاقت بخالد بن مسلمة الارض حتي أتى اباجعفر فاستاذن عليه
فامنه . وبلغ ذلك ابا العباس فكتب الى ابى جعفر والله لوكانت له الف نفس لاتيت
عليها اضرب عنقه فهرب ابو علاقة الفزارى وهشام بن هبيرة وصفوان بن يزيد
فلحقهم سعد بن شعيب فقتلهم وقبض على اصحاب ابن هبيرة فقتل من وجوههم
نحوا من خمسين ثم امن الناس جميعا ونادى منادي ابى جعفر من اراد ان يقيم
فليقم بالجابية ومن احب ان يشخص فليشخص وهرب القعقاع بن ضرار وحميد
وعدة حتي اتوا زياد بن عبد الله فاستامن لهم فامنوا جميعهم وقوي ملك بنى العباس
واستقرت قواعده فلما قتل ابن هبيرة ونودى فى اهل الشام الحقوا شامكم فلاحاجة

لنا بكم فسار اهل الشام حتى قدموا الكوفة منهم من قدم ومنهم من اخذ على عين التمر ومنهم من اخذ على طريق المدائن ثم لحقوا بالشام على طريق الفرات واستعمل ابو جعفر على واسط ومن فيها الهيثم بن زياد وخلف معه خيلا ثم انصرف ابو جعفر الى ابى العباس وهو يومئذ بالحيرة ثم وجه داود بن على الى الحجاز فقتل من ظفر به من بني امية وغيرهم فتوجه الى المثنى بن زياد بن عمر بن هبيرة باليمامة فقتله واصحابه ثم تبعهم محمد بن عمارة وكان على الطائف فقتلهم وتحول ابو العباس من الحيرة الى الانبار فامر ابو العباس براس ابن هبيرة فوضع بالحيرة على خشبة ومعه غيره من عمال مروان وبها رفع راس مروان بن محمد وعن عينه راس ثعلبه ابن سلامة وراس عثمان بن شعيب عن يساره وانقطعت شيعة في امية وطلبوا تحت كل حجر ومدر

﴿اختلاف ابى مسلم على ابى العباس﴾

وذكروا ان ابا مسلم كتب الى ابى العباس يستاذنه فى القدوم عليه فقدم عليه فتلقاه الناس جميعاً ومعه القواد والجماعة والخيل والنجائب ثم استاذن ابا العباس فى الحج لولا ان ابا جعفر يحج لاستعملتك على الموسم فقال ابو جعفر لابى العباس اطعني واقتل ابا مسلم فوالله ان فى راسه لغدرة. فقال له اى اخى قد عرفت ثلاثه وما كان منه فقال ابو جعفر هو اخطا بذلك والله لو بعثت سنوراً مكانه لبلغ مابلغ فى مثل الدولة. قال ابو العباس كيف نقتله قال اذا دخل عليك فحادثه فاذا اقبل عليك دخلت فاتيت من خلفه فضربته ضربة آتى منها على نفسه فقال ابو العباس اي اخي فكيف تصنع باصحابه الذين يؤثرونه على انفسهم ودينهم قال يؤل ذلك الي خير والى ماتريد. قال يا اخي انى ارى ان تكف عن هذا فقال ابو جعفر اخاف ان لم تنفذه يغشاك فقال ابو العباس فدونكه يا اخي قال وكان مع ابى مسلم من اهل خراسان عشرة آلاف قد قدم بهم ياخذ من العطاء عند غرة كل شهر اوفر مايكون من الارزاق سوى الاعاجم فلما دخل ابو مسلم على ابي العباس دعا ابو العباس خصيا له فقال اذهب فاعرف مايصنع ابو جعفر فاتاه فوجده محتفيا بسيفه فقال ابو جعفر اجالس امير المؤمنين فقال الوصيف قد تهيأ للجلوس ثم رجع الوصيف فذكر ذلك لابى العباس فرده ايضا الى ابى جعفر وقال قل له عزمت عليك ان لا تنفذ الامر الذى عزمت عليه فكف عن ذلك فسار الى مكة حاجا وللموسم. وخرج ابو مسلم فكان اذا كتب الى ابي جعفر يبدأ بنفسه ثم يكتب اليه لا يهولنك مافي صدر الكتاب فاني لك بحيث تحب ولكني احب ان يعلم اهل خراسان ان لى منزلة عند امير المؤمنين

﴿ كتاب ابي مسلم الى ابي جعفر وقدهم ان يخلع ويخالف ﴾

وذكروا ان ابامسلم لما رجع من عند ابي العباس وقد قيل له بالعراق ان القوم ارادوك لولا ماتوقفوا ممن معك من اهل خراسان فلما كان في بعض الطريق كتب الى ابي جعفر اما بعد فاني كنت اتخذت اخاك اماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه وكان في محله من العلم وقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث كان فقمني بالفتنة واستجهلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا في قليل قد نعاه الله الى خلقه فمثل الضلالة في صورة الهدي فكان كالذي ضل بغروره حتى وترت اهل الدين والدنيا في دينهم واستحللت عما كان من ذلك من الله النقمة وركبت المعصية في طاعتكم وتوطئة سلطانكم حتى عرفكم من كان يجهلكم وأوطأت غيركم العشواء بالظلم والعدوان حتى بلغت في مشيئة الله ما احب ثم ان الله عنه وكرمه اتاح لي الحسنة وتداركني بالرحمة واستنقذني بالتوبة فان يغفر فقد عرف بذلك وان يعاقب فبما قدمت يداي وما الله بظلام للعبيد. فكتب اليه ابوجعفر . اروم ما رمت وازول حيث زلت ليس لي دونك مرمى ولا عنك مقصر الرأي ما رأيت ان كنت انكرت من سيرته شيئاً فانت الموفق للصواب والعالم بالرشاد انا من لا يعرف غير يديك ولم ينقلب الا في فضلك فانا غير كافر بنعمتك ولا منكر لاحسانك لا تحمل علي اصر غيري ولا تلحق ما جناه سواي اي ان امرتني ان اشخص اليك والحق بخراسان فعلت الامر امرك والسلطان سلطانك والسلام

﴿ موت ابي العباس واستخلاف ابي جعفر ﴾

وذكروا ان اباجعفر لما انقضى الموسم وانصرف راجعا جاءه موت ابي العباس وكان بينه وبين ابي مسلم مرحلة . فكتب الى ابي مسلم انه قد حدث حدث ليس مثلك غائب عنه فالعجل العجل قال اسحاق ابن مسلم . فقلت لابي جعفر وانا اسايره ونحن مقبلون من مكة أيها الرجل لاملك لك ولا سلطان مع هذا العبد فقال ابوجعفر ظهر غشك وبدا منك ما كنت تكتم بابي مسلم يفعل هذ قلت نعم فاني اخاف عليك منه يوم سوء فقال كذبت قال اسحاق فسكت ثم لقيته بعد ذلك من الغد بيوم والله ما عرفتها فيه وعاودني بمثل كلامه الاول فقلت له اكثر ام اقل ان لم تقتله والله يقتلك. قال فهل شاورت في هذا احداً قلت لا قال اسكت فسكت. فقدم الكوفة فاذا عيسي بن موسي قد سبقه الى الانبار وغلب على المدينة والخزائن وبيوت الاموال والدواوين وخلع عبد الله وتوثب على ابي جعفر ودعا اهل خراسان فالحقهم بالعين وجعل لهم الجعائل الجليلة والعطايا الجزيلة . فلما قدم ابوجعفر سلم الامر لعيسي بن موسي وتوثب عبد الله بن علي على اهل خراسان فقتلهم ودعا الى نفسه واتاه ابو غانم

عبد الحميد بن ربعي فقال ان اردت أن يصفو لك الامر فاقتل اهل خراسان وابدأ بي . فلما قدم ابو جعفر من مكة قال لابي مسلم اعما هو انا وانت والامر امرك فامض الى عبدالله بن علي او اهل الشام فلما سار اليه ابومسلم سار معه القواد وغيرهم فاتي عبد الله بن علي واهل الشام فهزمهم وانهزم عبدالله بن علي و بعث به الى ابي جعفر فاستكر قعود ابي مسلم عنه فبعث اليه يقطين بن موسي ورجلا معه على القبض فقال ابو مسلم لا ابوثق بهذا ونحوه فوثب وشتم وقال قولا قبيحا قال له يقطين بن موسي جعلت فداك لا تدخل الغم على نفسك ان احببت رجعت الى امير المؤمنين فانه ان علم ان هذا يشق عليك لم يدخل عليك مكروها . ثم قدم ابو جعفر من الانبار حتى قدم المدائن وخرج ابو مسلم فاخذ طريق خراسان مخالفا لابي جعفر فكتب اليه ابو جعفر . قد اردت مذاكرتك في اشياء لم تحملها الكتب فاقبل فان مقامك عندنا قليل . فلم يلتفت ابو مسلم الي كتابه فبعث اليه ابو جعفر جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي وكان ابو مسلم يعرفه فقال له ايها الامير ضربت الناس عن عرض اهل هذا البيت ثم تنصرف عن مثل هذا الحال ان الامر عند امير المؤمنين لم يبلغ ما تكره ولا ان تنصرف على هذه الحال فيقول ابو مسلم ويحك اني دليت بغرور واخاف عدوه

﴿ قتل ابي مسلم ﴾

وذكروا ان جريرا لم يزل بابي مسلم حتي اقبل به . وكان ابو مسلم يقول والله لاقتلن في الروم فاقبل منصرفا فلما قدم على ابي جعفر وهو يومئذ بالرومية من المدائن امر الناس يتلقونه واذن له فدخل على دابته ورحب به وعانقه ثم قال له انصرف وادخل الحمام ليذهب عنك كلال السفر واكرمه بضع ايام ثم اقبل على التجني . فاتى ابو مسلم عيسى بن موسي فقال اركب معي الى امير المؤمنين فاني قد اردت عتابه بحضرك فقال عيسي انت في ذمتي وركبوا حتى وصلوا الي امير المؤمنين واراد ابو مسلم الدخول فقيل له انزع سيفك فقال ما كان يصنع بي هذا فقيل وما عليك فنزع سيفه وعليه قباء اسود وتحته جبة خز فدخل فسلم فجلس على وسادة ليس في المجلس غيرها وخلف ظهره القوم خلف ستر . فقال ابو مسلم صنع بي يا امير المؤمنين ما لم يصنع باحد نزع سيفي من عنقي قال ومن فعل ذلك قبحه الله ثم اقبل يعاتبه فعلت وفعلت فقال يا امير المؤمنين لمن يقال هذا الي بعد حسن بلائي وما كان مني؟ فقال له ابو جعفر يا ابن الخبيثة والله لو كانت امة او امراة مكانك بلغت ما بلغت في دولتنا ولو كان ذلك اليك ماقطعت فتيلا . ألست الكاتب الي تبدأ بنفسك

والكاتب الي تخطب آمنة ابنة على ابن عمى وتزعم انك ابو مسلم بن سليط عن عبدالله بن العباس فلماراي ابو مسلم غضبه قال . ياامير المؤمنين لاتدخل على نفسك هذا الغم من اجلى فان قدري اصغر مما بلغ منك هذا، فصفق ابو جعفر بيده فخرج عثمان بن نهيك فضربه ضربة خفيفة فأوما ابو مسلم الى رجل ابي جعفر يقبلها ويقول : انشدك ياامير المؤمنين استبقني لاعدائك فدفعه برجله وضربه شبيب على حبل العاتق فاسرعت فيه فقال ابو مسلم : واننفساه ألا قوة ألا مغيث اضرب لا أم لك فاعتوره القوم باسيافهم فقتلوه فامر به ابو جعفر فكفن في مسح ثم امر ابو جعفر برأسه فطرح الى من بالباب من قواد ابي مسلم فجالوا جولة وهموا ان يبسطوا سيوفهم على الناس ثم ردهم عن ذلك انقطاعهم من بلادهم وتغربهم واحاطة العدو بهم . فامر ابو جعفر بالعطاء لهم . قال فكأنها نار طفئت فقالوا رضينا ياامير المؤمنين كلما فعلت فانت الموفق ومنهم من رضي بالمقام معه ومنهم من لحق بخراسان

﴿ ثورة عيسي بن زيد بن على بن الحسين ﴾

وذكروا ان ابا جعفر لما قتل ابو مسلم واستولى على ملك العراقين والشام والحجاز وخراسان ومصر واليمن ثار عليه عيسي بن زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب فقاتله فيما بين الكوفة وبغداد ولقيه في جموع كثيرة نحواً من عشرين ومائة الف فاقام اياما يقاتله فى كل يوم حتى هم ابو جعفر بالهزيمة وركب فرسه ليهرب ثم جعل يشجع اصحابه ويعدهم بالعطايا الواسعة والصلات الجزيلة فقاتلوا ثم ان ابا جعفر غلبته عيناه وهو على فرسه فرأي فى نومه انه مد يديه ورجليه على الارض. فاستيقظ ودعا عيارا كان معه فاخبره عما رأي فقال له ابشر ياامير المؤمنين فان سلطانك ثابت وسيليه بعدك جماعة من ولدك وهذا الرجل منهزم فما كان باسرع من ان نظر الى عيسي بن زيد منهزما

﴿ هروب مالك بن الهيثم ﴾

وذكروا ان مالك بن الهيثم خرج هاربا حتى اتي همدان وعليها يومئذ زهير بن التركي مولى خزاعة . فكتب اليه ابو جعفر .ان الله مهرق دمك ان فاتك مالك فجاء زهير بن التركي الي مالك بن الهيثم فقال له جعلت فداك قد اعددت لك طعاما فلو اكرمتني بدخولك منزلي فقال له نعم وكان قد هيأ لهزهير اربعين رجلا. فلما دخل مالك قال زهير عجل طعامك وقد توثق زهير من الباب وهيأ اصحابه فخرج عليه الاربعون فشدوه وثاقا ثم وضعوا القيود في رجليه؛ قال ابانصر جعلت فداك والله ماعرفت هذه الدعوة حتى ادخلتني فيها ودعوتني اليها فما الذي يخرجك منها والله ماخليك حتى تزور ابا جعفر فبعث به اليه فعفي عنه ابو جعفر وولاه الموصل .

قصة سابور ملك فارس

وذكروا ان ابا جعفر دعا اسحاق بن مسلم العقيلي فقال له حدثني عن الملك الذي كنت حدثتني عنه بحران. فقال . نعم اكرمك الله . اخبرني ابي عن حصين بن المنذر أن ملكا من ملوك فارس يقال له سابور الاكبر كان له وزير ناصح قد اخذ ادبا من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم في الدين فاتصف من اهلها فعلا وسنا فوجهه سابور داعية الى اهل خراسان وكانوا قوما يعظمون الدنيا جهالة بالدين واستكانة لحب الدنيا وذلا لجبابرتها فجمعهم على كلمة من الهدى يكيد بها مطالب الدنيا وكان يقال . لكل ذليل دولة ولكل ضعيف صولة فلما استوثقت له البلاد جعل الى سابور امرهم واحال عليه طاعتهم قوما لا يراموه الى ما سبق اليهم قبله فلم يتصف سابور من طاعتهم واستمالة اهوائهم مع ما لا يأمن من زوال الملوك وغدرات الوزراء فاحتال على قطع رجائه عن قلوبهم فنسوهم نفعا لهم ووقف بهم بين الفرقة وحطب الاعداء ، فنادى الرجعة واليأس من صاحبهم فرأوا ان يستنموا الدعوة في طاعة سابور ويتعرضوه من الفتنة فملكهم ثمانين عاما . فاطرق ابو جعفر ثم قال متمثلا

لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الانسان الا ليعلما

خروج شريك بن عون على ابي جعفر وحلمه

وذكروا ان ابا جعفر لما استقامت له الامور واستولى على الملك خرج عليه شريك بن عون الهمداني وقال ما على هذا بايعنا آل محمد على ان يسفك الدماء وان يعملوا بغير الحق فخالف ابا جعفر وتبعه اكثر من ثلاثين الفا فوجه اليه ابو جعفر زياد بن صالح الخزاعي فقتله شهورا ونهى ابو جعفر ان يسبى احد منهم او يقتل احد من رجالهم لانه كان فيهم قوم اخيار ورجال اشراف كان خروجهم ديانة وانكارا للدماء وللعمل بغير الحق فلذلك لم يقتلوا . وكتب اليهم . وان عدتم عدنا وجعلناكم للكافر بن حصيرا وقد عفونا عنكم مرتكم هذه فالله الله على دمائكم فاحقنوها .

اجتماع شبيب بن شيبة مع ابي جعفر قبل ولايته وبعدها

وذكروا ان شبيب بن شيبة قال حججت عام هلك هشام بن عبد الملك فبينما انا مريح ناحية المسجد اذ طلع علي من بعض ابوابه فتى اسمر رقيق السمرة موفر اللمة ، يعرف الشرف في تواضعه والعفو في صورته واللب في مشيته فما ملكت نفسي ان نهضت في اثره سائلا عن خبره فتحرم بالطواف . فلما قضى طوافه قصد المقام ليركع وانا ارعاه ببصري ثم نهض منصرفا كان عينا اصابته فنكبا نكبة دميت منها اصبعه فدنوت منه متوجعا لما ناله متصلا به امسح رجله من عفر التراب فلا

يعتنم على ثم شققت حاشية ثوبي فصببت على رجله فلم ينكر ذلك ثم نهض متوكئا على وانقدت له حتى اتى بناء باعلى مكة فابتدره غلامان تكاد صدورهما تنفرج من هيبته ففتحا له الباب فدخل واجتذبني فدخلت بدخوله فخلى يدي واقبل على القبلة فصلى ركعتين . ثم استوى فى صدر مجلسه فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال . لم يخف على مكانك منذ اليوم فمن تكون ؟ فقلت شبيب بن شيبة التميمي قال . الاهتمي؟ فقلت نعم فرحب وقرب ووصف قومي بابين وصف وافصح لسان . فقلت له اصلحك الله احب المعرفة واجل عن المسالة . فتبسم وقال. لطف اهل العراق . انا عبد الله ابن محمد بن على بن عباس فقلت بابي انت وامي ما اشبهك واد لك على سلفك قال لكني ارجو اني اراك وتراني قريبا ان شاء الله قلت عجل الله ذلك ووهب لي السلامة منكم فاني محبكم . فتبسم وقال ، لا باس عليك ما اعاذك الله من ثلاثة قلت وما هي ؟ قال قدح فى الدين وهتك للملوك وتهمة فى حرمة واحفظ عني ما اقول لك. اصدق وان ضرك الصدق وانصح وان باعدك النصح ولا تخالطن لنا عدوا وان احظيناه ، فانه مخذول ولا تخذلن ولياوان اقصيناه واصحبنا بترك المماكرة وتواضع اذا رفعوك وصل اذا قطعوك ولا تستخف فيمقتوك ولا تنقبض فيحتشموك ولا تخطب الاعمال ولا تتعرض للاموال وانا رائح من عشيتي هذه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فودعته ثم قلت ارقت لظهور الامر ؟ ومتى ؟ قال . الله المؤقت والمنذر فخرجت من عنده فاذا مولى له يتبعني فاتاني بكسوة من كسوته وقال لي يامرك ابو جعفر ان تصلي فى هذه ثم افترقنا فوالله ما رايته الا وحرسيان قابضان على يدفعاني الى بيتي فى جماعة من قومي لنبايعه. فلما نظر الى اثبتني وقال للحرسيين : خليا عمن صحت مودته وتقدمت قبل اليوم حرمته واخذت بيعته فاكبر الناس ذلك من قوله ، ثم قال لى اين كنت ايام ابى العباس اخي فذهبت اعتذر فقال : امسك فان لكل شيء وقتا لا يعدوه ولن يفوتك ان شاء الله حظ مودتك وحق مشايعتك واختر مني رزقا يسعك او خطة ترفعك او عملا ينهضك . فقلت اني لوصيتك حافظ فقال وانا لها احفظ اني انما نهيتك ان تخطب الاعمال ولم انهك عن قبولها ان اعرضت عليك. فقلت الرزق مع قرب امير المؤمنين احب الى فقال وذلك احب الى لك وهو اجمع لقلبك واودع لك واعفي ان شاء الله فهل زدت احدا فى عيالك بعد . وقد كان سالني عنهم فعجبت من حفظه فقلت زدت الفرس والخادم فقال قد الحقنا عيالك بعيالنا وخادمك بخدامنا ولو لم يسعني حملت لك على بيت المال فهل تحملك مائتا دينار لكل غرة او تزيدك فقلت يا امير المؤمنين ان شطرها ليحملني العامين قال فانها لك في كل غرة

فاقبضها من عاملي في اي بلد احببت وان شئت فقد ضممتك الى المهدي فانه افرغ لك مني بارضاه لك ان شاء الله

(حج ابي جعفر ولقائه مالك بن انس وما قال له)

ذكروا ان ابا جعفر امير المؤمنين لما استقامت له الامور واستولي على السلطان خرج حاجا الى مكة وذلك في سنة ثمان واربعين ومائة فلما كان بمني اتاه الناس يسلمون عليه ويهنئونه بما انعم الله عليه وجاءه رجال الحجاز من قريش وغيرهم وفقهائهم وعلمائهم ممن صاحبه والقدمه على طلب العلم وروايه الحديث فكان فيمن دخل عليهم مالك بن انس . فقال له ابو جعفر يا ابا عبد الله ، رأيت رؤيا فقال مالك يوفق الله امير المؤمنين الى الصواب من الراي ويلهمه الى الرشاد من القول ويعينه على خير الفعل فما رأي امير المؤمنين ؟ فقال ابو جعفر رايت اني وجلستك في هذا البيت فتكون من عمار بيت الله الحرام واحمل الناس على علمك اعهد الى اهل الامصار يوفدون اليك وفدهم ويرسلون اليك رسلهم في ايام حجهم لتحملهم من امر دينهم على الصواب والحق ان شاء الله وانما العلم علم اهل المدينة وانت اعلمهم فقال مالك : امير المؤمنين اعلا عينا وارشد رأيا واعلم بما يأتي وما يذر وان اذن لي اقول قلت ، فقال ابو جعفر نعم فحقيق انت ان يسمع منك ويصدر عن رأيك فقال مالك يا امير المؤمنين ان اهل العراق قد قالوا قولا تعدوا فيه طورهم ورايت ان خاطرت بقوني لانهم اهل ناحية واما اهل مكة فليس بها احد وانما العلم علم اهل المدينة كما قال الامير وان لكل قوم سلفا وائمة . فان راى امير المؤمنين اعز الله نصره قرارهم على حالهم فليفعل فقال ابو جعفر اما اهل العراق فلا يقبل امير المؤمنين منهم صرفا ولا عدلا وانما العلم علم اهل المدينة وقد علمنا انك انما اردت خلاص نفسك ونجاتها فقال مالك اجل يا امير المؤمنين فاعفني يعفو الله عنك فقال ابو جعفر قد اعفاك امير المؤمنين وايم الله ما اجد بعد امير المؤمنين اعلم منك ولا افقه

(دخول سفيان الثوري وسليمان الخواص على ابي جعفر وما قالا له)

وذكروا انه لما كان ابو جعفر بمنى في العام الذي حج فيه سفيان الثوري وسليمان الخواص قال احدهما لصاحبه ألا ندخل على هذا الطاغي الذي زاحمنا بالامس في مجالس العلم عند منصور والزهري فنكلمه ونامره بحق وننهاه عن باطل فلعل كلامنا ان يقع منه موقعا ينفع الله به المسلمين ويأجرنا عليه فقال سليمان الخواص اني لا اخشي ان يأتي علينا منه يوم سوء فقال الثوري بما اخاف ذلك فان شئت فادخل وان شئت دخلت . فدخل سليمان الخواص فامره ونهاه ووعظه وذكره الله وما هو صائر اليه ومسؤول عنه . فقال ابو جعفر انت مفتول ما تقول في كذا وكذا لشيء ساله عنه من باب العلم فاجابه . فلما

خرج قال سفيان الثوري ماذا صنعت قال امرت ونهيت ووعظت وذكرت فرضاً كان في رقابنا ادينا له مع انه لا يقبل وسالني عن مسئلة فاجبته قال سفيان ما صنعت شيئاً فدخل سفيان الثوري فامره ونهاه فقال له هاهنا اباعبد الله الي الي ادن مني فقال اني لا اطا مالا املك ولا املك فقال ابوجعفر ياغلام ادرج البساط وارفع الوطاء فتقدم سفيان فصار بين يديه وقعد ليس بينه وبين الارض شيء وهو يقول (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) فدمعت عينا ابي جعفر ثم تكلم سفيان دون ان يستأذن فوعظ وامر ونهى وذكر واغلظ في قوله فقال له الحاجب ايها الرجل انت مقتول فقال سفيان وان كنت مقتولا ثم ساعة فساله ابوجعفر مسالة فاجابه . ثم قال سفيان . فما تقول انت يا امير المؤمنين فيما انفقت من مال الله ومال امة محمد بغير اذنهم وقد قال عمر في حجة حجها وقد انفق ستة عشر ديناراً هو ومن معه ما ارانا الا وقد اجحفنا بيت المال، فقال له ابوعبيد الكاتب: امير المؤمنين يستقبل بمثل هذا؟ فقال له سفيان اسكت فانما اهلك فرعون هامان وهامان فرعون. ثم خرج سفيان فقال ابوعبيد الكاتب: الا تامر بقتل هذا الرجل فوالله ما اعلم احداً احق بالقتل منه فقال ابوجعفر: اسكت يا انوك فوالله ما في على الارض احد اليوم يستحي منه غير هذا ومالك بن انس

(دخول ابن ابي ذؤيب ومالك ابن انس وابن سمعان على ابي جعفر)

وذكروا ان مالك بن انس قال. لما ولي ابوجعفر الخلافة ورقي اليه الملاقون المشاؤن بالنميمة اعني بكلام كان قد حفظ علي فاتاني رسوله ليلا قال اجب امير المؤمنين وذلك بعد مفارقتي له وخروجي عنه فلم اشك انه القتل ففزعت من عهدي واغتسلت وتوضأت ولبست ثياب كفني وتحنطت ثم مضيت فدخلت عليه في السرادق وهو قاعد على فراش قد نظم بالدر الابيض والياقوت الاحمر والزمرد الاخضر، حكى لي انه كان من فرش هشام بن عبد الملك كان قد اهداه اليه صاحب القسطنطينية لا يعلم ثمنه ولا يدرى ماقيمته والشمع يحترق بين يديه وابن ابي ذؤيب وابن سمعان قاعدان بين يديه وهو ينظر في صحيفة في يده فلما صرت بين يديه سلمت فرفع راسه فنظر الي وتبسم فتبسم المغضب ثم رمى بالصحيفة واشار لي الى موضع عن يمينه اقعد فيه فلما قعدت واخذت مقعدي وسكن روعي رفعت رأسي انظر تلقائي فاذا انا بواقف عليه درع وبيده سيف قد شهره يلمع له ما حوله فالتفت عن يميني فاذا انا بواقف عليه جرز من حديد ثم التفت عن يساري فاذا انا بواقف عليه درع وبيده سيف قد شهره، هم اجمعون قد صغوا اليه ورفعوا بابصارهم خوفا منهم ان يامر في احد امر افيجد دغا بلا. ثم التفت الينا فقال. اما بعد معشر الفقهاء فقد بلغ امير المؤمنين عنكم ما اخشن صدره وضاق به ذرعه، وكنتم أحق الناس

بالكف من السنتكم والاخذ عا يشبهكم واولى الناس بلزوم الطاعة والمناصحة في السر والعلانية لمن استخلفه الله عليكم. قال مالك فقلت. يا امير المؤمنين قال الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فقال ابو جعفر على ذلكم اى الرجال انا عندكم امن أئمة العدل ام من ائمة الجور؟ فقال مالك فقلت يا امير المؤمنين انا متوسل اليك بالله تعالى واتشفع اليك بمحمد صلى الله عليه وسلم و بقرابتك منه الا ما اعفيتني من الكلام في هذا قال قد اعفاك امير المؤمنين. ثم التفت الى ابن سمعان فقال له ايها القاضي ناشدتك الله تعالى اي الرجال انا عندك فقال ابن سمعان انت والله خير الرجال والله يا امير المؤمنين تحج بيت الله الحرام وتجاهد العدو وتؤمن السبل و تامن الضعيف بك ان ياكله القوى و بك قوام الدين فانت خير الرجال واعدل الائمة ثم التفت الى ابن ابي ذؤيب فقال له ناشدتك الله اي الرجال انا عندك؟ قال. انت والله عندي شر الرجال استأثرت بمال الله ورسوله وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين واهلكت الضعيف واتعبت القوى وامسكت اموالهم فما حجتك غداً بين يدى الله. فقال له ابو جعفر و يحك ما تقول اتعقل انظر ما امامك قال. نعم قد رايت اسيافا وانما هو الموت ولا بد منه عاجله خير من آجله. ثم خرجا وجلست قال انى لاجد رائحة الحنوط عليك قلت اجل لما نمى اليك عنى ما نمى وجاءنى رسولك في الليل ظننته القتل فاغتسلت وتطيبت ولبست ثياب كفنى فقال ابو جعفر سبحان الله ما كنت لاثلم الاسلام واسعي في نقضه او ماتراني اسعي في اود الاسلام واعزاز الدين عائذا بالله مما قلت يا اباعبد الله انصرف الى مصرك راشدا مهديا وان احببت ما عندنا فنحن ممن لا يؤثر عليك احدا ولا يعدل بك مخلوقا. ثم رحل ابو جعفر متوجها الي العراق

كتاب عبيد الله العمرى الى ابى جعفر

وذكروا ان ابا جعفر لما قفل من حجه سنة ثمان واربعين ومائة سال عن عبيد الله ابن عمر بن حفص بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو الفقيه المعروف بالعمرى فقيل له انه لم يحج العام يا امير المؤمنين ولو حج لكان اول داخل عليك فلا تقبل عليه احدا ولا يقدح فيه عندك الا باطل اوكذاب فانه من علمت. فقال ابو جعفر والله ما تخلف عن الحج في عامه هذا الا علما منه باني حاج فلذلك تخلف ولا والله مازاده ذلك عندي الا شرفا ورفعة وانى من التوقير به والاجلال له بحال لا اخال احداً من الناس بذلك لشرفه في قريش وعظم منزلته من هذا الامر والموضع الذي جعله الله فيه والمكان الذى انزله به. فلما قدم ابو جعفر بغداد ورد عليه كتاب عبيد الله العمرى. فيه. بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله ابى جعفر امير المؤمنين من عبيد الله بن عمر سلام الله عليك ورحمة الله التي اتسعت

فوسعت من شاء . اما بعد فاني عهدتك وامر نفسك لك مهم وقد اصبحت وقد وليت امر هذه الامة احمرها واسودها واوضعها وشريفها ووضيعها يجلس بين يديك العدو والصديق والشريف والوضيع ولكل حصته من العدل ونصيبه من الحق فانظر كيف انت عند الله يا ابا جعفر ، واني احذرك يوما تفنى فيه الوجوه والقلوب وتنقطع فيه الحجة لملك قد قهرهم بجبروته واذلهم بسلطانه والخلق داخرون له يرجون رحمته ويخافون عذابه وعقابه ، وانا كنا نتحدث ان امر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها ان يكون إخوان العلانية اعداء السريرة واني اعوذ بالله ان تنزل كتابي سوء المنزل إنما كتبت به نصيحة والسلام .

﴿ فأجابه ابو جعفر المنصور ﴾

من عبد الله بن محمد أمير المؤمنين الي عبيد الله بن عمر بن حفص سلام عليك اما بعد فانك كتبت الي تذكر انك عهدتني وأمر نفسي الي مهم فاصبحت وقد وليت أمر هذه الامة بأسرها وكتبت تذكر انه بلغك ان أمر هذه الامة سيرجع في آخر زمانها ان يكون اخوان العلانية اعداء السريرة ولست ان شاء الله من أولئك وليس هذا زمان ذلك انما ذلك زمان تظهر فيه الرغبة والرغبة تكون رغبة بعض الناس الى بعض ، صلاح دنياهم أحب اليهم من صلاح دينهم وكتبت تحذرني ماحذرت به الامم من قبلي وقدما كان يقال اختلاف الليل والنهار يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويأتيان بكل موعود حتي يصير الناس الى منازلهم من الجنة والنار وكتبت تتعوذ بالله ان تنزل كتابك سوء المنزل وانك انما كتبت به نصيحة ، فصدقت وبررت فلا تدع الكتب الي فانه لا غني بي عن ذلك والسلام

﴿ اجتماع ابي جعفر عبد الله بن مرزوق ﴾

وذكروا ان ابا جعفر المنصور امير المؤمنين لما حج ودخل بالطواف بالبيت الحرام أمر بالناس فنحوا عن البيت ثم طاف اسبوعه فوثب اليه عبد الله بن مرزوق وقال . من جرأك على هذا فلببه بردائه وهزه وقال له . من جعلك حق بهذا البيت من الناس تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه ؟ فنظر ابو جعفر في وجهه فعرفه فقال عبد الله بن مرزوق ؟ فقال نعم . فقال من جرأك على هذا ومن اقدمك عليه فقال عبد الله بن مرزوق . وما تصنع بي بيدك ضرا و نفع ، والله ما اخاف ضرك ولا ارجو نفعك حتي يكون الله عز وجل يأذن لك فيه ويلهمك الى فعله . فقال له أبو جعفر انك احللت بنفسك واهلكتها فقام عبد الله بن مرزوق . اللهم ان كان بيد ابي جعفر ضري فلا تدع من الضر شيئا الا انزلته علي وان كان بيده منفعتي

فاقطع عنى كل منفعة منه ، انت يارب بيدك كل شيء وانت مليك كل شيء . قام به ابو جعفر فحمل الى بغداد فسجنه بها وكان يسجنه بالنهار و يبعث اليه بالليل يبيت عنده و يسامره بلبث نهاره بالسجن اجمع ثم يسامره بالليل ليظهر للناس انه سجن من اعترض عليه لئلا يجترىء الجاهل فيقول قد وسع عفو امير المؤمنين فلانا افلا يسعني . فكان دابه هذا معه زمنا طويلا حتي نسي امره وانقطع خبره ثم خلى سبيله ولحق بمكة فلم يزل بها حتي مات ابو جعفر وولى ابنه المهدى فلما حج المهدي فعل مثل ذلك ففعل به عبد الله بن مرزوق مثل ذلك ايضا فاراد قتله فقيل له : ياامير المؤمنين انه قد فعل هذا بابيك فكان من صنيعه ان حمله الى بغداد فسجنه بالنهار وسامره بالليل وانت احق من اخذ بهديه واحتذي على مثاله وورث اكرومانه ، فحمله المهدى معه فمات ببغداد رحمه الله

﴿ذكر ما نال مالك بن انس من جعفر بن سليمان﴾

وذكروا انه هاج بالمدينة هيج فى ابتداء ايام ابى جعفر فبعث اليها ابو جعفر ابن عمه جعفر بن سليمان بن العباس ليسكن هيجها وفتنها ويجدد بيعة اهلها فقدمها وهو يتوقد ناراً على اهل الخلاف لهم فاظهر الغلظة والشده وسطا بكل من ألحد في سلطانهم واشار الي المنازعة لهم واخذ الناس بالبيعه . وكان مالك بن انس رحمه الله لم يزل صغيراً وكبيراً محسداً وكذلك كل من عظمت نعمة الله عليه فى علمه او عمله او فهمه او ورعه فكيف بمن جمع الله ذلك فيه ولم يزل منذ نشا كذلك قد منحه الله تعالى العلم والعمل والفهم والللب والنبل ووصل له ذلك الدين والفضل عرف منه ذلك صغيراً ، وظهر فيه كبيرا واستلب الرئاسة ممن كان قد سبقه اليها بظهور نعمة الله عليه وسموها به على كل حام فاستدعى ذلك منهم الحسد له والجاهم ذلك الى البغي عليه ، فدسوا الى جعفر بن سليمان من قال له ان مالكا يفتى الناس بان ايمان البيعة لاتحل ولاتلزمهم لمخالفتك واستكراهك اياهم عليها وزعموا انه يفتى بذلك اهل المدينة اجمعين لحديث رواه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رفع عن امتى الخطا والنسيان وما اكرهوا عليه . فعظم ذلك على جعفر واشتد عليه وخاف ان ينحل عليه ما ابرم من بيعة اهل المدينة وهم ان يبدر فيه بما عافاه الله منه وانعم على المسلمين ببقائه فقيل له : لاتبدر فيه ببادرة فانه من اكرم الناس على امير المؤمنين وآثرهم عنده ولا باس عليك منه فلا تحدث شيئا الا بامر امير المؤمنين او يستحق ذلك عنده بامر لايخفي على اهل المدينة فدس اليه جعفر بن سليمان بعض من لم يكن مالك يخشي ان يؤتي من قبله ولا من منه يؤتي الحذر فساله عن الايمان في البيعة فافتاه مالك بذلك

طمانينة اليه وحسنة فيه . فلم يشعر مالك الا ورسول جعفر بن سليمان فيه فاتوا به اليه منتهك الحرمة مذال الهيبة فامر به فضرب سبعين سوطا فلما سكن الهيج بالمدينة وتمت له البيعة بلغ بمالك الم الضرب حتي اضجعه .

﴿ انكار ابى جعفر المنصور لضرب مالك ﴾

وذكروا انه لما بلغ ابو جعفر ضرب مالك بن انس وما انزل بجعفر بن سليمان اعظم ذلك اعظاما شديدا وانكره ولم يرضه وكتب بعزل جعفر بن سليمان عن المدينة وأمر ان يؤتى به الى بغداد على قتب . وولى على المدينة رجلا من قريش من بني مخزوم وكان يوصف بدين وعقل وحزم وذكا . وذلك في شهر رمضان من سنة احدي وستين ومائة . وكتب ابو جعفر الى مالك بن انس ليستقدمه الى نفسه ببغداد فابى مالك وكتب الى ابى جعفر يستعفيه من ذلك ويعتذر له ببعض العذر اليه . فكتب ابو جعفر اليه ان وافني بالموسم العام القابل ان شاء الله فاني خارج الى الموسم

﴿ دخول مالك على ابى جعفر بمنى ﴾

وذكروا ان مالكا حج سنة ثلاث وستين ومائة ثم وافى اباجعفر بمني ايام مني فذكروا ان مطرفا اخبرهم وكان من كبار اصحاب مالك قال . قال لى مالك لما صرت عني انبت السرادقات فاذنت بنفسي فاذن لى ثم خرج الي الاذن من عنده فادخلني فقلت للاذن اذا انتهيت بى الى القبة التي يكون فيها أمير المؤمنين فاعلمني فمر بى من سرادق الى سرادق ومن قبة الى اخرى فى كلها اصناف من الرجال بايديهم السيوف المشهوره والاجزرة المرفوعة حتى قال لى الاذن هو فى تلك القبه ثم تركني الاذن وتأخر عني فمشيت حتي انتهيت الى القبة التي هو فيها فاذا هو قد نزل عن مجلسه الذى يكون فيه الى البساط الذى دونه واذا هو قد لبس ثيابا قصده لا تشبه ثياب مثله تواضعا لدخولى عليه وليس معه فى القبة الا قائم على رأسه بسيف صلت . فلما دنوت منه رحب بى وقرب ثم قال ها هنا الى فاوميت للجلوس فقال ها هنا فلم يزل يدنيني حتى اجلسني اليه ولصقت ركبتى بركبتيه . ثم كان اول ما تكلم به أن قال الله الذى لا اله الا هو يا اباعبد الله ما امرت بالذى كان ولا علمته قبل ان يكون ولا رضيته اذ بلغني (يعني الضرب) قال مالك فحمدت الله تعالى على كل حال وصليت على الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نزهته عن الامر بذلك والرضا به ثم قال ياابا عبد الله لا يزال اهل الحرمين بخير ما كنت بين اظهرهم وانى اخالك أمانا لهم من عذاب الله وسطوته ولقد دفع الله بك عنهم وقعة عظيمة فانهم ماعلمت اسرع الى الفتن واضعفهم عنها قاتلهم الله انى يؤفكون . وقد امرت ان يؤتى بعدو الله من

المدينة على قتب وامرت بضيق مجلسه والمبالغة فى امتهانه ولا بد ان انزل به من العقوبة اضعاف ما نالك منه . فقلت له عافى الله امير المؤمنين واكرم مثواه قد عفوت عنه لقرابته من رسول الله ثم منك قال ابو جعفر وانت فعفى الله عنك ووصلك .
قال مالك ثم فاتحني فيمن مضى من السلف والعلماء فوجدته اعلم الناس بالناس ثم فاتحني في العلم والفقه فوجدته اعلم الناس بما اجتمع عليه واعرفهم بما اختلفوا فيه حافظاً لما روى واعيا لما سمع. ثم قال لي . يا أبا عبد الله ضع هذا العلم ودونه ودون منه كتبا وتجنب شدائد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ بن مسعود واقصد الى اواسط الامور وما اجتمع عليه الائمة والصحابة رضي الله عنهم لتحمل الناس ان شاء الله على علمك وكتبك ونبثها فى الامصار ونعهد اليهم ان لا يخالفوها ولا يقضوا بسواها . فقلت له اصلح الله الامير ان اهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون فى علمهم رأينا فقال ابو جعفر يحملون عليه وتضرب عليه هاماتهم بالسيف وتقطع طي ظهورهم بالسياط فتعجل بذلك وضعها فسيأتيك محمد ابن المهدي العام القابل ان شاء الله . الى المدينة ليسمعها منك فيجدك وقد فرغت من ذلك ان شاء الله قال مالك فبينما نحن قعود اذ طلع له بني صغير من قبة بظهر التي كنا فيها فلما نظر الى الصبي فزع ثم تقهقر فلم يتقدم فقال له ابو جعفر تقدم يا حبيبي انما هو ابو عبد الله فقيه اهل الحجاز ثم التفت الى فقال يا أبا عبد الله اتدرى لما فزع الصبي ولم يتقدم فقلت لا فقال والله استنكر قرب مجلسك مني اذ لم ير به أحدا غيرك قط فلذلك قهقر : قال مالك ثم أمر لى بالف دينار عينا ذهباً وكسوة عظيمة وامر لابني بالف دينار ثم استأذنته فاذن لى فقمت فودعني ودعالي ثم مشيت منطلقا فلحقني الخصي بالكسوة فوضعها على منكبي وكذلك يفعلون بمن كسوه وان عظم قدره فيخرج بالكسوة على الناس فيحملها ثم يسلمها الى غلامه : فلما وضع الخصي الكسوه على منكبي انحنيت عنها بمنكبي كراهة احتمالها وتبرءاً من ذلك فناداه ابو جعفر بلغها رحل ابى عبد الله

﴿ ما قال ابو جعفر لعبد العزيز بن ابى رواد ﴾

وذكروا ان اباجعفر لما دخل فى الطواف بالبيت لقي عبد العزيز بن ابى رواد في الطواف فقبض على يده ثم قال له اتعرفني قال لا الا ان قبضتك قبضة جبار فقال له انا ابو جعفر امير المؤمنين فسلني من حوائجك ماشئت اقضيها قال اسالك برب هذا البيت ان لا ترسل الى بشيء حتي آتيك طوعا فقال له ابو جعفر ذلك فاقبل يمشي بمشيته فى طوافه وكان شيخا كبيرا ضعيفاً فتانف بقربه وثقل عليه كلامه فقال

اسالك بحرمة هذا البيت الا تنحيت عني فتنحي عنه ابو جعفر وخلى سبيله ؛ وكان عبدالعزيز بن ابى رواد هذا لا يرفع رأسه الى السماء تخشعا لله فاقام كذلك اربعين سنة

﴿ قدوم المهدي الى المدينة ﴾

وذكروا ان مالك بن انس لما اخذ فى تدوين كتبه ووضع علمه قدم عليه المهدى ابن ابي جعفر فساله عما صنع فيما امره به ابو جعفر فاتاه بالكتاب وهى كتب الموطا فامر المهدى بانتساخها وقرئت على مالك فلما تم قراءتها أمر له باربعة آلاف دينار ولابنه بالف دينار

﴿ موت ابي جعفر المنصور واستخلاف المهدى ﴾

وذكروا انه لما كانت سنة ست وستين ومائة قدم ابو جعفر مكة فلما قضي حجه احتضر ثلاثة ايام ثم توفى فى اليوم الرابع وولى ابنه محمد المهدى وكان معه يومئذ بمكة اخوه جعفر ببغداد وكان قد عهد اليه ابو جعفر فلما قفل المهدى الى بغداد اتاه رجل فقال له ادرك اخاك جعفر فانه قد هم بمنازعتك وهو يريد خلعك فاخذ في السير ومعه الجنود والاموال وصناديد الرجال من العراق ورجال العرب ووجوه قريش . فلما قدم العراق اعتذر اليه جعفر مما رفع اليه عنه وحلف له انه ما نوى ولا اراد منازعته ولا اشار الى خلافه ولا هم به فقبل منه المهدي ذلك وعفي عنه وكان كريما سخيا حليما : فلما كانت سنة سبع وستين ومائه قدم حاجا فدخل المدينة زائرا لقبر رسول الله فدخل عليه مالك فحضه على الاحسان الى اهل المدينة وحدثه بفضلها وفضل أهلها ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : امرت بقرية تاكل القري يقولون يثرب « وهى المدينة » تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد ثم قال يا أمير المؤمنين أفليس هؤلاء اهلا ان يعانوا على الصبر عليها وعلى جوار رسول الله فقال المهدى بلى والله يا أباعبد الله حتى لا اجد الا مثل هذا ومد يده لياخذ من الارض شيئا فلم يجده ثم قال صدقت فيهم وبررت وحضضت على الرشد فانت اهل ان يطاع أمرك ويسمع قولك فامر له بخمسة أبيات مال والبيت عندهم خمسمائة الف وأمر مالكا ان يختار من تلامذته رجالا يثق بهم ويعتمد عليهم يقسمونها على اهل المدينة ويؤثرون اهل بيت رسول الله واهل بيت أبى بكر وعمر وعثمان ثم اهل المهاجرين والانصار ثم الذين اتبعوهم باحسان ففعل فاغني اهل المدينة عامهم ذلك

﴿ ذكر استخلاف هارون الرشيد ﴾

وذكروا انه لما كانت ثلاث وسبعين ومائة توفي المهدى وذلك انه خرج يوما الي بعض المنازل ومعه اهله وبعض بنيه وكان قد ذكر ان يستخلف ابنه عبد الله

بعده ثم غفل عن ذلك وتركه فحمل عبد الله الحرص والطيش الى ان دس على بعض الجواري المتمكنات منه بسمه وبذل له على ذلك الاموال ومناها امانى الغرور . فلما سمته ووصل اليه السم عرف المهدى انه قد قتل فدعا كاتبه فقال له عجل واكتب عهد هارون الرشيد وخذ بيعة الجند وأمراء الاجناد واكتب بذلك الى ولاة الامصار وكان الرشيد اصغر بنيه وكان ابن امة لا يطمع في خلافة ولا يظن بها فادخله على نفسه وهو يجود بها والرشيد لا يعلم انه مستخلف فقال له المهدى أى بني والله ما اردت استخلافك ولا هممت به لحداثة سنك وقد كان قال لي جدك ابو جعفر وانت يومئذ قد عرفت في اول رؤيته آنئذ: ان ابني هذا الاعين سيلي هذا الامر ويسير فيه سيرة صالحة فقلت يا ابت اتظن ذلك قال ما هو بالظن ولكنه اليقين ويكون مدة كاضما عشرين سنة وتقتله الحمى الربع فاندفع الرشيد باكيا فقال له ما يبكيك يا فتى قال: يا ابت انك والله نعيت لي نفسي وعرفتني متي اموت وبما اموت قال هو ذلك فشمر واجتهد وجد وخذ بالحزم والكرم ودع الاحن وانظر اخاك عبد الله ولا يناله منك مكروه فقد عفوت عنه فقال الرشيد يا ابت وتعفو عنه وقد اتى ما ذكرت وصنع ما وصفت فقال يا بني وما على ان اعفو عمن اكرمني الله على يديه وارجو ان يغفر لى بصنيعته بي ان شاء الله عليك يا ابني بتقوي الله العظيم وطاعته فاتخذها بضاعة يأتيك الربح من غير تجارة . اوصيك باخوتك خيرا واهل بيت رسول الله اقبل حسناتهم وتجاوز عن سيآتهم واغفر زلاتهم واوصيك باهل الحرمين خيرا فقد علمت من هم وابناء من هم اجزل لهم العطاء واحسن لهم الجزاء يكافئك الله في الاخرة والاولى : ثم توفي المهدى من يومه ذاك واستخلف الرشيد وخرج الى الناس يبايعهم بوجه طلق ولسان سلط وبا موه يبتدا وذلك يوم الخميس من المحرم سنة ثلاث وسبعين ومائة وتمت له البيعة يوم الجمعة في المسجد الجامع فلم يختلف عليه احد ولا كره خلافته مخلوق فاحسن السيرة واحكم اهل الرعية وكان اوحد اهل بيته ولم يشبهه احد من الخلفاء من اهله رحمه الله

﴿قدوم هارون الرشيد المدينة﴾

وذكروا انه لما كانت سنة اربع وسبعين ومائة خرج هارون حاجا الى مكة فقدم المدينة زائراً قبر النبي عليه السلام فبعث الى مالك بن انس فاتاه فسمع منه كتاب الموطا وحضر ذلك يومئذ فقهاء الحجاز والعراق والشام واليمن ولم يختلف منهم احد الا وحضر الموسم مع الرشيد وسمع وسمعوا من مالك موطاه الذي وضع وكان قارئة يومئذ حبيب كاتب الرشيد . فلما تم قراءته قال هارون لفقهاء الحجاز والعراق : هل انكرتم شيئا من هذا العلم؟ قالوا اما انكرنا شيئا الا ما ذكر من امر الدماء والتدمية في القتل فان هذا امر انكر ما يكون من

العلم وابطاله. يقول الرجل قتلني فلان فيقبل منه ويحلف اولياؤه على القاتل خمسين يمينا ثم يقتل ولعل اولياءه لم يحضروا ولم يكونوا بعصره فيمرض بهم الحنث فى الاعان فيقبل قول رجل على غيره وهو لا يقبل فى ربع دانق يدعيه الا ببينة تقوم ان هذا لهو الضلال وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح الذي رواه ابن عباس حيث قال: لو يعطي الناس بدعواهم لادعي ناس دماء قوم واموالهم ولكن البينة على المدعى واليمين على من انكر. قال الرشيد و يحكم ار فى كتاب الله ما يصدق ذلك و لا اخال اباعبدالله اخذه الا من كتاب الله فاستثبتوه فارسل اليه فاقبل فقال هارون يا اباعبدالله ان اصحابنا هؤلاء لم يختلف منهم اثنان فى الانكار عليك فيما وضعت في موطئك من التدمية وتصديق قول من ادعي وانت وهم تزعمون بطل دعوى من ادعي على رجل دانقا الا ببينة تقوم له فاخبر القوم وافصح لهم حجتك فى ذلك وانا معك عليهم فانى لا اعلم بعد امير المؤمنين احدا اعلم منك فقال مالك يا امير المؤمنين انما يصدق القسامة مافى كتاب الله من القتل والاخذ بالدم الذي كان فى بني اسرائيل قال الله عز وجل «ضربوه ببعضها» فذبحت البقرة ثم ضربوه ببعض من أعضائها فحيي القتيل ثم تكلم فقال فلان قتلني فقتله موسي بن عمران عليه السلام بقوله ذلك وهو حكم التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا فالذين اسلموا محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وقد حكم بالتوراة رسول الله في المرجوم اليهودى الذى زنا فرجمه رسول الله وقد ذكر انس بن مالك رضي الله عنه ان يهوديا اتي جارية من جوارى الانصار في بعض انقاب المدينة وعليها اوضاح من ذهب وورق فاخذ الاوضاح منها وشدخ رأسها بين حجرين فادركت الجارية وبها رمق فاتهم بها اليهود فاتى بهم فعرضوا عليها رجلا رجلا وهى لا تتكلم حتى اتى بصاحبها الذى قتلها فعرفته فقيل لها هذا الذى قتلك فاومات برأسها ان نعم فامر رسول الله فشدخ رأسه بين حجرين فهذا يا أمير المؤمنين حكم الدماء والقسامة فيها سنة قائمة من رسول الله والخلفاء فقنعوا منه بذلك وصاروا الى الرضاء بقوله والتصديق لروايته والتسليم لتاويل ما تاول من القرآن الكريم. ثم قال له مالك ان اباك يا امير المؤمنين بعث الى فى هذا المجلس كما بعثت الي وحدثته بما حدثتك به فى شان اهل المدينة وما يصيرون عليه من البلاء وشدة الزمان وغلاء الاسعار صبرا على ذلك واختيارا لجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هارون: ذلك ابى وانا ابنه وسوف افعل ما فعل وامر لاهل المدينة بعشرة ابيات مال ضعفي ما امر لهم المهدي. وكان ابو يوسف القاضي مع الرشيد يومئذ فسأله ان يجمع بينه و بين مالك ليكلمه فى الفقه فقال الرشيد لمالك كلمه فانف من ذلك مالك وتنزه عنه وقال لهارون ها هنا من فتيان قريش من تلامذتنا من يبلغ حاجة امير المؤمنين و يخصمه

فيما يتكلم به و يذهب اليه فسر ذلك الرشيد حين اضاف ذلك الى قريش فقال من هو فقال المغيرة بن عبد الرحمن المخزومي فبعث اليه الرشيد فقال له كلمني عما بدا لك اجاوبك فقال ابو يوسف القاضي يا امير المؤمنين ان هؤلاء يعني مالك واصحابه يقضون بامر ما في كتاب الله يقول الله عز وجل « واشهدوا ذوي عدل منكم » وقال « واستشهدوا شهيدين من رجالكم » وهؤلاء يقضون باليمين مع الشاهد ولا تسمع ان الله تعالى ذكر الاشاهدين وارابعة شهداء ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قضى به وانما يدور هذا الحديث الذي روى فيه سهيل عن ابي صالح عن ابيه ثم نسيه سهيل فكان يحدث و يقول حدثني ربيعة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى باليمين مع الشاهد فلما نسيه سهيل بطل الخبر واثبت اصله فلا معنى لذكره فقال المغيرة قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقضى به علي بالكوفة . فقال ابو يوسف . انا اكلمك بالقرآن وانت تكلمني بافعال الناس اتراك تعرفني بهذا او ما قضى به علي وغيره فقال المغيرة فانت كافر بنبي قضى باليمين مع الشاهد او مؤمن به فسكت ابو يوسف فحجه المغيرة فسر بذلك الرشيد وامر للمغيرة بالف دينار . ثم ارسل الرشيد الى مالك فقال ما تقول في هذا المنبر فاني اريد ان انزع ما زاد فيه معاوية ابن ابي سفيان واردة الى الثلاث درجات التي كانت بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك لا تفعل يا امير المؤمنين فانما هو من عود ضعيف قد تخرمته المسامير فان نقضته تهلك وذهب اكثره ومع هذا يا امير المؤمنين لو اعدته الى ثلاث درجات لم آمن عليه ان ينتقل عن المدينة ياتي بعدك احد فيقول او يقل له ينبغي لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون معك حيث كنت فانما المنبر للخليفة فينتقل كما انتقل من المدينة كلما كان بها من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اعلم انه ترك له عليه الصلاة والسلام بها لا نعل ولا شعر ولا فراش ولا عصاة ولا قدح لا شيء مما كان له هاهنا من آثاره الا وقد انتقل . فاطاعه الرشيد وانتهى عن ذلك براي مالك بن انس وكان ذلك رحمة من الله لاهل المدينة وتثبيتا لمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم

﴿ مسير الرشيد الى فضل بن عياض ﴾

وذكروا ان الرشيد كان كثيراً ما يتلثم فيحضر مجالس العلماء بالعراق وهو لا يعرف . وكان قد قسم الايام والليالي على سبع ليالي : فليلة للوزراء يذاكرهم امور الناس و يشاورهم في المهم وليلة للكتاب يحمل عليهم الدواوين و يحاسبهم عما لزم من اموال المسلمين و يرتب لهم ما ظهر من صلاح امور المسلمين وليلة للقواد وامراء الاجناد يذاكرهم امر الامصار و يسالهم عن الاخبار و يوقفهم على ما تبين له من صلاح الكور وسد الثغور وليلة للعلماء والفقهاء يذاكرهم العلم و يدارسهم الفقه وكان من اعلمهم .

وليلة للفقراء والعباد يتصفح وجوههم ويتعظ برؤيتهم ويستمع لمواعظهم ويرق قلبه بكلامهم وليلة لنسائه واهله ولذاته يتلذذ بدنياه ويأنس بنسائه . وليلة يخلو فيها بنفسه لايعلم احد قرب او بعد مايصنع ولايشك احد انه يخلو فيها بربه يسأله خلاص نفسه وفكاك رقه . فبينما هو يوما في مجلس محمد بن السماك وقد قصد لرؤيته يسمع لموعظته ولا يعلم احد بمكانه فسمع بعض اهل المجلس يذكر الفضل بن عياض ويصف فضله وعبادته وعلمه وورعه فاشتهى النظر اليه وتاقت نفسه الى رؤيته ومحادثته فتوجه من العراق الى الحجاز قاصدا اليه ومعه عبد الله بن المبارك فقيه اهل بغداد وعالمهم وكان الفضل بن عياض يسكن العراق فلما قرب من موضعه قال عبد الله بن المبارك يا أمير المؤمنين ان الفضل ان عرفك وعرف مكانك لم يأذن لك عليه ويسفر عنك فقال هارون تستأذن انت عليه وتخفي مكاني عنه حتي يأذن بالدخول فاستأذن عليه ابن المبارك قال الفضل من بالباب قال ابن المبارك قال مرحبا يا أخي وصاحبي فقال بن المبارك ومن معي يدخل فقال الفضل ومن معك قال رجل من قريش فقال الفضل لاأذن لا حاجة لي برؤية احد من قريش فقال له بن المبارك انه من العلم والمنابة والفقه فيه بمكان فقال له الفضل او ما علمت ان ابليس افقه الناس فقال له ابن المبارك انه سيد قريش في زمانه هذا وفوقهم وانما عنى انه فوقهم في الدنيا وسيدهم فقال له الفضل فان كان كما تقول فليدخل فدخل الرشيد فسلم عليه ثم جلس بين يديه فتحدثوا ساعة فقال له بن المبارك يا ابا الحسن تدري من هذا قال لا ادري فقال له هذا هارون بن محمد الرشيد امير المؤمنين فنظر اليه الفضل ابن عياض ساعة ثم قال هذا الوجه الجميل يسأل غدا عن امة محمد ويؤاخذ بها لئن كان العفو والغفران يسعك مع ما انت فيه ان هذا لهو الفضل المبين . وكان الرشيد من اجمل الناس خلقا واحسنهم نطقا وافهمهم لسانا واعذبهم كلاما واكثرهم علما وفهما . ثم جعل الفضل بن عياض يعظه ويخوفه حتي بكي هارون بكاء شديدا قال بن المبارك ما رايت احدا يبكي بكاء الرشيد يومئذ ثم افاق من بكائه فجعل بن الفضل يذكر مثالبه ومثالب اهل بيته ورداءة سيرتهم وخلافهم الحق ثم لم يدع شيئا يعيبه به ولا امرا ينتقصه فيه الا واستقبله به فقال له الرشيد يا ابا الحسن اما لك ذنوب تخاف ان تهلك بها ان لم يغفرها الله لك فقال الفضل بلى فقال الرشيد فما جعلك باحق ان ترجوا المغفرة مني وأنا على دين يقبل الله فيه الحسنات ويعفوا عن السيات ومع ذلك فاني والله ما كنت لاخير بين شيء وبين الله الا اخترت الله تعالى على ما سواه الله الشاهد على قولي والمطلع على نيتي وضميري وكفي بالله شهيدا

وأنا مع هذا الى من الاصلاح بين الناس والجهاد في سبيل الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر مالا تليه انت فاجعل حقاً ان ترجي المفرزمني فسكت الفضل ساعة ثم قال ماظلمك من حجك ثم قام هارون للخروج فقال الفضل باامير المؤمنين انى اخشى ان يكون العلم قد ضاع قبلك كما ضاع عندنا فقال الرشيد اجل انه ماقلت فلما قدم الرشيد العراق كان ول ماابتداء فيه النظر ان كتب الى الامصار كلها الى امراء الاجناد اما بعد فانظروا من التزم الاذان عندكم فاكتبوه في الف من العطاء ومن جمع القرآن واقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم ومقاعد الادب فاكتبوه في الفي دينار من العطاء ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر فاكتبوه في اربعة آلاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الامر من المعروفين به من علماء عصركم وفضلاء دهركم فاسمعوا قولهم ؛ اطيعوا امرهم فان الله تعالى يقول «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم» وهم اهل العلم . قال ابن المبارك فما رايت عالماً ولا قارئاً للقرآن ولا سابقاً للخيرات ولا حافظاً للمحرمات في ايام بعد ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وايام الخلفاء والصحابة اكثر منهم في زمن الرشيد وايامه لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين ولقد كان الغلام يستبحر في الفقه والعلم ويروي الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن احدي عشر سنة

﴿ ذكر الحائك المتطفل ﴾

وذكروا ان الرشيد لما انصرف من الحجاز وصار بالرقة قال لوزيره عمرو بن مسعدة مازلت تكلمني وتستلطفني في الرجحي حتى وليته الاهواز فقعد في سرة الدنيا ياكلها خضما وقضما ولم يوجه الينا درهما فاخرج اليه من ساعتك هذه حتي تحل ساحته ثم لا تدع له حرمة الا انتهكتها ولا اكرومة الا اهنتها ثم لا تسمع له حجة يرفعها ولا تقبل منه كلمة ينهيها . ان اعتذر فلا تقبل له عذراً . وان قال فلا تقبل له قولا فشر قائل واكتب متظلم فقلت في نفسي ابعد الوزارة اصير مستحثا على عامل خراج ولكن لم اجد بداً من طاعة امير المؤمنين اذ كانت ولايته بسببي فقلت اخرج ياامير المؤمنين قال فاحلف انك لا تلبث في بغداد الايوما فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد ثم خرجت فلما صرت بين دير هرقل وبين دير العاقول اذا رجل يصيح بالملاح رجل منقطع فقلت للملاح قرب الى الشط فقال ياسيدى هذا رجل شحاذوان قعد معك آذاك فلم يلتفت اليه وامرت الغلمان فادخلوه فقعد فلما حضر الغذاء دعوته فكان يا كل اكل جائع بنهامة الا انه نظيف الاكل فلما رفع الطعام اردت ان يقوم و يغسل يديه في ناحية فلم يفعل فغمزه

الغلمان فلم يفعل فتشاغلت عنه ليقوم ثم قلت له ياهذا اماصناعتك قال لى حائك فقلت في نفسي هذه شر من الاولى ماألوم غير نفسي اذ لم اقبل ممن نصحني وصرت او كل الحوكة فقلت توضا يا أخي فتوضأ ثم قال لي جعلت فداك قد سالتنى عن صناعتي فما صناعتك انت فقلت فى نفسي هذه شر من الاولى وكرهت ان اذكر الوزارة وقلت اقتصر على الكتابة فقلت له كاتب فقال ان الكتابة على خمسة اصناف كاتب رسائل يحتاج ان يعرف الفصل من الوصل والصدور ورقيق الكلام والتهانى والتعازى والترهيب والترغيب والمقصور والممدود وجملا من العربية وكاتب جند يحتاج الى ان يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس ونعوتهم وكاتب قاضي يحتاج ان يكون عالما بالشروط والاحكام عارفا بالناسخ والمنسوخ من القرآن والحلال من الحرام والفروع والمواريث وكاتب شرطة يحتاج ان يكون عالما بالجروح والقصاص والديات فقيها في احكام الدماء عارفا بدعوى التعدى وكاتب خراج يحتاج ان يعرف الزرع والمساحة وضروب الحساب فايهم انت اعزك الله؟ قلت: فوالله ماقضي كلامه حتى صار اعظم الناس فى نفسي واحبهم الى وصار كلامه عندى اشهي من الماء البارد العذب على الظمآن. فقلت له اصلحك الله تقدم الى وادن مني اكلمك واقعدك المقعد الذى يقعده مثلك فلولا ان من البر يكون عقوقا لاقعدتك مقعدى هذا. قال مقعدى الذى انا به اولى بى فقلت امتعك الله بك انا كاتب رسائل قال فاخبرنى لو كان لك صديق تكتب اليه فى المحبوب والمكروه وجميع الاسباب فتزوجت امه كيف كنت تكتب اليه مهنئه ام تعزيه ؟ قلت. والله ما ادرى كيف الوجه فى هذا وهو بالتعزية اولى منه بالتهنئة قال صدقت كيف كنت تعزيه فقلت والله ما اقف على ما تقول قال. فلست بكاتب رسائل فايهم انت؟ قلت كاتب خراج قال فما تقول اصلحك الله وقد ولاك السلطان عملا فبثثت عمالك فيه فجاءقوم يتظلمون من بعض عمالك فاردت ان تنظر فى امرهم وتنصفهم اذا كنت تحب العدل وتؤثر حسن الاحدوثة وطيب الذكر وكان لاحدهم براح فاردت مساحته كيف كنت تمسحه قلت اضرب العطوف فى العمود وانظر الى مقدار ذلك قال اذاً تظلم الرجل قلت فامسح العمود على حدته قال اذاً تظلم السلطان قلت والله ما ادرى قال لست بكاتب خراج فايهم انت قلت كاتب جند قال فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما أحمد احدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى كيف كنت تنعتهما وتحليهما فقلت .كنت اكتب احمد الاعلم واحمد الاعلم قال فكيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم ورزق ذاك الف درهم فيقبض هذا عطاء ذاك وذاك عطاء هذا فتظلم صاحب الالف. قلت والله ما ادري قال فلست

بكاتب جند فايهم انت قلت كاتب قاضي قال فما تقول في رجل خانت سرية وزوجة وكان للزوجة بنت وللسرية ابن فلما كان تلك الليلة التي مات الرجل اخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعتا فيه فقالت هذا ابني وقالت هذه ابني كيف كنت تحكم بينهما وانت خليفة القاضي؟ فقلت والله ما ادري قال فانت كاتب قاضي فايهم انت فقلت كاتب شرطة قال فما تقول في رجل وثب على رجل فشجه شجة موضحة فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مامومة كيف كنت تحكم بينهما فقلت ما اعلم قال وانت كاتب شرطة فقلت اصلحك الله قد سالت فبين لي ما ذكرت: قال: اما الذي تزوجت امه فتكتب اليه: اما بعد فان احكام الله تجري على غير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخل الله في قبضهما اليه فان الفير الكريم لها والسلام. واما البراح فضرب واحدا وثلثا في مساحة المطوف فمن ثم بابه. واما احمد واحمد فكتب حلية المقطوع الشفة العليا احمد الاعلى والمقطوع الشفة السفلى احمد الاشرم. واما المراتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه فايهما كان اخف فهي صاحبة البنت. واما صاحب الشجة فان في الموضحة خمسا من الابل وفي المامومة ثلاثا وثلاثون وثلثا فيرد صاحب المامومة ثمانية وعشرين وثلثا. فقلت اصلحك الله فما اتى بك هاهنا قال ابن عم لي كان عاملا على ناحية فخرجت اليه فالقيته معزولا فقطع بي فانا خارج اضطرب في المعاش. قلت الست قد ذكرت انك حائك؟ فقال. جعلت فداك انما احوك الكلام ولست بحائك الثياب. قال فدعوت المزين فاخذ من شعره وادخل الحمام وطرحت عليه من ثيابي فلما صرت الى الاهواز كلمت فيه الرجحي فاعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معي فلما صرت الى امير المؤمنين القيته قد توقد علي نارا وامتلاء غيظا وقد حلف بالمشي الى الكعبة ان ينالني منه يوم سوء لطول مقامي واشتغالي عنه بالرجل فلما دخلت عليه قال ما كان من خبرك في طريقك وما الذي شغلك بعد امري لك ان لا تلبث ببغداد الا يوما واحدا وعينك على ذلك؟ فاخبرته خبري حتى حدثته بحديث الرجل وقصتي معه قال لقد جئتني باعظم الفوائد فلاي شيء يصلح ويحك قلت هو والله يا امير المؤمنين اعلم الناس بالفقه والعلم والحلال والحرام والهندسة والفلسفة والحساب والكتابة. فولاه هارون البناء والمرمة والمهم من الامور واولاه على عمال الخراج يتقاضاهم ويحاسبهم فكنت والله القاه في المواكب العظيمة فينحط عن دابته ساعيا حتى يقبل على يدي يقبلها فاحلف عليه فيقول سبحان الله انما هذه نعمتك وبك نلتها ويقول:

فلو ان للشكر شخصا يرى * اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى ترى * فتعلم اني امرؤ شاكر

قال عمرو بن مسعدة : ثم قال لى هارون ويحك لما ابطأت على حلفت بالمشي الى الكعبة ان ينالك مني يوم سوء ولا والله ماهذا جزاؤك لدى ثما الرأى فقلت ياامير المؤمنين انت اعلى عيناً واولي من بر بمينه فقال والله ماار يدذلك قلت فليكفر امير المؤمنين يمينه فان النبي عليه السلام قال : من حلف على يمين فرأى خيراً منها فليكفر وليات الذى هو خير . فقال : ويحك ان العلماء لم يروا الكفارة فى هذا وانما تأولوا قوله عليه السلام فى الايمان بالله تعالى وقد اجمعت على المشي والمضي الى الكعبة راجلا فقلت انى لك بذلك وكيف تصل راجلا قال لا بد من ذلك فقال عمرو ياامير المؤمنين افامهل عامك هذا وثان حتي اسهل لك طريقا واجد لك مراحل واوقت لك مواقيت يسهل عليك ذلك ان شاء الله قال ذلك لك . فأمر عمرو بالانهار ففرجت عن مسيلها وبالاكام والجبال فسو يت وبالخنادق والاودية فردمت حتي صار ما بينه وبين مكة كالراحة الموزونة وصارت الانهار والاودية تسايره على طريقه ثم صنع له مراحل قد حدد له عنه كل مرحلة حدا وابتني في كل مرحلة دارا وكانت المرحلة كلها بريدا قدرها اثنا عشر ميلا ثم أمر بالمراحل ففرشت بالبسط الرهاوية ونصب له جدارا بالستور وسمكها باكسية الخز الرفيع الملون وقد ضرب عند كل فرسخ قبة مزوقة قد اقام فيها الفرش الممهدة وقد احاط بها الظلال الممدة بالرواقات الكثيفة فيها انواع الطعام والشراب والوان الفواكه فلما تم صنعه ذلك وابرم امره قال ياامير المؤمنين قد تم ما اردته وكل ما حاولته فانهض على اسم الله العظيم . وكانت زبيدة زوجته التي قد اغرته عليه وحلته على اليمين لمعاقبته فخرج الرشيد ماشياً ومعه دابته وزبيدة فكانت المرحلة تفرش والستور تنصب والسمك ترفع فيمشى ثلاثة اميال ثم ينزل فى قبة امامها رواق فينال راحته ويصيب ما اشتهى من لذة في ماكل ومشرب ثم ينهض ثلاثة اخرى فينزل على مثل ذلك فاذا استكمل مشي اربع فراسخ نزل فى قصر قد شيد له ودار قد بنيت فيها حمام طيب ينال فيها راحته مع اهله ويصيب لذته مما شاء وكيف شاء ثم يكثر فيه يوما ثم يخرج في اليوم الثانى الى مثل ذلك قد شايعه فى طريقه الوزراء والقواد وامراء الاجناد والعلماء والفقهاء والجنود والعساكر قد صاروا منه بمنزل يحاذونه فى طريقه اذا نزل فى الرواق صار الخصيان حوله بحيث يسمعون كلامه ولا يرون شخصه فلا يشتهى شيئا من معرفة اخبار الامصار والبلدان الا وخط فيه كتابا يامر فيه باتصاله لحيث شاء من الاماكن مسيرة الايام والليالى فياتيه الجواب من يومه على النجائب من مسيرة ثمانيه ايام ويأتيه الجواب من يومه من مسيرة شهر

ونحوه على اجنحة الحمام ، يعلق الكتاب فى جناحه فيرتفع فى الجو ارتفاعا يغيب شخصه عن من فى الارض وينقض على وطنه وموضع فراخه فاذا نزل لا يستقر نزوله حتي يؤخذ الكتاب من جناحه فيجاوب بما أحب ثم يسرح غيره فيرتفع في الجو حتى يوازى وطنه وموضعه من بعد تلك الاماكن التي عليها طريق امير المؤمنين فيؤخذ الجواب منه وقد صار الموكلين بذلك لا يهتمون بغيرما قلدوا ولا يتشاغلون بغير ما حملوا فلم يزل كذلك ماشيا حتى وصل الى مكة فى ثلاثة اشهر فقضي حجه وشهد مناسكه ومشاعره ثم انصرف قافلا الي بغداد وذلك فى آخر شهر ذى الحجة من سنة ثمانين ومائة . فلما هم بالانصراف وذكر القفول الى العراق رفع اليه اهل مكة كتابا يسالونه فيه ان ولي عليهم قاضيا عدلا فادخلهم على نفسه فقال ان شئتم فاختاروا منكم رجلا صالحا أوليه قضاءكم وان احببتم بعثت اليكم من العراق رجلا لا الوكم فيه الا خيرا فخرجوا فاختاروا رجلا فاختلفوا فيه فاختارت طائفة منهم رجلا واختارت اخري رجلا آخر فلما اختلفوا ارتفعوا الي الرشيد يذكرون اختلافهم فقال لهم هارون ادخلوا على هذين الرجلين الذين اختلفتم فيهما فاذا برجلين أحدهما شيخ من قريش والاخر غلام حدث من الموالى فلما نظر اليهما الرشيد قال للشيخ ادن مني فدنا منه فقال الرشيد أيها القاضي ان بيني وبين وزيرى هذا خصومة وتنازعا فاقض بيننا بالحق فقال الشيخ . قصا على قصتكما فقصا عليه فقال الشيخ تقيم البينة يا امير المؤمنين على ما ذكرته او يحتلف وزيرك هذا فقال له هارون ان اخي لا يدافعني ما اقول ولا ينكر الا قليلا مما ادعى فلم يزالا يترددان القول بينهما ويتنازعان حتي قضى القاضي لامير المؤمنين على الوزير فقال له قم فقام عنه : ثم دعا بالغلام الحدث الذي دعته الطائفة الاخرى فدخل عليه فقال له ادن مني فدنا منه فقال له هارون ان بيني وبين وزيري تنازعا وخصومة فاسمع منا قولنا ثم اقض بيننا بالحق : قال لهما . ان مقعدكما مختلف ومجلسكما متنائي واخشي اذا اختلف مجلسكما ان يختلف قولكما فاذا تفاضل مجلس الخصوم اختلف بينهما القول وكان صاحب المجلس الا رفع الحق بحجته وادحض لحجة صاحبه وكان اصغاء الحاكم الى صاحب المجلس الارفع اكثر واليه اميل ولكن تقومان من مجلسكما هذا الذى قد استعليتما فية فتجلسا بين يدي ثم لا ابالى على من دار منكما . فقال الرشيد صدقت وبررت فى قولك فقام الرشيد وقام عمرو بن مسعدة حتي صارا بين يديه جالسين فلما جلسا بين يديه ذهب الرشيد ليتكلم فقال له القاضي لو تركت هذا يتكلم فانه اسن منك فقال الرشيد ان الحق

اسن منه فقال القاضي بلى ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحويصة ومحيصة كبر كبر . يريد ليتكلم عمكما لانه اسن منكما وأكبر فتكلم عمرو بن مسعدة ثم تكلم الرشيد وتنازعا الخصومة وترافعا الحجة بينهما حتى رأى القاضي ان الحق لعمرو فقضي له به على الرشيد فلما قضى عليه قال لهما عودا الى مجلسكما فعادا فعجب الرشيد من قضائه وعدله واحتفاظه وقلة ميله فالتفت الى عمرو فقال ان هذا احق بقضاء القضاة من الذي استقضيناه فقال عمرو بلى والله ولكن القوم احق بقاضيهم الا ان يأذنوا فيه فدعا الرشيد برجال مكة فادخلهم على نفسه واجزل لهم العطاء وأحسن على قاضيهم الثناء ثم قال لهم هل لكم ان تاذنوا اولية قضاء القضاة فيسير الى العراق يقضي بينهم فقالوا نعم يا امير المؤمنين أنت احق به نؤثرك على انفسنا . فارسل اليه الرشيد فقال انى قد وليتك قضاء القضاة فسر الى العراق لتقضي بينهم وتولى القضاة في البلدان والامصار من تحت يدك وتوليتهم اليك وعزلهم عليك فقال القاضي ان يجبرني امير المؤمنين على ذلك فسمعا وطاعة وان يخيرني في نفسي اخترت العافية وجوار هذا البيت الحرام فقال الرشيد ما ينبغي لى ان ادع المسلمين وفيهم مثلك لا اوليه عليهم فخذ على نفسك فانى مصبح على ظهر ان شاء الله . فخرج الرشيد ومعه القاضي حتى قدم العراق فولاه القضاء يحمل اليه قضاء القضاة فلم يزل بها قاضيا حتى توفى وذلك بعد ثلاثة اعوام من توليته . فلما توفي اغتم الرشيد وشق عليه فجعل الناس يعزونه فيه علما منهم بما بلغ منه الغم اليه . فسال عن قاضي يوليه قاضي القضاة والعراق بعد ذلك فرفعت اليه تسمية عشرة رجال من خيار الناس وعلمائهم واشرافهم فلما رفعت اليه التسمية أمر بهم فادخلوا عليه رجلا رجلا ليتفرس فيهم من يوليه القضاء فنظر الى رجل منهم توسم فيه الخير والعلم فامر به فقدم اليه فلما صار بين يديه قال له ما اسمك؟ قال مشوق قال فما كنيتك قال. أبو الهوى. قال فما نقش خاتمك قال. دام الحب دام وعلى الله التمام. فقال له قم لا قمت ثم دعا بالآخر وكان قد تفرس فيه ما تفرس في صاحبه فقال له ما نقش خاتمك فقال «مالى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين» فقال له اخرج. فدعا الرشيد يحيى بن خالد بن برمك وكان ممن رفع اليه أسماءهم فعنفه بهم . وقال رفعت الى اسماء المجانين قال له والله ما في العراقيين اعقل من الرجلين اللذين سالت ولا افضل منهما فقال ويحك انى اختبرت منهما جنونا قال يحيى انهما والله كانا كارهين لما دعوتهما اليه وانما اراد التخلص منك قال ويحك اعدهما على فطلبا فلم يوجدا

(ذكر الاعرابى مع هارون الرشيد)

وذكروا ان اعرابيا قام على هارون الرشيد مستجديا فاراد الدخول عليه فلم يمكنه

ذلك فلما رأى انه لم يؤذن له أتى عبد الملك بن الفضل الحاجب فقال له توصل كتابي هذا الي امير المؤمنين وكان الرشيد قد عهد الى حاجبه ان لا يحبس عليه كتاب احد قرب او بعد فاعطاه الاعرابي كتابا فيه اربعة اسطر. السطر الاول فيه. الضرورة والامل قاداني اليك. والثاني. العدم يمنع من الصبر. والثالث. الانقلاب عنك بلا فائدة شماتة الاعداء. والرابع. فاما نعم مثمرة وأما لا يائسة مريحة. فلما وصل الكتاب الى الرشيد قال. هذا رجل قد ساقته الحاجة ووصلت اليه الفاقة فليدخل فدخل فقال له الرشيد ارفع حاجتك وحوائجك نقض كلها فقال الاعرابي. تأمر لى يا امير المؤمنين بكلب اصيد به فضحك الرشيد ثم قال له قد أمرنا لك بكلب تصيد به فقال تامر لي يا امير المؤمنين بدابة اركبها فقال الرشيد قد امرنا لك بدابة تركبها فقال تأمر لي يا امير المؤمنين بغلام يخدم الدابة فقال له الرشيد قد امرنا لك بغلام. قال الاعرابي. تامر لي يا امير المؤمنين بجارية تطبخ لنا الصيد وتطعمنا منه فقال الرشيد قد امرنا لك بجاريتين جارية تؤنسك وجارية تخدمك فقال الاعرابي لا بد لهؤلاء من دار يسكنونها فقال له الرشيد قد امرنا لك بدار قال الاعرابي يا امير المومنين يصيرون فيها عالة وعلى كلالة لا بد لهم من ضيعة تقيمهم فقال له الرشيد قد اقطعتك مائة جريب عامرة ومائه جريب غامرة فقال الاعرابي وما الغامرة يا امير المؤمنين قال الرشيد غير معمورة تامر بعمارتها فقال الاعرابي انا اقطعتك الف الف جريب من ارض اخوالى بني اسد بالحجاز تامر بعمارتها فضحك الرشيد وقال قد اقطعتكها عامرة كلها ثم قال الرشيد تمت حوائجك كلها يا اعرابي. فقال نعم وبقيت حاجتي العظمى فقال له الرشيد ارفعها تقض فقال اقبل رأسك يا امير المؤمنين فقال له الرشيد هذا لا سبيل اليه فقال الاعرابي اعتمني حقا هو لى وتدفعني عما بذلت لي يا امير المؤمنين فقال الرشيد هذا الامر لا يكون يا اعرابي ولا سبيل الى مثل هذا فقال الاعرابي لا بد من ان اصل الى حقي الا ان اغصبه فقال له الرشيد يا اعرابي اشترى منك هذا الحق الذي وجب لك فقال له الاعرابي هذا الحق مما لا يشترى وهل فى الارض من المال ما يكون ثمنا لهذا او عوضا منه لا والذي نفسي بيده ما فى الدنيا صفراء ولا بيضاء يشترى بها هذا فقال الرشيد تبيعه ببعض ما تراه من الثمن فانه لا يكون ولا يتوصل اليه فقال له الاعرابي فاذا قد ابيت فاعطني مما اعطاك الله فامر له بمائة الف دينار فاتى بها اليه فقال الاعرابي ماهذه فقيل له هذه مائة الف دينار تاخذها فقال الاعرابي هى للغرماء على وهم أولى بها مني فضحك الرشيد ثم أمر له بمائة الف اخري فقال ماهذه فقيل له مائة الف ثانية والاولى للغرماء وهذه لك فقال الاعرابي هذه لضعفاء اهلي يصلهم بها امير المؤمنين فبما اوسع على نفسي فامر له الرشيد

بمائة الف ثالثة فقيل له هذه مائة الف ثالثة توسع بها على نفسك فى معيشتك ارضيت يا اعرابى فقال نعم ثم انصرف الاعرابى راجعا الى الحجاز باموال عظيمة لا يوصف اكثرها ولا يعرف اقلها وكل هذا يقل عند ما عرف من جود الرشيد وسخائه وجزيل عطائه

﴿ قتل جعفر بن يحيى بن برمك ﴾

قال عمرو بن بحر الجاحظ حدثني سهل بن هارون . قال . والله كان سجاعو الخطب ومحبرو القريض اميالا على يحيى بن خالد بن برمك وجعفر بن يحيى . ولو كان كلام يتصور درا ، و يحيله المنطق السري جوهراً لكان كلامها والمنتقي من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد فى بديهته وتوقيعاته فى اسافل كتبه عيين . ولقد كانوا مع تهذيب اخلاقهم وكرم اعزافهم وسعة آفاقهم ورفق ميثاقهم وسهول مذاقهم وسنا اشرافهم ونقاوة اعراضهم وطيب اغراضهم واكمال خلال الخير فيهم الى ملء الارض مثلهم في حب محاسن المامون كالنفثة فى البحر ، وكالخردلة فى المهمة القفر . قال سهل انى لمحصل ارزاق العامة بين يدي يحيى بن خالد فى داخل سرادقه وهو مع الرشيد بالرقة وهو يعقد بها جملا بكفه اذ غشيته سامة واخذته سنة فغلبته عيناه فقال ويحك ياسهل طرق النوم شفرى عيني واطلت السنة خواطري فماذاك ؟ قلت . طيف كريم ان اقصيته ادركك وان غالبته غلبك وان قربته روحك وان منعته عنتك وان طردته طلبك . فنام اقل من فواق بكية او نزح ركية ثم انتبه مذعورا فقال ياسهل لامر كان ذهب والله ملكنا وذل عزنا وانطفت ايام دولتنا فقلت وما ذاك اضلح الله الوزير . قال كان منشدا انشدنى .

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

فاجبته عن غير روية ولا اجالة فكر .

بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والجدود العواثر

فو الله مازلت اعرفها فيه واراها ظاهرة منه الى الثالث من يومه وانى لفي مقعدى ذلك بين يديه اكتب توقيعات فى أسفل كتبة لطلاب الحوائج اليه قد كلفنى اكمال معانيها باقامة الوزن فيها اذ وجدت رجلا ساعياً اليه حتى أوما مكبا عليه فرفع راسه وقال مهلا ويحك ما اكتتم خيراً ولا استرشراً قال له قتل امير المؤمنين الساعة جعفرا قال او فعل قال نعم فما زاد ان رمى بالقلم من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة . قال سهل فلو انكفأت السماء على الارض ما تبرأ منهم الحميم او استبعد عن نسبهم القريب وجحد ولاءهم المولى واستعبرت لفقدهم الدنيا فلا لسان يخطر بذكرهم الاطرف ناظر يشير اليهم . وضم يحيى وبقية ولده والفضل ومحمداً وخالداً بنيه وعبد الملك ويحيى وخالداً بني جعفر بن يحيى . والعاصي ويزيداً ومعمرا بني

الفضل بن يحيى ويحيى وجعفرا وزيد بني محمد بن يحيى وابراهيم ومالكا وجعفراً وعمرو بني خالد بن يحيى ومن لف لفهم او هجس بنفسه امل فيهم. قال سهل وبعث الى الرشيد فو الله لقد أعجلت عن النظر فدخلت ولبست ثياب احزاني وأعظم رغبتي الى الله الا راحة بالسيف والا نسيت كما نسي جعفر. فلما دخلت عليه ومثلت بين يديه عرف الذعر في تعرض ريقي والتمايد في طريقي وشخوصي الى السيف المشهور ببصري فقال هارون: ايها يا سهل من غمط نعمتي واعتدى وصيتي وجانب موافقتي أعجلته عقوبتي. فو الله ماوجدت جوابا حتى قال ليفرخ روعك وليسكن جأشك ولتطب نفسك ولتطمئن حواسك. فان الحاجة اليك قربت منك وابقت عليك بما يبسط منقبضك ويطلق معقولك، فاقتصر على الاشارة قبل اللسان فانه الحاكم الفاصل والحسام الفاصل واشار الى مصرع جعفر وهو يقول

من لم يؤدبه الجميل * ففي عقوبته صلاحه

قال سهل. فو الله ماأعلمني اني عييت بجواب احد قط غير جواب الرشيد يومئذ فما عولت في شكره والثناء عليه الاعلى تقبيل يديه وباطن رجليه. ثم قال لي. اذهب فقد احللتك محل يحيى بن خالد ووهبتك ماضمته ابنيته وحوى سرادقه فاقبض الدواوين واحص جباءه وجباء جعفر لنامرك بقبضه ان شاء الله. قال سهل فكنت كمن نشر عن كفن واخرج من حبس فاحصيت جباءهما فوجدت عشرين الف الف دينار. ثم قفل الى بغداد راجعا وفرق البرد الى الامصار بقبض اموالهم وغلاتهم وامر بجيفة جعفر فنصبت مفصلة على ثلاثة جذوع رأسه في جذع على رأس الجسر مستقبل الصراط وبعض جسده في جذع آخر في آخر الجسر الاول واول الجسر الثاني وباقيه في جذع على آخر الجسر الثاني مما يلي بغداد. قال سهل فلما دنونا من بغداد طلع الجسر الذي فيه وجه جعفر لنا اولا واستقبلنا وجهه واستقبلته الشمس فوالله لخلتها تطلع من بين حاجبيه وانا عن يمينه وعبد الملك بن الفضل عن يساره فلما نظر اليه الرشيد كانه قنيء شعره وطلي بنور بشره اربد وجهه واغضى بصره قال عبد الملك بن الفضل لقد عظم ذنب لم يسعه عفو امير المؤمنين فقال الرشيد. واغرورقت عيناه حتى لعرفنا الجهش في صدره من يرد غير مائه يصدر بمثل دائه ومن اراد فهم ذنبه يوشك ان يقوم على مثل راحلته. علي بالنضاحات قال سهل فنضح عليها حتى احترقت عن آخرها وهو يقول. اما والله لئن ذهب اثرك لقد بقي خبرك ولئن حط قدرك لقد علا ذكرك. قال سهل وامر بضم اموالهم فوجد من العشرين الف التي كانت

مبلغ جمائهم اثني عشر الف الف مكتوب على بدور ها صكوك مختومة تفسيرها رقما جوابها لما كان منها حباء على عربية او استطراف ملحة تصدق يحيي بها و أثبت ذلك في دوانها على تواريخ ايامها وساعات عطياتها فكان ديوان انفاق واكتساب فائدة وقبض من سائر اموالهم ثلاثين الف الف وستمائة الف وستين الفا الى ما ارضياعهم وغلاتهم ودورهم ورباعهم ورياشهم والدقيق والجليل من مواهبهم فانه لا يصف اقله ولا يعرف أكثره الا من احصى الاعمال وعرف منتهى الآجال. وابرزت حرمه الى دار البانوقة ابنة المهدي فوالله ما علمته عاش ولا عشن الا من صدقات من لم يزل متصدقا عليه وصار من موجدة الرشيد فيما لم يعلم من ملك قبله على آخر ملكه. وكانت ام جعفر بن يحيى فاطمة بنت محمد بن الحسن بن الحسن بن قحطبة بن شبيب قد ارضعت الرشيد مع جعفر وكان ربي في حجرها وغذي برسلها لان امه ماتت عن مهده فكان الرشيد يشاورها مظهراً لا كرامها والتبرك برأيها وكان قد آلى على نفسه وهو في كفالتها ان لا يحجبها وان لا تستشفعه لاحد الا شفعها وآلت عليه ام جعفر ان لا دخلت عليه الا مأذوناً لها ولا تشفعت لاحد لغرض دنيا. قال سهل فكم اسير فكت ومهم عنده فتحت ومنغلق منه فرجت. قال واحتجب الرشيد بعد قدومه فطلبت الاذن عليه من دار البانوقة ومتت بوسائلها اليه فلم يأذن لها ولا امر بشيء فيها فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها واضحة لثامها محتفية في مشيتها حتي صارت بباب قصر الرشيد فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب. فقال ظئر امير المؤمنين بالباب في حالة تقلب شماتة الحاسد الي حنين الوالد وشفقة ام الواحد فقال له الرشيد ويحك يا ابن الفضل او ساعية فقال نعم أصلح الله امير المؤمنين حافية فقال. ادخلها يا عبد الملك فرب كبد كريم عذتها وكربة كشفتها وفرجة فرجتها وعورة سترتها. قال سهل فوالله ما شككت في شيء قط ما شككت يومئذ في طلابها واسعافها بحاجتها. فلما دخلت ونظر اليها داخلة محتفية قام محتفيا حتي تلقاها بين عمد المجلس فاكب على تقبيل رأسها ومواضع ثديها ثم اجلسها معه فقالت يا امير المؤمنين ايعدوا علينا الزمان ويجفون خوفا لك الاعوان ويحردك بنا البهتان ويوسوس لك باذانا الشيطان وقد ربيتك واخذت برضاعي لك الامان من دهري، فقال لها وما ذلك يا ام الرشيد. قال سهل، فآيسني من رأفته بتركه كنيتها آخراً ما كان اطمعني منه في بره بها اولا. قالت له ظئرك يحيي وابوك بعد ابيك ولا ارشحه باكثر مما عرفه به امير المؤمنين من نصيحته واشفاقه عليه وتعرضه للتحتف في شان موسي اخيه فقال يا ام الرشيد قد سبق وقضاء حتم وغضب من الله نزل قالت يا امير المؤمنين يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. فقال الرشيد صدقت فهذا مما لا يمحوه الله فقالت الغيب محجوب عن النبيين فكيف عنك يا أمير المؤمنين. قال سهل فاطرق الرشيد يسيراً ثم قال.

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

فقالت بغير روية ما انا ليحي بتميمة يا امير المؤمنين وقد قيل .

واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخراً يكون كصالح الاعمال

هذا بعد قول الله « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » فاطرق هارون قليلا ثم قال

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد * اليه بوجه آخر الدهر تقبل

فقالت يا أمير المؤمنين وهو يقول

ستقطع في الدنيا اذا ما قطعتني * يمينك فانظر اى كف تبدل

قال الرشيد رضيت فقالت يا امير المؤمنين فهبه لله تعالى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك شيئا لله لم يوجده الله ، فاكب الرشيد مليا ثم رفع رأسه وهو يقول لله الامر من قبل ومن بعد قالت يا امير المؤمنين وقال عز وجل « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » وقال تعالى « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » فقال لها وما ذاك يا أم الرشيد قالت ما اقسمت لى به يا امير المؤمنين ان لا يحجبك عني حاجب فقال لها يا ام الرشيد أحب ان تشتريه محكمة فيه قالت انصفت يا امير المؤمنين وقد فعلت غير مستقبلة لك ولا راجعة عنك قال بكم قالت برضاك عن من لم يسخطك قال: ياام الرشيد أما لى عليك من الحق مثل الذي لهم ؟ قالت : بلى يا امير المؤمنين انك لاعز على وهم احب الى . قال اذا فتحكمى في ثمنه بغيرهم قالت بلى قد وهبتكه وجعلتك فى حل منه وقامت عنه فبقى الرشيد مبهوتا مايحير لفظة قال سهل وخرجت عنه فلم تعد اليه ولا والله ان رأت عيني لعينها عبره ولا سمعت اذنى لنعيها آنة . قال سهل وكان الامين رضيع يحى بن جعفر فمت اليه يحيى بن خالد بذلك فوعده ا تيهاب امه اياهم ثم شغله اللهو عنهم . فكتب اليه يحيى وقيل انها لسليمان الاعمى أخى مسلم بن الوليد

يا ملاذي وعصمتي وعمادى * ومجيرى من الخطوب الشداد

بك قام الرجا في كل قلب * زاد فيه البلاء كل مزاد

انما أنت نعمة اعقبتها * أنعم نفعها لكل العباد

وعد مولاك أتممنه فابهى الد * ر مازين الحسنة بالعقاد

ما أظلت سحائب اليأس الا * خلت فى كشفها عليك اعتمادى

ان تراخت يداك عني فواقا * أ كلتني الايام أ كل الجراد

و بعث بها اليه فبعثها الامين الى امه زبيدة فاعطتها الرشيد وهو فى موضع لذاته وفي

اقبال من اريحيته وتهيات للاستشفاع وهيات جواريها ومغنياتها وامرتهن بالقيام اليه معها فلما فرغ الرشيد من قراءتها لم ينقض جهونه حتي وقع في اسفلها . عظيم ذنبك أمات خواطر العفو عنك . ورمى بها الى زبيدة فلما رات توقيعه علمت انه لا يرجع عنه قال واعتل يحيي فلما اشتي دعا برقعة فكتب في عنوانها ينفذ امير المؤمنين الرشيد ابقاه الله عهد مولاه يحيي بن خالد وفيه ، بسم الله الرحمن الرحيم قد تقدم الخصم لموضع الفصل وانت على الاثر والله الحكم العدل. فلما ثقل قال للسجان هذا عهدى توصله الي امير المؤمنين فانه ولى نعمتي واحق من تقذ وصيتي. فلما مات اوصل السجان عهد يحيى الى الرشيد فلما قرأه استمد فكتب ولا ادرى لمن الرقعة ؛ فقلت يا امير المؤمنين ألا اكفيك قال كلا انى اخاف عادة الراحة ان يقوى سلطان العجز فيحكم في الغفلة ويقضي بالبلادة . قال سهل فوقع فيها الحكم الذى رضيت به في الآخرة لك هو اعدي الخصوم عليك في الدنيا وهو من لا ينقض حكمه ولا يرد قضاءه ثم رمى بالكتاب الى فلما رايته علمت انه ليحيى وان الرشيد اراد ان يؤثر الجواب عنه . قال سهل قلت لبعض من اثق بوفائه واعتقد صدق اخائه من خصيان القصر المتقدمين عند امير المؤمنين والمتمكنين من كل ما يكون لديه . ما الذى يمنع جعفر بن يحيى وذويه عند امير المؤمنين وما كان من ذنبه الذى لم يسعه عفوه ولم يات عليه رضاه ؟ فقال : لم يكن له جرم ولا لديه ذنب كان والله جعفر على ما عرفته عليه وفهمته عنه من اكمال خصال الخير ونزاهة النفس من كل مكروه ومحذور الا ان القضاء السابق بالقدر اتانا فدلا بد منه كان من اكرم الخلق على امير المؤمنين واقربهم منة وكان اعظمهم قدرا واوجبهم حقا فلما علم ذلك من حسن راي امير المؤمنين فيه وشديد محبته له استاذنته اخته فاخته بنت المهدى شقيقته في اتحاف جعفر ومهاداته فاذن لها وكانت قد استعدت له بالجوارى الرائعات والقينات الفاتنات فتهدى له كل جمعة بكرا يفتضها الى ما يصنع له من الوان الطعام والشراب والفاكهه وانواع الكسوة والطيب كل ذلك بمعرفة امير المؤمنين ورأيه فاستمرت بذلك زمانا ومضت به اعواما فلما كانت جمعة من الجمع دخل جعفر القصر الذى استعدت له ولم يرع جعفر الا بفاختة ابنة المهدى في القصر كانها جارية من الجوارى اللاتى كن يهدين له فاصاب منها لذته وقضي منها حاجته ولا علم له بذلك . فلما كان المساء وهم بالانصراف اعلمته بنفسها وعرفته بامرها واطلعته على شديد هواها وافراط محبتها له فازداد بها كلفا وبها حباً ثم استعفاها من المفاوذة الي ذلك وانقبض مما كان ينا له منها من جواريها واعتذر بالعلة والمرض فاعلم جعفر اباه يحيى فقال له يا بني اعلم أمير المؤمنين ما كان معجلا والا فائذن لى فاعلمه فانى اخاف علينا يوم سوء ان تاخر هذا وبلغه من غيرنا واعلامك له في هذا الوقت يسقط عنا ذلك

الذنب فهي احق بالعقوبة منك قال جعفر لا والله لا اعلمته به ابدا فلموت على ايسر منه وارجو الله ان لا يطلعه عليه فقال له يحيي لا تظن هذا يخفي عليه فاطمني اليوم واعلمه فقال جعفر والله لا أفعل هذا ابداً ولا اتكلم به وبالله استعين فلم يرع الرشيد ان رفعت اليه جارية من جواريها رقعة واعلمت ذلك فيها فاستحق ذلك عند الرشيد باستعفاء جعفر لما كان من اتحافها واعتذاره بالعلة من غير مرض ينهكه فغفل عنه الرشيد ولم ير لذلك جفوة ولا زاده الا كرامة ولا لديه الا حرمة ورفعة حتي قرب وقت الهلاك ودنى منقلب الحتف والله اعلم

فتم بعون الله تعالى مابه ابتدانا وكمل وصف ماقصصنا من ايام خلفائنا وخير أئمتنا وفتن زمانهم وحروب ايامهم وانتهينا الى ايام الرشيد ووقفنا عند انقضاء دولته اذلم يكن فى اقتصاص اخبار من بعده ونقل حديث مادار على ايديهم وكان في زمانهم كبير منفعة ولا عظيم فائدة وذلك لما انقضي أمرهم وصار ملكهم الى صبية اغمار غلب عليهم زنادقه العراق فصرفوهم الي كل جنون ودخلوهم الى الكفر فلم يكن لهم بالعلماء والسنن حاجة واشتغلوا باهوهم واستغنوا برأيهم وكان الرشيد مع عظم ملكه وقدر شأنه معظما للخير واهله محباً لله تعالى ورسوله ولما دخلت عليه سنة تسعين ومائة اخذته الحمي التى اخبرها جده ابو جعفر المنصور وهو فى المهد صغيراً فعرفانه قددنى اجله وحان هلاكه فاجتمع الية اطباء العراق يعالجونه ثم استعان باطباء الروم والهندواستجلبهم من الافاق فلم يزالوا يداوونه حتى مضت له ثلاثة ايام أعوان ولا قامت عنه ولا يزيده العلاج الاشده فلما دخلت سنة اربع وتسعين ومائة اثرت به وانهكت بدنه واشتد ألمه وتمادي به وجعه فذكر البيعة لابنه المأمون فلما سمعت بذلك زبيدة وكانت ابنها منه محمد الامين هجرته وتغاضت عنه واكربها ذلك وغمها حتي ظهر ذلك عليها واثرالغم في وجهها فدخلت عليه تعاتبه في ذلك اشد المعاتبه وتؤاخذه اعنف المؤاخذة . فقال لها الرشيد : ويحك انما هى امة محمد ورعاية من استرعانى والله تعالى مطوقا بعنقي وقد عرفت مابين ابني وابنك ليس ابنك يازبيدة اهل للخلافة ولا يصلح للرعاية . قالت ابني والله خير من ابنك واصلح لما تريد ليس بكبير سفته ولا صغير فهيه و اسخى من ابنك نفساً واشجع قلبا : فقال هارون : ويحك ان ابنك قد زينه فى عينك ما يزين الولد فى عين الابوين فاتقي الله فوالله ان ابنك لاحب الي الا انها الخلافة لا تصلح الا لمن كان لها اهلا وبها مستحقا ونحن مسئولون عن هذا الخلق وماخوذون بهذا الانام فما اغنانا ان نلقي الله يوزرهم وننقلب اليه باثمهم فاقعدى حتى اعرض عليك مابين ابني

وابنك . فقعدت معه على الفراش فدعا ابنه عبدالله المامون فلما صار بباب المجلس سلم على ابيه بالخلافة فاذن له بالجلوس فجلس وامره فتكلم فحمد الله على مامن به عليه من رؤية ابيه ويرغب اليه في تعجيل الفرج مما به ثم استاذن في الدنو من ابيه فدنا منه وجعل يلثم اسفال قدميه و يقبل باطن راحتيه ثم انثني ساعياً الى زبيدة فاقبل على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها ثم انحني الي قدميها ثم ارجع الى مجلسه فقال الرشيد :يابني اني أريد ان اعهد اليك عهد الامامة وأقعدك مقعد الخلافه فاني قد رايتك لها أهلا وبها حقيقاً فاستعبر عبدالله المامون باكياً وصاح منتحبا يسال الله العافية من ذلك ويرغب اليه ان لا يريه فقدابيه فقال له يابني اني أراني لما بي وانت احق وسلم الامر لله وارض به واساله العون عليه فلا بد من عهدي يكون في يومي هذا فقال عبد الله المامون يا ابتاه اخي احق مني وابن سيدتي ولا احال الا انه اقوى على هذا الامر مني ثم اذن له فقام خارجا ثم دعا هارون بابنه محمد فاقبل يجر ذيله ويتبختر في مشيته فمشي داخلا بنعليه فدانسي السلام وذهل عن الكلام نخوة وتجبرا وتعظيما واعجابا فمشي حتى صار مستويا مع ابيه على الفراش فقال هارن وما تقول اي ابني فاني اريد ان اعهد اليك؟ فقال ياامير المؤمنين ومن احق بذلك مني وانا اسن ولدك وابن قرة عينك فقال هارون اخرج يابني ثم قال لزبيده كيف رايت ما بين ابني وابنك ؟فقالت ابنك احق بما تريد فكتب عهد عبد الله المامون ثم محمد الامين بعده فلما كان سنة خمس وتسعين ومائة توفي الرشيد رحمه الله وعبد الله المامون خارج عن العراق وكان وجهه ابوه بالجيوش الى بعض الفرس لشيء بلغه عنهم فلظ بمحمد الامين قوم من شرار اهل العراق فقيل له ممك الاموال والرجال والقصور فادفع في نحر اخيك المامون فانك احق بهذا الامر منه واعانته على ذلك امه زبيدة فقدم اخوه عبدالله من بغداد ومعه الجيوش قد اخذ بيعتهم فنهض اليه الامين قاصدا ومعه الجيوش فلم يرجع ولم يغانم ولم يختلف عليه احد ثم انه غدر باخيه الامين لما بلغه عنه فنهض المؤمون الى القصر فدخله فاخذ اخاه وشد وثاقه وحبسه واشار الى امه لما اعانته عليه فاقرب محمد من الحبس فبعث المامون في طلبه فاخذ وقتل والله تعالى اعلم

﴿تمت﴾

فهرست

الجزء الاول من كتاب الامامة والسياسة

(للامام الفقيه أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوى)

صحيفة

صحيفه

صحيفة

صحيفة

فهرست

الجزء الثانى من كتاب الامامة والسياسة

صحيفه

صحيفه

صحيفة